

كلماتٌ وشهاداتٌ وأبياتٌ وأبحاثٌ مُهداة

أعدّهُ وحرّرهُ

أبو أوس إبراهيم الشّمسان

١٤٤٥هـ / ٢٠٢٤م

وسمية عبد المحسن المنصور

كلماتٌ وشهاداتٌ وأبياتٌ وأبحاثٌ مُهداة

أَعَدَّهُ وحَرَّرَهُ

أبو أوس إبراهيم الشَّمسان

الرياض

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م



كلمات وشهادات وأبيات وأبحاث مهداة

وسمية عبد المحسن المنصور

كلمات وشهادات وأبيات وأبحاث مهداة

أعدّه وحرّره

أبو أوس إبراهيم الشّمسان

الرياض

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

ⓗ **دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع ، ١٤٤٥هـ**

فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشمسان، د.أبو أوس إبراهيم

وسمية عبدالمحسن المنصور/ د.أبو أوس إبراهيم الشمسان

دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع- ط١ — الرياض، ١٤٤٥هـ

٦٠٩ص؛ ١٧×٢٤سم

رقم الإيداع: ١٤٤٥/٢١١٤٤هـ

ردمك: ٨- ٠٧٦٥- ٠٥- ٦٠٣- ٩٧٨

صممت الغلاف بدور بنت إبراهيم الشمسان

الطبعة الأولى — الرياض ١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾

شكر وعرفان

أقل وأكثر لست تبلغ غاية   تجود بها شكرًا لمن بذل الجهدا

وإذا شكرت فلن أوفي بحقّ من شارك في هذا الكتاب ولو بكلمة
ستكون بإذن الله في ميزان أعماله يوم يلقى كلٌ ربه القدير المتعالي
ما كتبه الأقرباء والأصدقاء وما أهدوه من الأبحاث هو وفاء منهم
يبقى ما عشنا يذكرنا ويذكرهم بمن ملكت قلبي ثم قلوب الناس
هذا عرفان بجميل يشكر، فلكل محبّ ندعو الله بالتوفيق ونرجو

المحتويات

مقدمة		١١
السيرة الذاتية		١٥

كلمات الأسرة(١)

أبوأوس إبراهيم الشمسان	مداخلة لن تقرئيها	٣٥
أوس بن إبراهيم بن سليمان الشمسان	مطر الربيع الأول	٤٠
ديمة بنت إبراهيم بن سليمان الشمسان	ما شبعت منكم	٤٥
بدر بن إبراهيم بن سليمان الشمسان	غابت ولكن الذكريات ما غابت	٥٢
بدور بنت إبراهيم بن سليمان الشمسان	رسالة إلى ماما وسمية من وسمية الصغيرة	٥٦
ميس بنت أوس بن إبراهيم الشمسان	جدتي وسمية المنصور	٦٠
موضي خالد السويدان	ماما وسمية	٦١

كلمات الأسرة(٢)

جواهر عبدالله السحيباني	الروح الطاهرة	٦٥
حنان عبدالعزيز الخميس	سيدة التفاصيل الساحرة	٦٦
د.خولة بنت عبد الرحمن الخميس	روح المحبة والعطاء	٧٠
ربيحة بنت عبدالمحسن المنصور	أختي وسمية رحمها الله	٧٢
سارة بنت سليمان الشمسان	ذكريات لا تنسى	٧٦
شيخة عبدالله العقيل	شفتها قبل أن أشوف الشمسان	٧٩
لينة بنت عبدالله السحيباني	فقيدة الدولتين	٨١

محمد عبدالله سليمان الشمسان	الدكتورة وسمية أم أوس	٨٤
مريم بنت سليمان الشمسان	الغالية فقيدة الشمسان	٨٦
موضي بنت سليمان الشمسان	وسمية أختنا أم أبنائنا	٨٩
موضي سويدان السويدان	رحلت طيبة السيرة والسريرة	٩١
نورة بنت سليمان الشمسان	عندي كلمات بسيطة	٩٣
نورة عبدالله السحيباني	إلى فقيدة قلبي	٩٥

كلمات في تأبين المرحومة

أحمد بن عبدالمحسن العسَّاف	أبو أوس الشمسان ينعى قرينته	١٠١
أ.د.أمينة بنت عبد الرحمن الجبرين	وسمية المنصور الإنسانة	١٠٦
ثمرة درهوم البقمي	كانت تنادينا بناتي	١١٤
د.حنان عبدالمحسن التويجري	وفي رحاب السلام	١١٥
سهى أبا حسين	الحمد لله على تقدير الله	١١٧
عبير محفوظ علي الطلحي	في وداع د. وسمية	١٢٠
د. علي المعيوف	وَسْمِيَّة: إذا فاق الاسم الصفة	١٢٣
عمرة بنت ثاري الرشيدي	في وداع والدتنا د. وسمية المنصور	١٢٦
د. عواطف حمد القنيبط	وسمية أم الخليج العربي	١٣٠
أ.د. فتحية حسين آل عقاب	غابت عنا ولم تغب ذكراها	١٣١
د. فوزية بريون	في الاحتفاء بوسمية المنصور	١٣٣
لينا سليمان السليم	خالة وسمية	١٣٧
مريم محمد علي الوباري	أ.د. أم أوس خلود أبدي	١٤٠
د.منيرة صالح العكاس	حبيبة القلوب وسميّة سيدة الإنسانية	١٥٠
أ.د. نجوى صابر	وسمية المنصور عمر من الحب لم يزل	١٥١

أ.د. نوال بنت سليمان الثنيان	وسمية مجموعة إنسان	١٥٤
نورة الشملان	أم أوس وكفى	١٥٦
د. هتون أجواد الفاسي	غاب عنا وسم وشمس الدكتورة وسمية المنصور	١٥٨
أ.د. هند بنت تركي السديري	الدكتورة الأنسانة وسمية المنصور	١٦٢
د. هند بنت شارع القحطاني	من وسوم وسمية المنصور	١٦٤

ندوتان

رائدات في خدمة العربية ١٧٣	وسم وفاء لوسمية العطاء	١٨٤
سجل توقيعات ١٩٠		

شهـادات

د.إبراهيم بن عبدالرحمن التركي	تظاهرة حبّ	٢٠٣
أ.د. أحمد مطر العطية	إنّها لَوسمية!	٢٠٥
أفنان المسلم – فاتن محمد	شمس العطاء التي لا تغيب	٢٠٨
أ.د. ذكرى يحيى القبيلي	شكل اللغة في المستوى المكتوب	٢٠٩
أ.د. ذكرى يحيى القبيلي	العالم الإنسان أبو أوس.. الاحتفاء والأسرة الجميلة	٢١٦
أ.د. سعاد بنت عبدالعزيز المانع	وسمية المنصور .. العقل والقلب الانتماء والاتجاه	٢٢٤
شرعاء الشهري	رسالة شكر وتقدير	٢٣٢
عبد الله الغذامي	الحياة بوصفها ذِكْرًا ثانيًا ومتصلًا	٢٣٤
عزة الشدوي	الطريق إلى المكتبة	٢٣٦

د. محمود أحمد نحلة	وقائع ومجالس	٢٤٠
ندى بنت سعد الشنّار	أَأُلام يا سادة في الكتابة عن الأستاذة؟!	٢٤٣
د. وداد بنت أحمد القحطاني	إمام العربية من النساء	٢٥٤
ياسر الحزيمي	ساحل بحرها	٢٥٩

أبيـــات

د. أسماء بنت إبراهيم الجوير	يروعني الموت	٢٦٣
د. أمل بنت محمد الشقير	مرثيَة في أ.د. وسمية المنصور	٢٦٥

أبحاث مهداة

أ.د. أسماء بنت محمَّد العسَّاف	الغلطُ في كتابِ سيبويهِ	٢٧٣
د. أمل بنت محمد الشقير	التقدير التجريدي في النظرية النحوية العربية: نماذج من كتاب سيبويه	٣٢٥
أ.د. البندري بنت عبد العزيز العجلان	الأسماء الخماسية المجردة في معجم تاج العروس للزبيدي	٤٠١
د. تهاني محمد الصفدي	نداء المعاني في القرآن الكريم	٤٧٥
د. فوزية بنت دقل سالم العتيبي	مذاهب العرب في التسمية	٥٢٣
أ.د محمد بن ناصر الشهري	مسؤولية أقسام اللغة العربية تجاه المجتمع	٥٥٧
د. هدى بنت سليمان بن سعد السراء	التحولات التركيبية مع (لَمّا) في السياق: دراسة نحوية	٥٨٧
د.نجوى بنت محمد الكحلوت	المصطلحات العلمية بين الواقع والمأمول	٦١٧

مُقَدِّمَة

لم يكن يخطر في بالي أن يومًا سيأتي أجلس فيه لأكتب مقدمة عن كتاب كتب عن وسمية وكتب لها، وهي لن تراه وإن كانت رأت، ولله الحمد شيئًا منه، حين بادر إلى نشر ملف عنها الصديق الدكتور إبراهيم بن عبدالرحمن التركي رئيس تحرير المجلة الثقافية في صحيفة الجزيرة، فله الشكر ودعاء لا ينقطع بالتوفيق والرضا.

قرأت كل حرف جاء في هذا الكتاب، بكيت في مواطن وابتسمت في مواطن، ورأيت إجماع من كتبوا على ذكر صفات قلما تزوى لغيرها، صفات عرفتها؛ ولكني أراها في عيون أبنائها وأقربائها وصديقاتها وزملائها وزميلاتها وطالباتها بناتها، وكان الإجماع على ما أعرفه من جميل سجاياها.

يضم هذا الكتاب كما هو ظاهر من عنوانه كلمات وشهادات وأبيات وأبحاث مهداة، فأما الكلمات فقسمت قسمين: كلمات الأسرة، وكلمات تأبينية كتبها غير أفراد الأسرة، وقسمت كلمات الأسرة قسمين: الأول لكلمات الأسرة الصغرى، ورتبت الكلمات فيها وفاقًا للعمر، والقسم الآخِر لكلمات الأسرة الكبرى، ورتبت الكلمات فيها وفي سائر الكتاب ترتيبًا هجائيًّا.

تضم الشهادات ما كتب في حياتها في ملف المجلة الثقافية مضافًا إليه ما كتبه أستاذنا الدكتور عبدالله الغذامي إذ جعلته في قسم الشهادات؛ لأنني استكتبه لذلك فسماه شهادة.

حاولت جهدي جمع ما كتب عنها في حياتها وبعد وفاتها رحمها الله، وحررته وفاق معرفتي المتواضعة، وأودّ أن أتقدم بالشكر لكل من كتب أو استكتب، ولكل من أهدى بحثًا ليثري هذا الكتاب بالعلم النافع الذي هو من أهم صفات الراحلة، وهي صفة كرّمت بها في حياتها كرمها سفير الكويت في الرياض الشيخ علي الخالد (انظر: صحيفة الأنباء الاثنين - ١٦ من شعبان ١٤٤٥ - ٢٦ فبراير ٢٠٢٤ - العدد: ١٧٠١٥)، وبعد وفاتها حين بادر مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية في مكة المكرمة إلى تنظيم ندوة مباركة بتوجيه من رئيس المجمع أستاذنا الدكتور عبدالعزيز الحربي ونظم هذه الندوة أستاذنا الجليل محمد ربيع الغامدي، وكان عنوانها (رائدات في خدمة العربية)، وهن: سلمى الجيوسي(رحمها الله) وخديجة الحديثي (رحمها الله) ووسمية المنصور (رحمها الله)، وأسهم في الحديث عنهن: د.لمياء باعشن (الأستاذة في جامعة الملك عبدالعزيز سابقًا)، وأ.د. محمد حسين (الأستاذ في جامعة كربلاء بالعراق)، ود. عزة الشدوي (الأستاذة في جامعة الأمير سطام)، وأدار الندوة د. ياسر المرزوق (الأستاذ في جامعة تبوك). في يوم السبت ١١ محرم ١٤٤٥هـ/ ٢٩ يونيو ٢٠٢٣م. الساعة الواحدة ظهرًا.

وكرمت رحمها الله في الندوة التي دعت إليها في منزلها أميرة الثقافة والعطاء صاحبة السمو الأميرة نورة بنت محمد حرم صاحب السمو الأمير فيصل بن بندر بن عبدالعزيز حفظهم الله، لا نملك الوفاء بالشكر ولكن ندعو لها بظهر الغيب أن يديم الله عليها نعمه سابغة وأن يرضى عنها ويرضيها، ثم إن ندوة (وسم وفاء لوسمية

العطاء) نظمتها وأدارتها مشكورة مأجورة أستاذتنا القديرة الدكتورة نوال الثنيان، في الساعة الثامنة من مساء يوم الأربعاء ٢٥ شعبان ١٤٤٥هـ/ ٦ مارس ٢٠٢٤م.

أود أن أخص بشكري ابنتيّ تلميذتي الدكتورة عزة الشدوي الغامدي التي كتبت شهادتها في الملف وشاركت متحدثة في الندوتين، وتلميذتي الدكتورة أمل الشقير التي كتبت قصيدة وبحثًا وكان لها الفضل في دعوة من أهدى الأبحاث.

ويسرني أن أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان بالفضل لمركز حمد الجاسر الثقافي للأستاذ معن بن حمد الجاسر وفقه الله الذي دعا إلى أن يتولى المركز طباعة هذا الكتاب، والله نسأل أن يديم عليهم منه وكرمه.

وأرجو أن يجد الخير والفائدة كل من يقرأ هذا الكتاب وأن يدعو لها معي بالمغفرة وأن يجمعنا بها مع الصالحين في علّيين.

حرر في٢رمضان ١٤٤٥هـ/ ١٢مارس٢٠٢٤م. وكتبه

أبوأوس إبراهيم الشمسان

السيرة الذاتية

البيانات الشخصية

الاسم : وسمية عبد المحسن محمد المنصور

الجنســية: كويتية

مكان الميلاد وتاريخه: الكويت ١٩ فبراير ١٩٥٠م.

الدرجات العلمية

-الدكتوراه في النحو والصرف/ كلية الآداب جامعة القاهرة ٨- ٤-١٩٨١م القاهرة.
عن بحث (أبنية المصدر في الشعر الجاهلي).

-الماجستير في النحو والصرف/ كلية البنات جامعة عين شمس-١٩٧٧م القاهرة.
عن بحث:(صيغ الجموع في القرآن الكريم).

-دبلوم الدراسة التمهيدية للدراسات العليا / جامعة الكويت ١٩٧١م الكويت.

-الليسانس في الآداب والفلسفة/ كلية الآداب جامعة القاهرة١٩٦٩م القاهرة.

التدرج الوظيفي

-أستاذ النحو والصرف/ جامعة الملك سعود- من ١٧ جمادى الأولى ١٤٢٨هـ.

-أستاذ مشارك للنحو والصرف/ جامعة الملك سعود- من ٤ ذي الحجة ١٤٢٣هـ

-أستاذ مساعد للنحو والصرف/ جامعة الملك سعود- من ٣٠/ ١ / ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

-عميدة كلية البنات / جامعة الكويت ١٩٨٤ – ١٩٨٦م

-مدرس النحو والصرف/ جامعة الكويت ١٩٨١م -١٩٨٧م.

-معيدة بعثة/ جامعة الكويت- ١٩٧٣م - ١٩٨١م.

-معيدة / جامعة الكويت -١٩٧٢م.

-معلمة لغة عربية / وزارة التربية-الكويت ١٩٦٩م- ١٩٧٢م.

العضوية العلمية والمهنية

مشاركة في عضوية لجان أكاديمية وإدارية في كل من الجامعات والمؤسسات الثقافية والمجلات العلمية وكذلك عضوية في عدد من جمعيات النفع المدني.

شهادات التقدير

حصلت على العديد من الدروع وشهادات التقدير من هيئات أكاديمية ومؤسسات وطنية في الكويت والسعودية.

خدمة الجامعة والمجتمع

(١) الحكم على الأبحاث

أبحاث الترقيات العلمية في بعض الجامعات العربية ومؤسسات النشر العلمية والثقافية.

(٢) تحكيم مسابقات طلابية

تحكيم المسابقات الثقافية بإشراف إدارة النشاط الثقافي - مركز الدراسات الجامعية للبنات-جامعة الملك سعود.

(٣) الدورات وورش العمل

- حضور العديد من دورات تدريبية وورش عمل في السعودية والكويت.

- تقديم العديد من الدورات وورش عمل في السعودية والكويت.

(٤) المشاركة في أنشطة ثقافية واجتماعي لسفارة دولة الكويت في الرياض

-إدارة أمسيّة شعرية للشاعرة سعاد الصباح/ السفارة الكويتية- الرياض ١٩٩٦م.

-إدارة ندوة عمل المرأة الكويتية في جمعيات النفع العام والمنظمات غير الحكومية وتجارب حية لسيدات كويتيات كن في الأسر العراقي/ السفارة الكويتية- الرياض ١٩٩٦م.

-أنشطة أنشطة اللجنة النسائية لخدمة شؤون المواطنين الكويتيين

-عضو المجلس الإداري للجنة النسائية لخدمة شؤون المواطنين الكويتيين في الرياض إبان الاحتلال العراقي لدولة الكويت/ الرياض ١٤١١هـ.تلقيت دروعا وشهادات شكر من الحكومة الكويتية.

-رئيسة اللجنة الإعلامية في اللجنة النسائية لخدمة شؤون المواطنين الكويتيين في الرياض إبان الاحتلال العراقي لدولة الكويت/ الرياض ١٤١١هـ.

- رئيسة تحرير منشورة (معا من أجل الكويت) الناطقة باسم اللجنة النسائية لخدمة شؤون المواطنين الكويتيين في الرياض إبان الاحتلال العراقي لدولة الكويت/ الرياض ١٤١١هـ.

- إلقاء محاضرات ضمن برامج الإرشاد والدعم النفسي للكويتيين النازحين إلى الرياض بعد الغزو العراقي لدولة الكويت. ١١/ ١/ ١٤١١هـ- ١٢/ ٨/ ١٤١١هـ الموافقه ٢/ ٨/ ١٩٩٠م – ٢٦/ ٢/ ١٩٩١م.

الكتابة الصحفية

-في رسالة الجامعة. جامعة الملك سعود (زاوية أسبوعية). ٢٠٠٢ – ٢٠٠٣م وبعد ذلك مقالات متفرقة.

-زاوية أسبوعية ثابتة في صحيفة اليوم السعودية منذ ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م إلى ١٦/ ٧/ ٢٠٠٩م.

-المشاركة في الكتابة المتفرقة في كثير من الصحف والمجلات الثقافية في الكويت والسعودية.

المشاركة الإذاعية والتلفزيونية

-المشاركة في كثير من البرامج الثقافية في الإذاعة والتلفزيون :

في الكويت: برامج إذاعية: سهرة ثقافية أكثر من حلقة، زيارة إلى ، برنامج خاص باجتماع القمة لقادة مجلس التعاون ١٩٨٤، رسائل علمية ، أمسيّة الأربعاء ١٩٨٥م. برامج تلفزيونية: لمن يهمه الأمر ، ندوة ثقافية عن التعريب.

في الرياض: برامج إذاعية: نسيم الصباح، حقيبة الضيف، ندوة للرأي، خمس دقائق مع، أهلا بالمستمعين، برامج خاصة بمناسبات: البرامج الموجهة فترة

الاحتلال العراقي للكويت، البرامج الرمضانية، البرامج المتابعة للنشاط الثقافي النسائي.

برامج تلفزيونية: وجها لوجه – دنيا الأسرة (القناة الأولى) ١٤٢١ و مقتطفات السبت– (القناة الإخبارية) ١٤٢٢هـ . وبرنامج المنتصف القناة الثقافية ٢٠٠٦.

الخبرة التدريسية والإشراف على الرسائل العلمية

(١)تدريس مقررات النحو والصرف وتحقيق المخطوطات ومناهج البحث العلمي لمراحل البكالوريوس والدراسات العليا في كل من جامعة الملك سعود وجامعة الكويت.

(٢)الإشراف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه والمشاركة في مناقشة عدد آخر في داخل المملكة وخارجها.

المؤتمرات والندوات العلمية

شاركت في تقديم أوراق بحثية في كثير من المؤتمرات والندوات العلمية وحلقات البحث العلمي.

البحوث والأعمال العلمية المنشورة

- من سياقات الدلالات الضمنية في التواصل المنطوق (الكتاب التكريمي لذكرى الأستاذ الدكتور عبد العزيز تويجري – إصدار قسم اللغة العربية / جامعة الملك سعود ١٤٣٤هـ).

-(وقائع الخطاب في كتاب مجالس العلماء للزجاجي) نشر في كتاب الندوة الدولية الثانية قراءة في التراث الأدبي واللغوي في الدراسات الحديثة جامعة الملك سعود ٢٥ -٢٧ فبراير ٢٠١٤م.

- من استعمالات اللغة المحدثة (العربيزي) (مؤتمر مواكبة الفصحى للعصر – الجامعة الإسلامية الفصل الدراسي الثاني ١٤٣٢هـ/ ١٤٣٣هـ).

-منظومة القيم الاجتماعية في الأمثال الشعبية الفلسطينية ج/ ٢ (مجلة العرب – دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع ج ٥ و٦ ، ٤٦، ذي القعدة و ذي الحجة ١٤٣١هـ الموافق أكتوبر – نوفمبر ٢٠١٠م).

-منظومة القيم الاجتماعية في الأمثال الشعبية الفلسطينية ج/ ١ (مجلة العرب – دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع ج ٣ و٤ ، ٤٦، رمضان وشوال ١٤٣١هـ / أغسطس – سبتمبر ٢٠١٠م)

-من سياقات الدلالات الضمنية في الخطاب المنطوق (كتاب المؤتمر الدولي للغة العربية (اللغة العربية بين الانقراض و التطور- التحديات والتوقعات) جاكرتا – إندونسيا من ١٠- ١٢ شعبان ١٤٣١هـ الموافق ٢٢- ٢٤ يوليو ٢٠١٠م

-بحث (الدلالات النفسية والسلوكية لدى المتحدث باللغة الأجنبية في غير سياقها).الكتاب التكريمي لمعالي الأستاذ الدكتور أحمد الضبيب – مجلة مقاربات في اللغة والأدب، قسم اللغة العربية ١٤٣١هـ/ يونية ٢٠١٠م

-من مستجدات الخطاب والتواصل – رسائل الجوال نموذجا (الكتاب التذكاري في تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور مصطفى النحاس زهران) ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م

-(نعم للاختلاف لا للخلاف)؛ كتاب مهرجان عنيزة الثاني للثقافة والندوات– الجمعية الصالحية ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

-إشكالية النمو والانتماء في لغة الطفل ؛ روافد وعوائق (نادي مكة الأدبي – ذي القعدة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م

-قراءة تداولية في محاورة الحجاج مع غلام من أهل الكوفة (الكتاب التذكاري للمرحوم أ.د. أحمد مختار عمر – جامعة الكويت ـ كلية الآداب – قسم اللغة العربية الطبعة الأولى العام الدراسي ٢٠٠٨م- ٢٠٠٩م/ الكويت).

-(كان وأخواتها من المعجمية إلى الوظيفية) مجلة كلية دار العلوم- جامعة القاهرة عدد ٤١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ونشر مرة ثانية في مجلة مقاربات تصدر عن قسم اللغة العربية – جامعة الملك سعود ٢٠٠٨م.

-قراءة في العدد الأول من مجلة الخطاب الثقافي نشر في (مجلة الخطاب الثقافي – العدد الثاني، جمعية اللهجات والتراث في قسم اللغة العربية – جامعة الملك سعود/ الرياض ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م).

-وقفات مع النوادر والملح العربية (الكتاب التذكاري للمرحوم محمد رجب النجار، جامعة الكويت ـ كلية الآداب، قسم اللغة العربية الطبعة الأولى ٢٠٠٦م).

-(صورة المسن في التراث اللغوي) مجلة عالم الكتب، المجلد السابع والعشرون (العدد المزدوج- الثالث والرابع) ١١و١٢/ ١٤٢٦هـ- ١و٢/ ١٤٢٧هـ الموافقه ١٢/ ٢٠٠٥م و ١/ ٢٠٠٦م- ٢ و ٣/ ٢٠٠٦م.

-(التواصل غير المنطوق في ديوان عمر بن أبي ربيعة- مستوى التبادل البصري نموذجا) مجلة الدراسات اللغوية، تصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث، المجلد الثامن – العدد الثالث/ رجب- رمضان ١٤٢٧هـ

-(المرأة المحاورة – قراءة في التراث) مجلة عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/ الكويت المجلد ٣٤ أكتوبر – ديسمبر/ ٢٠٠٥م.

-(مستويات الاستعمال اللغوي في ساعات البث اليومي القناة الأولى – التلفزيون السعودي- مركز البحوث جامعة الملك سعود ١٤٢٤هـ).

-نقل الحركة في الصحيح (مجلة علوم اللغة جامعة القاهرة – كلية الآداب ، المجلد الثامن العدد الأول ٢٠٠٥م).

-كتاب صيغ الجموع في القرآن الكريم (مكتبة ابن رشد/ الرياض ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م)

-ظاهرة التعدد في الأبنية الصرفية (مجلة الدراسات اللغوية – مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية) ٢٠٠٢م. ونشر مرة ثانية في إصدارات مجلة كلية الآداب- جامعة الإسكندرية ٢٠٠٥م.الإصدارة الأولى الملحقة بالعدد ٥٤، عام ٢٠٠٥ م

-توظيف المأثور القولي في تنمية لغة الطفل/ مجلة عالم الفكر(المجلد الثامن والعشرون-العدد الثالث-يناير/ مارس ٢٠٠٠م) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب -الكويت.

-من أمثال القصيم-دراسة في المضمون والصياغة/ مجلة الدارة (العدد ٣ - السنة الخامسة والعشرون ١٩٩٩م) دارة الملك عبد العزيز-الرياض.

-المشاركة في الموسوعة العربية العالمية - الرياض ١٩٩٦م.

-كتاب أبنية المصدر في الشعر الجاهلي، جامعة الكويت ١٩٨٤م.

-المشاركة في موسوعة الكويت العلمية للأطفال -مؤسسة الكويت للتقدم العلمي (العدد النموذج ١٩٨٥م) وأعداد أخرى لاحقة.

-عيوب الكلام (دراسة لما يعاب في الكلام عند اللغويين العرب) حوليات جامعة الكويت ١٩٨٦م.

-الشمسان ثلاثية العالم الباحث الإنسان، مجلة جسور، مركز حمد الجاسر الثقافي، ع٢٨، رجب ١٤٤٣هـ، وأعيد نشره في كتاب (أبوأوس إبراهيم الشمسان: كلمات وأبيات، شهادات وقراءات، أبحاث مهداة)، إعداد أبناء إبراهيم الشمسان، الرياض، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م، ص٢٥.

-الخوف في سياقات قصة موسى في القرآن الكريم مثيراته وتأثيراته، نشر في كتاب (أبوأوس إبراهيم الشمسان: كلمات وأبيات، شهادات وقراءات، أبحاث مهداة)، إعداد أبناء إبراهيم الشمسان، الرياض، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م، ص٤٥١-٥٥٢.

-من الخيّال إلى الجاسر: الرسالة الملهمة (نشر بالاشتراك مع د.مي الجاسر في مجلة اليمامة ع٢٧١٣ في ١٧ ذوالقعدة ١٤٤٣هـ / ١٦ يونيه ٢٠٢٢م، ص١٤-١٥.

وفاتها

توفيت رحمها الله في الكويت يوم الخميس ١٤ شوال ١٤٤٤هـ/ ٤ مايو ٢٠٢٣م.

من كتابها (صيغ الجموع في القرآن الكريم)

وموضوع صيغ الجموع من الموضوعات التي تناولها العلماء بالدراسة، فالقدماء عقدوا لها فصولًا أثناء معالجتهم للمسائل الصرفية، وجاءت جهود المحدثين متمثلة في بحوث توفرت على دراسة الظاهرة منفردة وأخرى، في سياق دراسات لغوية متعددة الموضوعات.

منها دراسة قدمت لجامعة القاهرة لنيل درجة الماجستير بعنوان: الجمع: «دراسة مقارنة في العربية واللغات السامية» لباكزة حلمي، ومنها الدراسة التي قام بها الأستاذان محمد فريد أبو حديد، ود. إبراهيم أنيس عن الجموع في اللغة العربي، وهي منشورة في مجلة مجمع اللغة العربية. وكذلك دراسة للأستاذ عباس أبو السعود بعنوان (الفيصل في ألوان الجموع).

هذا إلى جانب بعض المعالجات التي وردت في كتب (علم اللغة)، وتناولت الجموع كظاهرة صرفية. وأما جهود الباحثين من غير العرب، فهناك دراسة جادة في صيغ جموع التكسيز لمورتونن، وقد أفرد لها كتابًا مستقلًا، واعتمد في دراسته على المنهج الاستقرائي الإحصائي. وكذلك تناول الباحثون من غير العرب الجموع أثناء دراستهم للغة العربية واللغات السامية.

وتأتي هذه الدراسة حلقة في سلسلة الدراسات السابقة التي تناولت الجموع. وتتميز هذه الدراسة المتواضعة أنها اتخذت القرآن مستوى معينًا من الاستخدام؛ ليكون ميدانًا للدراسة والتطبيق. وتميزت عن دراسة القدماء بأنها اهتمت بالجموع كموضوع مستقل، فجمعت أحكامه وناقشتها، في حين جاءت معالجة القدماء للجموع مبعثرة في

أبواب الصرف ، وأبواب النحو أيضًا . واختلطت دراسة الجموع بدراسة موضوعات كثيرة كالممنوع من الصرف والتصغير والنسب . ثم اختلطت بمناقشاتهم عن الظواهر الصوتية كالإمالة والإدغام .

وتختلف هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات التي تناولت الجموع أنها اعتمدت المنهج الاستقرائي الإحصائي ، كما هدفت إلى تحديد علاقة الجمع بالمفرد ، وتحاول الكشف عن أنواع الجموع ومميزات كل منها . ويأتي هذا البحث في ثلاثة أبواب يسبقها تمهيد ، **خصصنا التمهيد** لمعنى الجمع في اللغة والاصطلاح، **وجاء الباب الأول** لدراسة أنواع الجموع ، وقسمناه على فصلين : **تناول الفصل الأول** الجموع التي تنتهي بلاحقة ،وحاولنا إعادة تنظيم هذه الأنواع وتحديد الفروق بين اللواحق ، **وتناول الفصل الثاني** الجموع التي لا تنتهي بلواحق. وحاولنا حصر أهم المصطلحات التي تناولها القدماء للدلالة على هذه الجموع وعلاقة كل منها بمفرده ، وحاولنا التفرقة بين دلالة كل من: جمع تكسير، واسم جنس، واسم جمع . وناقشنا في ذلك ما جاء عن القدماء ، وتتبعنا آراءهم وتفسيراتهم .

وأما الباب الثاني فهو لب البحث وجوهره ، وعليه تقوم نتائجه، فهو دراسة استقرائية إحصائية من جهة ، ووصفية تحليلية لأمثلة الجموع في القرآن من جهة أخرى . واعتمدنا منهج الاستقراء التام لأمثلة الجموع في القرآن ، ثم صنفنا هذه الأمثلة وفق صيغها في معاجم رتبناها هجائيًّا . وذكرنا أمام كل مثال عدد ومواضع وروده في القرآن، وقامت دراستنا على نتائج هذه المعاجم فقسمنا كل صيغة وفق

أوزان مفرد أمثلتها ، وسيكون الترتيب في هذه الدراسة متكئًا على محورين : ترتيب الصيغة وترتيب أمثلتها ، فترتيب الصيغة يأتي ضمن الصيغ الأخرى ، والضابط لذلك هو نسبة شيوع استخدامها ، ويتحدد بإحصاء عدد الألفاظ التي جاء عليها . ويهدف ترتيب أمثلة الصيغة إلى تنظيم دراسة الصيغة من الداخل ، وضابطها هو عدد الألفاظ التي جاءت على الصيغة جمعًا لوزن معين في المفرد ، فيكون الترتيب الداخلي لصيغ المفرد . أما ترتيب الألفاظ تحت صيغ مفرادتها فيحكمه ترددها ، أى عدد المواضع الذي ورد فيها اللفظ في القرآن . وإذا تعددت صور المفرد فورد منه الصحيح ، والمعتل ، والمضاعف .... إلخ نقدم أكثرها أمثلة ، ونرتب الأمثلة حسب ترددها أى عدد المواضع التي دارت فيها ، فإذا تساوت بعض الأمثلة في ترددها رتبناها ترتيبًا هجائيًّا .

وتهتم هذه الدراسة بالدراسة التحليلية للمعانى وذلك لمحاولة ربط المفرد بالجمع من خلال المعنى . أما تقسيم الباب نفسه فقد اعتمدنا ترقيم الصيغ ترقيما مسلسلا وفق نسبة شيوع أمثلتها .

ويأتى الباب الثالث مستمدًّا من نتائج الباب الثانى والأول معًا ، وقسمناه على فصلين ؛ خصصنا الأول للقراءات في الجموع ، ويهدف هذا الفصل إلى تصنيف القراءات التي تناولت الجموع وتحديد مواضعها ثم محاولة الكشف عن العلاقات الصوتية بينها .

وأما الفصل الثاني فهو آخر فصل في هذا البحث ، وتناول قضايا الجموع في السياق ، ويقوم هذا الفصل على نتائج الدراسة

الوصفية والتحليلية في الباب الثاني ، وسنحاول مناقشة بعض القضايا التي تناولها القدماء عند وجود الجمع في السياق ، مستمدين أحكامنا من وجود الجمع في سياق القرآن . وسنجمل أهم نتائج البحث في صيغ الجموع في القرآن الكريم ، وذلك في خاتمة نلحقها بالبحث، كما نلحق بالبحث مجموعة من المعاجم أعدت لخدمة البحث وقامت على الاستقراء التام في القرآن ، وهي :

معجم صيغ الجموع ، معجم اسم الجنس ، معجم اسم الجمع، معجم الملحق بجمع المذكر .

أما مراجعنا في هذا البحث فهي كثيرة ومتنوعة . ولم يحظ نص لغوي بدراسة مستفيضة متنوعة كما درس القرآن . لذا جاءت الدراسات التي عُنِيَت بالقرآن في مقدمة المراجع التي استعنا بها في مجال الوصف منها الدراسات المتقدمة ، وتتمثل في كتب التفسير ، ومعاني القرآن وإعرابه ، وفي مقدمتها «معاني القرآن» للفراء، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة ، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ، و«إعراب القرآن» للزجاج ، وللنحاس ، و«الكشاف» للزمخشري . وكذلك كتب القراءات ، ومنها : «السبعة» لابن مجاهد ، و«الحجة» لابن خالويه ، و«المحتسب» لابن جنى ، و«الكشف» للقيسى ، و«التيسير» للدانى ، و«البيان في إعراب غريب القرآن» لابن الأنباري ، ولعل من أكثر هذه الكتب تنوعا «البحر المحيط» لأبي حيان . كذلك استعنا بالكتب التي عنيت بلفظ القرآن وغريبه ، وفي مقدمتها «المفردات» للراغب الأصفهاني ، و«غريب القرآن» للسجستاني .

وفي مجال الدرس الصرفي عامة ودراسة الجموع عند القدماء خاصة ، اهتممنا بأمهات كتب النحو والصرف ، وفي مقدمتها : «الكتاب» لسيبويه ، و«المقتضب» للمبرد ، و«المنصف» (شرح ابن جني لتصريف المازني) و«أصول النحو» لابن السراج ، و«شرح التصريف الملوكى» و«شرح المفصل» لابن يعيش ، و«شرح الشافية» و«شرح الكافية» للرضى ، وأخيرًا «التسهيل» لابن مالك : و«حاشية الصبان على الأشمونى» .

واعتمدنا إلى جانب هذه المراجع على المعاجم وهي أكثر الكتب التي تذكر الجمع ومفرده . إلا أنها كثيرًا ما تذكر جموعًا لا مفرد لها، ومفردات لا جمع لها . ومن هذه المعاجم : «الجمهرة» لابن دريد ، «التهذيب» للأزهري ، «المحكم» لابن سيده ، وأخيرًا «اللسان» لابن منظور، وتبقى بعد ذلك مجموعة الدراسات الحديثة التي تناولت الجموع خاصة، والبحث في اللغة وفق المناهج الحديثة عامة. ومن أهم هذه الدراسات : «من أسرار العربية» ، و«اللهجات العربية» للدكتور إبراهيم أنيس ، و«فقه اللغة المقارن» للدكتور إبراهيم السامرائى ، و«في النحو العربي» للدكتور مهدى المخزومي ، و«دراسات في اللغة العربية» للدكتور خليل نامي ، و«دراسات في فقه اللغة العربية» للدكتور يعقوب بكر .

ومن المؤلفات الأجنبية استعنا بكتاب مورتونن «جموع التكسير» وكتاب رايت فى « قواعد اللغة العربية » .

وفي الجانب الاستقرائي من البحث كانت لنا وقفة عند جهود لها سبق في استقراء ألفاظ القرآن، واستعنا بها في مجال المطابقة بين نتائجنا والنتائج التي وصلوا إليها ، وأهم هذه الكتب : « نجوم الفرقان »، لفلوجل ، و«المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» لفؤاد عبد الباقي، و«معجم ألفاظ القرآن الكريم» (مجمع اللغة العربية) ، «معجم الأسماء والأعلام القرآنية» لمحمد إسماعيل إبراهيم ، و«تفصيل آيات القرآن الحكيم» لجون لابوم .

وبعد. . . إن كانت هناك كلمة أخيرة فهي شكري العظيم للأستاذ الدكتور عبد العزيز مطر ؛ لاختياره الجموع كموضوع للبحث، ولإشرافه على هذه الرسالة المتواضعة ، فواكبني في هذا البحث وزودنى بإرشاداته وتوجيهاته التي لم يبخل علي بها ، رغم عمله خارج الوطن.

كما أتوجه بعظيم الشكر والامتنان لكل من الأستاذين الفاضلين الدكتور أحمد كمال زكي ، والدكتور مصطفي الصاوي الجويني على تسهيل مهمتي أثناء غياب أستاذي المشرف . وعظيم شكري وتقديري للأستاذ والأخ الكريم الدكتور محمود فهمي حجازي ، الذي حبب إلى الدراسات اللغوية منذ خطواتى الأولى ، عندما كنت طالبة في كلية الآداب - جامعة القاهرة . والذي لم يتأخر لحظة عن إفادتي فأمدني بكثير من المراجع العربية والأجنبية . واتسع صدره لكثير من استفساراتي .

كذلك أشكر لجنة المناقشة الفاضلة ، التي كرمتني بتقويم هذا الجهد المتواضع ، الذي هو مجرد محاولة ممن يتلمس دربه في طريق العلم الطويل . مع الإشارة إلى أن هذا العمل قُدم للمناقشة سنة ١٩٧٧ وقد حالت ظروف عديدة دون نشره ، واليوم إذ يُنشر أشكر كل من مدّ لي يد العون خلال رحلتي هذه وحسبي الله فين سطا على جهدي المتواضع ولم يُشر إليه حتى في قائمة المراجع « وما الله بغافل عما يعملون » .

وبعد فلا أبدأ إذ بدأت ، ولا أنتهي إذ انتهيت إلا بحمد الله وشكر فضله ، إنَّه نعم المولى ونعم النصير واللهم اجعل هذا العمل خالصًا لوجهك الكريم .

وسمية عبد المحسن المنصور

كلمات الأسرة(١)

مداخلة لن تقرئيها*

أبوأوس إبراهيم الشمسان

حبيبتي لن تقرئي هذه المداخلة، فليس لها حظٌّ أن تعرض عليك كما عرضت أخواتها؛ فكنت تعدلين لفظًا أو تصححين خطأ أو ترين إيضاحَ غامضٍ أو إضافة احتراز، كانت موافقتك لصحة ما كتبت تدعوني إلى إرسالها مطمئنًا، وكنت أنت من يحتفي بكل حرف أكتبه، تتحدثين عنه وتدعين إلى قراءته. قالت زميلة لك "وسمية أبوأوس عندها جملة مفيدة".

جعلْتِ يوم مناقشتي لرسالتي الماجستير والدكتوراه يوم فرح وبهجة وعيد، ويوم أقدمت المجلة الثقافية في صحيفة الجزيرة إلى إعداد عدد تكريميّ لي كنت أنت من يحشد الأصوات ويحثّ الزملاء والأبناء والطلاب، من غير أن أعلم عن ذلك، وكذا يوم كرّمتني صحيفة جسور في مركز حمد الجاسر، بل كتبتِ فيها مقالًا فريدًا، أمّا كتاب الأسرة الذي ضمّ ذلك كلّه فكان مقالك بدايته وبحثك عن الخوف في حياة النبي موسى نهايته، قلت لك: "جعلت الكتاب بين هلالين"، وحين طبع الكتاب فرحت به فرحًا لا حدود له، نشرته بين الناس: الأهل، والصديقات، وبناتنا من الطالبات، وهكذا فعلت في الكتاب الذي ظهر بعده (أخي محمد)، كنت لي الدعم والعون والمساند على الدوام.

---

* نشرت في الجزيرة الثقافية، الجمعة/السبت ٢٢-٢٣ شوال ١٤٤٤هـ/ ١٢ مايو ٢٠٢٣م. ع ١٨٣٢١.

تعود بي الذكرى إلى ذلك اليوم حين دخلت القسم، قسم اللغة العربية في جامعة القاهرة، رأيتك ذلك اليوم زهرة برية متفتحة، كنت جالسة بأناقة ملكة شرقيّة إلى جوار مكتب الأستاذ الدكتور أحمد مرسي أستاذ الأدب الشعبي، في ذلك اليوم سلمت عليه؛ لأني أعرفه، وانصرفت لأجلس على كرسي في انتظار وصول أستاذنا الدكتور محمود فهمي حجازي، لم أسلم عليك ولا على المرأة الأخرى التي تجلس أمام الأستاذ؛ فقد كان الحياء يمنعني من ذلك. رأيتك تحادثينه بما لم أسمعه، ولكنك أخبرتني بعد ذلك، سألته من هذا؟ فقال: ألا تعرفينه إنه من بلدياتكم، ثم جاء حجازي، وجاء الطلاب، وتحلقنا حوله، واحتفى بوجودك ورحب بك ترحيبًا؛ إذ كنت طالبة نجيبة في القسم من قبل، وعمل في جامعة الكويت من قبل، وحين انتهى الدرس نزلتِ ونزلتُ معك، فحدّثِتِني عن سبب قدومك، وهو أنك تريدين معلومات لصديقتك (طيبة الشذر) زميلتنا في هذه الشعبة، كنتِ منذ ذلك الوقت المبكر غَيريّة تهتمين بمن حولك، وتبذلين النفس والنفيس لإسعادهم.

لم يكن يخطر ببالي ذلك اليوم أنك أيتها الزهرة البرية ستكونين نور حياتي وبهجة نفسي وأمّ أبنائي الأحباء أوس وديمة وبدر وبدور. لم يخطر ببالي أنك ستستولين على عقلي وقلبي. في يومَ قلت لي "أنا أثق بك كما أثق بأخي"، وحين لقيتك صدفة في معرض الكتاب في الجزيرة في القاهرة كنّا كأنّا على موعد، فرح كل منّا بالآخر، واشتريت لي تذكرة الدخول، لم تكوني وحدك بل مع زميلة لك، آثرت صحبتي، فاستأذنت منها؛ لأن ما نتطلبه من كتب موضوعها واحد، اللغة والنحو

والصرف، كنت طالبة ماجستير في كلية البنات في جامعة عين شمس. أمضينا سحابة ذلك النهار في المعرض: وقفنا على أجنحته، تصفحنا الكتب، قرأنا الفهارس، واشترينا ما شاء الله لنا أن نشتري، خرجنا لنستعد لأخذ السيارة مع زميلتك فإذا بها قد مضت بها، أخذنا سيارة أجرة، من ذلك الوقت شاء الله أن تكوني حياتي ودنياي، من ذلك الوقت كنت دليلي في القاهرة عرفتها ورأيتها بعينيك، عرفتني على الأساتذة، صحبتني لزيارة الدكتور حجازي وأسرته والدكتور عبدالصبور شاهين، والدكتور يوسف خليف، صحبتني إلى مجمع اللغة لنلقى الدكتور شوقي ضيف ولأطلع على مخطوطة شرح الكتاب للرماني، بل صحبتني إلى بيت الأستاذ محمود شاكر الذي كنت أهاب لقاءه، قلت لي بعد تحديد موعد مناقشتك، سنذهب إليه لندعوه للمناقشة؛ لأنك زرته يوم كان موضوع (صيغ الجموع في القرآن الكريم) فكرة، أردت الاستئناس برأيه، قال: أنت هتهببي أيه في الموضوع ده؟! خرجتِ منكسرة الخاطر؛ ولكنك لم تفقدي اليقين بالله وتعبتِ حتى نالك مرادك، وكتبتِ الرسالة، وخطَطْت بيدي عنوانها على الصفحة الأولى، فطرت فرحًا بكتابتي، ويوم المناقشة كان شاكر في الصف الأول، ونزل المناقشون من منصتهم للسلام عليه.

كانت لك قدرة عجيبة على محبة الناس واكتساب صداقتهم، لم أر من يجمع بين صداقة المتنافرين، لك قدرة هائلة على مواصلة القريب والبعيد، الصغير والكبير، كلٌ يجد أنه موضع اهتمامك، طالباتك لا يسمينك إلا ماما وسمية. وبك عرفني الناس واهتموا لأمري وانتبهوا إلى شخصي، وكذلك هم أبناؤك عُرفوا

بفضلك وسعة علاقاتك الاجتماعية المبنية على المحبة والتقدير وبذل الخير. كنت تطالبين دائمًا بفئات نقدية صغيرة؛ لأنك ما خرجت إلى الشارع إلا نفحت من تصادفين من العمال. وغير مرة تعطين ابننا بدرًا مبالغ من المال ليتصدق بها بعد صلاة الجمعة.

وعلى الرغم من فضلك وفيض عطائك وبذلك كان يثقلك المعروف ينالك من أحد، وتتوجسين أن تكوني ثقيلة متعبة لأحد، فكنت ترددين حين بدأتِ تلازمين الكرسي المتحرك وثقلت حركتك وانتقالك، كنت ترددين "اللهم لا تجعلني عبئًا ولا وجعًا لأحد"، كنت تخشين أن تَصِلي إلى مرحلة تحتاجين إلى غيرك يُعنى بأمورك الشخصية، كان هذا همًّا من همومك، كم مرة سمعتك ترددين "اللهم اجعلنا من حيلنا لقبيرنا". وتقبل الله دعواتك ولله الحمد والمنّة.

كانت بلدك الكويت عشقك، لم ترضي تغيير هويتك، وعشت في الرياض سفيرة لبلدك حفِيّة بها، وكنت في الكويت في زيارتك سفيرة لبلادك الأخرى مملكتنا الحبيبة، جعلت شعار الوثاب[1] في جوّالك علَمَي البلدين، ويوم نشأت مشكلة بسبب

---

(١) بدأت قبلي باستعمال الجوالات الذكية بتطبيقاتها المذهلة، وكنت أسمعك تخاطبين طالباتك عن شيء عرفت بعد مدّة أنه whatsapp، فقلت ما (الوثّاب؟) فأعجبك اللفظ، ورأيت أني عربت مصطلح التطبيق، ورحت تنشرين هذا بين من تعرفين، وفي ندوة في قسم اللغة العربية في جامعة الملك سعود كان الحديث عن التقنية ومصطلحاتها شارك فيها (د.نبيل علي)، فطلبت المداخلة لتعلني أني عربت المصطلح، كان الفضل لك ولحماستك في ذلك وتكرر هذا الإعلان في تعقيبك على محاضرة للدكتور محمد حسان الطيان في الكويت، وتبين أنه استعمل اللفظ نفسه للتطبيق.

خطأ إعلامي كنت من هبّ لمعالجة ذلك، فسافرت من الرياض إلى الكويت لمقابلة وزير الإعلام، الذي ألّف لجنة سافرت إلى الرياض وعادت الأمور إلى نصابها. أوصيتني دائمًا أن تُدفني في الكويت، فحقق الله لك، لما اختارك إلى جواره، أن تكون وفاتك في الكويت، الخميس ١٤ من شوال ١٤٤٤هـ الموافقه ٤/ ٥/ ٢٠٢٣م. توفيت بين يدي حبيبتنا الغالية ابنتنا البارة ديمة وهي من غسلتك واهتمت بأمرك، لقد منّ الله علينا جميعًا.

رحمك الله حبيبتي رحمة واسعة. وإنّ الألم ليعتصرني أنّ هذه مداخلة لن تقرئيها.

مطر الربيع الأول

أوس بن إبراهيم بن سليمان الشمسان

أكتب وقد مر على وفاة والدتي الغالية ٢٩٥ يومًا تأرجحت فيها مشاعري بين ألم الفقد، ووحشة الفراق، وغربة الشوق. ٢٩٥ يومًا توالت على ذاكرتي كأمواج الخليج تمسح صفحة السِيف، لتأخذ معها بعض ملامح أمّي وتبقي ما حفرَته على صخور الذاكرة. أتنازع أنا وذلك الخليج أيّنا بها أحق، فيقول لم ترها صغيرة تذرع جَال الكويت، وتتحد مع رماله وأصدافه كلما لامسها الماء، نعم لم أشهد ذلك ولكني شهدتُ الكويت تتجسد في أمّي كأنما هي وطنٌ يمشي.

عشت سنوات الطفولة الأولى مع والدتي في الكويت. كانت قد أنهت دراستها في مصر لتعود للتدريس في جامعة الكويت. لم يكن تغيير المكان مشكلًا، فأمّي هي الوطن والبيت الدافئ. تتقافز في ذاكرتي صور وأصوات صباحية: ابتسامتها، أزارير قميصي، فرشاة الشعر، حقيبة المدرسة، أدعية وأذكار، قفل باب السيارة الداخلي، مفتاح الشباك، ثم تقبلني أمّي على باب الروضة، وتستقبلني ظهرًا عند الخروج. يرى الطفل أمّه تلبي كل احتياجاته بأدق تفاصيلها دون أن يطلبها أو حتى يفكر بها، لم يكن ذلك مدهشًا لي يومها؛ لأنها أمّي، وهي تفعل كل شيء! لكن ما يدهشني اليوم هو كيف استطاعت أن تصبح صديقتي وأنا ابن خمس سنين، حتى كنت أحيانًا – عندما أشتاق لها بينما هي في الجامعة – أشاهد شريطًا لإحدى ندواتها انتظارًا لعودتها، زاهدًا في مكتبة فيديو عامرة بأفلام الكرتون! وأجمل لحظة حين يُفتح

الباب، وإذا بأمي تصطحب أحد أبناء خالاتي ليقضي معي سحابة يومي. أمي تتقن المفاجآت السعيدة!

حين انتقلنا إلى الرياض عام ١٩٨٥م، انتقلت الكويتُ معنا. أتعجب كيف لفرد أن يزرع ثقافة في مجتمع هو وافد إليه، لكنها أمي، حبيبة الجميع. عقدت أمي بطبيعتها وشخصيتها الساحرة شبكة علاقات مع جميع من أحاط بها، وامتدت إلى كل سيدات المجتمع، والأقارب والجارات والطالبات، إلى أبسط البسطاء ممن جمعتهم بها الأقدار. لم أعرف سعة دائرة علاقاتها ولا تأثيرها على من هم فيها، على الرغم من علمي بها، كما عرفتها بعد وفاتها رحمها الله، وذلك من اتصالات الناس ورسائلهم التي تجاوزت كل أفق يصل إليه خيالي. تلقيت رسائل من محبيها في الرياض والقصيم والمنطقة الشرقية ومكة وجدة والجنوب وحائل، إضافة لدول الخليج التي زخرت بمن عرفها أو عرف بها وعنها، وكذلك من مصر والسودان وموريتانيا وليبيا. كانت لكل أحد منهم مع أمي حكاية، ولا أبالغ إن قلت إنهم قد عرفوا كويتًا أخرى من خلالها، وأحبوها من خلالها. لا أنسى كيف تحول بيتنا الصغير في الحرم الجامعي أيام أزمة الخليج إلى محطة لأهل الكويت يفد إليها من عرفت ومن لم أعرف، وكانت أمي تحمل على عاتقها همّ كل كويتي ألمّت به الأزمة، وعاضدها في ذلك كل أهل الرياض من أحبابها وأصحابها الذين فتحوا قلوبهم قبل بيوتهم، وعرفوا الكويت وأحبوها في أمي ومنها. كل من اتصل بي أو تواصل معي حدثني عن حكاية شخصية له مع أمي. وآخر تلك الحكايا وأنا أغادر

مطار الكويت بعد انقضاء أيام العزاء، إذ يقول لي موظف الخطوط السعودية "أنت أوس؟ كانت والدتك تأتي فيهبّ إليها العمال كلٌ يريد حمل حقائبها أو دفع كرسيها المتحرك، يعرفونها ويفرحون بقدومها، وكانت تحدثنا عنك وعن إخوتك وأبنائك وقسماتها تضيء بالفرح وهي تقول سأسافر إلى أبنائي وأحفادي". هكذا كانت أمي في كل مكان تحل فيه، فلعل الله قد سخر لها جنود الأرض وملائكة السماء.

رافقت أمي ورافقتني، والحديث ذو شجون. كنت الأقرب لوالدتي، ليس لكوني أول الأبناء فحسب، ولكن لتقارب طباعنا حتى كأني توأمها، فأنا الأقرب لها طباعًا وشخصية، حتى وإن أخذ اسمي حرف الألف من والدي إبراهيم فقد أخذ من والدتي وسمية حرفي الواو والسين. أكاد أجزم أننا تحدثنا في كل موضوع يخطر على بال اثنين، فلا غرابة إن وجدتنا نتحدث في شأن لأحد أفراد الأسرة، ثم نناقش رأيًا في تطور اللهجات العربية، ننتقل بعده لحدث سياسي على الساحة، ثم مقادير وصفة طبق شعبي، أو بعض حديث الذكريات عن مرحلة الدراسة في مصر أو الكويت أو دراستي في كندا، هذا وغيره من الحديث الكثير الذي وثق صلة الصداقة بيننا، وجعل لأمي خانة كبيرة في حياتي العلمية والمهنية، لا الاجتماعية فحسب، والحديث ذو شجون!

كنت أحكي لها بعد التحاقي بهيأة التدريس في جامعة الملك سعود عن المواقف التي تمر بي مع الطلاب والأساتذة، فأجدها تستمع بشغف، وتستمتع بالتعليق وإبداء الرأي واستحضار تجارب مرت بها. كانت تشجعني لأقدم على تنويع

الخبرات وألّا أكتفي بالعمل الأكاديمي الصرف، وهي تعلم أن لذلك الحديث وقعًا حسنًا في نفسي التي تعرفها أكثر مني، فتوكلت على الله وأخذت زمام المبادرة لتجربة نفسي سواء في الجامعة أم في خارجها، أطمئن إلى شعوري بدعائها يحيط بي ويربطني بحبل هداية الله وتوفيقه دون جهد مني.

كانت كذلك معي في كل أموري، فقد كانت تحثني على الصدقة في كل مناسبة ولا سيما بعد أن يمنّ الله عليّ بنجاح أو ترقية أو خبر مفرح لي أو لأسرتي، كما كانت حريصة على تفريق زكاتي بنفسها لمعرفتها بالمستحقين المتعففين ممن هم أولى بالمعروف. تفكرتُ في أفعال أمي رحمها الله وأقوالها فوجدتُ أن السمة الجامعة لها هي العطاء، وكأنما خُلقتْ منه. فالصدقة عطاء، والابتسامة عطاء، والسؤال والوصل عطاء، والرحمة عطاء، والعفو والصفح عطاء، وحب الناس عطاء. أقول هذا وتحليل الباحث يغالب عاطفة الابن، فأتذكر كلماتها واستشهاداتها لأراها تصب في هذا الإطار. كانت تجمع القاصي والداني متمثلة قولها "من حَبه ربَّه جمّع ضيفانه". وتكاد لا تنسى أحدًا في معارفها من اتصال وسؤال ومشاركة معنوية أو مادية، ولا سيما إن كان قاصدًا لها في حاجة أو مجرد زيارة، يشهد بذلك قولها "من عَنَا إلينا وجب حقه علينا". تفاجأت من متانة العلاقة التي تبنيها مع كل أحد في محيطها وكأنها لا تعرف سواه. وسمعنا من طالباتها كيف كانت رحمها الله داعمة لهن في مسيرتهن بالسؤال والتشجيع والتحفيز والمساعدة، فلا عجب أن يسمينها "ماما وسمية"، سواءٌ كنّ طالبات الرياض أم الكويت، كانت تحبهن حقًا حتى إنها قبل

وفاتها بأيام قد ضربت لهنّ موعدًا في الكويت لتتعارف طالباتها السعوديات إلى أخواتهن الكويتيات، لكن أمر الله سبق فحال دون ذلك.

أفبعد هذا من عطاء؟ نعم، فقد قدر الله أن يكون عطاؤها حتى في وفاتها. كانت رحمها لا تنفك عن قول "يا الله من حيلي لقبيري"، متصدقة بصحتها وعمرها على أهلها، فتسأل الله ألا يَشقى بها أحبابُها عن مرض يطرحها وعجز يعوقها. فاستجاب الله لها ولم يودعها في المستشفى سوى أيام خرجت بعدها متعافية مستعدة لصيام رمضان، فصامت شهرها، وأكملت صيام الستّ، وفجر يومها السابع صلت فرضها وقرأت وردها وأسلمت روحها إلى ربها.

جاء في معجم أسماء الناس في المملكة العربية السعودية: "وسميّة، مؤنث (وسميّ)، والوسميّ مطر الربيع الأول، لأنه يسم الأرض بالنباتات". رحم الله أمي وسميّة.

٢٠٢٤/٢/٢٣

ما شبعت منكم ..

ديمة بنت إبراهيم الشمسان

ما شبعت منكم ..

جملة لا أنساها منك أبدًا وما زال صدى صوتك في أذني ..

كنا حينها في مستشفى الشيخ جابر الأحمد الصباح فترة مرضك أو الوعكة الصحية التي تعرضتِ لها .

قلت لك :ما شبعت من أيش؟

قلتِ :منج ومن إخوانج ومن أبوج.

قلت لك : بسم الله عليك ما فيك إلا العافية، وش ها الكلام؟ إن شاء الله تطلعين وتشبعين، ولك طولة العمر. وألقيت علي وصايا .. رفضت أن أستمع لحديثك ..أعلم طبعًا أنه الإنكار لسنة الحياة، لا أحب الحديث عن الوداع فكيفك أودعك.

لقد علمتِ برحيلك وأردت أن أنكره.

كنت دائمًا مستعدة لهذه اللحظة، دعواتك المتكرره دائمًا (يا الله من حيلي لقبيري) و(اللهم لا تجعلني عبئًا ولا وجعًا على أحد).

فقيدتي .. أقف هنا عاجزة كما وقفت حين أردت أن أكتب عن أبي الغالي، ولكن الآن أصعب وأقسى، فأنتِ لن تقرأي.

ظننت بأني عرفت معنى الحزن قبل رحيلك.

مدة تعبك كنت صبورة شكورة، فكنت تقدمين الشكر للأطباء وطاقم التمريض وتغدقين الصدقة للعاملات وتقولين "دَاوُوا مرضاكم بالصَّدقةِ". كنت فخورة بالأطباء الكويتيين الشباب رغم آلامك وتعبك الشديد لم تبخلي بالدعم المعنوي لهم ، كعادتك فهذا أنتِ. لا أذكر يومًا كنت بمجلس أو بمحفل إلا وكلمات الإطراء تغرقين بها الحضور.

بسبب حالتك الصحية ومرضك (فقر الدم الانحلالي البارد) كنا نجري لك تحاليل الدم اليومية في المختبر ، وفي كل مره تعبرين بها عن امتنانك وفخرك للموظفين بالمختبر لدرجة أنهم أصحبوا يتشوقون لقدومك وينتفض المختبر من العاملين والمناوبين ويلتفون حولك وكأنهم يحيطونك بمباسمهم الجميلة. كيف استطعت سحرهم وأنت بأشد مراحل ضعفك.

أذكر أن من لطف ربي كانت أيام تعبك في شهر فبراير أحب الأشهر لقلبك لاحتفالات الكويت الوطنية، فكانت نافذة المستشفى تطل على مباني الوزارات المزينة بإضاءات علم الكويت المنعكس على مبانيها، فكان هذا المنظر يبهجك ويسعدك، تبذلين جهدًا لتنهضي بجسدك المنهك لتمتعي نظرك بألوان علمك الحبيب. كنت تقولين : شفتِ شحلاة الكويت؟

غصة الفراق مرة..

أفتقدك كثيرًا.. رغم أنك في سنواتك الأخيرة كنت تقضين نصف السنة في الرياض والآخر في الكويت، وكأنك تعودينا على فراقك، ولم نعتد أبدًا، حتى وأنت بعيده كانت مكالماتك وسؤالاتك ورسائلك دائما حاضرة.

لك قدرة عجيبة على الاحتواء وتشعرين كل فرد منا بأنه هو المفضل عندك ..

في مجموعة الوثاب العائلية كانت رسائلك المتتالية والأخبار التي تشاركينا بها وأدعيتك وثناؤك وفخرك بإنجازاتنا تغمرنا وكأنها روح المجموعة.

كيف كان لك هذا السحر على الأخرين، من أعلى عِلية القوم في المجتمعات إلى العامل البسيط، فكل من يلتقي بك لا ينساك . حضورك مختلف .. حديثك مختلف .. عاطفتك مختلفه.

لا أذكر متى بالضبط بدأت بكتابة هذه الرسالة، ربما في ثاني أو ثالث يوم لإعلان والدي في التويتر عن نية إخراج الكتاب وإلى اليوم الموافق الثالث عشر من شهر يناير للعام ٢٠٢٤م، لا أستطيع أن أكتب ما تستحقين أن يكتب بحقك، مضى الآن على رحيلك ثمانية شهور وأنا أصارع هذا الشعور، يصعب علي أن أعيد سماع صوتك أو مشاهدة صورك . أبحث أحيانًا بين رسائلنا عن دعاء دعيتيه لي أو لابنتي، ولعل السكينة تحل بقلبي وأكثر ما كنت تطمئنينا به جملتك (الله يتقبل ما أدعو لكم).

أفتقدك كثيرًا..

مازلت أحمل هاتفي، أهب بمراسلتك، أسالك عن وصفة أو عبارة متميزة أرسلها مع هدية .. افتقدت تفاصيل صغيرة لم أشعر بأهميتها إلا بعدما رحلتِ.

لو أقضي عمرًا ضعف ما عشته لن أستطيع أن أدوّن ما تعلمته وما اكتسبته وما ورثته منك .

كنت تقولين أنا أدلّلكم ولا أدلعكم، فكنت حريصة جدًّا على أخلاقنا أنا و إخوتي وتذكرينا دائمًا بأننا امتداد لكم أنت وأبي.

كنت تفخرين بأهلنا (الشمسان) وتعددين مزاياهم وتثنين على أخلاقهم ودينهم. وتعظمين كل فرد من هذه الأسرة، كنت تفخرين بكنيتك التي أطلقتيها على نفسك (أنا أم القصمان)، في مجتمعنا يندر من يقدم هذه المحبة غير المشروطة للحمولة (كما نقولها بالعامية) وهذه الفكرة أردت ترسيخها عندي وعند أختي فدائمًا تذكريني ببر ووصل أهل زوجي.

رغم اختلاف الثقافات البسيط بين الكويت والقصيم كانت لك قدرة عجيبة على التكييف. أذكر حديثك لي عن ذكرياتك في أوائل زياراتك للقصيم في أواخر السبعينات، وكيف أنك عرفت الأسرة على طبق المكرونة بالباشميل لأول مرة، كيف استعنت بطبق معدني يستخدم للغسيل لإعداد المكرونة، سمعت القصة كثيرًا وفي كل مرة كنت أستمتع بسردك واستحضارك لها بفرحة وابتسامة لا تنسى وكأنه إنجاز عظيم، صوتك ما زال حاضرًا وأنت تقولين: أخذت الماعون وفركته حيل ونظفته عدل عشان أطبخ فيه .. شفتي أمج شلون تتصرف.

والله شفت يا ماما .. مشاهد كثيرة وشريط كأنه لن يقف يمر أمام عيني..

شفت لما كنا في بيتنا في سكن جامعة الملك سعود وقتها في أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات، المآدب التي تقام في هذا المنزل الصغير، أذكر أنك كنت تستعينين بأطباق غسيل بلاستيكية متفاوتة الأحجام لتضعي بعضها فوق بعض لتشكل هرمًا وتغطينها بقماش أبيض وتصفين عليها الفاكهة بأشكالها لتشكلي تحفة فنية ..

كيف كان لك أن تجمعي بين الحياة الأكاديمية والاجتماعية والأسرية ..

ولم تخفقي أو تقصري في أي منها .. كنت دائمًا حاضرة بتميز.

كنتِ ممن يردد المقولات ويطبق ما تعنيه، وصرت أرددها بعدك وأسعى إلى أن أطبقها مثلك ..

كنت تحرصين على إسعاد الأطفال في العائلة أو المعارف ..بشراء الهدايا والملابس والحلوى وتبتهجين بها قائلة (من فرح صبي فرح نبي) كناية عن أهمية مشاعر هذا الطفل.

كرمك لم يكن له حدود، كنتِ تحرصين على إسعاد الجميع في رحلاتك إلى الكويت، ومنها تعودنا على عدد حقائب يفوق حاجتك، وكانت تلك الحقائب مليئة بالهدايا للجميع، من أبناءك و أحفادك إلى الجيران والأصدقاء والأهل والمعارف. وفي كل زيارة تسجلين مجموعة من الأسامي تقسمين عطايا الأحباب على

السفرات، كنت تستمتعين بعرض الهدايا أمامي وسرد خططك لتقديمها وكيفية تغليفها (فلانة جبت لها المرة اللي طافت، ها المرة بعطي فلانة ..شرايج؟)

حتى الصدقات كنت تحرصين على تقديمها بأفضل حال، سواء أسقيا ماء كانت أم طعامًا أم نقدًا، فكنت تحرصين على صرف العملات الجديدة من البنك والفئات الصغيرة لتوزيعها على العمالة بالشارع ودائمًا ألاحظ حرصك ألّا تكون ممزقة أو بالية ..

كنت دائمًا حريصة على مكارم الأخلاق وتشدين علينا بالعتب وتذكريننا بقولك (أنا أدلل بس ما أدلع، ولولا المربي ما عرفت ربي).

كانت لك عزة نفس وثقة، وانعكس هذا على حضورك في المجتمع، رغم تواضعك الشديد فرضت احترامك وقبلها محبتك على جميع من يلقاك .. ودعائك لا ينسى يا حبيبتي (اللهم اجعلني في أعينهم كبيرًا و في عيني صغيرًا) .

كنت فنانة ومحبة للجمال ومحبة للحب نفسه وكل شيء اقترن به .. كان في داخلك طفل بشوش يكبر معك.

أمي الذكريات كثيرة ومحاسنك أكثر.

اعذريني على تقصيري في هذه الرسالة..

عزيزي القارئ اعذرني على التشتت في ما قرأته..

أمي لعل دعائي لك وصلٌ ووفاء، فهذا ما أجيده الآن.

أحبك جدًّا وأفتقدك.

رحم الله روحـًا كالنسمة مرّت ولا ضرّت، اللهم ارحم من كانت بشوشة الوجه، طيبة الأثر والقلب اللهم ارحم أمي.

غابت ولكن الذكريات ما غابت

بدر بن إبراهيم الشمسان

الوالدة لم تكن مجرد أم، كانت بالنسبة لي النور الذي يسطع في ظلمة الطريق والمكان الدافئ في برد الحياة. لقد مررت معها بمواقف وأماكن عديدة وتعلمت منها الكثير في هذه الحياة.

أذكر أنها كانت دائمًا تحفظنا القرآن والأدعية لتحصين أنفسنا. عندما كنّا صغارًا أنا وأختي بدور كانت تحفظنا الأدعية قبل النوم، مثل (أعوذ بكلمات الله التامات من شرّ ما خلق) و(بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم). ما زلت أردد هذه الأدعية مع أطفالي سليمان ولمى كما كانت في صغري تعلمني.

وفي مرة عندما كنا صغارًا ذهبنا لزيارة أحد من المعارف في عمارة سكنية، انغلق عليّ باب المصعد وحدي وخفت؛ لكن الوالدة قالت لي اضغط حرف G للنزول إلى الدور الأرضي، وعندما نزلت استقبلوني وخافت عليّ أختي بدور.

لا انسى الأيام التي كنت فيها مريضًا وكانت الوالدة تعطيني الأدوية الشعبية، مثل الزيت والكريم، لا أنسى الأيام التي تيقظني من النوم لأداء الصلاة. لا أنسى الأيام التي تريد مساعدتها في أي شيء يختص بالحواسيب والالكترونيات. كانت

تشعرني وكأني الخبير الوحيد في عالمها بهذا الشأن لتعزز ثقتي بنفسي؛ كانت دائمًا تثني على علمي بهذا المجال.

لم تدخر الوالدة وسعًا معنا في كل الأحوال، أتذكر أنها كانت تصحبنا إلى محلات الألعاب ونحن صغارًا وأتذكر أنها كانت تصطحبني إلى ألعاب الأركيد في أحد أسواق الكويت مثل المثنى...وأظن أن اسم المكان طفل المستقبل. فقد كانت دائمًا تسعد لسعادتنا .

وفي أيامها الأخيرة كانت تريد أداء العمرة إن كان بقدرتي اصطحابها إلى العمرة، إن تيسر لنا الوقت، آخر مرة ذهبت معها إلى العمرة كانت في عام ٢٠٢٢م. دائمًا نذهب إلى فندقها المفضل (دار التوحيد) لقربه من الحرم.

أتذكر أحد الأماكن المفضلة لديها في الكويت أصطحبها إليه وهو مجمع الكوت، والمباركية في مدينة الكويت، وأما في الرياض فأسواق العويس وطيبة. كانت الوالدة تحب المنتجات والحلويات الشعبية، تهب إهداءها للصغار والكبار.

أتذكر أكلاتها المفضلة، وكانت تقدس وجبة الإفطار حيث تحضر أنواعًا من لوازم الإفطار مثل الفول والمعجنات وأنواع من الأجبان (كانت تحب الأجبان كثيرًا).

أتذكر موقف أضحكتني، ففي إحدى السفرات طلبت من المضيف القهوة، وكانت تردد عدة مرات مثل شخصية الشايب الذي مثله عبدالله السدحان في طاش ما طاش.

وأتذكر أن أمي كانت لا تطيق الحيوانات؛ ولكن تحب الطيور. وأمي تعشق الأزهار.

أتذكر أن من الأماكن التي تحب الذهاب إليها ودعوة الاصحاب والأحباب إليها المطاعم، ومن مطاعمها المفضلة المطعم الصيني والنخبة وأفوكادو.

كانت الوالدة كريمة جدًّا تحب مساعدة الناس، وتكرمهم وكان من إحدى صفاتها الحسنة إعطاء الصدقات للمحتاجين، تعلمت منها هذه العادة.

كانت الوالدة تحثنا على أداء السنن وتلاوة الأدعية والصلاة في المسجد.

كانت تحب مشاركة تجاربها وخبراتها مع الآخرين، كانت ترسل لنا مقاطع وصورًا أعجبتها في مجموعة الأسرة، والآن افتقدت هذه المشاركات.

أتذكر أن الوالدة كانت تمسك أطفالي عندما كانت أعمارهم سنة تقريبًا وتضع أصبعها على يديهم تغني لهم أغنية من أغاني الأطفال وهي بذلك خبيرة وكتبت عن ذلك في ما كتبت، تغني لهما "البطة تنقد التيتي. التيتي ينقد البطة".

من أحب الأمور إلى الوالدة أن تشتري الألعاب للأطفال، حتى إنها قبل وفاتها رحمها الله كانت جهزت الهدايا لأطفالنا.

كانت الوالدة حريصة على مصلحتي وكانت دائمًا تنصحني في أمور الحياة، وهي من اختارت زوجتي إذ كانت إحدى طالباتها في مرحلة الماجستير.

ولا أنسى آخر ذكريات معها، كانت تريد أن تسعدنا أنا والوالد عندما قضينا عطلة عيد الفطر في الكويت عام ٢٠٢٣م، وكان من أحد الأماكن التي خرجنا معها مقهى the view ومطعم لبناني قريب من أبراج الكويت.

أذكر كيف كانت تحدثني عن إحدى طالباتها وإعجابها الشديد بها وبأخلاقها وطباعها. وكانت تقول لي إنا أحب هذه البنية، تذكرني بنفسي. وكتب لي ربي أن أقترن بها، بزوجتي نورة التي سخرها الله لي وكانت نقطة تحول كبيرة في حياتي، ويعود الفضل لله ومن ثم لأمي الغالية رحمها الله وأسكنها فسيح جناته، وجمعنا بها في علّيّين.

رسالة إلى ماما وسمية.. من وسمية الصغيرة

بدور بنت إبراهيم بن سليمان الشمسان

لا أزال أحتضن ملابسك، ورائحتك تصاحبني..

أصحو صباحًا كل يوم لأستوعب من جديد أنني أفتقدتك، وتتكرر الفاجعة كل يوم..

لَمّا أقتنع بعد أنني لن أراكِ مرة أخرى، وأني لن أرتمي في ذلك الحضن الدافئ، ولن أشاركِ كل لحظاتي ولن أرسل إليك صور قَصّة شعري الجديدة، وصوري التي التقطتها عند لقاء صديقاتي.

ما تزال جملتك الدائمة عند تقديمك لي لمعارفك "ابنتي بُدور، وسمية الصغيرة" أسمعها بصوتك الذي يتردد عَليّ كل لحظة عند لقائي بأي شخص جديد سأعرفه بنفسي "بدور الشمسان" ومن ثم يأتي صوتك "وسمية الصغيرة".

أمّي..

في وجودكِ كان لديّ شعورٌ يمنحني القوة والتجاوز والتعايش، أدركه لا أحسه ولا ألمسه، ولم أكن أعرف أنني أملكه إلا بعد فقدانه.

تفاجأت كثيرًا بالدنيا بعد فقدك، فالقوى خارت، وأماني الأمّ صار فَزَعًا، وأشعر أنني أسبح بين أمواجٍ متلاطمة ولا أرى في الأفق برّ النجاة.

تتزاحم الذكريات بداخلي لا تشبه واحدة أخرى ولا تختلف كثيرًا عن فوضى مشاعري المنتهية بنوبة ذاك الحنين القاسي.

لا شريط ذكريات ولا ألبوم للمواقف يحويني عند رغبتي للحديث عنك، لذلك اعذري عشوائيتي وسأبدأ من النهاية.

الذكرى الأولى:

في أول عيد وطني بعد وفاتك ٢٣ سبتمر ٢٠٢٣، لازمتني ذكراك، فأتذكر في كل مرة سُئلتِ بها عن سبب عدم حصولك على الجنسية السعودية، فيكون جوابك الوحيد "كيف أربي أبنائي على حبّ وطنهم إن تخلّيت عن جنسيتي الكويتية"، قد زرعتِ بداخلي حُبّ الوطن وأنت من حفّزني منذ طفولتي على الاحتفاء بذكرى توحيده، أردت أن أُسمِعك عملًا وطنيًّا أشرفت على إنتاجه لتفرحي بهذا المُنجز معي وتفخري بي، وترين نِتاج ما بذرتِه فيّ منذ صغري.

الذكرى الثانية:

استيقظت في أحد الصباحات، وبدأت الاستعداد للذهاب إلى عملي، وكنت قد قضيت ليلة طويلة لم أنم منها إلا بضع ساعات، نظرت للمرآة وقد طغى على ملامحي التعب، فتذكرتك عندما كنت تريني وقد أرهقني العمل، كنت ترددين نفس العبارة "ما يخالف يا بنتي، انتو صغار اشتغلوا الحين دامكم صغار"، مازالت تحمل نفس الأثر في نفسي، ومازلت أشحن بذات الطاقة التي تغمرني عند سماعها منك.

الذكرى الثالثة:

سُئلت ذات يوم عن سبب اختياري الإعلام تخصصًا، وعادت بي الذكريات إلى عام ٢٠٠٠ أو ٢٠٠١، عوقبت في أحد الأيام لخطأ اقترفته، وتطلب العقاب بقائي في غرفتي، دون أي أداة ترفيه، فبدأت أقرأ من الكتب التي كانت حينها بالغرفة حتى مللت قراءتها، صرت أسترق السمع من باب الغرفة لعلي أسمع ما أريد سماعه تلك اللحظة.

أتذكر أنني لم أرَ أحد أفراد أسرتي طيلة الساعات التي بقيت بها في غرفتي، لم تحتملي بقائي وحدي يا ماما فأدخلتِ لي جهاز (راديو) وقلتِ: "راح يسليك" بدأت الاستماع للبرامج واشتد تعلقي حينها بفكرة أن البرامج الإذاعية تُبث وفاق جدول محدد منسجم متناسق.

أصبحت أصوات المشاركين رفقائي تلك الساعات، بحثت بين أغراضي المبعثرة فوجدت شريط "كاسيت" ومسجلًا، وبدأت ألعب دور المذيعة التي تقدم برنامجًا، وتستقبل اتصالات المستمعين، وأنا كنت شخصيًا المستمعين.

من هنا بدأ شغفي بالإعلام.

وفي لحظة دخلت أمي غرفتي وهي التي غلبتها مشاعرها، فجاءت لي بفكرة كتابة رسائل لوالدي وإخوتي أقدم بها اعتذاري لما بدر مني، ليُفرج عني، وقالت (اكتبي لي رسالة معاهم). وما كانت إلا بضع ساعات حتى دخل والدي غرفتي وقد صفح عني.

الذكرى الرابعة:

سأتوقف هنا عن الكتابة، لإدراكي أن الذكريات لا حدود لها، ولن تكفيني مئات الصفحات لأسردها. وما يعزيني في فقدكِ أنكِ تركتِ إرثًا كبيرًا من المحبة في قلوب الناس، لأنكِ كنتِ استثنائيةً في رقيكِ واحترامكِ وتقديركِ مع الجميع صغيرًا وكبيرًا.

على الرغم من علاقاتك الاجتماعية الكثيرة يظن كل من يعرفكِ أنه أقرب شخص إليك نظير ما تمنحينه من وقت وحُب.

بعد وفاتك، أصبحت أبحث كثيرًا وأردد السؤال نفسه: هل لنا لقاء في الآخرة، وأن تجمعنا الجنة معًا مرةً أخرى، دون فقد ومرض وألم.

صرت أحاول النوم كثيرًا، لعلي ألقاكِ في منامي ولو لوقت قصير يعيد لي شعوري بوجودك وأمان حضنك وسكينة حضورك وعذوبة حديثك.

أمي..

أشتاق لكِ كثيرًا، وعرفت بعد ذلك أن تجاوز الفراق قد يكون أصعب من الفراق نفسه.

أمي..

لم يسعفني القدر أن أرد لكِ ولو جزءًا يسيرًا من فضائلك علي، ولن أستطيع ردّها حتى لو عشت عمري مرتين، لكنني سأسعى أن أكون كما كنتِ تريدين، وأن أحقق ما رسمتِه لي وما تمنيتِ أن أكون عليه.

ابنتك، وسمية الصغيرة

جدتي وسمية المنصور

ميس بنت أوس بن إبراهيم الشمسان

ماما وسمية رحمها الله حنونة جدًّا، لم أر لحنانها مثيلًا. في طفولتي كان يحلو لها كثيرًا أن تدللنا بالقول والفعل، كانت تفاجئنا أنا وإخوتي، دائما تفاجئنا بالهدايا من ملابس حلوة وألعاب طريفة، كانت لا تغفل عن ذلك كلما زرناها. كنت أرى أخوتي وهم يتحلقون حولها ويتقافزون فرحًا وتشوقًا لرؤية ما تخرجه من الكيس الكبير إلى جانبها. تعرف ما يناسب كلًّا منا وما يروقه، وأراها تفرح لفرحنا وتبتسم بسرور، وهي تستمتع ببهجتنا وتسعد بقبلات شكرنا على خديها وجبينها، وحين يطول سفرها إلى الكويت ترسل مع المسافرين هدايانا إلينا، كان يوم لقائها بهجة لي ولأخوتي ونحس بمدى فرحها أننا في حياتها.

عندما كبرت كانت ماما وسمية تهتم كثيرًا بتغير شخصيتي وتجتهد في أن تسدي لي النصائح عن الدراسة وعن كل جوانب الحياة الاجتماعية، تقول لي أنت صرت الآن امرأة يا ميس، وكم طارت فرحًا حين علمت شغفي بالقراءة؛ لأني أذكرها بنفسها فهي كانت قارئة منذ صغرها. لم أر جدتي وسمية عابسة مرة بل تزين ثغرها الابتسامة دائمًا، كأنها خلقت مبتسمة، وكم أنا مشتاقة إلى تلك الابتسامة، أنا أشتاق لابتسامتها التي تنير قلبي وقلوبنا جميعا.

أسأل الله أن يرحمها وأن يجمعنا معها في الفردوس الأعلى.

ماما وسمية*

موضي خالد السويدان (حفيدتها)

كانت ماما وسمية تشغل مكانة كبيرة في حياتي؛ إذ كنت في بعض الأحيان أذهب إلى شقتها في الفنطاس هنا في الكويت، وهي شقة تبعث البهجة في النفس؛ إذ كان لون ورق الحائط وظل اللون البيج على الأرائك يشعرني دائمًا وكأنني في بيتي، أما استقبالها لي وتهلل أسارير وجهها وابتسامتها الرائعة فهي جائزتي التي تسعدني وتبعث في نفسي إحساسًا بالأهمية والمحبة، حتى عندما أسافر أنا وأمي الحبيبة ديمة إلى المملكة العربية السعودية لزيارة عائلتنا هناك جداي وأخوالي، أجدها دائمًا تسعد برؤيتي وتشعرني بهذه السعادة شعورًا عظيمًا.

لديّ الكثير من الذكريات المختلفة عن جدتي وسمية، وكلها أتذكرها بوضوح شديد. أتذكر كل ما قدمته لي من دعم معنوي وغير معنوي، أتذكر العناق الدافئ، والحب المتوهج، والكلمات الحلوة، ولا أنسى هداياها التي لا تنقطع.

لقد مر قرابة عام منذ وفاتها رحمها الله؛ ولكن ما زال شعوري بالفقد يؤلمني فالحياة ناقصة بدونها.

وليس لنا الآن سوى أن ندعو الله لها بالرحمة والمغفرة وأن يجمعنا بها في فسيح جناته، إنه جواد كريم.

---

* كتبت هذه الكلمة في الأصل باللغة الإنجليزية ثم ترجمت وأجرى عليها المحرر بعض تصرف.

كلمات الأسرة(٢)

الروح الطاهرة

جواهر عبدالله السحيباني
(جدة سليمان الشمسان)

إلى تلك الروح الطاهرة والنفس الطيبة أم أوس وسمية المنصور الغالية: دخلتي إلى حياتي من أوسع أبوابها منذ اليوم الأول واللقاء الأول في منزلي، تشرفت بحضورك وأحببتك، ولمست فيك الدكتورة والمعلمة والأم لطالباتك، تتبادلن نظرات المحبة والألفة التي صنعتها بينكن.

كان يومـًا جميلًا لا ينسى عالق في ذاكرتي، ولم أكن أعلم في ذلك اليوم أنكِ ستصبحين جدة أحفادي، وصديقة روحي وأمّ بدرنا وابننا الغالي، كنت أحضر مجالسك العامرة بالحب والعلم والكرم، كانت مجالس مميزة وكنت دائمـًا فخورة بالشمسان، تمتدحينهم في كل حين، كنتِ لي شئيًا لا تصفه الكلمات، وكنتِ أمًّا لابنتي، ونعم الأم، كان كل شيء يبدو منكِ جميلًا، كلماتك ووجهك البشوش دائمـًا، الحنونة التي تسع الجميع، رحم الله روحك الطاهرة وأسكنها أعالي الجنان.

سيدة التفاصيل الساحرة

حنان عبدالعزيز الخميس

عندما دقت الساعة الثانية عشرة من منتصف ليلة باردة قادني أمر غامض إلى قراطيس محاولاتي البائسة في كتابة مقال عن سيدة التفاصيل الساحرة.

وكأنها تعويذة سحرية انتظرتها منذ ثمانية أشهر إذ كانت المحاولة الثالثة والأربعين وكنت أكتب بحبر لا يشبه حبري، وكلمات لا تتقن إلا صوت الألم والحزن .. عندما قفزت (حب) على قلمي خرجت بقية الحروف بأصواتها الطويلة والقصيرة تتراقص طربًا وكأن الحياة بعثت من جديد لصفحة تسكن مخيلتي قبل أربعة عقود ونيف ... وكأن السحر لصاحبة التفاصيل يعود مرة أخرى.

شَبَرا امَرا شمسْ انجوم

كواكب هوا كلعب الدوا

شَبَرا امَرا شمسْ انجوم

كانت أصوات الصبايا والصغيرات تضج في ليوان بيت أهلي (الرشيد) بهذه الأهزوجة مع صوت الحبل وهو يضرب بسرعة على أرضية الليوان الملساء، وكان الوقت بعد صلاة العصر. اختبأت خلف سارية لأنظر لزوجة خالي الوسيم صاحب الغترة البيضاء المنقوشة والنظارة التي كنت أحسبها آن ذاك تخص من يأتون من المدينة فقط. لم يسمح لي بالدخول للمجلس كما هو متعارف عليه في ذلك الوقت.

وكانت كل قريباتي قد حضرن قبلي، وأخذن الهدايا منها، وحسبت أن الهدايا انتهت، ولم يبقَ لي شيء. ولما جاء المغرب، وذهب الضيوف، خرجت أمي فتعلقت بثوبها خجلًا وترقبًا لخروج زوجة خالي التي لَمّا أعرف اسمها بعد.

خرجت صبيرة العاملة السريلانكية لتضع مروحة عمودية طويلة تلتفت يمينًا ويسارًا، ويجري الهواء برقة على وجوه الحاضرات، وفي غفلة قفزت لأجرب تطاير شعري مع الهواء.

هذي "بنتـچ يا مريم؟ هذي حنان؟"

كانت لهجتها وهي تقول "بنتـچ حنان" أوّل سحر حب ألقته في أذني، رفعت رأسي لأرى سيدة تلبس جلّابية (درّاعة خليجية مطرّزة) صفراء ومزينة بزهور الترتر البنفسجية، وكأنها نجمة مساء مضيئة، وتلبس قلادة لؤلؤ تشبه رشرش أمي الذهبي؛ ولكنه من اللؤلؤ وبأدوار ثلاثة، انحنت بحب تقبلني، وتمسك بيدي لأشم رائحة عطر شرقي علق بذاكرتي إلى الآن، ثم أخذت تنادي زينب، بنت خالي رشيد، وتقول روحي لغرفتي وأحضري هدية حنان.

هنا ارتجف خافقي بشيء أظنه بذرة حب. مدت لي خالتي المشكال[١] السحري ومروحة ورقية رسمت عليها عروس صينية، ففرحت حينئذ أنها لم تنسَني، وخبأت

---

(١) المشكال: منظار فيه قطع متحركة من الزجاج الملون تتغير أوضاعها حين تدار قاعدته الأمامية فتنفذ مجموعة لا نهاية لها من الأشكال الهندسية المختلفة الألوان.

.. لي هديتي، فكانت تلك الهدية أوّل هديّة تصنع الفرح في داخلي؛ لأنها خصتني نادتني عندما عرفت أنني لم أستطع رؤية ما في مشكالي (المنظار) بسبب ظلام المساء، فاقتربت منها واخذتني بين يديها ووجهتني للنور الوحيد في ذلك الليوان وقالت ضعي منظارك على النور وسترين الأشياء الجميلة فيه.

وصدقت خالتي، كنت عندما تصيبني الحيرة والتشتت في أمر مّا في حياتي، ويلفني الهمّ أتّجه للنور فأبصر الجمال كما كنت أبصر جمال الأشكال المتناغمة في داخل المشكال السحري.

حدثتني قبل وفاتها بعشرة أيّام أنّها تذكر نظرتي لها في أول لقاء بيننا، وأن عيني شعّت بحبّ وذكاء شدّها كثيرًا، وربما أن هذه النظرة هي تفسير تعويذة الحب التي ألقتها في قلبي.

تلك السيدة، صاحبة التفاصيل المبهجة، كانت تبث الحبّ بين طيّات تفاصيل حديثها وعطائها.

حبّها المتدفّق لا ينضب، كانت تبني لي في كل لقاء مدينة من زهور البنفسج، بل كانت كزهرة الفصول الأربعة، كانت شيئًا جميلًا يأتي بعد كل حديث عنها، أو معها طيف ابتسامة ورضًا. خالتي عبرتنا من الداخل رغم اختلاف العادات والمجتمع والمستوى التعليمي. رافقتنا منذ طفولتنا حتى كبرنا، ولم ترفق بنا عندما عزمت على الرحيل.

شَبَرا امَرا   شمسْ انجوم

كواكب هوا   كلعب الدوا

شَبَرا امَرا   شمسْ انجوم

كبرنا وكبرت معنا الخالة وسمية، كانت ملهمة لكل من حولها، كنّا ننظر لوسمية وإبراهيم كنسخة من رواية محببة، كنّا نودّ أن نكون وسمية ولو لم نجد إبراهيمها. ملأت حياتنا بالتفاصيل المبهجة السعيدة، وكل تفاصيل تحكي تفاصيل أكثر، كانت كنّة العائلة المحببة، لا تترك مناسبة سعيدة إلا احتفت بنا وبأبنائنا، وكانت ما زالت حتى آخر أيامها تحصي أطفالنا ومناسباتنا لتجلب لنا هدية تفعل فعل المشكال السحريّ في قلب أحدنا.

كانت تفتخر بنا في كل مكان، فكانت عائلة الشمسان تعني لها الشيء الكثير. تركت لنا ميراثًا عظيمًا من تفاصيل العطاء الصادق المحب، يصعب تقسيمه وتفسيره ما لم نعرف كيف نحب بصدق.

ولأنها كانت تصنع البهجة ببراعة في كل تفاصيلنا أحببت أن يكون هذا المقال كما تحب هي، يترك ابتسامة على ثغر كل من يقرؤه، وكانت دائمًا تصف كتابتي بالصادقة البسيطة، وهي لا تعلم أنه انعكاس لصدق محبّتها لي.

صاحبة المشكال السحري ١٣/ ٨/ ١٤٤٥هـ

روح المحبة والعطاء

د.خولة بنت عبد الرحمن الخميس
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

إن الكتابة أمرٌ ليس بالسهل، وهي أصعب ما تكون حين تكتب بمداد من الحب والحزن والشوق، وهذا حالي حين أردت الكتابة عن زوجة خالي: خالتي الحبيبة الدكتورة وسمية المنصور، وانهال عليَّ فيض الذكريات، من أين أبدأ وماذا أقول؟

لقد كانت خالتي أمّ أوس -وهكذا كانت تحب أن نناديها- شخصيّةً فريدةً، وروحًا مفعمةً بالعطاء والمحبّة، لا أنسى حين حصلتُ على درجة الدكتوراه، وقد كان الناس حينها يتخفّفون في التواصل لظروف جائحة كورونا، أصرّت هي وخالي العزيز على الحضور للبيت والاحتفاء بي، وكلاهما سعادة ومشاعر فرح صادقة.

وهكذا كانت رحمها الله تفرح بكل إنجاز لقريب أو حبيب، ويشعر الواحد منّا بفرحتها الصادقة والغامرة في أيّ مناسبة سعيدة للأقارب والأحبة.

كانت خالتي أمّ أوس رحمها الله مثالًا يحتذى في الحرص على الصلة ومحبّة الخير للجميع، ولا أدلّ على ذلك من أنّ آخر لقاء جمعنا بها كان لقاء استضافت فيه عددًا من الأقارب والزميلات في درس أقامته تلميذاتها الوفيّات عن نعم الله وشكرها.

كانت خالتي أمّ أوس رحمها الله نموذجًا للأناقة المحتشمة، مُحبةً للجمال والاحتفاء بكل ما هو جميل، وكم كانت تُسعدنا كلماتها حين تبدي لنا إعجابها واعتزازها وفخرها بنا.

يَكلُّ القلم عن وصف خالتي أمّ أوس رحمها الله ولا نملك إلا ندعو الله كما جمعنا بها في الدنيا أن يجمعنا بها في فردوس جنانه في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

أختي وسمية رحمها الله

ربيحة بنت عبدالمحسن المنصور

هذه صفحات من الذاكرة تخص أختي وسمية رحمها الله.

هي أكبر مني بما يقارب عشر سنوات؛ لذلك كنت دائمًا أراها كبيرة.

من مميزاتها شغفها بالقراءة والعلم والمعرفة ودائمًا أسلوبها في الحوار عالٍ وراقٍ يرفع مجلسها إلى مستوى أعلى من العادة.

ومع ذلك كانت قدرتها على التواصل مع مختلف أنواع البشر عجيبة؛ فهي تستطيع الحوار والتفاهم مع الأطفال، مع الشباب، مع كبار السنّ، مع من لا يتكلم العربية أو الإنجليزية بل الأعجب من ذلك هو قدرتها على التواصل مع الحالات الخاصة، مثلًا في العائلة فتاة عندها مشكلة كبيرة في السمع لذلك مخارج الحروف عندها مختلفة ومن ثَمَّ يصعب فهمها، أمّا أختي مع صبرها المميز تستمع لها باهتمام وتتحاور معها بكل راحة.

وكذلك رأيتها وهي تجاذب أطراف الحديث مع واحدة من المعارف يغلب على ظني أنّها تعاني من مشاكل نفسيّة فهي دائمًا صامتة لا تتجاوب مع أحد إلا مع وسمية أختي رحمهما الله.

كانت بمجرد ما تدخل أيّ مجلس تستحوذ على قلوب وانتباه الموجودين حتّى وإن كان هذا هو اللّقاء الأول لهم معها.

هذه أختي بهذه القدرات وأكثر بكثير قبلت في جامعة القاهرة عام ١٩٦٥م لدراسة الأدب فغادرت المنزل بعد القبول بالبعثة.

غادرت بعد أن تركت فراغًا كبيرًا.

كنا ننتظر عودتها بفارغ الصبر، حينئذ كنت في الصف الثالث الإبتدائي وكنت أرسل لها الرسائل.

ماذا يمكن لفتاة في هذا العمر أن تكتب في رسائلها، كانت الأمور اليوميّة العاديّة التي ليس لها أيّ أهميّة، مثلًا تغدّينا بالأمس مطبّق سمك، يوم الجمعة ذهبنا إلى البحر وحصل كذا، اليوم الفلاني زرت بيت خالتي لطيفة إلخ. بل أحيانًا أكتب لها نكتًا وأحيانًا أرسل لها ألغازًا تناسب عمري.

كانت رحمها الله تقرأ باهتمام وتجيب على كل تفاصيل الرسالة باهتمام أكبر وعندما تعود في العطلة الصيفية تعود البهجة إلى المنزل.

نتحلق حول شنطتها المليئة بالهدايا لكل أفراد المنزل، لا تنسى أحدًا حتى عمالة المنزل لهم نصيب من هداياها والجميع يفرح بما يأخذ.

وأنا في عمري الصغير لم أفكر يومًا كيف يمكن لها أن تشتري هذا الكم من الهدايا و راتبها من البعثة لا يتجاوز خمسة عشر جنيها مصريًّا.

وسمية أختي رحمها الله كانت تحب الحياة والجمال، لم تكن تبخل على نفسها أو على من حولها.

كيف يمكن أن توفر من هذا المبلغ البسيط ما تشتري به هذه الهدايا: ملابس، شنط يد، أحذية إكسسوارات، إلخ.

السبب هو أن أختي وسمية رحمها الله رزقت بالبركة، البركة التي لازمتها حتى اختارها رب العالمين إلى جواره، بسبب عطائها لأسرتها ولكل من حولها.

وكانت دائمًا تسألني وهي مغادرة مرة أخرى إلى مصر بعد انتهاء الإجازة: أيش تبين أجيب لك معي في العطلة؟ وأجيب بسرعة: قصة.

وعندما تعود تكون قد جلبت معها قصصًا لا قصة، وأتسلم نصيبي من القصص الجميلة الملونة، وأكون في منتهى السعادة أنّ هذه القصص لي بصفة شخصيّة وليست ملكًا عامًّا، وأقرأها بشغف ومتعة لا حدّ لهما، هذا علاوة على الملابس وشنطة اليد أو الحذاء وأشياء أخرى.

لم تنته الذكريات.

ولكن إن شاء الله أكمل مرة أخرى.

رحمك الله يا أختي وجمعنا الرحمن في مقعد صدق مقتدر.

وسمية أختي رحمها الله

شخصية مميزة فريدة من نوعها لها صفاتها الخاصة بها.

سعادتها لا تكتمل إلا بسعادة من حولها تحب مشاركة أفراحها مع الآخرين.

كانت تعشق مصر، وعندما أنهت ليسانس الآداب عام ١٩٧٠م وعادت إلى أرض الوطن فخورة بيدها شهادة التخرج ووظّفت معلمة في مدرسة ثانوية؛ لم تقاوم الحنين إلى مصر فكان السبيل لإطفاء الشوق هو زيارة البلد في عطلة الصيف فكان ذلك في صيف ١٩٧١م، كان عمّي عبداللطيف رحمه الله موجودًا هناك، لمّا ينه دراسته الجامعية، فذهبت وسكنت عنده، ثم عادت في نهاية العطلة لتباشر عملها في التعليم.

وقبل نهاية العام الدراسي ٧١-٧٢ بدأت تلحّ على والدي رحمه الله أن نقضي الصيف جميعًا في القاهرة، فرفض ثم عادت تلحّ عليه في الطلب حتى استجاب، فكان أن قضينا صيفًا جميلًا ممتّعا في أرض الكنانة بفضل الله ثم بفضل إلحاح أختي وسمية رحمها الله.

لمّا ينته الحديث؛ لأن للحديث بقيّة فهو طويل جدًّا

الكويت ٢٣/ ٥/ ٢٠٢٣م

ذكريات لا تنسى

سارة بنت سليمان الشمسان

ماذا أقول ! وماذا أكتب !

تتعب الأيدي وتجف الأقلام لو أردت كتابة ما في قلبي لزوجة أخي بل صديقتي بل أختي التي لم تلدها أمي.

أم أوس – رحمها الله – !

صاحبة الأخلاق العالية المتواضعة الكريمة.

أتذكر الحياة الجميلة التي قضيناها معـًا فتتدفق المواقف غزيرة رقيقة قريبةً من القلب، مواقف صغيرة؛ لكنها عظيمة في حقيقتها، فمرةً كنّا في اجتماع عائليّ حول المائدة نستعد لتناول الغداء فاكتشفنا أنّنا ينقصنا طبق واحد، وكان معها خادمة فبادرت هي بتواضعها العميق بقولها: أنا والخادمة نأكل بصحن واحد.

ولقد رافقتها في كثير من الزيارات لأصدقائي وجيراني ولأصدقائها وجيرانها، وإذا ركبنا السيارة تبدأ بأذكار الركوب والطريق.

تحب إفراح الخدم والمساكين، عرفت عنها كثرة الصلة وتبسمها للصغير والكبير.

ولقد حضرت في بيتي الأوّل في شارع الريل منزل صغير وغرف صغيرة وباتت عندنا هي وأخي، ولمّا أصبحت افتقدت الحلَق الذي كانت ترتديه، ولم تنزعج بل رددت: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾، فلمّا خرج أخي للشارع وجده بجانب السيارة، فسبحان الذي حفظ المال الحلال.

ومن حسن وفائها أنها كانت تحتفظ بهدية صوانٍ من إحدى القريبات مضى عليها أكثر من ٢٠ سنة.

وأذكر مرة أنّني كنت عند زوجة عمّنا النفساء فلم نشعر إلا بأم أوس تطرق الباب كي تلقي التحية والسلام.

وكانت جلستها عندي كلها فرح وأنسٌ وسعادة.

وكنت دائمًا معها باتصالات ومحادثات تستشيرني واستشيرها فنعم الأخت كانت.

وفي آخر عمرها الذي كانت تقضي وقتًا طويلًا في الكويت كنت أتواصل معها في بعض الأحاديث بالجوّال أو الواتساب وكانت قبل أن تنتقل إلى رحمة الله تخبرني بالترتيبات التي كانت ستفعلها إذا قدمت الرياض من دعوة الأقارب والزميلات والطالبات.

فقد كانت رحمها الله كريمة محبة للصلة ولا أحصي كثرة الهدايا التي أرسلتها من ملابس وحليّ ومجوهرات أحتفظ بها إلى هذه الساعة.

ولم تترك رحمها الله وصلها حتى بعد وفاتها، إذ إني استقبلت أخي وأولاده بعد قدومهم من العزاء في الكويت، وإذا بأخي يعطيني خاتمًا وجدوا أم أوس قد جهزته وكتبت عليه اسمي.

وإن جعبتي لمليئة بالحب والتقدير والثناء لأختي أم أوس ولكن يخونني التعبير وإنما أقول: الله يجمعنا ووالدِينا وأحبّتنا في الفردوس الأعلى، وسنذكر ذكرياتنا معها دائمًا وندعو لها.

المحبة لها في الله.

شفتها قبل أن أشوف الشمسان

شيخة عبدالله العقيل

أم يزيد الشمسان

شاء الله أن يختار زوجي الحبيب أبو يزيد اليونان لنقضي شهر العسل واقترح أن نمر بالقاهرة لنقضي فيها أربعة أيام، قال أبو يزيد سنذهب إلى أخي إبراهيم، فلما هبطنا مصر ذهبنا من غير ميعاد إلى حيث تسكن وسمية مع زوجها إبراهيم الشمسان ابن عمة زوجي وأخوه من الرضاعة، فتح لنا الباب فاستقبلنا استقبال المنتظَر، كان الترحيب والابتسامات والفرحة بهذا اللقاء، كنت في طريقي مستوليًا عليّ القلق والحياء؛ فلا أعلم من سأقابل ولا ما سأواجه، ولكنها وسمية التي بددت قلقي وأشعرتني كأنها تعرفني من قبل، لا أدري كيف استطاعت في لحظات أن تستولي على عقلي وقلبي، كانت فرصة لنا لنزور معالم القاهرة بصحبتهما، وربما كان معنا بعض أهلها فقد صادف أن كانت أختها ربيحة أم سالم وزوجها في القاهرة أيضًا، شفت وسمية قبل أن أشوف الشمسان أنفسهم.

ولكن لأول مرة في حياتي أتمنى لو إني شاعرة أو كاتبة أقدر أن أعبر وأصف أختي وصديقتي وزوجة عمّ أولادي وسمية المنصور، أم أوس الشمسان. صعبٌ الكلام عنها ووصف شخصها.

إنسانة عظيمة، عطوفة، رحيمة، كريمة، معطاء.

تقدر الصغير قبل الكبير، ممتنة لأصغر جميل وكلمة.

ومن أعجب أمورها أنها على الرغم من تعليمها العالي استطاعت التواصل مع جميع المستويات من غير أن تشعر أحدًا من قريب أو من بعيد باختلافها عنهم أو بتميزها عليهم.

أم لأبناء رائعين أحسنت تربيتهم، وزوجة لرجل لا يقلّ عنها في نبل الصفات.

كم أودّ أن أصف شعوري وما في قلبي وذاكرتي عنها لكن يخونني التعبير في وصف عمر كامل قضيناه معًا ما لقيت منها إلا كل جميل.

مجلسها لا يمل وحضورها مميز ومختلف. تثري المجلس بكل ما يسرّ الحاضرين.

الله يرحمها ويجمعنا بها في جنات الخلد على سرر متقابلين.

فقيدة الدولتين

لينة بنت عبدالله السحيباني
خالة سليمان الشمسان

صبحُ الخميس أتى ينعى حبيبتنا الغالية أ.د. وسمية المنصور، واستثقل القلب هذا الفقد الذي ليس يفوقه فقْد، أمسى فؤادي من بعدها حزين الروح موجوعًا بذكراها. لقد نعت (الكويت) صبح الخميس فقيدتها؛ ولم يكن العزاء عزاء الكويت فقط، بل تعدّاه، فها هي الأفواج تأتي من (الرياض) لتواري الجسد الحبيب لمثواه الأخير.

ذبلت الأزهار في ذلك الصباح، فريحانة الحي قد قُطفت ولولا الرضا والتسليم ما واريناها التراب.

وحين يموت العالم فإن صرحًا من صروح العلم تهاوى عن ركائزه، فهاهنّ طالباتها اللاتي ارتدنَ مجالسَها سنوات عديدة ونهلن منها، ينعين أستاذتهن بدموع حارة تحكي فضلها عليهن وحبّهن لها.

كل شيء يبكي عليها، حتى كرسيها المتحرك الذي شهد صبرها على الابتلاء وهي مُقعدة فيه ولازمها آخر عمرها يبكيها.

آهٍ يا أختي، يا زوجة ابنها وقرة عينها، ابكِ يا أُخيةُ، ولتجرِ مدامعك على خالتك الغالية، ولتغسلي عن القلب حزنًا تغشّاه؛ فقد غاب نجمُها عن سمائك ففجعك، بل

لقد أقضّ مضجعك أنّ عهدًا قطعتِه لها باللقيا؛ وقد رحلتْ! وسبق أمرُ الله وحسبنا أننا سنلتقي إن شاء الله في جنات الخلود بفضله ورحمته.

لقد فارق النومُ عين أختي فإن نامت فعلى أمل تزاوُر الأرواح في المنام؛ ليبردَ الشوق في صدرها! ما بال عينيها تراها أينما نظرتْ، وتجود بالدمع كل لحظة، ولا ألومُ أُختي إن قضتْ الدهرَ كله باكية.

(وسْمِيَّةٌ) وسمُ تفرُّد لا تكرار يُضاهيه، وسمٌ عزيزٌ لم يكن إلا لها رحمها الله، عزيزة النفس، عظيمة الشأن، فصيحة القول، شامخة وسيدة، بطلة الحكاية، بهية الطلة، جميلة المظهر والجوهر. والله لو ناولوني كنوز الأرض قاطبة، ما ساوموني قلادةً أهدتني إياها أصبحت اليوم أغلى حُليِّ كلّه!

آلَ شمسان صبراً وجبراً، ورفقًا (أبا أوس) بقلبك، فلم ترض لكَ الحزن يومًا، أحسنتَ عِشرتَها، وأحبّتك وآثرتك وباهت بك الدنيا، وقد أفضت إلى خالقها وهي راضية مرضية إن شاء الله.

(أوس) ولدها الأكبر الذي كانت تحبه وسيكمل مسيرته التي كانت تفتخر بها حتى يلقاها في جنانه.

(ديمة) ابنتها التي لازمتها آخر حياتها ووقت مرضها الأخير، هنيئًا لكِ ما قدّمت من برٍّ بوالدتك، فقد كنتِ عزًّا لها وسندًا وستلقين ذلك إن شاء الله.

(بدر) النقي التقي، لا تبتئس ولا تحزن، ربٌّ كريمٌ، وروحٌ وريحانٌ، وجنةُ الخلد إن شاء الله.

(بدور) صغيرةُ البيت، مدلّلة أمها، بدرُ البدور، سيجبُر اللهُ قلبك الحنون الذي تقطع حزنًا على فقدها.

فيا أولادَها وقرةَ عينها: إن من نعم الله عليكم أن كُتِبَت لكم (وسمية المنصور) أمًّا، وقد أوصى النبيُّ ﷺ بأن تدعوا لها وإنكم خير خلف لها.

ويا أحفادَها الصغار صبرًا صبرًا.

صبرًا سليمانُ، شيخَنا الصغير، ادعُ الإله لها.

صبرًا "لمايَ" فكم كانت تحبك فادعي لها.

فلترفعا أكف الدعاء لجدتكم، عسى الله أن يتقبل دعواتكم فتصلها وتُسرُّ بها.

أرثي لكم ولحالي، فكلنا والله مكلومون، والحمد لله على أمره، اللهم لا اعتراض.

يا ربِّ أحسن وفادتها، وارفع منازلها، وجازها بالإحسان إحسانًا، وامسح خطاياها، واجمعنا بها في الفردوس الأعلى.

لندن ١٨ شوال ١٤٤٤ هـ

الدكتورة وسمية بنت عبدالمحسن المنصور (طيّب الله ثراها)

أم أوس بن إبراهيم بن سليمان الشمسان

محمد عبدالله سليمان الشمسان

محام ومستشار قانوني-الرياض

لست بكاتب ولا بأديب لأتمكن من سطر مآثر هذه الإنسانة العظيمة التي لا تخفى على القاصي والداني واعذروا قلة حيلتي فيما سأكتبه فهو أقرب ما يكون إلى حديث نفس عن نفس كانت وما تزال غالية علينا جميعًا.

هذه الإنسانة العظيمة اتصفت بالحب والعطاء بلا حدود للأهل والإخوة والأخوات والأقارب والوطن الأول الكويت والوطن الثاني المملكة العربية السعودية، وعلى المستوى الشخصي كانت رحمها الله تعاملني كأحد أبنائها وتعزز لي وتدعمني بالنصح والإرشاد حينما كنت طالبًا في كلية العلوم الإدارية – قسم القانون بجامعة الملك سعود خلال الفترة من ١٩٨٧م – ١٩٩٠م وبعد التخرج والممارسة العملية للقانون منذ عام ١٩٩٠م.

كانت – رحمها الله وطيب ثراها – تعلم جيدًا أهمية القانون ودوره في السياسة والاقتصاد والمجتمع المدني وهو ما لم يكن شائعًا خلال فترة الثمانيات، فقد كانت سعادتها غامرة أن كان من أسرة الشمسان – الذين أحبتهم وأحبوها – متخصص بالقانون، وقد أدخل ذلك السرور في نفسي وأثلج صدري إهدائها لي مجموعة من

الكتب القانونية القيمة ومنها كتاب القانون المدني الكويتي، فجزاها الله خير الجزاء لما قدمته خلال مسيرتها العلمية والعملية ودورها الاجتماعي والتربوي.

قد نختلف كثيرًا في أمور عدّة؛ ولكن حتمًا نتفق على محبة هذه الإنسانة العظيمة وستبقى مآثرها التي لا تعد ولا تحصى في ذاكرتنا، ونأمل أن تكون هذه السطور وما سيضمه الكتاب عن مآثر وإنجازات الفقيدة الراحلة الدكتورة وسمية بنت عبدالمحسن المنصور فرصة لنا وللأبناء والأحفاد أن يستفيدوا مما كتبته أو ذكرته من هنا وهناك، لأنها بالتأكيد ستكون مؤثرة وذات قيمة عالية، رفع الله قدرها عنده وجمعنا وإيّاها ووالدِينا وأحبتنا في الفردوس الأعلى من الجنة.

أختم هذه السطور بــلا تنسوها من دعائكم.

حرر في يوم الاثنين ٠٨/ ٠٤/ ١٤٤٥هـ/ ٢٣/ ١٠/ ٢٠٢٣م

الغالية فقيدة الشمسان

مريم بنت سليمان الشمسان

السلام عليكم

بودي أن أتكلم قليلًا من الذي في قلبي عن الغالية فقيدة الشمسان كلهم، أم أوس وسمية، كم أحب الأدمية هذي، ما أدري هذي فقيدة الشمسان كلهم ليست فقيدة أسرتنا فقط، كلنا افتقدناها يوم رحلت، الله يغفر لها ويرحمها، ما يجازيها إلا الدعاء، الله يغفر لها و يرحمها.

ماذا نقول عنها؟ هذي ذهب، الذهب ما يتغير أبدًا، منذ يوم عرفناها يوم تزوجها أخي ما تغيرت أبدًا، لا معاملتها ولا طيبتها ولا جودها ولا تواضعها.

أنا صراحةً تعلمت منها التواضع، وتعلمت منها الطيبة والتسامح والجود والصبر، ما شاء الله عليها، الله يغفر لها، والله مالي إلا هذا الدعاء.

إننا ما نقدر أصلًا أن نعدد الذي وجدناه عندها من الخير ولا مواقفها من أخذت أخي. كم مرة شرفتني بالزيارة والمبيت عندي، وهي تعدّ نفسها من أهل البيت لا أنسى يوم أصرت على أن تطبخ وجبة وحلويات أعجب بها أولادي كثيرًا حتى قال لها ابني صالح: أنت يا خالة أم أوس لست دكتورة في اللغة فقط بل في الطبخ أيضًا. ولست أنسى أن أمّي حين مرضت ولم تجد في الرياض علاجًا ناجعًا راحت عند

أخي وزوجته وسمية في مصر يوم كانا يدرسان هناك، فأجريت لها عملية، وصارت أم أوس لأمي أحسن منّا بناتها في التعامل، ما شاء الله عليها تبارك الرحمن.

كلنا نحبها ما تجد أحدًا لا يحبها من كبير أو صغير، كل عائلتنا ومن حولنا حتى أم زوجي التي ليست من عائلتنا الشمسان كانت تحبها كثيرًا، ولمَ تحبها؟ لأنها تقدرها وتحترمها، فهي كلما جاءت لابد أن تشوفها وتسأل عنها. أهدتها خالتي صواني فناجين، فكانت محتفظة بهن، إذ من فترة كانت تقول وهي تشير إلى صينية: هذي من أم عبدالعزيز. تقوله من طيبتها واحترامها، الله يجزيها خير.

ما اهتمت بمنصب ولا بأي شيء في تعاملها، ما شاء الله عليها، مع الكل، الله يجعلها بالجنة.

كنّا إذا جئنا للرياض ما تعودنا أن نروح للفنادق بل كنا نسكن عندها، أنا وبناتي نقعد عندها، ولا تنزلنا في غرف الضيوف بل في غرف عيالها، كنا ننام عند ديمة وبدور، نحس أنا في قلبها، ما نقدر تعداد مواقفها، مواقفها كثيرة، إن جئنا بفرح جاءت بالفرح، وإن ألمّ بنا حزن ذاقت الحزن معنا، ما تخلينا في أي المواقف، فلا تراها في الزواج أو النجاح إلا قائمة بواجبها. أذكر عرس ولدي صالح أول ولد لي، أي فرحتي الأولى، صراحة ملأت قلبي بالفرحة، وهي التي تكفلت بالحلا، وهي التي سوت الجو، ما شاء الله، الله يغفر لها، عمدت إلى كل العاملات لبستهن زيًّا موحدًا، وأما الحلا فليس من القصيم. وانبهر الناس يحسبون أن العاملات مع

الصالة التي استأجرناها، ما كان الناس، في ذلك الوقت، يستقدمون العاملات، كانوا يؤجرون فهي فعلت شيئًا كبيرًا لن أنساه، الله يجزيها خيرًا.

ما نقدر أن نفيها المدح، الله سبحانه وتعالى مسخر لها المدح، جعل الله ما فعلت في موازين حسناتها. لا تنتهي أعمالها الخيرة؛ حتى آخر السنة هذي أنا وأخواتي كلنا في الرياض نحضر زواج ولد أختي فانتهزت هذي الفرصة وهي أنّا كلنا الأربع متجمعات، فلزّمت علينا وغدّتنا نحن وأخواني، الله يسعدها يا ربّ. حتى وهي مريضة في الكويت كنا قلقين عليها، نتواصل مع ديمة، وتقول لنا ما تقدر تكلمنا، فنقول لها على الأقل نسمع صوتها برسائلها، وأنا أقول أبي أسمع صوتها؛ فإذا هي تكلمنا، تطمئنا عليها، ذلك مقدار حبها لنا، الله يجعلها في جنات النعيم.

قبل أن تتوفى بخمسة أيام وأنا أكلمها وهي تتشكر وتقول أنها ستأتي إن شاء الله، قالت أجيء إليكم إن شاء الله بشوال، وتتجمعون عندي دائمًا، هذي أهدافها تجمع الحمولة، هي تفتخر بنا ونحن نفتخر بها، الله يجعلها بالجنة. والله إنها لفجعية عظيمة، منذ ذاك اليوم صرت أخاف من فتح الجوال إذا قمت من النوم. الله يرحمها، الله يغفر لها.

وسمية أختنا أم أبنائنا

موضي بنت سليمان الشمسان

(أم أحمد الخميس)

أم أوس زوجة أخي إبراهيم رحمها الله رحمة واسعة وجعل الجنة دارها.

تعجز الحروف والكلمات عن وصفها، هي إنسانة عظيمة في قدرها، عظيمة في عطائها، عظيمة في محبتها، عظيمة في تقديرها لغيرها.

منذ دخولها في عائلتنا استوطنت قلوبنا، الجميع يحبها ويحترمها؛ فهي لم تكن زوجة أخي فقط، بل كانت بمثابة الأخت لنا والأم لأبنائنا.

تفرح لفرحنا وتحزن لحزننا، تحب صِلة الجميع، تستمتع باجتماع الأهل والأقارب، وكلهم يحبونها.

أذكر أوّل مرة رأيتها فيها عندما زرت مصر، كانت من الأشخاص الذين تشعر براحة بالغة عند مقابلتهم للمرّة الأولى، ولا أنسى شعوري هذا؛ لأن قلّة من الناس وهبهم الله هذه الهبة، كان أخي و أمّ أوس في ذلك الوقت يحضران رسالة الماجستير ومن بعدها الدكتوراه. في تلك الفترة استضافت أمي (التي كانت في مصر لإجراء عملية المرارة) واهتمت بها كما لو كنّا جميعنا حولها، فجزاها الله عنّا خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناتها، مواقفها رحمها الله كثيرة لا أحصيها عددًا؛ لكن أسأل الله أن يتقبل كل ما أدعو لها علّي أفي بذلك جزءًا من إحسانها معنا.

من الذكريات العزيزة التي مرّت على بالي وأنا أكتب عن كبيرة القلب وجميلة الروح، أنها كانت هي وأخي وأولادهما ينامون عندي. وكم كنت أفرح بقدومهم وأستأنس بوجودهم، كما أنني تشرّفت بحضور والدها ووالدتها للمبيت عندي وغمرتني الفرحة بذلك، وبالمثل عندما أزور الرياض مع أولادي وننام عندهم.. كانت تحتوينا رحمها الله وتحفّنا بعطائها وكرمها ومحبتها.

لا تمرّ مناسبة سعيدة ولا يكون لأم أوس بصمة ومشاركة للفرحة فيها، فعندما وصلها خبر زواج ابني عبدالعزيز فرحت كثيرًا و أرسلت إلى زوجته هديّة، ولا تعلم أن أعظم وأجمل وأعزّ هديّة كانت معرفتنا لها. بعد زواج ابني كنت وأخواتي في الرياض، قالت إن هذه فرصة لنجتمع على الغداء معها ومع أخي وأولادهما.

وكان هذا آخر لقاء لنا معها بالدنيا، فعندما عادت إلى الكويت أصابها مرض أتعبها جعله الله رفعة منزلة، وكتب الله لها أن تصوم رمضان وستًّا من شوّال وهذا من محبّة الله لها أن أعانها على الصيام.

وفاتها كانت مؤلمة لنا جميعًا، كبيرنا وصغيرنا. فمن لم يعرفها معرفة شخصية كان يحبها لكثر ما يسمع عنها من الطيبة والكرم والأخلاق والقلب الحنون، صاحبة الأثر العظيم في حياة كل من عرفها.

أسأل الله العظيم ربّ العرش الكريم أن يجعل الجنّة دارها ووالدِينا والمسلمين.

رحلت طيبة السيرة والسريرة

موضي سويدان السويدان

(جدة الحفيدة موضي)

أذكر أول لقاء لي بها، في أواخر السبعينيات.

أتت لزيارة أسرة زوجها (الشمسان) التي تربطنا بهم قرابة، وشاء الله أن نكون جيرانـًا لهم آنذاك في مرحلة مؤقته عشنا بها في القصيم. ما زلت أستحضر شعور الانبهار الذي انتابني أول ما وقعت عيني عليها، وسمعت صوتها، كنت فتاة ذات ١٥ سنة، وكانت تكبرني بعشر سنوات تقريبًا. وأنا مراهقة بهذا العمر شدّت انتباهي أناقتها وهندامها وطريقة تصفيف شعرها. وبدأت أستمع لحديثها وحوارها اللطيف واحتوائها الجميع، فلم تكن تتجاوز كبيرًا أو صغيرًا فكلٌّ يناله نصيب من اهتمامها. وأراد الله أن يتكرر اللقاء في زياراتها المتكررة للكويت لرؤية أهلها، فكنت أحرص جدًّا على قضاء الوقت معها، حتى إني أبلغ أسرتي في هذا الأسبوع أني متفرغة تمامًا ومتحررة من أي التزامات أو ارتباطات لوجود أم أوس في الكويت لأقضي الوقت معها حتى أصبح عرفًا عند العائلة؛ فإن غبت عنهم فعذري أني برفقتها. واتفقت معها أني رهن إشارتها لأي مشوار تود به قضاء حاجة أو غرض، فكنت أجد في رفقتها إثراءًا لشخصيتي وكسبَ خبرات ثقافية ومجتمعية وفنية. أستمتع برؤيتها وهي تتعامل مع العالم، وأستمتع بالحوارات التي تحدثني بها في طريقنا ذهابًا أو إيابًا.

أستحضر تلك الأيام كثيرًا وأعلم في نفسي أن هذه الإنسانة انعكست في داخلي فجزء كبير مما أنا عليه من شخصية وفكر ما هو إلا اقتباس مما رأيته وسمعته منها.

رحلت أم أوس ونحمد الله أنّ امتدادها يعيش معنا؛ وكأن جزءًا من روحها أهدته لنا، ابنتها الحبيبة ديمة أم موضي الصغيرة حفيدتنا المشتركة.

رحمك الله يا أم أوس، رحلتْ طيبة السيرة والسريرة. وبقيت لنا سيرتها الطيبة.

عندي كلمات بسيطة

نورة بنت سليمان الشمسان

أنا عندي كلمات بسيطة عن الغالية زوجة أخي (أبو أوس)، كلمات عن ذكراها، الله يغفر لها ويرحمها ويحللها، وعن جميع المسلمين يا ربِّ يا كريم، ما شاء الله عليها تبارك الله، منذ عرفناها، ما شاء الله عليها، ما عرفنا إلا الطيبة والابتسامة الحلوة. تحب الأسرة كلها الصغير والكبير، والكل غالٍ عندها، كلٌّ بقدره، ما شاء الله تبارك الله عليها ما قصّرت مع أحد، وكلٌّ يحبها الصغير والكبير، الله يسكنها الجنة.

الله يرحمها لا أذكرها إلا بالذكر الطيب، كانت حريصة كل الحرص حين تأتي إلى القصيم على زيارتي والمبيت عندي، ومن أجمل اللحظات أنّا كنا نذهب للتسوق في أسواق عنيزة، كانت مغرمة بمصاحبتي للصاغة ولباعة الآنية، كانت تظهر فرحًا عظيمًا في تجولها، وكنت أعجب من لطفها وقدرتها الفائقة على مكاسرة الباعة [مماكستهم]، ولا أدري كيف ينصاع أعتاهم فيبيعها بالثمن الذي تراه مناسبًا، وهو أمر لست أحسنه، كانت تمتدح السلع مهما كان شأنها، يمضي الوقت معها كالبرق، كنا نتجول حتى يقفل أصحاب الدكاكين محلاتهم، زارتني في بيوتي المتواضعة جلست على الأرض معي، بل لم تتوان في صحبتي إلى جاراتي اللاتي أعجبن بحسن منطقها وجمال حديثها وتواضعها الجمّ، لم تصدق جاراتي حين أخبرتهن أنها دكتورة تعلم في الجامعة، أحسستها واحدة منهن، عاملتهن معاملة من يعرف صاحبه منذ

وقت طويل، ما شاء الله تبارك الله، وكن يجئن من حين إلى آخر يسألن عنها ويذكرنها بالخير، الله يرحمها.

منذ أن أخذت أخي [تزوجت به] وهما متفقان على كل شيء، ولله الحمد، ورزقهما ربي البنين والبنات فوفقهم الله إلى تربيتهم أحسن تربية، وتدرسيهم ولله الحمد، ثمّ تزويجهم وتوظيفهم. يا رب ساعدهم ووفقهم.

كانت رحمها الله تعلم مدى محبتي لأخي؛ فهو حدثها عن طفولته وأني من ربيته صغيرًا؛ فلذلك رأيتها تميزني بمزيد اهتمام، كانت رحمها الله حريصة كلما جاءت من الكويت على إهدائنا ما تسميه (صوغة) وهي هدية تختلف من حين إلى آخر؛ فقد تكون جلابيات أو عطور أو جواهر، أو حلوايات، فإذا علمت أن ما أحضرته أعجب أحدًا عاودت الكرة وأحضرت المزيد، تفعل ذلك مع الكبار والصغار، وربما أرسلت هديتها وإن لم تعد من الكويت، كانت كلما زارت السوق في الكويت أكون في ذهنها أنا وأخواتي. ربّ اغفر لها وارحمها.

أشهد أنها أحسنت رعاية أخي، كما أحسنت في عملها ومعاملة كل من عرفها، كانت مخلصة لعملها ولطالباتها عاملتهن معاملة الأم الرؤوم، تميزت رحمها الله بالخلق الحسن وطيب الكلام ما شاء الله تبارك الله. فما نذكرها إلا بالخير، الله يرحمها ويغفر لها ويعفو عنها وعن جميع المسلمين.

ما شاء الله خلفت الذكر الطيب عند البعيد والقريب ما شاء الله تبارك الله.

إلى فقيدة قلبي

نورة عبدالله السحيباني
(أم سليمان الشمسان)

الناس مسيرون بأقدارهم. وكان من أجمل أقداري أن سيرني الله لأكمل دراستي لمرحلة الماجستير في جامعة الملك سعود.

في أولى الأسابيع الدراسية دخلت القاعة وإذا الدكتورة سيدة كويتية ترحب بكل طالبة تدخل بوجه بشوش وواثق ومريح، لفتتني أناقتها المميزة، ألوانها الزاهية، وشخصيتها اللافتة. بعدما اكتمل عدد الطالبات عرّفت نفسها؛ فإذا هي الدكتورة وسمية عبد المحسن المنصور.

لم تكن ساعات المحاضرة معها ثرية بالعلم فقط، بل كانت حنونة ودافئة، كانت شخصيتها تضفي على المكان والزمان أُلفة لم أرَ مثيلها طوال مسيرتي العلمية، لم أكن أعلم طوال الفصل الدراسي أنّني كنت أسير إلى أجمل أقداري وأرقها عذوبة.

بعد سنة من دراستي مع الدكتورة وسمية حدثتني بأنها تريدني زوجة لابنها، وأنها ستتقدم لخطبتي، وبعد سنة من ذلك تزوجنا، أنا وابنها زوجي الحبيب بدر. أصبحت بنتًا ثالثة لهم، ولم أجد فرقًا بين معاملتي في بيت أهلي ومعاملتي في بيتهم لم أجد من الاختلاف شيئًا.

بدأت أرى جوانب أخرى من شخصية ماما وسمية التي تمنيت لو حظي طفليّ بمعرفتها حقّ المعرفة؛ فهما لم يتجاوزا الثالثة والنصف يوم وفاتها، ولم يدركا جمال وعمق وروح ماما وسمية التي أدعو الله أن يرثوا صفاتها؛ ولكن ما يجبر الخاطر أن صورة جميلة لملامح ذلك الوجه البشوش ستبقى مطبوعة في ذاكرتهم، كانت جميلة، قوية، كريمة وسخية، لبقة متحدثة ومرحة، كانت عزيزة نفس وشامخة، كانت تحب أن تجمع طالبتها وزميلاتها وصديقاتها في مجلسها العامر بين فترة وأخرى، كانت مجالس علم لا تُمل، وكنت فخورة بها ولها ومعها، وكم كنت متباهية بذلك كثيرًا، كانت طريقة ترحيبها بضيوفها مميزة، وفيها من الحفاوة التي قلما يتقنها الناس مهما بلغوا من الحفاوة، تشعر كل ضيف عند دخوله بأنه المهم والأهم، وتسمع صوتها الحنون وأنت تقبل عليها بكلمة هلااااا، دائمًا عندما يعود زوجي بدر بعد زيارته الأسبوعية لها وأسأله عن أحولها كيف ماما وسمية؟ دائمًا ما كان يرد علي بهذه الإجابة: توصيني عليك، وتقول: حط نورة بعيونك.

كنت أرافقها في بعض زياراتها الثقافية أو زيارتها لصديقاتها، عند خروجنا دائمًا ما تشكرني وتثني عليّ وتخبرني بأنها فخورة بي، كانت مشاعرها فيّاضة، عطاؤها جزيل وحنانها وافر، أصبحت علاقتي بها كعلاقة بنت بأمها، ودائمًا ما كانت تناديني بنور عيوني، مواقفها الجليلة كثيرة ولا تكفيها ولا توفيها بضعة أسطر، كانت تبدو أبدية، كاملة، دائمة وراسخة، لم يبدُ أبدًا أنها سترحل؛ ولكنها في النهاية رحلت.

أيقنت بعدها أن الفواجع تبقى كما هي، ولو مر عليها دهر، وما تزال أمنيتي قبل نومي كل ليلة أن تكوني ضيفة في حلمي لأشبع حنيني إليك، ولو قليلًا.

أسأل الله أن يجعل منازلك في الفردوس الأعلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأن تكوني لمحتي الأولى في الجنة لأحضنك حضنًا ينزع عني وحشة فراقك الموجع في الدنيا.

كلمات في تأبين المرحومة

أبو أوس الشمسان ينعى قرينته وسمية المنصور!*

أحمد بن عبدالمحسن العسَّاف–الرياض

من أندر الموافقات أن تقرأ عن امرأة وسيرتها العلميّة، والتربويّة، والاجتماعيّة، والثقافيّة، والخلقيّة، وعن مسيرتها، وثمارها الفكريّة والتخصّصيّة، وطريقتها في التدريس، وتعاملها مع طالبات الدراسات العليا، وتواضعها للعلم، وتطامنها للاعتراف بأي خطأ، ثم تتفاجأ بأنك كمن يقرأ وجه عملة أصيلة نفيسة نقيّة سبق لك أن قرأت وجهها الآخر، فكانا مثلًا بمثل، وسواء بسواء، فهي مثله هو، وهو مثلها هي، وصدق الله العزيز العليم الذي كتب الطيّبين للطيّبات مغفرة منه ورزقًا كريمًا!

لذلك لن تستغرب عندما تقرأ التغريدة الموجوعة التي كتبها الأستاذ الدكتور أبو أوس إبراهيم بن سليمان بن رشيد الشمسان عن زوجه الراحلة أ.د. وسمية بنت عبدالمحسن بن محمد المنصور، فهي كلمات معبرة وإن كانت غير مزركشة، صادقة وليست بمتكلفة، نافذة لا تقف، مستجلبة للدمع ولو كانت العيون جامدة، وقد كتب أبو أوس: "﴿يا أيّتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربك راضية مرضية. فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾. بقلوب مؤمنة راضية بقضاء الله وقدره، أنعى مهجة قلبي

---

* نشر في مدونة أحمد بن عبدالمحسن العسَّاف: مقالات وقراءات، في الجمعة ١٥ من شهرِ شوال عام ١٤٤٤هـ/٠٥ مايو عام ٢٠٢٣م

حبيبتي رفيقة دربي أم أوس وسمية عبدالمحسن المنصور التي انتقلت إلى جوار ربها صباح اليوم ١٤/ ١٠/ ١٤٤٤هـ. رحمها الله رحمة واسعة".

وقبل هذا المصاب الأليم بسنوات ثمان أصدرت الجزيرة الثقافية ملفًا عن الراحلة؛ فتسابق العارفون ما بين راغب في الكتابة عنها، أو مشتاق للقراءة حولها، وهم كلهم حفيّون بذلكم الملف المرتقب الذي يفيض وفاء وتقديرًا لأكاديميّة وعالمة ومؤلفة وباحثة نافحت عن العربيّة، وبذلت جهودها لتعليم الطالبات المنهج العلمي والبحثيّ، وتقريب العلم وسبله إليهن، وقبلهما كانت قدوة في الأدب والحنان وتقدير الأحوال، ومن مظاهر ذلكم التفاعل غير ما كتب في الملف، ما تبعه من تعليقات وإشادات.

ومن أجلّ مواضع القدوة لدى أ.د. وسمية أنها تفاعلت مع البيئة الجديدة التي حلت بها زوجًا وأستاذة جامعية، وهي بيئة تختلف نوعًا ما عمّا عهدته في سنوات نشأتها بالكويت، وتفترق كثيرًا عمّا عاصرته إبّان دراستها الجامعية والعليا في مصر، ومع ذلك لم يقعد بها وهم، أو يحول دون أداء رسالتها العلميّة انشغال بأطراف الطريق وفضول المسائل عن الأصول والأسس، وأجزم أن سمة الهدوء في وسميّة، وتوقير الموروث، والرويّة مع التعقّل، قد أثّرت في بعض من حولها، ولربما أنّها بنهجها العمليّ لجمت غلواء أفعال، وهذّبت شطط آراء، وأصلحت اعوجاج منطق، وأقامت اللغة واللفظ على سنن قويم، ووسم من البيان والفصاحة بديع؛ فغدت البروفيسورة

من خير النسمات بالهدوء السابغ، والعلم المحقق، والإفادة الدائمة، والبسمات الصادقة، والآثار الحميدة على النفس والعقل واللسان والقلب.

ثمّ ترحّلت أم أوس عن الأروقة الأكاديميّة ولم تنقطع صلتها العلميّة والثقافيّة بالكتابة والتأليف والتعليم، وهو الشأن الذي مضت فيه عبر كتب علميّة صرفة، وأبحاث دقيقة، ودراسات مستحدثة متفاعلة مع التقنيّات والاتصالات وما أحدثته على لغة الشباب، إضافة إلى ما تكتبه في الصحافة، مع المشاركة بالخدمة لجمهرة من الباحثات والدارسات، حتى كان حفل وداعها في جامعة الملك سعود مشحونًا بعاطفة بنات نحو أمّهنّ، وشكر طالبات لأستاذتهنّ، واعتراف باحثات بأثر قدوتهنّ.

وقبيل رمضان تعرضت أستاذة اللغة لوعكة صحّيّة خرجت منها بسلام، فصامت رمضان، وأتبعته بصيام ستّ من شوال، وعزمت على صيام يوم الخميس ثاني أيام البيض في شهر شوال، بيد أنها بعد الوضوء لصلاة الفجر سقطت فجأة، ولم تمضِ دقائق معدودة حتى غدت من عداد الراحلين، وحزنت لرحيلها المملكة كلها خاصة الرياض والمذنب، وشاركتهم في الحزن الكويت بلدتها الأصليّة التي ولدت فيها أستاذتنا وماتت ودفنت.

فرحلت أم أوس حين رحلت، وهي باقية بثمارها المطبوعة، وبغراسها العلميّ والخلقيّ في بنيها الأربعة، وفي طالباتها الكثر، وزميلاتها المباركات، وبكل من استفاد من علمها، وسلوكها في التعامل والتعاذر وتبليغ العلم وعون الدارسين، أو اقتبس من علم زوجها؛ ذلك أنها شريكة لزوجها العالم النحرير بتهيئة الأحوال له ليقرأ ويبحث،

وكي يكتب ويعلّم وينفع، وشريكة له بصرف المنغّصات عنه، وشريكة له بالتجاذب العلميّ بينهما؛ إذ هما زوجان باحثان عالمان مؤلفان مغرمان باللغة وما يحيط بعلومها الشريفة المنيفة.

إنه لعمركم ليوم عزاء حزين للغة العربيّة وعلومها، ولمحبّيها والمدافعين عنها؛ وحزين بفقد الأستاذة العالمة الموفقة، وبالحزن الذي حلّ بفؤاد زوجها العالم الموفق المنجز، وبانقطاع ينبوع صافٍ من العطاء والمنح الفكريّ والعلميّ، وتوقّف رافد عذب طيّب متّصل بلغة القرآن الكريم والسنة النبويّة المطهّرة، والله يتقبّلها بقبول حسن، ويثبّتها، ويصبّر آلها، ويجعل علمها من عملها الصالح الباقي الذي يجري في حسنات صحيفتها إلى أن يخرج الناس من الأجداث سراعًا.

فأي مرثية تسليّك يا أبا أوس عن الزوجة الوفيّة التي افتتحت كتاب الوفاء لك وختمته؛ ففقدك الذي رزئت به عظيم، والفقد ثقيل وقعه، ولعل مما يخفف عنك جميل الذكرى بالإحسان والعشرة الطيبة، وحسن العهد بالصفح والدعاء، وأمل باللقيا بجوار عزيز مقتدر، مع إدامة الدعاء والضراعة، والإبقاء على العمل الصالح للصاحب الراحل، الذي بدا للقريب والبعيد أنّكما مثل روح واحدة طاهرة، ومثل نسمة واحدة متآلفة.

وبعد فيا أم أوس، يا سَميّة الفضائل والبركات، ويا وسمية الأزمنة المباركة، جادك المولى برحمات متوالية تصل لمثواك البرزخيّ كالغيث ديمة إثرها ديمة، وأنار لك ربك المرقد ببدر وضاء، وببدور منيرة، وحمى مولاك مقدمك بأوس ينافح عنك

بدعاء صادق هو أقوى وأمضى وخير لك من الأنياب والبأس لأوس الحقيقي، وجعل الكريم وفادتك عليه حميدة عليك؛ إذ أقبلت إليه وأنت ثابتة على دين محمد، وعلى ملة إبراهيم، عليهما الصلاة والسلام.

وسمية المنصور الإنسانة*

أ.د.أمينة بنت عبد الرحمن الجبرين

بدايةً يسعدني أنْ أُرحّبَ بالجميع، وأن أتوجهُ بالشكرِ الجزيل إلى صاحبةِ السمو الأميرة نورة بنت محمد على هذه المبادرة المباركة، التي خصّتها، حفظها الله، لتكريمِ أستاذتِنا الغالية د.وسمية المنصور، رحمها الله، والشكرُ أيضًا لسعادةِ أ.د.نوال الثنيان على جهودِها الميمونة في إعدادِ هذا الحوار وتنظيمِه، كما أتوجهُ بالشكرِ الجزيل لكلّ من أسهمتْ في تزويدي بأيّ معلومة حول شخصية د. وسمية الإنسان، رحمها اللهُ، أخصُّ بالشكرِ ابنتَها ديمة بنت إبراهيم الشمسان، وزوجةَ ابنِها نورة السحيباني.

يقول شوقي:

فلا تحتقر عالمًا انت فيه ولا تجحدَ الآخرَ المنتظر

وكن رجلًا إنْ أتوا بعــده يقولون مرّ وهــذا الأثـــر

ليس أبقى من أن نتركَ أثرًا طيّبًا يكونُ لنا إرثًا ممتدًّا عبر الأزمانِ وعبر الحياةِ وعبر القلوب، وليس أرقى من أنْ نرتّبَ للناسِ أماكنَ في قلوبِنا، وليس أنقى من أن تجدَ لك مكانًا في قلبِ أحدِهم، فكيف إذا كان هذا المكانُ هو قلبُ حبيبتِنا أمِ أوس، كما تحبُ أنْ نسميها، رحمها الله وأسكنها فردوسه الأعلى، ذلك القلبُ النادر، الذي بهرَ الكثيرين، قلبٌ يتّسعُ للناسِ كافّة على اختلاف فئاتِهم ومشاربِهم؛ يتسعُ للصغير

* ألقي في جلسة (وسم وفاء لوسمية العطاء) في ٦/٣/٢٠٢٤م.

والكبير، للغني والفقير، للصحيح والمريض، للعالم والجاهل، هو قلبٌ مدهش، يحمله جسدٌ باسطٌ ذراعيه، يأبى إلاّ أن يحتوي الجميعَ بلا استثناء.

تلك النقيّة، اجتمعنا اليوم لأجلِها، كما اجتمعنا على حبِها، لها من المزايا والسماتِ والصفات ما يُعدّ، ولكنّه لا يُحصى، ولها من مواقفِ الإحسانِ والدعمِ والسندِ والمعاونة، ما يجفُ منه المِداد، وتنفدُ به الصُحُف.

كانت مواقفُها، رحمها الله، متنوعةً ونوعيةً في الوقتِ نفسه، فهناك مثلًا الدعمُ الخيري، وهناك الدعمُ الاجتماعي، وهناك الدعمُ العلمي، وهذه المحاورُ الثلاثة لا شك يلتقي بعضها مع بعضٍ في كثيرٍ من تفاصيلِها، ولعلّ الوقتَ يُسعفُنا لنتحدّثَ باختصار عن مواقفَ نوعيّة لكل شكلٍ من أشكال هذا الدعم.

نبدأ أولًا بالدعمِ الخيري؛ وهو دعمٌ تجسّدَ في العطاءِ المادي خارجِ وداخلْ المملكة، فقد كانت، رحمها الله، تجودُ بما تملك لأجلِ الخير؛ إمّا تفريجُ كربة، أو عطاءٌ مستمرٌ لا ينقطع، أو كفالة أيتام، وغيرها من أبواب الخير المفتوحة، وكانت رحمها الله تتلمّسُ حاجاتِ الآخرين، ولا تنتظر منهم أن يطلبوا منها ذلك، وكما ذكرتُ سابقًا، أنّ مواقفَها، رحمها الله، كثيرةٌ جدًا، لكنّي سأذكرُ منها ما يحضرني، وسأبدأ بموقفٍ لها مع إحدى الأخواتِ القائماتِ على مدارسِ اللغةِ العربية في بوركينا فاسو (زليخة عبدالرحمن كونغو)، حيث كانتْ د.وسمية تُخصصُ مبلغًا سنويًا لدعمِ هذه المدارس، تقومُ بجمع المبلغْ، ومن ثمّ إرسالهِ إلى الأستاذةْ القائمةْ على المدارس سنويًا دونَ انقطاع.

ويحضرني موقفٌ نوعيٌ آخر، يجسّدُ دعمَها الخيري داخل الوطن؛ فكما هو معلومٌ عنها أنّها كانت تُعينُ الجمعيات الخيرية وتسهمُ في تطويرها، وقد كانت تهتمُ كثيرًا لأمر الندوةِ العالمية للشباب الإسلامي، لأنها كانت، رحمها الله، تباركُ دورَ هذه المؤسسة في تنشئةِ شبابِ المسلمين في أفريقيا وغيرِها على العلمِ والتعلّم، وهذا الاهتمامُ منها، جسّدته في تبرعِها بسيارتِها الخاصّة للندوةِ العالمية للشباب الإسلامي، ومثلُ هذا العمل لا شك يندر تحققه.

ومن مواقفِ الدعمِ الخيري أيضًا؛ ما ذكرته إحدى الزميلات حين كانتْ في مكّة المكرمة أنّ د.وسمية طلبتْ منها أنْ تذهب إلى عددٍ من محلاّت التموين "البقالات"، وتسأل عن المبالغِ المسجلةِ ديونًا على الأشخاص، وطلبتْ د.وسمية منها تزويدَها بأسماءِ هذه المحلاّت، وذكرتْ أنّها سوف تحوّلُ لها مبلغًا حتى تسدد به هذه الديون، ونوعيّة هذا الموقف تتجسّد في حرصها، رحمها الله، على تتبّع مثل هذه الأمور، التي غالبًا نحن نعلم بوجودها، لكننا نغفل عنها للأسف.

ولو ركّزنا على هذه المواقفِ الثلاثة، لوجدنا أنّها لا تختصُ بشخصٍ بعينه؛ بل يَمتدُ نفعُها إلى عددٍ من الأشخاص، وهو ما يجعل هذا الدعمْ يكتسبُ صفةَ النوعية، غير أنّ ذلك لا ينفي اهتمامَ د.وسمية بالأفراد؛ بل إنّ مواقفَها مع العاملاتِ في الجامعة، وعُمّالِ النظافةِ في الشوارع، والعاملاتِ في منزلِها، والعاملين في المطارات، وعمّال الحرمين الشريفين كثيرةٌ جدًا، لا يمكن حصرُها، كما أنّ الوقتَ لا يسعفُنا لذكرِها.

وإذا انتقلنا بالحديثِ إلى مواقفِ الدعمِ الاجتماعي، وجدناها كثيرةً جدًا، فأمُ أوس، رحمها الله، شخصيّةٌ اجتماعيةٌ من الطرازِ الأصيل، تحبّ خدمةَ الآخرين، وتسعى إلى حلِ المشكلات المختلفة مهما كبُرتْ، ولعلّ أظهرَ مواقفِ الدعمِ الاجتماعي، كان وقوفُها، رحمها الله، مع أشقائِنا الكويتيين فترةِ غزوِ الكويت، حيث كانت لهم أمُّ أوس وطنًا، وهذا الموقف لا شكَ أنّه من المواقفِ الخيريةِ أيضًا، فكما ذكرتُ بدايةً أنّ محاورَ الدعمِ الثلاثة، يلتقي بعضها مع بعضٍ في تفاصيلِها كلِها، استقبلتْ أمُ أوس عددًا من الأسرِ الكويتية في منزلِها، وساعدتْ أسرًا أخرى على تأمينِ منازل لهم، وكانت تقضي يومَها كاملًا لخدمةِ هذه الأسر، فما كانت تعودُ إلى منزلِها إلّا في وقتٍ متأخرٍ من الليل، فضلًا عن عملِها في اللجنةِ التطوعية لخدمةِ الأسرِ الكويتية.

ومن مواقفِها التي تجسّد الدعمَ الاجتماعي أيضًا، موقفٌ حصل لي أنا شخصيًا معَها، رحمها الله، في أول يومٍ لي في قسمِ اللغةِ العربية، حين راجعتُ مرشدتي الأكاديمية لمشكلةٍ لديّ في إضافةِ بعضِ المواد، وحين دخلتُ مكتبَ المرشدة، كان يبدو عليها الإرهاقَ والتعب، فطلبتْ مني الخروجَ من المكتب، تضايقتُ كثيرًا لذلك، وكنت حائرةً لا أعرفْ ماذا أصنع، فإذا بصوتٍ يناديني "تعالي يا بنيتي، قولي لي وش فيك"، ذهبتُ باتجاهِ الصوت، كانتْ د. وسمية، لم أكنْ أعرفْها من قبل، لحداثةِ انضمامي إلى القسم، فاستضافتني في مكتبِها، وقدّمتْ لي القهوة، ثمّ أخذتْ جدولي

وعدّلتْ لي ما أحتاجُه، وقالتْ لي بكلِ لطف: التمسي العذرَ لمرشدتِك، فالضغطُ عليها اليومَ مضاعف.

ومثلُ هذه المواقفْ كثيرةٌ جدًا، كما ذكرتُ سابقًا، لكني ذكرتُ ما يحضرُني منها، وما يسمحُ الوقتُ بذكره.

أمّا آخرَ المحاورِ الثلاثة، وهو الدعمُ العلمي، فالمواقفُ فيه تعدُ ولا تحصى، فقد كانتْ لها، رحمها الله، وقفاتٌ كثيرةٌ جدًّا مع طالباتِ البكالوريوس والماجستير والدكتوراه، ومنْ يعملنَ على بحوثِ الترقية من الزميلات، إذ كانتْ تقترحُ الموضوعات، وتزوّدُ بالكتب، وتراجعُ بعضَ البحوث، وتعملُ على تحريرِها، وأجزمُ أنّ أغلبَ الزميلاتِ الحاضراتِ اليوم يؤكدنَ ذلك، ولعلّي أذكرُ موقفين لدعمِها العلمي غيرِ المحدود، وما خفي بالتأكيد كان أعظم، كما أنها ليست على سبيلِ الحصر؛ لكنّها هي التي تحضرني الآن، إذ تذكرُ إحدى طالباتِها أنّها في حديثٍ عابرْ مع د. وسمية، ذكرتْ لها كيف أنّها طلبتْ من ابنتِها ذاتِ الثلاثةَ عشرَ عامًا، الانسحابَ من مسابقةِ محمد بن راشد لتحدّي القراءة، خشيةَ أن يؤثرَ ذلك على تحصيلِها الدراسي، مع أن الابنةَ كانت شغوفةً بالقراءةِ الحرة، ووصلتْ إلى مرحلةٍ متقدمةٍ من مراحلِ المسابقة، إلّا أنّ الأمَ منعتَها من المواصلة، حينئذٍ غضبتْ د.وسمية، رحمها الله، كثيرًا، ولامت الأمَ على موقفِها، وذكرتْ لها أنّ موهبتَها لا تتناقض إطلاقًا مع تحصيلِها الدراسي، بل إنّ ذلك من شأنهِ أن يُدعّم تحصيلَها الدراسي، تقولُ الأم لذا ندمتُ كثيرًا على أني فوّتُّ على ابنتي هذه الفرصة، وأخذتْ على نفسها عهدًا أن تدعمَ

ابنتَها، وبالفعل وقفتْ الأمْ مع ابنتِها إلى أنْ انضمّتْ إلى مؤسسة الملك عبد العزيز ورجالِهِ للموهبةِ والإبداع "موهبة"، ولم تكن د.وسمية حينئذٍ بمنأى عن ذلك، بل كانت ، كما تذكر الأم، في تواصلٍ مستمر معها، وطلبتْ منها أنْ تقابلَ ابنتَها الموهوبة لتشجيعها، وكانت تدعمُها بالكتب تارة، وبعباراتِ التشجيعِ تارةً أخرى، وفي إحدى المرّات قررتْ الابنةُ المشاركةَ في مسابقة "آيسف" ببحثٍ علمي طبي حول اكتشافِها لعشبةٍ تُثبّطُ انتشارَ السرطانِ في الجسم، إلّا أنّ موهبة طلبت منها ضرورة أن يكون لها مشرفٌ يشرف على بحثِها، تقول الأم في ذلك الوقت لم يخطر ببالي سوى د.وسمية، تواصلت معها وكانت سعيدة جدًا بالخبر، لكنها اعتذرت لبعدها عن التخصص، ولم تقف عند ذلك بل تواصلتْ مع د.أوس، والدكتور أوس هو الابن البكر للدكتورة وسمية رحمها الله، وهو الأمين العام للهيئة السعودية للتخصصات الصحية، طلبتْ د.وسمية من د.أوس أن يتولّى موضوع هذه الموهوبة، وبالفعل طلب من أحد زملائه الإشراف على بحثها، ووقف معها هو والدكتورة وسمية إلى أن فازتْ بالجائزة مع فريق الطلبة السعوديين. والأم ترجع الفضل بعد الله في ذلك للدكتورة وسمية رحمها الله.

أمّا الموقف الثاني فهو لإحدى طالباتها أيضًا، تذكر فيه كيف وقفتْ معها د.وسمية حين تعذّر عليها حضور اختبار إحدى المواد لظرفٍ خارج عن إرادتها، وهو أمر سيترتب عليه الحرمان من المادة، حين علمتْ د. وسمية بذلك تواصلتْ هاتفيًا مع الطالبة وذكرتْ لها أنها أخذتْ الموافقة من القسم بأن تتولّى هي اختبارها في مكتبها،

قالت لها "تجهزي للاختبار غدًا ولا تحملي همّا". والغريب في ذلك أنّ المقرر لم يكن مقرر د.وسمية، بل كان مقرر إحدى الزميلات، ومع ذلك وقفتْ معها د.وسمية دون حتى أن تطلب منها الطالبة ذلك، وهو صدقًا ما يميّز د.وسمية، أنها تبادر ولا تنتظر.

وتذكر إحداهن موقفًا للدكتورة وسمية لن تنساه، وهو أنّ د.وسمية رحمها الله قد قدّمتْ الاختبار النهائي للشعبة لأن موعد ولادتها قد يتوافق مع موعد الاختبار، لذا طلبتْ من القسم تقديم الاختبار حتى يتأتّى للطالبة تقديمه قبل موعد ولادتها.

ويحضرني ختامًا أن أشيرَ إلى د.وسمية بوصفها أيقونةً للوفاء، فمواقفُها، رحمها الله، في الوفاء كثيرة جدًا، ولعلّ الكتاب الذي أعدّه أبناؤها عن أبيهم زوجها أ.د.إبراهيم الشمسان، هو أصدقْ وأعمقْ قصةْ وفاء، الكتابُ بعنوان "أبو أوس إبراهيم الشمسان"، اشتمل على مقالات وكلمات وأبيات وشهادات وقراءات وأبحاث مهداة، دعت ، رحمها الله، بحماسة زملاءه وطلابه للمشاركة في الكتابة عنه، هاتفتهم وأقنعتهم فاستجابوا وكتبوا كتابات تنبضُ بمشاعرِ الحبِ والتقدير، بدأت الكتابَ، رحمها الله، بمقالةٍ لها عن أبي أوس العالمِ والباحثِ والإنسان، وقد ختمتها بقولها: "الحديثُ عن الشمسان الإنسان لا يقلُ عمقًا عن العالمِ والباحث، ونكتفي بالقليل ليشيرَ إلى الكثير"، وكانت آخر الأبحاث بحث لها ينشر لأول مرة.

ولنا نحن، في قسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود مع فقيدتنا الكثير الكثير من مواقف الوفاء، ممّا لا تحصرها الكلمات، وتعجز عن وصفها المشاعر، فقد ظلّتْ في

تواصلٍ مستمر مع منسوبات القسم حتى بعد تقاعدها، رحمها الله، تسأل دائمًا عن أحوال القسم، وتحرص على حضور فعالياته المختلفة، وتبارك نجاحات عضواته وتَقدّمهن، وتُبادر بمساعدةِ الباحثات، وتزويدهنّ بالمراجع، واقتراحِ منافذِ النشر، والتواصلِ مع هذه المنافذِ لمساعدةِ هذه الزميلة أو تلك في نشِر بحثِها أو كتابِها، وغيرُه الكثير الكثير ممّا لا يمكن حصرُه.

لا شكّ أنّ الحديثَ حولَ د.وسمية يطول، واسترجاعَ مواقفِها يحتاجُ إلى كتبٍ ومؤلفات، غير أننا هنا رأينا الوقوفَ على المواقفِ النوعيّةِ لها، رحمها الله، التي تظهر قدرَ الجانبِ الخيّرِ في شخصيتِها، الذي نالَ البعيدَ قبلَ القريب، والغريبَ قبلَ الصديق.

هذا والله أسأل أن يجزيها عنّا جميعًا خير الجزاء، وأن يفتح لها أبواب رحمته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كانت تنادينا بناتي

ثمرة درهوم البقمي

ماجستير اللغة العربية وآدابها

أمّا غاليتنا الأم قبل كل شيء للجميع الدكتورة وسمية المنصور، رحمها الله، فنحن لا نتحدث عن شخصية تمرّ بنا بشكل عادي، بل نتحدث عن شخصية أثبتت وجودها في قلب كل من مرت به، كان لي الشرف والحظوة بلقائها في مرحلتي البكالوريوس والماجستير، تعطي من علمها ما استطاعت وفي أي وقت، مرحبة بطالباتها، وهي بذلك أدت زكاة علمها.

كم هتفت ونادت: (بناتي)؛ هكذا كانت تسمينا دائمًا، نعم كانت لنا أمًّا ثانية حانية، تسأل عن كل واحدة منّا، تحاول حلّ المشاكل التي تواجهنا بقدر ما تستطيع.

كنا نخطط بقلوب تملؤها البهجة وتسعدها جميل الانتظار للقائها كما اعتادت بين الوقت والآخر أن تقابلنا؛ لكن مشيئة الرحمن كانت أسرع، فحالت الوفاة دون الوفاء، ولكن عزاءنا أن هذه الدنيا ممرّ لا مقرّ، ولقاؤنا الأبدي في جنات النعيم إن شاء الله.

ستظل أكفّ بناتك ضارعة إلى الله أن يتولاك برحمته وأن يسكنك فسيح جناته وأن يجزيك عنا خير الجزاء، إنه الرحمن الرحيم.

وفي رحاب السلام

في ودائع الغالية د. وسمية بنت عبد المحسن المنصور

د.حنان عبدالمحسن التويجري

الرحيلُ حقٌّ، والفقدُ ألمٌ، وفي الصبر ثوابٌ وملاذ. معادلةُ الموت التي نركنُ إليها مع كلّ فقدٍ لحبيبٍ، ووداعٍ لغالٍ ملكَ القلوب، وشقَّ على الأنفس غيابه. اليوم ومع رحيل الغالية على قلوب كلّ من عرفها، الفاضلة (أم أوس) -كما تحب أن تنادى- الدكتورة: وسمية بنت عبد المحسن المنصور تتجدد تلك الآلام، وتتزاحم المشاعر بين وصبٍ وتسليم، حزن وإذعان لمشيئة خالق الكون وأقداره – سبحانه- اللطيف بعباده، فيا ربنا لك الحمدُ على قضائك، وإليك الملجأ لجبر الخواطر، وتسكين الأوجاع.

فقيدتنا المُحبّة للحياة والناس والخير آلمتْ قلوبنا لفراقها، وأشعلت في العقول وميضًا من الذكريات، والعبر التي تؤكّد لنا الحياة -في كل مرة- سدادها. الابتسامةُ المشرقة والكلمة الطيبة، والصدق العفوي، والعطاء الجزل، والعمل المُخلص، والوطنيّة الحقة اجتمعت ببساطةٍ ودون تكلّف أو ادّعاء في غاليتنا الراحلة. عاشت الحياة بحبٍّ لكل تفاصيلها، وأدركت قيمة النعم بكثرة حمدها وثنائها على الواهب الكريم، ما أعظمه!

كانت أمًّا عطوفًا لطالباتها وأختًا ودودًا لزميلاتها، وسندًا وعونًا لكل من لجأ إليها، واستجار بنصحها توجيهاتها. لم أطرق بابها يومًا إلّا والأحضان الحانية في استقبالي،

كلماتها التي ودعتني بها -عند معايدتي- لا تزال تطرق مسامعي لتواجهني بحقيقة ترسخ في الأذهان، ويتزعزع أمامها الكثير: **"أكّدت لي أزمتي الصحيّة الأخيرة ضرورة التماس الأعذار للناس، والتغاضي عن تقصيرهم، وافتراض الظن الحسن بهم دومًا لنحيا بسلام".**

أسألُ الله لكِ أيتها الحبيبة سلامًا و نورًا وحبورًا، وأن يُكرمك الرحمن أضعاف كرمك مع خلقه في دنياك، و يثقّل موازينك بما قدمته من علمٍ وعملٍ صالح في حياتك، وأن يُنزلَ الثبات والصبر على قلوب محبيك، وأسرتك الذين كانوا دومًا مصدر زهوٍ وفرحٍ في حياتك، حبيبك ومهجة قلبكِ أستاذنا الفاضل (إبراهيم الشمسان)، وأبنائكِ: أوس، وبدر، وديمة، وبدور.

الحمد لله على تقدير الله الحمد لله على قضائه

سهى أبا حسين

رضينا يا رب ولا نقول إلا ما يرضيك

إنا لله وإنا إليه راجعون

قلوبنا ملأى بالألم على فراق غاليتنا الدكتورة وسمية المنصور

القلب النابض بالحياة الذي لا يعرف الملل من حب الناس ومنحهم ابتسامة ملؤها الاحتواء والمودة لهم.

كنا ننتظر لقاءها الجميل والممتع الذي يضم نخبة من الشخصيات المتميزة والشامخة في محراب العلم والمجتمع الذي تنتمي إليه، والذي يضفي على الجلسة أجواء متنوعة بين المعرفة والقصة والذكر المبارك و الذكريات الجميلة بمشاعر سعيدة ونفوس مبتهجة، مع وقفات إيمانية على ألسنة متنوعة، فالكل يشارك ويسهم بما لديه من إضافة نافعة وممتعة في الوقت نفسه.

مجالسها لاتمل ولا يمكن أن نعتذر عنها؛ بل كنا ننتظرها بشغف بالغ وروح تواقة. وكيف لا !؟

فالمجلس مجلس مبارك بما فيه من أشخاص وموضوعات وطرح متميز.

آخرلقاء بها كان في بيتها قبل أشهر قليلة.

قالت : عمري الآن ٧٢ أو ما يقارب ذلك.

ولست خائفة من الموت لأني مستعدة له.

والحمد لله حققت الكثير من الإنجازات.

ولا تحرموني من دعواتكم فأنا أحتاج الدعاء دومًا).

أما أنا فلي معها موقف لا أنساه لها ما حييت؛ قد فرجت لي، فرج الله عنها من فرج يوم القيامة؛ فقد كان عندي اختبار لإحدى المواد أيام دراستي الماجستير، ولكن يتعذر علي الحضور ونظام الجامعة لا يسمح بالاعتذار فقد يكون حرمانًا للمادة إذا تغيبت.

قامت الدكتورة وسمية بالاتصال بي هاتفيًّا، وقالت (لا يهمك الاختبار سيكون عندي في غرفتي في الجامعة ، تجهزي للاختبار غدًا ولا تحملي همًّا)

وكلمت هي نفسها القسم وبلغتهم عذري، فكانت موافقة القسم وجرى الاختبار وانتهى كل شيء الحمد لله.

كلما تذكرت موقفها هذا شكرت الله أن منحني معرفتها، فقد كانت الاستاذة التي تجسد معنى الإنسانية في شخصيتها وسباقها إلى قضاء حوائج الناس فلله درها.

علمًا أنها لم تدرسنا الا مادة (أساليب البحث العلمي) الفصل الأول فقط.

لكنها كانت تحرص على لقاءاتنا بين الحين والآخر، وتقول : هذا بر، لا تقطعوني. فتوالت اللقاءات مرارًا.

كانت لنا أمًّا وأختًا وصديقة، وقبل ذلك أستاذة في علمها الدقيق والوافر الذي نهلنا منه ولم نرتوِ بعد؛ فقد حال بيننا الفراق الموجع .

سبحان من جعل النفوس ترتاح لهذه العلاقة المتينة التي كانت هي من سعى في بنائها واستمرارها.

ورغم اختلاف الأعمار لم نشعر بهذا الاختلاف فكل منا يشعر بحبها له، فالمحبة نعمة، والنفوس إذا توافقت نعمة أخرى فسبحان من قرب النفوس وألف بينها.

إلى جنة الخلد يا حبيبتنا أم أوس

جمعك الله بمحبيك من أهل بيتك وطالباتك وأصحابك وكل من عرفك على سرر متقابلين في جنة الفردوس تتنعمون بنعيم الجنة المقيم .. آمين.

الرياض ١٨/ ١٠/ ١٤٤٤هـ

في وداع د. وسمية*

عبير محفوظ علي الطلحي
جامعة الملك سعود

لا شك أن فقدها فجيعة لكل من عرفها، فكيف بمن تتلمذ على يديها واقتبس من نور إنسانيتها؟! عندما سمعت الخبر -وكنت حينها في مكان عملي- ذُهلت عنه وكأني لم أسمعه، وظللت حوالي الساعة أعمل وأتعامل كأنه لم يبلغني، بعدها شعرت أن البكاء يفيض -رغما عني- من أماكن عميقة في روحي ويصبّ في عينَي. لا أكتب اليوم لأبكيها أو لأتحدث عن فقدها الذي لا يُملأ؛ فكما قال الشاعر:

وَأَفجَعُ مَن فَقَدنا مَن وَجَدنا قُبَيلَ الفَقدِ مَفقودَ المِثالِ

بل أريد أن أتحدث اليوم عن إنسانيتها في أستاذيتها التي ندر مثيلها. عندما يعطي الأستاذ المقررات حقها، وينصف الطلاب في درجاتهم، ويكون موجودًا متى ما احتاجوه في ساعاته المكتبية فنعم الأستاذ هو! لكن ماذا نقول عمّن كانت لا تغلق بابها أبدا؟! كان باب مكتبها مفتوحًا دائمًا، ترحب بكل من يمر من أمامه، وتدعوه للدخول، وتقدم له الضيافة، وتسأله عن أحواله، ولم يكن هذا بعد أن شرفنا بمزاملتها في القسم؛ لا بل ونحن طالبات صغيرات في مرحلة البكالوريوس لم تجاوز إحدانا العشرين، ربما كانت تقتحمنا العيون في المجالس وتستصغرنا أن نجالس النساء الكبيرات قدرًا

---

* نشر في الجزيرة الثقافية في الجمعة/السبت ٢٢-٢٣ شوال ١٤٤٤هـ/ ١٢ مايو ٢٠٢٣م. ع ١٨٣٢١.

وعمرًا، بينما كانت هي ترحب بمن تمر منا على مكتبها وتسألها عن أحوالها باهتمام وتشجعها وتدعمها.

كانت -رحمها الله- تأخذ الطالبات المتفوقات إلى مستوى أعلى، فلا تكتفي بما يأخذنه في قاعات الدرس. أذكر أنها -رحمها الله- دعتني أنا وصديقتي د. فاطمة العتيبي الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، وكنا يومها طالبتين في المستوى الثالث من مرحلة البكالوريوس- دعتنا إلى القراءة في التراث، وخصصت لنا جلسة دورية في مكتبها نقرأ فيها معها من كتاب (عيون الأخبار)، كنا نجلس في تلك الجلسات روحين غضتين تتشبعان دروسًا عظيمةً لا تُنسى، وعقلين صغيرين مشدوهين أمام التراث وأمام تواضع هذه الأستاذة العظيمة التي تشاركنا القراءة والمناقشة.

أخذتُ مادة (بحث التخرج) معها، واقترحتْ على الطالبات في تلك الشعبة موضوعات للبحث، وكنت حينها ذات شخصية قوية، أقوى بكثير من يومنا هذا، وأكثر قوتها كانت مستمدة من الجهل وقلة الخبرة، فطلبتُ منها أن أختار موضوعي بنفسي. لم توافق فحسب؛ بل شجعتني وفرحت بي ودعمتني في فكرة بحثي، وبعدما أنهيته طلبت مني أن أحضر جهازي الحاسب المحمول، وأخذت توجهني للتعديلات في كل سطر وهامش وبنط خط ... هي توجه وتعلّم وتشرح وأنا أعدّل، ثم قدمتْ بحثي إلى جائزة مركز البحوث ففاز بالجائزة. ظلت تفتخر بي بعدها سنين، وتعرّف بي قائلة: "هذي بنتي عبير، فازت بجائزة مركز البحوث، أعطيت البنات موضوعات وقالت: لا، أريد أن أختار موضوعي"، تقولها وهي تضحك مفتخرة، ولا تنسب

لنفسها أي شيء من الفضل، مع أن الفضل كله لها بعد الله، فأي تواضع وأي دعم وأي إنسانية!

ثم بعد ذلك تأتي مواقفها معي أثناء إشرافها على رسالة الماجستير ويوم المناقشة، التي تقصر هذه المساحة عن ذكر شيء من تفاصيلها؛ لكنها ستظل عمرًا محفورة في قلبي وروحي.

د. وسمية، ستذكر دائمًا تلميذاتك صوتك بندائك اللطيف لكل واحدة منا (يا بنتي) و(يا يمه). كنتِ وسمية، مطرًا صيّبًا نافعًا أمطر حياة كل من عرفك، وأنتِ وسمٌ في قلوبنا وأثر باقٍ لا يستطيع الموت محوه. أمطر الله عليك رحمته وغفرانه، وجمعنا بك في مجالس الجنة (يا يمه).

وَسْمِيَّة

إذا فاق الاسم الصفة*

د. علي المعيوف

جامعة الملك سعود

موسم الوسم في ذاكرة عربي الصحراء مرتبط بالخير، يحمل معه بشائر الخصب والربيع، فمطره عند العربي هو أنفع المطر للأرض عنده، وإذا تتابع المطر فيه ربت رياض الصحراء، وتألق ربيعها بإذنه الله، وبمطره تظهر الكمأة بإذن الله، إنه موسم البشائر. ومن عرب الجزيرة من يطلق عليه الوسمي.

أ.د. وسمية المنصور شخصية نادرة، ارتبط اسمها باسم هذا الموسم المحبَّب المنتظَر إقباله كل عام، وتحلّت بكل سمات الخير والفضل والنبل الذي جعل من يتعامل معها يراها موسم الوسم الإنساني، لا تحمل إلا البشائر، ولا تقدم إلا العطاء بلا منة، العطاء بلا حدود، العطاء الذي يثمر في مَن تتعامل معهم الخير، كما يثمر مطر الوسمي المتتابع في الرياض، وهي كالمطر في ذلك العطاء لا تنتظر من المقابل شيئا سوى أن تراه وقد نجح وتعلَّم وتقدم.

---

* نشر في صحيفة رسالة الجامعة، جامعة الملك سعود، ع ١٤٦٦ في الأحد ٢٤ شوال ١٤٤٤هـ/ ١٤ مايو ٢٠٢٣م. ص٥.

حين تتكلم عن أستاذة بحجم أ.د. وسمية المنصور فأنت تتكلم عن مزيج من المكونات التي لا يمكن أن تخطئها النفس التي تتعامل مع هذه الشخصية العظيمة، فالنبل والفضل والخلق الكريم وكرم النفس والبذل ومعنى الحرص على العلم والتعليم وبذله للراغبين فيه بحب عظيم وعطاء متدفق وحرصٍ على نجاح الطرف المستقبِل كل هذا وأكثر شيء مما يميز هذه الشخصية العظيمة، وقد وقفت على عددٍ من المواقف لأستاذتنا التي تتجلى فيها صفات الإنسانية والنبل والعطاء والصدق حتى ترى هذه المعاني مع أستاذتنا محسوسة لا تخطئها المشاعر.

إنني على يقين أن كل من يقرأ هذه الأسطر القليلة جدًا في حقها من الذين تعاملوا معها سوف يستحضرون كل ذلك وأكثر من الجمال الذي تحلَّت به أستاذتنا وسمية، ومن أصدق ما يعبر عن ذلك التقديم الذي كتبه الدكتور إبراهيم التركي في العدد الذي خصصته الجزيرة الثقافية لتكريم أ.د. وسمية المنصور، وعنون التقديم بـ(تظاهرة حب)؛ إذ قال: "تظاهرة الحب ليس مجرد قول عابر، بل حقيقة أحس بها الزملاء في الثقافية وهم يُعدّون هذا الملف من لدن إعلانه حتى عنوانه، فلم يقف الهاتف والبريد الآلي عن الاستفسار والاستقبال والسؤال والترقب تكريمًا لأستاذة جيلٍ بدا لنا عبر ما قرأناه وسمعناه أنها تجاوزت مرحلة البذل التأليفي والتميز المعرفي والقدرة الإيصالية إلى المحبة الجميلة التي زرعتها في نفوس وقلوب زميلاتها وطالباتها. وهو ما يجعلنا مقتنعين أن هذا الملف عن الدكتورة وسمية ممتلئ بالمشاعر فوقَ إضافاته المعلوماتية والتخصصية". وما قاله د. إبراهيم التركي في هذا التقديم هو الحقيقة التي

يعرفها كل من تعامل يومًا ما مع أستاذتنا، وإذا كان في المواسم وسم ففي البشر وسمية.

رحم الله أستاذتنا وأعلى منزلتها في عليين، وألهم أستاذنا أ.د. إبراهيم الشمسان وابنه أ.د. أوس بن إبراهيم الشمسان الأستاذين في الجامعة وجميع أبناء وبنات الأستاذة وسمية وأسرتي الشمسان والمنصور، وطالبات الأستاذة وسمية وزملاءها وزميلاتها وكل من يعرفها الصبر وعظم لهم الأجر.

في وداع والدتنا د. وسمية المنصور*

عمرة بنت ثاري الرشيدي

وزارة التعليم

كنّا نرتب هذا الأسبوع للقاء مع الأستاذة الدكتورة وسمية المنصور لزيارتها في الكويت، فقد وجّهت لنا الدعوة لكي تجمع طالباتها في السعودية مع طالباتها في الكويت، وكانت خطتها أن تعرّفنا مع بعض. أغلب طالباتها هن أستاذات جامعيات في الوقت الراهن وبعضهن في طور مناقشة أطروحاتهن للدكتوراه.

لقد فجعنا بخبر رحيلها المفاجئ. صعقت حينما قرأت الخبر في خبر حالة الواتسآب لإحدى صديقاتي من طالباتها، لم أصدق ما قرأت، وصرت أبحث في كل حالات الواتسآب لطالباتها. لقد انهرت وانخفض ضغطي ووجدتني في الإسعاف من هول الصدمة المفاجئة. كانت تربطني بها علاقة أم وبنتها أكثر من أستاذة وطالبتها، وطافت في ذهني كل الصور والمواقف التي عشناها مع بعض. تذكرت «مجموعة وثّاب أساليب البحث» التي أنشأتها على الواتسآب كي نكون معًا، وبها نتواصل ويهنئ بعضنا بعضًا في المناسبات الجميلة. هذه المجموعة شهدت أفراحنا معًا، وها هي اليوم تشهد نعي صاحبتها.

* نشر في المجلة الثقافية-صحيفة الجزيرة في الأحد١٧ شوال ١٤٤٤هـ/ ٠٧ مايو ٢٠٢٣م.

كم هو مؤلم فراقك يا غاليتي، رجعت للرسائل بيني وبينك، وجدتها للتوّ مكتوبة فكم هي جميلة وكم هي مؤثرة، استمعت إلى رسائلك الصوتية، صوتك الحنون العذب الهادئ وهو يهتف في أعماق قلبي: «هلا بنيتي حبيبتي.. هلا هلا.. أنا أكون سعيدة جدًّا بوجودكم، وإذا غبتم عني..ليس لي إلّا أن أنتشي بالذكريات وبقعدتكم وأناقتكم وبروحكم الحلوة.. مجرد إطلالة إلى قلبي أجدكم، أنتم أيضًا تضيفون لي. عمرة: تأكّدي أنتم تضيفون لي كثيرًا من البهجة، وتضيفون لي إحساسًا بالحياة...» رحلتِ ولم يبقَ إلا الذكريات، ففي أوج حزني وانهياري تسلّلتْ إلى قلبي بسمتُك الطاهرة، تلك البسمة المملوءة بالحب والعطاء، ابتسامة أمّ، وكأني أسمع صوتك الحنون ذلك الصوت الذي طالما انتزعني من آلامي وخيباتي التي لم أبح لك بها من قبل. كنتِ تفهمين بناتك من نظرة خاطفة إلى عيونهن. في لحظة اليأس التي مررت بها يسري إلى مسمعي صوتك وأنتِ تقولين: «أنا ما أخاف من الموت، أنا وصلت إلى هذا العمر وعشت حياتي الجميلة، وسعدت بإنجازاتي، وفرحتي كبيرة بالناس الكثيرين من حولي، الذين يحبونني ويخافون عليّ، أعلم بحبكم لي؛ وهذا يكفيني». كانت هذه الكلمات آخر ما سمعته منكِ أثناء زيارتنا الأخيرة لك في منزلك بالرياض.

عدت مرارًا لكي أقرأ وأسمع رسائلك وأصغي من جديد إلى ما قلتِه لي وأدركت أن ما سمعته سابقًا كانت دروسًا وإشارات داعمة، وهي اليوم كنوز أضاءت دربي وستبقى نورًا وضّاءً لكل مسالكي في الحياة، أنتِ مدرسة الأخلاق. لو تعلمين مدى

الحزن الذي استولى على قلبي ولن يزول، ولهذا فإني أستنجد بذكرياتك الخالدة المستوطنة لكياني وروحي.

إنني وأنا أكتب هذه اللحظة تلوح أمامي ابتسامتك، كم هي رقيقة حانية جميلة، تذيب التعب، وتمحو الألم، وتشرح الصدر، وتفتح العقل نحو الجمال والخير والحق. صوتك الجميل يقول لي: «بنتي حبيبتي لا تزعلين، خلتش قوية»، هذه الكلمات طالما سمعتها منك أثناء انكساراتي العاطفية وهزائمي في سجالات الحياة. كنتِ الأم الحاضنة والمربية الفاضلة والمعلمة المتفانية، كنتِ تجمعين طالباتك في دارك العامرة بالعلم والذكر، طالباتك اللاتي حظين بشرف تدريسك لهن، وأخذتِ على عاتقك مهمة تقريب بعضهن من بعض بالحب والوفاء والعلم. كنت تحلمين أن نلقى طالباتك وبناتك في الكويت الحبيبة اللاتي كنتِ تتحدثين عنهن بكل حب وفخر وسعادة. نحن اليوم جميعًا نتمنى أن الخبر الذي اغتال بهجتنا كان مجرد كابوس كاذب سنفيق منه ونراك أمامنا رأي العين، لكن هيهات هيهات يا حبيبتي وأستاذتي الغالية «ماما وسمية» هذا الاسم الذي طلبتِ منا أن نناديك به دون ذكر لقب دكتورة، حتى نشعر بقرب بعضنا من بعض، وكنتِ تفرحين بذلك. كنتِ بحقّ أُمّنا جميعًا والصديقة القريبة والأستاذة المعلمة، نهلنا من علمك الجليل واكتسبنا من معارفك الواسعة التي يجمعها التجدّد والتميّز وتتلوّن بألوان الجمال والسعادة. تعلّمنا من خبراتك الطويلة، وأفدنا من دروسك المثرية وعملنا بنصائحك التي تُعدّ حكمًا رزينة مدروسة. كلماتك كانت نبراس الجمال، فما إن تتحدثين حتى أتمنى أن يستمر

حديثك ولا ينقطع. كم هي رائعة تلك الكلمات الملهمة، ترمم العثرات وتبني آمالًا وتنتج ثمارًا بهيّة يانعة. يشهد الله أنك فريدة في كل شيء رائع وجميل. برحيلك فقدتُ حبًا حقيقًا، أنتِ رمزُ الحب ورمز الوفاء والعطاء، يا مدرسة مشرقة بجليل الخلق وبمنهج العمل، ويا أستاذة في حب العلم وطلبه بإخلاص، يا مانحة الناس من حولك الحب والسلام، يا صادقة المشاعر وعزيزة النفس وكريمة السجايا؛ أعزي نفسي وأعزي كل من عرفكِ وأعزي زوجك الفاضل الأستاذ الدكتور إبراهيم الشمسان الذي طالما حدثِنا عن محبتك وعشقك له ومدى إخلاصه وصدقه باعتباره نموذجًا إنسانيًّا نادرًا، وأعزي أبناءك الكرام د. أوس والأستاذ بدر، وكريمتيك ديمة وبدور، وصديقاتي زوجات أبنائك وكل عائلتكم الكريمة. كما أعزي جامعة الملك سعود والأوساط العلمية وبلادنا بأكملها لفقدان هذه القامة العلمية الشامخة في علوم اللغة وآدابها.

لقد شعر من حولي بما أعانيه من مأساة فصار الجميع -حتى من لم يلقَكِ من أقاربي وصديقاتي- يواسيني في فقدك ويترحّم عليك ويدعو لكِ بجناتٍ عرضها السموات والأرض أعدّت للمتقين؛ فأنت محبوبة الجميع صاحبة النفس التقيّة النقيّة الطاهرة... وداعًا ماما وسمية.

وسمية أم الخليج العربي

د. عواطف حمد القنيبط

في غمرة الحزن والفراق، تعانق ذكريات صديقة العمر، د. وسمية المنصور (أم أوس)، أم الخليج العربي، قلوبنا كأمواج حزينة ترسم لوحة فراق مؤثرة بعد رحيلها. ومعرفتها لما يزيد عن ٢٥ عامًا. يترك رحيلها فراغًا عميقًا، حيث كانت قاموسًا حيًّا للصداقة والتفاني. كلماتها ودعمها يبقيان مصدر إلهام، وابتسامتها الدافئة تزرع بذور الفرح في ذاكرتنا. رحيلها لن يمحي بصمة الوفاء والمحبة، بل سنظل نحملها في قلوبنا كتحفة لا تُنسى. ندعو لها دائمًا بالرحمة والغفران، وفي آخر كلمات الوداع نجمع: "رحمك الله وأسكنك فسيح جناته، د.سمية المنصور، أم الخليج. ستظلين محفورة في ذاكرتنا إلى الأبد".

غابت عنا ولم تغب ذكراها

أ.د. فتحية حسين آل عقاب
جامعة الملك سعود

الكتابة عن الراحلين يعيد الأحزان على الفراق، وبعض الراحلين لا يغيبون عنا مهما تقادم الزمن، حتى لو كانت معرفتنا بهم مدة قصيرة، من هؤلاء د. وسمية المنصور....

(أم أوس)

فقد غابت عنا ولم تغب ذكراها ولا حسن سيرتها، رحيلها أثر في قلوبنا بشدة.

عرفتها حين قدمت إلى الرياض قبل عشرة أعوام وخلال فترة قصيرة وجدت لها عمق الأثر في القلب ، إنسانة رائعة وملهمة. محبة ومتفهمة، لبقة في حديثها معنا، دائمًا مستعدة للوقوف بجانب الآخرين في الأوقات الصعبة والسهلة على حد سواء، كانت قادرة على إضفاء السعادة على حياة كل من يعرفها. وتقديم العون و المساعدة، في الترح والفرح ، و من المواقف التي جمعتني بها ولن أنساها كنا سويًا في بيت صديقتنا د. عواطف القنيبط، وفجأة ألمّ بي مغص كلوي، أذكر تمامًا كيف بدا عليها خوف الأم وقلقه؟ وكيف أصرت على ذهابي للمستشفى، وطلب سائقها. ولأنه تأخر في الوصول اسعفتني الغالية د. عواطف ونقلتني إلى المستشفى.

كانت د. وسمية المنصور نموذجًا للصداقة الحقيقية. بهذه السيرة أكدت لنا أنه فيه ناس تصل متأخرة في حياتك ولكنها تسبق ناسًا صار لهم عمر، وهذا أكبر دليل على أن القرب والمحبة لا علاقة لها بالزمن و عدد السنين، بل من يحمل لك المحبة والنية الطيبة هو المحك الذي تقف عنده في تقديرك لمن حولك.

لقد تركت صديقتنا الراحلة أثرًا كبيرًا في حياتنا، ولن ننسى أبدًا ذكراها. ستظل ذكراها حية في قلوبنا وذهننا بما نحمله لها من ذكريات جميلة واحترام عميق لها.

وسندعو لها دائمًا: رحمك الله وغفر لك حتى لا يبقى من المغفرة شيء، وأدخلك فسيح جناته، د. وسمية المنصور جزاك الله خيرًا على كل شيء ووداعًا. ستبقين في قلوبنا إلى الأبد.

في الاحتفاء بوسمية المنصور

د. فوزية بريون
الولايات المتحدة الأمريكية

جلست مرات عديدة للكتابة عن الفقيدة العزيزة الحاضرة الغائبة، الدكتورة وسمية المنصور ... توسلت خلالها إلى قلمي أن يفكّ عقاله وأن يعينني على التعبير عن مشاعري التي أكنها لأختي التي عمرت ركنًا من قلبي ووجداني منذ أن تشاركنا في حقبة من حياتنا في قسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود وفي خارجه. لكن القلم أبى أن يمُنّ عليّ ولو ببعض السطور ... فقد استعصت العبارات وتعثّرت الكلمات وضجّت المشاعر في داخلي محتجّةً ومتسائلة: أتبكينها الآن؟ أترثينها أمام الملأ؟ أوَتقدرين على ذلك؟!

وهكذا ... لم أفلح في استلال هذه السطور المختصرة حتّى عاهدت قلمي الحرون بأنَّني لن أبكيها أو أرثيها، وإنّما سأحتفي فيما أكتب بذكراها، واستدعي مزاياها، وأحيّي في أفق الكلمات سجاياها التي غمرتني بها طوال إقامتي بالرياض. فلقد شاء الله أن نسكن في حيّين متجاورين، فكنّا نذهب إلى الكليّة معًا ونعود منها معًا، وكنّا نستغل فترة الذهاب صباحًا في تلاوة بعض آيات القرآن المُحصِّنة، وترديد الأدعية والأوراد المُطمئنة، وأمّا في طريق العودة فكنا نناقش أمور التدريس وشؤون القسم التي استجدت.

وطوال معايشتي لها كان إيمانها وثقتها في ربّها وحسن ظنّها به واحةً أظلتني في هجير الغربة وصعوبات الحياة. ولهذا كلّه لم تكن وسْم - كما كنّا نناديها - زميلة عابرة مثل كثير من الزميلات اللّاتي عرفت؛ في ليبيا حيث نشأت، أو في مصر وأمريكا حيث درست، أو في ماليزيا والسعودية حيث درّست؛ بل كانت شقيقة الروح التي كان الحديث معها دائمًا يذكّرني بالله ويؤمّلني في رحمته، ويشيع في داخلي الأمل المصاحب للتوكل عليه، والعزيمة الواثقة به.

كانت وسْم من أولئك الأشخاص الذين تحسّ عندما تقابلهم أوّل مرّة كأنك تعرفهم من قديم، وأن روحك وأرواحهم قد تعانقت بين أصابع الرحمن في برزخ ما قبل الحياة الحسّية، حتّى إذا ما جمعتهم أقدارهم فوق الأرض سكن بعضهم إلى بعضهم في ألفة وانسجام.

والغريب أن لقاءنا الأوّل الذي كان في مطلع عام ١٩٩٤ قد كان، ولكلٍّ منّا موقف سياسي مناقض لموقف الأخرى، إذ كانت هي جذلى بتحرير الكويت من عدوان صدام الغاشم، ومحتفلة بإنجازات بوش بطل ذلك التحرير، وكنت أنا قد عفته وهجرت بلاده وكلّي يقين بأنَّه لم يفعل ذلك نخوة منه أو غَيرة على قيم العدالة والإنصاف، وإنّما فعل ذلك لغرض لئيم في نفسه، فضحته الأيّام وكشفت عنه الأحداث ... ولذا كرهت بوش الذي غزا العراق، وحطّم جيشه، وسرق كنوزه، ومكّن لأعداء العروبة والإسلام أن يعيثوا فيها فسادًا، ولكنْ أحبته وسمية؛ لأنه حرّر وطنها، وانتقم لأهلها، وطرد من أرضها (الإخوة) العاقّين الناكري الجميل الذين

طعنوا قومها من الخلف .. ومع هذا فقد نمت علاقتنا وازدهرت واحترمت كلّ واحدة منّا وجهة نظر الأخرى وتفهّمها، وتظاهر في عدّة مناسبات بتجاهلها!

تميزت وسميّة المنصور بشخصيتها الاجتماعية الآسرة التي تشع طاقاتها الإيجابية على من تلقى ومع من تتحدث، كما تميزت بقدرتها على بناء العلاقات المتوازنة التي مكّنتها من نسج شبكة علاقات واسعة تجمع في إطارها بين عِلية القوم من محبّي الحياة والمقبلين على الدنيا وصالحيهم ومساكينهم المشفقين منها، والذين كانت تحسن إليهم وتوسعهم عطاء وإكرامًا، وكانت وسميّة الأستاذة محبوبة طالباتها اللّاتي كنّ يُهرَعن إليها في مكتبها لسؤالها عن القضايا العلمية، أو للسؤال عنها إن تأخرت أو تغيبت، وكان في مقدمة هؤلاء بعض المتميزات اللّاتي فزن برعايتها وتوجيهها حتّى دفعت ببعضهنّ إلى إشراف أستاذها ورفيق دربها الأستاذ الدكتور إبراهيم الشمسان ليصقل قدراتهن العلميّة.

كانت وسميّة قلبًا محبًّا ونفسًا ودودة وعقلًا حكيمًا متفتّحًا. تحبّ الله ورسوله وتتقرّب إلى ربها مؤمنة مخبِتة، وكانت تحبّ وطنها الأوّل الكويت الذي ظلّ حبلها السري مربوطًا به حتّى نامت في ثراه، كما كانت تحبّ وطنها الثاني السعودية الذي هو منبت فلذات كبدها وزوجها وعشيرتهم، وكانت تذوب ولهًا بأولادها وتستغرق في الدعاء لهم والامتنان لله الذي وهبهم لها، وكان أوس (الدكتور) الذي تحبّ دائمًا أن تُكنّى به صاحب القِدْح المُعلّى في هذا الحب. وكانت ديمة هي الأخت والصديقة، أقرب صديقة وأكثر فهمًا لها. أمّا بدر وبدور فقد سكنا شغاف قلبها الشفوق.

كانت وسم تحبّ الحياة والزيارات والمناسبات الاجتماعية، حيث تتألق نجمة مضيئة، وفمًا مبتسمًا، وروحًا شفّافة، ولعلّها كانت تتألق أكثر في الأمسيّات التي تدعو فيها الصديقات والزميلات إلى مائدة عشائها التي تشرف على إعدادها بنفسها، فتصفّها بأنواع المأكولات والمشروبات والحلوايات ... وكان ذكاؤها الاجتماعي يتجلّى في قدرتها العجيبة على إشعار كلّ زائرة من زائراتها بأنّها وحدها ضيفة الشرف لتلك الليلة، فلا تغادر واحدة منهن بيتها المضياف إلا وهي تفيض حبورًا وامتنانًا.

ذهبت وسميّة المنصور إلى بارئها الذي طالما سبّحته وقدّسته وتقرّبت إليه، حامدة إيّاه في السرّاء والضرّاء، راضية عنه وشاكرة صنيعه، ومحتسبة له ما امتحن به صبرها وإيمانها.

رحلت بعد أن استجاب الله دعاءها فوافق الطبيب على صيامها رمضان، ثم تمكّنت من إلحاقه بستٍّ من شوّال، فكانت في غاية الفرح والامتنان. وقد منَّ الله عليها بقضاء عيد الفطر مع أسرتها .. أما عيد الأضحى فقد مضى في حكم الله أن تقضيه في البرزخ، حيث ندعو الله أن يكون قد أكرمها بالمغفرة الكاملة الشاملة وأن يجمعها مع من تحب من الصالحين والمحسنين، الذين نظن أنّها منهم ولا نزكّي على الله أحدًا.

رحم الله أمّ أوس الإنسانة الرائعة الراقية وجمعني بها في عِلّيّين تحت راية الحبيب سيد المرسلين.

خالة وسمية

لينا سليمان السليم

كما كنت تحبين أن أناديك..

كنت ترفضين أن أستخدم لقبك العلمي وتفضلين استخدام (خالة) اللقب الأكثر حميمية الذي يشعرك بأنك أخت لوالدتي..

لا أتذكر متى التقينا أوّلَ مرة؛ لكن أتذكر جيدًا أن كل سنوات حياتي كانت مضيئة بحضورك وابتسامتك الطفلة وعينيك الضاحكتين المليئتين بالذكاء والدهشة..

أتذكر عندما زرتني لتباركي لي بقدوم ابني البكر عبدالله عام ١٩٩٠ أهديتني خاتمًا جميلًا وهمست "أعرف أن الجميع أحضر هدية للطفل لكنني فضلت إهداء الأمّ؛ لأنها هي التي تستحق".

جئت للرياض من الكويت واندمجت في المجتمع السعودي الذي ملكته بكرمك ودفء قلبك؛ لكن قلبك ظل معلقًا بوطنك الكويت، ولم تسعي للحصول على الجنسية السعودية رغم ما كان يعنيه ذلك من امتيازات لك كأستاذة في جامعة الملك سعود.

قلت لي مرة "نغمة جوال ابني أوس هي السلام الملكي السعودي قال لي: من حبك يا أمي للكويت تعلمنا كيف نحب السعودية".

دعوتك مرة لتقديم حوار للطالبات في جامعة دار العلوم، واخترت موضوع الإنترنت وتأثيره، وكنت سباقة في نظرتك واستشرافك للمستقبل وتفنيدك لأخطاره، وكان حضورك حميمًا ومميزًا في قدرتك على التعاطي مع مختلف الأجيال.

قبل فترة التقيت بك صدفة في مطعم (سوتيش) التركي الذي كنت تحبينه، كنت مع صديقاتي وكنت مع أبنائك وأحفادك، وعند طلبنا الفاتورة أخبرنا النادل أنك دفعت فاتورتنا، كنت سخية دائمًا بقلبك ومالك.

عندما رحل والدي الغالي ركبت الطائرة وحضرت من الكويت لمؤازرتنا رغم وضعك الصحي الصعب وصعوبة حركتك كما كل النفوس الكبيرة التي تتعب في مرادها الأجسام.

أعود لمحادثاتنا في الوتساب أو (الوثّاب) كما كنت تحبين تسميته لغيرتك على اللغة العربية، كنت تقولين لنا دائمًا: "هل رأيتم يومًا غربيًا يطعّم كلامه بلغة غير لغته؟"

أستمع لمحادثاتنا على مدى سنوات، ويخرج لي صوتك دافئًا حنونًا قلقًا في المناسبات الحزينة وفرحًا في المناسبات السعيدة، يعزّيني أنّ تواصلنا لم ينقطع يومًا نتبادل السؤال والتهاني في أيام وطنينا والمشاركة في كل لحظاتنا الحلوة والحزينة.

كنت تفتتحين الرسائل بـ"هلا ببنيتي البارة" كنت تقدرين أبسط الأشياء ولا تتعاملين معه على أنه حقك وواجب علينا.

وفي آخر رسالة كنت تطمئنيني على صحتك، وأنك ستعودين للرياض قريبًا وتتحدثين عن تخطيطك لتقسيم الأحبة لاستقبالهم على أيام متفرقة.

عزائي أنك كنت سعيدة ومتفائلة وممتلئة بالحياة والأمل لآخر لحظة

يقول أحباؤنا المصريون عند التعزية "تعيش وتفتكر" وتقول إيزابيل إيلندي "لا يوجد موت يا ابنتي، يموت الناس فقط عندما يُنسَون، إذا استطعتِ أن تتذكريني؛ سأكون دائمًا معك".

ومثلك لم يمر على هذه الأرض مرور الكرام بل تركت أثرًا في القلب والذاكرة فستظلين حية دائمًا.

أ.د. أم أوس خلود أبدي

مريم محمد علي الوباري
جامعة الملك فيصل –الأحساء

في حضرة الغياب أو في غياب الحضور تتربع كبد السماء والأرواح والقلوب والأفئدة شمسٌ مضيئة بالعلم المنهمر، وكنوز المعارف الرويّة، وخصال الخلق الحميد، إنها كوكب درّيّ لا يمكن لها الأفول، وإن غابت عن عالمنا جسدًا فأنوار ثرائها العلميّ المعرفيّ الخلقيّ يسطع دائمًا.

حقًّا لأول مّرة أرى قلمي يتأرجح والأحرف لا تكاد تتشكّل في جمل مفيدة، ولا غرو؛ فالهيبة تعتري كل شيء: عقلي، قلمي، روحي ولا سيّما أني لا أعرف بم أبدأ، وعن أي الخصائص الشامخة أتحدّث؟ وعمَّ يمكنني الحديث؟ أعن الحياة العلميّة الرائدة التي سطرتها في عمرها المبارك فصارت الفاضلات والطالبات يجدنها مصدر النور فيتحلقن حولها، أم عن رزيّة الرحيل عن هذا العالم التي لم نستفق من صدمة ذلك اليوم الذي نزل نبأ الرحيل على قلوبنا وأرواحنا كالصاعقة، وإن كنّا لا نعترض على القضاء الإلهيّ فإنّا مؤمنون بأنّ الدار الآخرة هي الباقية الخالدة، وهذه الدنيا ما هي إلا مزرعة يزرع فيها الإنسان ويجتهد في الزرع والحصاد ما يستطيعه في الدارين.

في الدنيا الذكر العطر والرحمات المتواترة لنجمة غدت في سماء العقول والأرواح لا تبرح الأذهان، ولا تفتر الألسنة من ذكرها الطيب.

وأما في الآخرة فنعيم أبدي عند مليك مقتدر.

ولأني لست وحسن البيان صنوان، وكوني ذات لغة بسيطة، وبصفتي لا أملك القلم المشرق سأسترسل في الحديث ولتصفح عني الروح التي وجدتها نقيّة صافية، وليصفح عنّي القراء الأكارم وليعفُ عنّي العلامة القدير حافظ العربية سعادة الأستاذ الدكتور القدير أبو أوس الشمسان حفظه الله ولتسامحني الأسرة العلمائية الكريمة.

فقد نعمت من فيض عطاء العالمة المنيرة العالمة اللغوية الأستاذة الدكتورة الفاضلة أم أوس الشمسان؛ لذلك سأنثر بعضًا من الضياء الذي نشرته عليّ بكل ودّ وحنوّ وعطف لا مثيل له، وبذلك أجد نفسي في ظل الرحمات الإلهيّة أن غمرتني بكل ذلك العطاء الذي لا يوصف.

١٨/ ٧/ ١٤٤٢هـ

تاريخ ينبئ عن أنني سأناقش رسالتي للماجستير، وقد طلبت من العلامة المفيض سعادة الأستاذ الدكتور أبي أوس الشمسان مدَّ الله في عمره المبارك حضور المناقشة العلمية وطلبت منه دعوة العالمة اللغوية سعادة الأستاذة الدكتورة الفاضلة أم أوس الشمسان رحمها الله تعالى للحضور.

في ذلك اليوم كنت أشعر بالارتباك ولا عجب؛ فللمناقشة هيبة وللعلماء الفضلاء جميعًا إجلال واحترام، لكنّي شعرت بالوجل أيضًا لأني خشيت أن أضيع وقت

العلماء الفضلاء بالحضور وأن تكون الرسالة التي بذلت فيها الجهد وسهرت الليالي الحالكة ليست شيئا!

لم يكن يدور في خَلدي أن العالمة الرائدة الأستاذة الدكتورة القديرة أم أوس أعلى الله تعالى في الجنة مقامها ستحضر وتنير وتشرق ولا أعرف كيف أعبّر حين وجدت بريق اسمها يلمع على شاشة الحاسوب.

شعرت أن السعادة تغمرني من كل الجهات، أدركت أن العلم معناه تواضع ونبل ووفاء العلماء الفضلاء.

أحسست أن العلم يبارك لي، والمعارف تشدّ من أزري، والدنيا كلّها سعيدة لي وبي.

لم أكن لأنسى الهلع فيما لو كانت الرسالة لا تتضمن محتوى مميزًا وقد دعوت كلّ أولئك الفضلاء.

أذكر ذلك اليوم بكل تفاصيله، فقبل بدء المناقشة كنت أنثر دموعًا على قبر والدي العطوف الحاني، وكم كانت نبضات قلبي تتسارع، وكنت في ذلك الوقت أريد أن أرى أبي رحمه الله وأعلى في الجنة منزلته يقوم ينثر تراب القبر ويمسك بيدي ويحضر المناقشة معي، وهو المحب للعلم الشغوف به؛ لكنها إرادة الله تعالى وأمام ذلك ليس لنا إلا الرضا والتسليم التام بالقدر والقضاء.

وحين بدأت أقرأ ملخص البحث ودون أيّ إرادة؛ ولكنها الفرحة التي نشرت في قلبي معاني السرور قمت إجلالًا وإكبارًا وإكرامًا واحترامًا لهذه العالمة المميّزة.

ومصدر سعادتي أني أختلف عمن يكتبن عنها رحمها الله ويسجّلن كثيرًا من المواقف السامية، فهن إمّا طالبات نهلن من علمها المبارك وشعرن بالدفء من رحمتها وغزارة معارفها، أو عالمات فاضلات كنّ زميلات لها وقد جمعتهنّ كالأمّ الرؤوف الرحيم وقدمت لهنّ من عطائها الموفور.

وإنّي لست بعيدة عن ذلك، فقد كنت طالبة لها؛ ولكن عن بعد، ليس في قاعات الدرس، بل إني عرفتها في يوم المناقشة فقط من خلال حضورها المشعّ والمشجّع والداعم لي وأنا الطالبة التي لما ترتقِ في طلب العلم وما تزال تسير في أول خطواتها الأولى.

ولم تنتهِ رحلة البهجة ولا الغبطة ولا السرور إلى ذلك الحد فقط، فمذ أنهيت المناقشة وبعد أن هنأتني حبيبة قلبي وروحي والدتي الرحيمة، حفظها الله، رنَّ جهاز الهاتف، وهنا شعرت أني أعانق السماء استبشارًا تهلّلت أساريري وانشرح صدري حين رأيت اسم العلامة القدير الأستاذ الدكتور الموقر أبي أوس الشمسان يضيء، بادرت بالرد؛ فإذا هو يبارك لي، وترقرقت الأدمع في عيني، لقد كان موقفه أبويًّا حانيًا.

وبينما كان الفرح والتأثر يفصحان عني والكلمات بصوت مرتبك لا أعرف ترتيبها أو صياغتها سمعته، حفظه الله، يقول لي: الآن ستحدثك الدكتورة أم أوس. لا

أدري كيف أعبّر عن ذلك الإحساس الذي شعرت به تحدثت إليها رحمها الله، ومنذ أوّل كلمة قالت: ابنتي مبارك مبارك مبارك وأثنت على رسالتي.

كان صوتها حانيًا وينبئ عن مدى سعادتها بي وبإنجازي لأوّل مرّة في حياتي أكلمها، وقد ألغت كل الحواجز، فهي العلّامة الحافظة للعربية المسهمة بإسهامات رائدة بإنجازات قيّمة فيها ولها، وأنا الطالبة مع ملاحظة أنها لا تعرفني.

وهنا يجدر بي تسجيل موقف يعبِّر عن مدى تواضع عالمة قديرة بكل ما تحمل الكلمة من معنى وإن قصر قلمي عن التعبير؛ لكنه ضمن مناقبها العالية رحمها الله:

قد كنت في معرض الشكر سطّرت شكرًا عميقًا لها، رحمها الله، لأكونها أفاضت عليّ؛ ولكنها طلبت مني حذف ذلك الشكر، الذي دونته عنها وقرأته، من الرسالة!

وحين أخبرتها بأن لها فيضًا عليّ، والعلّامة القدير سعادة سيبويه العصر الدكتور الفاضل أبي أوس الشمسان أطال الله تعالى في عمره، فكم أخذت من وقته المهم الثمين فأجابني دون كلل أو ملل، وكم رؤف باستفساراتي فلم يجعلها تائهة في سماء فكري بلا إجابة، وكم رؤف بي فلم أحجم عن السؤال العلمي؛ لأنه يجيب دون منٍّ أو أذى، ولا مرّة أشعرني أني آخذ من وقته، أو أني أُكثر عليه الأسئلة، فكلما سألت أجاب، وكلما استفسرت بدد كل حجب الجهل عن عقلي، وكم جعلني أشعر بشغف العلم أكثر فأكثر من خلال مقالاته العلمية الباهرة الجميلة الخلّابة، أجابتني : نعم للدكتور الفاضل أبي أوس الشمسان حقوق عليك، وهو في سبيل العلم والمتعلمين يعطي دونما توقف، فهو محبّ للعلم، شغوف به، مولع به، ويجد نفسه مسؤولًا عن

تميّز الناهلين والمغترفين من بحر علمه المتدفق، ولكن عليكِ حذف اسمي من الشكر، فحاولت معها أن أبقيه؛ لكن دون جدوى، وأمام رغبتها وهي العالمة القديرة الحانية اللغوية الفاضلة أذعنت لذلك بإن شاء الله.

كان الإخلاص والصدق وكل معاني الإشراق تعبر عنها، بينما كنت أشعر بالغبطة والفخر وكل السعادة أغلقت بعد ذلك الهاتف؛ لكن صوتها بقي يرن في أذني وخطابها لي بابنتي لا يكاد يفارق سمعي إلى يومنا هذا.

حين أهداني سعادة العلامة الجليل الأستاذ الدكتور الفاضل أبو أوس الشمسان مجموعة مؤلفاته النفيسة كان من ضمنها مجلدان للعلامة الصادقة الأستاذة الدكتورة أم أوس رحمها الله؛ ولكن يبقى السؤال هل انتهت معرفتي بالعالمة اللغوية الفاضلة الأستاذة الدكتورة القديرة أم أوس رحمها الله؟

لا، فقد اتصلت بي ذات مرّة.

رأيت رقمًا دون اسم ليس من جهات الاتصال في الجهاز فبادرت بالرد فإذا بالصوت الحاني نفسه: السلام عليكم بنتي مريم.

يا إلهي لا أستطيع تصوير حجم السرور والبشر الذي تملكني حينئذ إنّها تجسّد دور المعلمة المخلصة والأمّ العطوف لكل من منَّ الله تعالى عليهن بمعرفتها .

كانت تشكرني على شيء لا يساوي شيئًا أمام النعيم الذي تغمرنا به؛ ولكنه النبل الذي يحكي بعضًا من سجاياها الرائعة.

واتصلت بي ثالثة أيضًا وهنا طلبت منها التفضل علي بتنوير منزلنا حين تضيء في الأحساء، فوعدتني خيرًا وأيضًا قالت لي: حين تحين الفرصة لجمع طلبة العلم في بيتها المبارك ستدعوني، كم فرحت لذلك؛ ولكن شاءت الأقدار ألا نلتقي وجهًا لوجه.

وجدتها على صفحة تويتر في يوم من الأيام تنظم كتابًا يضم أبناء العلّامة على كل المستويات، فهي رحمها الله العلّامة التي لا يشق لها غبار، وهي التي يشار إليها بالبنان، الزوجة المثاليّة والأمّ النموذج والمعلّمة الفريدة.

وقبل أن أخوض في غمار الحديث عن فيضها الكثير ومآثرها التي لا تنتهي، وقبل الغوص في مصيبة رحيلها، أريد الحديث عن موقف لا يمكن نسيانه أو إغفاله.

في إحدى الأيام كان هناك ما يعكر صفوي، فلمّا اشتعلت المآسي في قلبي أرسلت رسالة للعلّامة القدير الأستاذ الدكتور الفاضل أبي أوس الشمسان حفظه الله تحتوي رغبتي في الحديث مع العالمة القديرة رحمها الله فأذن لي.

حينها أرسلت رسالة لها وبكل روح مخلصة وقلب عطوف بادرت بالرد والنصح والتوجيه.

وفي يوم عيد الفطر المبارك ١/ ١٠/ ١٤٤٥هـ

أرسلت تهنئة بالعيد فلم أر ردًّا؛ لكني ظننت أن المسألة تتعلق بالانشغال مع الأهل.

الأهل على المستوى الكبير، فهي رحمها الله فيض عطاء للفاضلات جميعًا وهي الشمس التي تجتمع الكواكب كلّها حول ضيائها المشرق.

وفوجئت في تويتر بعدها بأيّام أنَّ القضاء الإلهي نزل، وأن العالمة اللغويّة التي تستوعب القلوب كل القلوب والفكر والعقل والروح قد لبّت النداء الإلهي إلى جنات النعيم إن شاء الله.

ولا أعرف تصوير مدى اللوعة التي خلّفها جرح الغياب المرير.

ولا يمكن ترجمة الأسى الذي غلَّف القلوب والأرواح.

ولست أستطيع كتابة معلقات الرثاء كي أرثيها بأشطر قصائد تجتمع حروفها بعضها مع بعض فتنتحب نحيبًا طويلًا

لست أقدر على ذلك كله فالمصاب أليم، والفجيعة عظيمة، والراحلة نعيم من العطاء والإخلاص.

بكيت كثيرًا، وصرت أحاول قدر الإمكان أن أترجم جهودها في حياتها معي، صرت أريد أن يثمر معروفها فيّ، وإنّي أتيقن أنّ المعروف والجميل ليس مما يُردّ؛ ولكن ينبغي ألّا يهمل أو ينسى بل يجب أن يثمر.

لم أكن لأستطيع قبول الخبر الذي جعل كل كياني يبكي ويتوجع.

كنت أتذكر كل تفاصيل معرفتي بها، وإن كانت ليست مدة طويلة زمنًا؛ ولكن يعلم الله أني أشعر أني عرفتها منذ زمن بعيد.

وإني أتيقن أن كل من عرفها أو سمع عنها كان تلميذًا يستلهم منها عنوانات العطاء الكثيرة والزاخرة بأسمى وأجمل المعاني الخالدة.

في هذا المقام العظيم يعز عليّ أن أكتب عن نورها المضيء، وهي غائبة في عالم المجد، سعيدة برضا الله تعالى عنها إن شاء الله؛ ولكن قدر الله تعالى وما شاء فعل.

وأريد في ختام حديثي الذي لا نهاية له أن أقول:

انظري إلى قلبي ستجدينه عبارة عن أشلاء ممزقة.

اسمعي صوتي ستجدينه مبحوحًا من شدة البكاء والأسى.

واصفحي:

(فالعذر عند كرام الناس مقبول)

وأنتِ عنوان الكرم والجود والعطاء الجزيل.

وثقي أنّنا كلنا من نهلنا من عبق علمك الثرّ لن ننساك أبدا.

هذا عهد

وهذا وعد

لك حقوق علينا لا ينبغي لنا تناسيها أبدا.

ستبقين الشمس التي تشير لنا بأهمية العلم والحفاظ على لغة الكتاب الكريم.

وسنبقى نذكر سيرتك الطيبة وأمجادك العظيمة ما بقينا.

وسندعو لك بالرحمات وسنبقى امتدادًا لأعمالك الصالحة بصالح أعمالنا.

وسنبقى طالباتك المحبات لك لعلمك الواسع.

لخلقك الكريم.

لتواضعك الجم إذ أنتم والتواضع صنوان.

لكل الصفات التي تميزت بها فجعلت منك شمسًا تأبى الأفول.

رحمك الله وأكرم نزلك وجعلك في أعلى عليّين وألقى برداء الصبر الجميل على العائلة العلميّة المحترمة.

وأيضًا أريد القول لك يامن أوجع قلبي رحيلك:

لم أكن أعلم أنني سأكتب لكم يومًا رسالة لا تقرؤونها.

وهذا الأمر كفيل بأن يجرح قلبي مشاعري روحي فؤادي يجرحني كلي فتجري لذلك أدمعي.

إنا لله وإنا إليه راجعون وهنيئا لك أن رحلت صائمة في يوم عظيم لتكوني في جوار الإله العظيم راضية مرضية وليرحمنا الله تعالى بالصبر الجميل على فراقك الأليم.

الأحساء ١٤/ ٢/ ١٤٤٥هـ

حبيبة القلوب وسميّة سيدة الإنسانية

د.منيرة صالح العكاس

بكل الحب وعظيم الفقد أكتب للأستاذة الدكتورة وسمية المنصور (أم أوس).

سيدة اللغة العربية والخبيرة بمفاتيحها والوقوف على دهاليزها باقتدار ومعرفة علمية رصينة باللغة. كانت رحمها الله باهرة في اختيار ما تقدمه على منابر العلم والمعرفة وفي قاعات المحاضرات والبحث.

أما وسمية الإنسانة التي ملكت قلوب محبيها ومعارفها وأصدقائها بصدق الإحساس والشعور والمحبة والقدرة على الاحتواء والحميمية في اللقاء، وكرم الضيافة وحسن التواصل والوفاء، والمودة الصادقة.

تشعر كل من تعرفه أنه رقم واحد في قائمتها الطويلة من الأحباب، تُؤلَف في صفاتها مجلداتٌ من الثناء والمديح، لتكون أنموذجًا رائعًا للإنسانية، رحم الله الغالية أم أوس، وغفر لها وعفى عنها وأسكنها الفردوس الأعلى من الجنة، وبارك الله في ذريتها ووالدهم.

مكة المكرمة

في٤/ ١/ ٢٠٢٤

وسمية المنصور عمر من الحب لم يزل

أ.د. نجوى صابر
جامعة الإسكندرية

سافرت إلى رحلتها الأبدية، ولم تقل لي وداعًا على الرغم من أنها كانت تحدثني وتطمئنني على حالتها الصحية، وقد أتمت صومها وقيامها في الشهر الفضيل ... وتبادلنا تهاني العيد السعيد، وأبدت رغبتها في السفر إلى مصر لتراها وتراني، وماهذا بغريب على من عاشت تحمل أم الدنيا عشقًا خالدًا في قلبها، ووطنًا ثالثًا في عقلها وأعماقها. لم تخبرني وسم الحبيبة عن هذا السفرالسريع البعيد! وما غضبت منها؛ لأنني على يقين بأنها قد سبقتني إلى الجنة ، وأنا – بإذن الله – سألحق بها وأسعد بجوارها وطيب كلامها وعذب حنانها.

تُرى من أين أبدأ كلامي عنك أيتها الحبيبة الوفية الكريمة المخلصة الشجاعة الرأي، الحنون الورعة ،اللغوية البارعة ،الطاغية الحضور؟ من نيف وتسعة وعشرين عامًا في جامعة الملك سعود كان لقاؤنا الأول ،وبدون سابق معرفة دعوتني إلى منزلك العامر مهللة مرحبة وكأننا في رباط منذ زمن بعيد !! وتوالت الأيام وما كنت لي فيها إلّا مزيجًا رائعًا من الحنو والإخلاص والحماية والدفاع الصادق عن مواقفي التي رأيتني فيها صاحبة حق. ما فترت يوما محبتنا ولا وهنت علاقتنا بالرغم من عودتي إلى وطني بعد ست سنين قضيّتها في الرياض أستظل فيها بظلك.

وسم الحبيبة أم أوس – كما كان يسعدك دوما هذا النداء اعتزازًا وفخرًا بالابن الهمام الفارس النبيل القريب القريب إلى قلبها هو وبقية الأبناء الثلاثة! – أوتذكرين أيتها الحاتمية الكرم يوم دعوت الحافلة إلى عشاء فاخر في منزلكم العامر، وصرنا نتندر بها افتخارًا وانبهارًا بك .. دعوتنا ما إن سمعت (وكنت برفقتنا بعض الوقت في الحافلة) أننا لا نمل حديثًا لك ونود لقاءك !! يا الله ما هذا البيت العريق الشامخ الأركان!!

ولا أنسى أبدًا إعجابي وتعجبي من تصميمك، الذي لا يهتز، على ارتداء الخمار الكامل، وكنت أراك أستاذة كويتية لا يلزمها هذا، فما كان منك إلا أن علمتنا درسًا في الانتماء إلى الوطن الثاني الذي احتضنك .. وطن الزوج الحبيب والأبناء فلذات القلوب، واحترام عاداته وتقاليده.

أما عن الأستاذة الدكتورة وسمية عبد المحسن المنصور فما يكفيني في حديثي عنك صفحات .. دؤوب في بحثك وعملك وتشهد لك على ذلك أبحاثك ومؤلفاتك وكتبك، وتشهد لك شتى المحافل العلمية والمؤتمرات التي كنت فيها فرس رهان لا يشق له غبار. وكنت دومًا مخلصة لطلاب علمك، معطاء بلا حدود لا في ما تمنحينه من علم، بل في كل شيء وأي شيء. لم تبخلي بعلم ولا برأي ولا بمشورة ولا بنصيحة ولا بفضل مال ولا بحب. يا سيدة الزمن الجميل ستظلين أبدًا عمرًا من الحب لم يزل .

وأبدًا لا أقول وداعًا ، بل إلى لقاء . موعدنا الحشر ... روح وريحان وجنة نعيم.
أوليس هذا بقريب؟؟؟

وسمية مجموعة إنسان

أ.د. نوال بنت سليمان الثنيان
جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

كانت-رحمها الله، وغفر لها-زميلة، فصديقة، فأختًا، كانت مجموعة إنسان في مشاعرها وعلاقاتها ومواقفها.

استطاعت بقلبها الكبير، وعقلها الناضج، وعلمها الغزير، وخلقها الرفيع، ونبلها الراقي، وكرمها الفياض امتلاك القلوب والعقول.

استطاعت بكل ما تملكه من هبات وهبها الله إياها، وسمات تطرزت بها أن تجمع كثيرًا من المحبين.

كنت على أحد منابر العلم والثقافة أشارك في ندوة مهمة-لعلها الأولى من نوعها بالنسبة لي- وفي خضم رهبة الموقف وصلتني قصاصة ورقية منها موقعة باسمها، مع عدم معرفتي بها، هذه الورقة تحمل جملة محفزة، كانت الوقود الذي زاد في إشعال ثقتي لأقدم وأتميز.

- لم أعرف مثلها شخصية كريمة مضيافة محتفية بكل مناسبة، وبكل ضيف قادم، مجلسها العامر كان يعج بالصديقات وطالبات العلم من السعودية والكويت...إلخ.

- عاشت مواطنة مخلصة لبلدها الكويت، وأستاذة قديرة كرست علمها وعملها لخدمة وطنها الثاني السعودية.

- ومع كثرة المهام التي كانت تناط بها، والمشاركات التي تقبل بتقديمها كانت سباقة في أداء الواجبات الإنسانية للقريب والبعيد، ما زال في الذاكرة حرصها على تأدية الواجب لوالدتي بعد إجراء عملية جراحية لها قبل سنوات، وما زالت أحاديثها وقصصها في ذاكرة أسرتي، كانت جلسة ماتعة أبهرتنا بحديثها عن أسرتها ودراستها في القاهرة، ولقائها بسعادة أستاذنا الدكتور أبي أوس رفيق دربها.

- بفقدك أستاذتنا وحبيبتنا أ. د. وسمية فقدت دعوات محبة، ونصائح صادقة، وحكمًا واعية، وتحفيز طموحات، وآراء سديدة.

- جاءت رسالتها الأخيرة التي بعثتها قبل وفاتها بسويعات منعطفًا أتمثله كل مساء لأحبائي في تواصلي مع الله –سبحانه– قالت فيها: "ادعوا لبعضكم بالأسماء...، وتقربوا إلى الله بلهفتكم على أحبابكم، واملؤوا سجداتكم وقنوتكم بحاجاتهم".

- لك في قلبي كثير من المشاعر الفياضة، وفي عقلي كثير من الذكريات الجميلة التي لا يمكن اختزالها في ورقة أو ورقتين، ولا يسعني إلا أن أختم كلمتي الموجزة جدا بدعوات جاءت في يوم ما من قلبك المحب لقلبي الفاقد:

"أتمنى أن نلتقي تحت عرش ربي سجدًا بصحبة الأحبة، فذاك المبتغى".

أم أوس وكفى

نورة الشملان

لا أدري كيف أبدأ حديثي عن الأخت و الصديقة الصدوق التي ربطتني بها علاقة وطيدة تزيد على الثلاثين عامًا تقاسمنا فيها ذكريات حلوة ومواقف مرة، فعلى المستوى العلمي كانت الصوت الأول الذي أسمعه مهنئًا حين حصولي على الدكتوراة والأستاذية.

ولعلي أكتفي هنا بذكر أهم موقف علمي أدين به للراحلة الغالية أم أوس، ذلك الموقف الذي قاد إلى أكبر إنجازٍ في حياتي، فحين رشحني قسم اللغة العربية في جامعة الملك سعود عام ٢٠٠٩ لرئاسة ندوةٍ علميةٍ دوليةٍ تقام لأول مرةٍ في الجامعة، أصابني الهلع لثقل المسؤولية وخوفي الشديد ألا أكون قادرةً على تحمل أعبائها، وكيف لشخصٍ ضعيفٍ مثلي أن يتحمل ندوةً يتوزع باحثوها في جميع أقطار العالم ويبلغ عدد العاملين فيها أكثر من خمسين قامةً شامخة.

قررت الاعتذار فلما علمت الدكتورة وسمية بقراري هرعت إليَّ في مكتبي معترضةً بشده ونجحت في إقناعي أنها تجربةٌ فريدةٌ تستحق ما يبذل فيها من جهود و هي تعزز مكانة المرأة وتؤكد أنها قادرة على خوض الصعاب وقيادة الرجال.

لن أطيل في تفاصيل عامين كاملين انقطعت فيهما بتفزغ تام للندوة بما في ذلك الإجازة الصيفية، وحين آتت الندوة أُكُلها احتفلت الجامعة بنجاحها في حفل استثنائي

ضم الرجال والنساء دون حواجز، وهو أمرٌ خارقٌ للعادة في تلك الأيام كانت الدكتورة وسمية أكثر مني سعادةً وحين قلدني وزير التعليم العالي وسام الفوز كانت أول المهنئين.

وعلى المستوى الأسري كانت بجانبي في أفراحي وأتراحي، لقد فقدت أربعةً من أحبتي والدي ووالدتي وزوجي وابني فكانت أم أوس نعم الصديقة المخلصة التي احتوتني بالحب تارةً و بالمواساة واحتساب الأجر تارةً أخرى لقد خفف وجودها في حياتي كثيرًا من ألم فراق الأحبة وكانت بجانبي في أفراحي فهي المهنئة الأولى في زواج بناتي و أبنائي.

تتميز الفقيدة الغالية بالحنان المتدفق الذي تغدقه على كل من حولها بلا حساب فمقدار الحب الذي تملكه هذه الإنسانة مدهش، والعجيب أن كل صديقة من صديقاتها تعتقد أنها الوحيدة في حياتها.

تتوزع صدقاتها بين قاراتٍ عدة فلا تنسى الزميلات مهما بعدت أوطانهن، ولعلها الوحيدة في قسم اللغة العربية التي ظلت علاقاتها قويه مع الزميلات اللواتي غادرن القسم.

رحم الله فقيدتنا الغالية رحمةً واسعة و أجزل لها الثواب وكتبها في صحيفة الذين أنعم الله عليهم من الأنبياء و الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

غاب عنا وسم وشمس الدكتورة وسمية المنصور*

د. هتون أجواد الفاسي

وهي في كامل صحتها وعافيتها، غادرتنا الأستاذة الدكتورة وسمية عبدالمحسن المنصور إلى جوار ربها بعد أن أنهت صيام وقيام رمضان، فتركت في قلوبنا لوعة عليها. ونحن بعد كنا نتبادل معها ماتع الحديث في بيت أ.د. سعاد المانع العامر قبل رمضان، حيث أتحفتنا بالكثير عن ذكرياتها في القاهرة والكويت كما هي دومًا تجمع لنا بين توثيق الحاضر والماضي بشكل مميز مرتبط بطريقتها المشوقة في الأخذ بلبّ الحاضرات؛ لكن هي الحياة، ولابد أن نتقبل سماع هذه الأنباء المحزنة التي هي جزء من حياتنا على الأرض، حيث لا دائم إلا وجه الله.

وارتباط أم أوس بالأكاديميّات والمجتمع السعوديّ وثيق الصلة ويعود إلى فترة الثمانينيّات وعام ١٩٨٧م بالتحديد عندما انتقلت من جامعة الكويت لتنضم إلى زوجها أ.د. أبو أوس إبراهيم الشمسان في الرياض، رفيق دربها والدراسة التي جمعتهما في جامعة القاهرة خلال السبعينيّات الميلاديّة. فحظيت على الفور بقلوب طالباتها وزميلاتها في قسم اللغة العربية الذي لم يكن يبعد كثيرًا عن قسم التاريخ في جامعة الملك سعود بعليشة بحضورها الآسر، ومواضيعها المتجّددة في طرح قضايا اللغة العربيّة غير التقليديّة. وقد ازدادت هذه العلاقة حميميّة بعد حرب الكويت

* نشر في صحيفة مكة في الخميس ٢٨ شوال ١٤٤٤هـ - ١٨ مايو ٢٠٢٣م.

والتقارب الإنسانيّ والتاريخيّ الذي غلّف علاقة السعوديّين بالكويتيّين. وبلغت درجة عالية من التآلف والتكامل عندما انضمت إلى مؤسستنا المدنية الوليدة "الملتقى الأحديّ" في ١٤١٤هـ الذي أسّسه عدد من أستاذات قسم التاريخ في القسم حيث نلتقي أكاديميًّا خارج أسوار الجامعة في بيوتنا مع استضافة محاضرة شهريًّا وفق جدول سنويّ. ونظرًا لجدة البدايات، فقد وافقت الدكتورة وسميّة أن تكون أوّل محاضرة في هذا الملتقى الذي استضفته في بيتي في ٦ شعبان ١٤١٤، ١٧ يناير ١٩٩٤، فكانت خير بداية وأقواها وهي التي أسست لمسيرة طويلة استمرت لمدّة ربع قرن حتى عام ١٤٣٩/ ٢٠١٨ توسعت خلالها قاعدته ومؤسساته ونشاطاته. وقد كان لنا الشرف أن نكرمها في الدورة الثانية لتكريم الرائدات التي كانت عام ١٤٣٧/ ٢٠١٧. وقد كان حدثًا مؤثّرًا اجتمعت فيه الدكتورة وسمية مع كل من جمعيّة زهرة لمكافحة سرطان الثدي والسيدة فوزيّة الهاني الناشطة في العمل الاجتماعيّ والدكتورة فوزية البكر تحت إشراف مؤسسة (هنّ) التي رعت إدارة الملتقى خلال السنوات الثلاثة الأخيرة. وتقوم آلية التكريم على أن تتولى كل من العضوات المؤسسات مهمة تقديم المكرمة وإدارة حوار معها قبل أن تسلم درع الملتقى الأحديّ الرمزيّ. وقد كانت مقدّمة الدكتورة وسميّة هي الكاتبة المبدعة أميمة الخميس، التي كانت قد تخرجت من تحت يديها في الثمانينيّات وارتجلت مقدمة باهرة بامتياز تتناسب مع شخصية وإبداع د. وسمية واستحقاقها، بدأته من الوسميّ ودلالاته الأدبية والتراثية لتجعل الوسميّة تنهمر علينا جمالًا وإبداعًا. كنت محظوظة باسترجاعي ذلك الشريط الثمين عندما نقّبت في بعض الفيديوهات التي حفظتها لتوثيق هذه اللحظات التي قدرتها الدكتورة

وسميّة كثيرًا نظرًا لافتقادها لأيّ شيء مسجّل يوثّق فترة تدريسها وعملها في جامعتنا وأقسامها النسائيّة المغلقة بالطبع، فكانت سعيدة جدًّا بتقديمي هذا الفيديو لها وترافق مع اللوحة التي تمّ رسمها باليد والممهورة بخطاب تكريمنا. ثم أكرمتنا هي بعرض تقديميّ استعرضت فيه مسيرتها العلميّة والنشاطيّة والعمليّة ما بين العواصم الثلاث، الكويت والقاهرة والرياض، كانت في غاية الإثارة للحماس والسؤال. كان في عرضها تاريخ طويل من قوّة المواقف وحساسيّة الظروف وصلابة الشخصيّة واعتزازها الكامل بهويتها بكل أبعادها لاسيما بهويتها الكويتية التي تمسّكت بها طيلة هذه السنين رغم أنّ السعودية كانت وطنها كذلك؛ لكنها كانت تعتبر الجنسية قدرًا لا يمكن للإنسان تغييره أو استبداله.

المشتركات مع الدكتورة وسميّة كثيرة ومشتركاتها مع كل فرد منّا، نحن الوسط الأكاديميّ في الرياض، متعددة أيضًا ومتشعبة. كان هناك ثراء في شخصيتها ولها حضورها الطاغي على أيّ مكان تكون فيه، يبدأ من صوتها الجهْوَريّ الخطابيّ وانتهاء بابتسامتها الصبوحة، وما بين ذلك مضامين عميقة لأيّ موضوع تتناوله. كانت تتقن فنّ تحويل القضايا اللغويّة المعقّدة إلى قصص ممتعة وثريّة كذلك مع الاستطراد بين القصص التاريخيّة والمعاصرة تتنقل بينها بكل رشاقة اللغة التي كانت مزيجًا من العربيّة الفصحى مع الكويتيّة الراقية.

كانت آخر اجتماعاتنا مساء تناولت الكتاب التذكاريّ الذي وضعته لزوجها مع أبنائها وكل عائلته وأصدقائه. كانت فخورة به وبالمقدمة التي كتبتها وسجلت فيها

تاريخها مع أبي أوس، وكذلك بالبحث المهم الذي ختمت به الكتاب الضخم في سيرة زوجها ومسيرته الذي كان بعنوان "الخوف في سياقات قصة موسى في القرآن الكريم، مثيراته وتأثيراته" تستعرض في دروس معرفية وإيمانية من خلال التكثيف اللغوي والإشارات الإيحائية في هذه القصة لم تطرق من قبل. ومن ثَمّ وُزّعت نسخ منه ومن عدد آخر من كتب أبي أوس وهي سعيدة بإنجازاته التي لا تقل عن إنجازاتها العلميّة. كانت لفتاتها تفيض بالحب والاعتزاز التي تجعلنا نبادلها إيّاها بمثلها وبأكثر.

ولا يسعني إلا أن أقول رحم الله صاحبة السنّ المبتسم واللغة الجذلى والقلب الكبير، الدكتورة وسمية عبدالمحسن المنصور.

الدكتورة الأنسانة وسمية المنصور

أ.د. هند بنت تركي السديري

أستاذ الأدب الانجليزي

الدكتورة وسمية المنصور هي تجسد العطاء في إنسانة. أعرف الدكتورة وسمية الأكاديمية والاجتماعية وأحببت صحبتها وحديثها على مدى سنوات قليلة وآسف على تأخر معرفتي بها.

في أمسية الوفاء التي أقامتها صاحبة السمو الأميرة نورة بنت محمد آل سعود ونظمتها الدكتورة نوال الثنيان اطلعت على أوجه جديدة للحبيبة الراحلة لم أطلع عليها من قبل بحكم بعد مجالينا واختلاف مكان عملنا. يقال بأن الشخص ذو النزعة الانسانية له صفات يتميز بها، وجدت من حديث الزميلات ذلك متمثلًا بالراحلة الغالية.

إنسانة مرحة بطبيعتها، تحب نشر الضحكة والدعابة الجميلة في أي مجلس تحضره، محبة للجميع، تشعر معها بأنها تعامل الجميع كأم أو كالأخت الكبرى، ولديها قدرة كبيرة على التأقلم؛ فهي انتقلت من موطنها الكويت لتعيش مع من اختارته رفيقًا لدربها الدكتور إبراهيم الشمسان، ومعًا شكلا ثنائيًّا أكاديميًّا ناجحًا. اندمجت في المجتمع السعودي، وهو ليس ببعيد بعاداته و تقاليده عن مجتمعها الأم

الكويتي، وعاشت أفراحه وأحبت أفراده كما أحبوها، ومع ذلك كانت وفية لوطنها الأم ولم تتخل عن جنسيتها الكويتية، وكانت دائمًا فخورة بالبلدين.

احتفلت بالتراث الخليجي وكتبت عنه وفهمت واستوعبت تفرده، وأتذكر وما زلت أحتفظ بتسجيل صوتي لها وهي تشرح لي هذا الإرث. والحديث عنها يطول وعن سنابل الخير التي زرعتها وأعمالها الخيرة ليس في الخليج فقط ولكن خارجه. رحمك الله يا أم أوس.

من وسوم وسمية المنصور*

د. هند بنت شارع بن عايض القحطاني

جامعة الملك سعود

كثيرًا ما يكون لبعض معاني التقاعد صلات وروابط بمعاني الموت، وإذا كان الموت هو انفصال الروح عن الجسد وتوقف حياتها في الدنيا وانتقالها لمستويات أخرى؛ فالتقاعد هو انفصال تأثير الموظف على بيئة العمل وتوقف تأثيره وانتقال هذا التأثير لميادين أخرى غير بيئة العمل الحكومية الرسمية.

من مقال منشور للدكتورة وداد بنت أحمد القحطاني – وكيلة قسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود سابقًا- وعضو هيئة التدريس بالقسم- قبل عدة سنوات، قرأت فيه تقاعد زميلتها، وشعرت بانقطاع تأثيرها على بيئة العمل؛ فقالت عن الدكتورة وسمية المنصور -رحمها الله-: شخصية راقية، وأستاذة قديرة، وباحثة قلَّ لها نظير، إنْ تحدَّثتْ أصغتْ لها الآذان، وأُشِير إليها بالبنان، وإنْ غابتْ اشتاقتْ لها القلوب، وحَنَّتْ لعطائها الدؤوب، لا ينكر فضلَها إلا جاحد، ولا ينْسى عظيمَ مناقبها إلا حاسد. إنَّها الأستاذة الدكتورة وسميَّة بنت عبد المحسن المنصور، أستاذة النحو والصرف في قسم اللغة العربية- كلية الآداب- جامعة الملك سعود، وُلدتْ بالكويت، وحصلت على درجة الليسانس في الآداب والفلسفة، كلية الآداب -جامعة القاهرة، ودرجة

* نشر في رسالة الجامعة في العدد ١٤٦٩ – الأحد ١٥ ذو القعدة ١٤٤٤هـ/ ٤ يونيو ٢٠٢٣م

الماجستير في النحو والصرف، -كلية البنات - جامعة عين شمس القاهرة، عن بحث بعنوان: (صيغ الجموع في القرآن الكريم)، وحصلت على درجة الدكتوراه في النحو والصرف، كلية الآداب- جامعة القاهرة، عن بحث بعنوان: (أبنية المصدر في الشعر الجاهلي). وعملت بجامعة الملك سعود منذ عام ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، وتدرجت في الترقية إلى أستاذ دكتور في عام ١٤٢٨هـ.

وعن اللقاءات الأولى بالدكتورة وسمية المنصور صرّحت د. القحطاني:

الأستاذة الإنسانة الفاضلة الدكتور وسمية عرفتها قبل أكثر من ثماني سنوات، وما زلتُ أذكر أوَّل لقاء جمعني بها في مكتبها بقسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود، فبادرتني بالترحيب، واحتضنتني بين ذراعيها، وأفاضت عليَّ بحبها وحنانها ـ ولم تكن تعرفني من قبل ــ فجذبتني بتواضعها، ورائع حديثها، وصدق مشاعرها، فكان لي الفخر بشرف معرفتها، وكريم صحبتها.

وقد تأثَّرْتُ بأُستاذتي الإنسانة الراقية، وبنُبْل أخلاقها، فالعطاء أساس في تكوين شخصيتها، والوفاء هي أصله، تذكر مَنْ له فضل عليها ولا تنكره، فطالما تحدثت وأثنت على أساتذتها ومَن علَّمها حرفًا، وكان لأستاذها وزوجها الأستاذ الدكتور أبي أوس إبراهيم الشمسان النصيب الأوفر من المدح والثناء والشكر، كما تملك روح المرح والتفاؤل، تُدْهشك سرعة بديهتها، وبلاغة منطقها، إنْ تحدَّثتْ في العربية ظننتَ أنَّك في حضرة سيبويه، وإنْ تناولتِ الشعر والأدب حسبتَ المتنبي مُنشدًا. تغمُرُك بكرمها، وحُسْن ضيافتِها فكأنَّك بجود حاتم تنعمُ. وتفيض بالحكمة وبُعد النظر

وسداد الرأي فكأنَّها من حكمة لُقمَان تنهلُ، فقد علمتنا أنَّه ينبغي لنا أنْ نزرع دربَ الحياة بالمحبة، ونفرشه بالصبر، ونضيئه بالتفاؤل، ونمشي فيه بإيمان من غير شك، وثقة من غير غرور، وتواضع من غير ذلّ، وطموح من غير طمع. وأُعْجِبْتُ بشخصيتها العلميَّة فهي باحثة متميزة، وعالمة مبدعة، يبدو ذلك جليًّا في اختيارها لموضوعات أبحاثها، وطريقة عرضها للمسائل ومناقشتها، وإبداء الرأي في شجاعة أدبيَّة تعبِّر عن ثقتها بنفسها، متحرية الصواب، ومعتمدة على الحجة والدليل، وكأنَّ لسان حالها يقول:

وإنِّي وإنْ كُنْتُ الأخيرَ زمانُه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

وبلا مبالغة لو كان للعربية إمام من النِّساء لكانتْ أهلًا له، يشهد لذلك الكم الوافر من الأبحاث والدراسات، والندوات، والمناقشات، والدورات، والأسلوب الساحر في التحليل والاستنباط. والمتأمل في آثارها العلمية سيدرك أنه أمام موسوعة علمية ثقافية، حائزة على الريادة، ومستحقة للسيادة.

وعن جهودها العملية والعلمية سردت القحطاني: جهود الدكتورة وسمية المنصور أكثر من أن تُحصى في هذه الوريقات والأسطر، وسآتي على ذكر بعض من هذه الدراسات والمؤلفات، منها على سبيل المثال لا الحصر:

ـ نقل الحركة في الصحيح.

ـ كان وأخواتها من المعجمية إلى الوظيفية.

ـ من أمثال القصيم–دراسة في المضمون والصياغة.

ـ عيوب الكلام: دراسة لما يعاب في الكلام عند اللغويين العرب.

ـ ظاهرة التعدد في الأبنية الصرفية.

ـ توظيف المأثور القولي في تنمية لغة الطفل.

ـ الدلالات النفسية والسلوكية لدى المتحدث باللغة الأجنبية في غير سياقها.

ـ التواصل غير المنطوق في ديوان عمر بن أبي ربيعة– مستوى التبادل البصري نموذجًا.

ـ من مستجدات الخطاب والتواصل – رسائل الجوال نموذجًا.

وكانت لها محاضرات وندوات داخل الجامعة في قسم اللغة العربية، والأقسام الأخرى، وكذلك خارج الجامعة فلم تضنّ بوقتها وعلمها، فكانت كالغيث حيثما وقع نفع، فاستفاد منها القاصي والداني، وتنوعت موضوعاتها ما بين لغويَّة، وثقافية، ولم تنسَ قضايا المجتمع واهتماماته، فلقي ذلك استحسان كُلٍّ من حظِي بالاستماع إليها. ومن تلك المحاضرات:

ـ لغة الشباب في مواقع التواصل الاجتماعي، في قسم الإعلام–جامعة الملك سعود.

ـ مزايا الإنترنت وعيوبه، كلية العلوم – الملز– جامعة الملك سعود.

ـ ثقافة الاستهلاك، مركز الأميرة نورة بنت عبد الرحمن في القصيم.

– من مستجدات لغة الخطاب والتواصل – رسائل الجوال نموذجًا، اليوم الثقافي – كلية الآداب–جامعة الملك سعود.

ـ نعم للاختلاف لا للخلاف، مهرجان عنيزة–الجمعية الصالحية.

وللإعلام نصيب من اهتمامها وإبداعاتها المتنوعة، فلها زاوية أسبوعية ثابتة في صحيفة اليوم السعودية منذ عام ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، إلى ١٦/ ٧/ ٢٠٠٩م. كما شاركت في رسالة الجامعة، جامعة الملك سعود في زاوية أسبوعية، من عام ٢٠٠٢ – ٢٠٠٣م، إضافة إلى مشاركتها في العديد من البرامج الثقافية في الإذاعة والتلفزيون.

وتحدثت د. القحطاني عن وسمية المنصور في بيئة العمل بالجامعة قائلة: إضافة إلى هذه الجهود الكبيرة فهي أستاذة قديرة، وقدوة صالحة، في الأخلاق واحترام الأنظمة، وأداء رسالتها في التدريس ومناقشة الرسائل العلميّة، والإشراف على الرسائل بتفان وإخلاص، ولمستُ شخصيًّا ـ عندما كنتُ وكيلة لقسم اللغة العربية ـ محبة واحترام الطالبات لها، وحرص الجادات منهنَّ والمحبات للعلم، ورغبتهنَّ وإلحاحهنَّ الدائم على التسجيل في شعب موادها.

وعلى رغم عظم المسئولية التي تحملتها، وتعدد مهامها، نجدها مبتسمة ودودة متفائلة، تتجاوز عن الهفوة، وتسامح من أساء إليها، وتُذكي شعلة الأمل في النفوس، تمدُّ يد المساعدة لكلِّ مَنْ قصدها، فكم أزالت العثرة، ومسحت الدمعة، فوَسَمَتْ في القلوب محبتها، وخلَّدتْ في الأذهان ذكراها، وكم آلمنا جميعًا قرارها بالتقاعد عن العمل، إذ يصعب تعويض شخصها، فقل أنْ جاد الزمان بمثلها. وكم أسعدتني ـ في

الوقت نفسه ـ تلك المبادرة الطيبة بتكريم أستاذتنا الغالية، فالوفاء لأهل الوفاء من شِيَم الكرام، وهل جزاء الإحسان إلّا الإحسان. واعترافًا بفضل أستاذتنا الفاضلة الدكتورة وسميَّة المنصور فإنني آمل أن تكون أعمالها وآراؤها عنوانًا لأبحاث ودراسات تليق بعطائها وجهودها الرائعة. وبعد... فما ذكرته عن أستاذتي غيض من فيض، وقطرة في بحر علمها وعطائها، تغمد الله روحها في عليين مع الأنبياء والشهداء والصديقين، وجزاها عنَّا خير ما يجزي به عباده المخلصين المؤمنين.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ندوتان

رائدات في خدمة العربية

وسم وفاء لوسمية العطاء

الندوة الأولى

رائدات في خدمة العربية

الندوة التي نظمها مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية في مكة المكرمة للحديث عن الرائدات، وهن: سلمى الجيوسي(رحمها الله) وخديجة الحديثي(رحمها الله) ووسمية المنصور (رحمها الله)، وأسهم في الحديث عنهن: د.لمياء باعشن (الأستاذة في جامعة الملك عبدالعزيز سابقًا)، وأ.د. محمد حسين (الأستاذ في جامعة كربلاء بالعراق)، ود. عزة الشدوي (الأستاذة في جامعة الأمير سطام)، وأدار الندوة د. ياسر المرزوق (الأستاذ في جامعة تبوك). في يوم السبت ١١ محرم ١٤٤٥هـ/ ٢٩ يونيو ٢٠٢٣م. الساعة الواحدة ظهرًا.

وهذا نص حديث الدكتورة د.عزة الشدوي الغامدي أستاذة النحو والصرف في جامعة الأمير سطام.

ربّة الحبّ .. ولسان العربية

الحمد لله ذي العزة والجلال وأصلي وأسلم على نبينا محمدٍ المبعوثِ رحمةً للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

في البدء أشكر مجمع اللغة العربية بمكة المكرمة على هذه الالتفاتة الوفية إلى الاحتفاء بهذه الكوكبة الدرية من عالماتنا الجليلات الراحلات وأخص بالشكر سعادة رئيس المجمع الأستاذ الدكتور عبد العزيز الحربي، وسعادة الأستاذ الدكتور محمد سعيد الغامدي الذي كان له فضل التنظيم والإعداد لهذه الندوة، والشكر موصول لسعادة الدكتور ياسر مرزوق الذي اضطلع بإدارتها.

ولستُ أدري ما الذي يمكن أن تتسع له هذه الدقائقُ من حديث يروم أن يستجلي جانبًا من المسيرة العلمية لهذه الرائدة الجليلة الدكتورة وسمية عبد المحسن المنصور رحمها الله وما أسدته من خدمة للغة العربية ولطلاب العلم، فقد صالت رحمها الله في باحات العلم الرحبة وبحوره الطامية فما تركت بابًا من أبواب الفكر إلّا طرقته ولا محجة من محاج المعرفة إلّا سلكتها ولا منبرًا من منابر العربية إلّا اعتلته.

الأستاذة الدكتورة وسمية عبد المحسن المنصور، كويتية الجنسية حصلت على درجة الليسانس في الآداب والفلسفة من كلية الآداب بجامعة القاهرة ثم نالت درجة الماجستير في النحو والصرف بكلية البنات بجامعة عين شمس ثم درجة الدكتوراه في النحو والصرف من جامعة القاهرة.

جالت في أروقة الجامعات العريقة بدءًا بجامعة الكويت التي عملت فيها معيدة عام ١٩٧٢ ثم مدرسًا للنحو والصرف في الجامعة نفسها وانتهاء بجامعة الملك سعود التي عملت فيها منذ عام ١٩٨٨ وتدرجت فيها وظيفيًّا من أستاذ مساعد إلى مشارك ثم أستاذ دكتور عام ٢٠٠٧.

وللفقيدة نتاج علمي متنوعُ الموضوعات مختلفُ المشارب فقد أخذت رحمها الله من كل علم من علوم العربية بطرف: النحو والصرف والأصوات والدلالة والمعجم ولسانيات النص وتحليل الخطاب وحين نستعرض نتاجها العلمي من الكتب المطبوعة الرائدة في بعض موضوعات علم الصرف نجد أول ما يطالعنا كتابين: الأول بعنوان (صيغ الجموع في القرآن الكريم) وهو دراسة استقرائية إحصائية وصفية تحليلية لصيغ الجموع في القرآن الكريم جاءت مقسمة إلى ثلاثة أبواب تناول الباب الأول أنواع الجموع بقسميها: المنتهية بلواحق، وغير المنتهية بلواحق وأما الباب الثاني وهو لب البحث وجوهره فعالجت فيه الفقيدة أمثلة الجموع في القرآن الكريم، وصنفتها وفق صيغها في معاجم مرتبةٍ ترتيبًا هجائيًّا وخصت الباب الثالث بالجموع في القراءات مراعية الجوانب الدلالية والسياقية أثناء النقاش والتحليل.

وأما الكتاب الثاني فكان بعنوان (أبنية المصدر في الشعر الجاهلي) وهو دراسة استقرائية أيضًا تعتمد الوصف والتحليل لأبنية المصدر في مستوى معينٍ من الاستخدام وهو الشعر الجاهلي وجاءت مقسمة إلى ثلاثة أبواب تناول الباب الأول طبيعة المصدر من خلال مناقشة بعض قضايا المصطلح وآراء القدماء والمحدثين وجهودهم ومنهجهم في بحث المصدر، أما الباب الثاني فعالج أبنية المصدر في الشعر الجاهلي، وأفادت الباحثة الفقيدة أثناء معالجتها لتلك الأبنية من بعض الأفكار الحديثة: كفكرة المقاطع وفكرة السوابق واللواحق، وأما الباب الثالث فخصته ببحث قضايا المصدر الصوتية والصرفية.

ولها نتاج غزير من البحوث المنشورة في المجلات العلمية، وقد امتاز نشاطها البحثيّ عامّة بعمق التحليل، والاستقراء، واستقصاء الفكرة، وأصالة الموضوعات، والنفس الطويل، والسعي الحثيث على تتبع المسائل المشكلة، ومقارنة الآراء، والدقة في رصد الظواهر اللغوية، والقدرة على تفريع المسائل وتصنيفها، وتجلية المفاهيم ونقدها، بلغة عالية الفصاحة ثرّة في تعبيرها وبلاغتها، سليمة في معناها ومبناها.

ومما وجهت عنايتها إليه قراءةُ نصوص التراث العربي شعره ونثره، ولم تقتصر في قراءاتها على مناهج التحليل اللغوية السائدة قديمًا وإنما حرصت على ربط العربية بالمنجزات والمناهج اللسانية الحديثة من خلال التأصيل العلمي الدقيق، وبرعت في مقاربة الخطابات وتحليلها وفق منهج علمي يتوخى الموضوعية، ويتحرى الحياد، ويتغيّا الجِدّة في فهم الظاهرة اللغوية. واستعانت في ذلك كله ببعض الحقول المعرفية الأخرى الاجتماعية والنفسية والإعلامية، آخذة بعين الاعتبار تمازج الاختصاصات وانفتاح الدرس اللغوي الحديث على مختلف العلوم المجاورة له؛ لذلك جاءت بحوثها جادة ثرية مُضِيفة فاحصة تفتَرّ عن عقل وفكر موسوعي عميق الاطلاع.

ومن اللافت للنظر في اختياراتها لموضوعات بحوثها أن الفكرة البحثية ربما طفت في ذهنها من خلال التأمل المعمق والتذوق البديع للغة، ولاسيما في جانبها الحواري إذ تستبيها بلاغة النصوص التراثية وسحر بيانها وعجيب سبكها فتزمع حينئذ بحثها وسبر دلالاتها وتنوعاتها الأسلوبية وتفكيك بنائها اللغوي (وكشف غموضها وتجلية ظنونها) كما تعبر هي مستجليةً كل ملامحها التبليغية والبيانية والإيحائية والفلسفية

والتربوية والجدلية والنفسية وموجهة عنايتها إلى القرائن السياقية النصية والمقامية، وربط الأنساق اللغوية لنصوص المحاورة بثقافة العصر ومؤثراته الحضارية وأبعاده الاجتماعية والسياسية، مع توظيف كافة المقتضيات التواصلية والتداولية والسيميائية في الكشف عن المعنى والمقصد.

وهي لا تكتفي بتفكيك النص الحواري، وإنما تشقق بشأنه التساؤلات، فتطرح السؤال تلو السؤال ثم تجيب عنه من خلال التقاطات لـمّاحة عميقة الرؤية والفكر، فإذا بها باحثة محاورة للحوار نفسه متناصّة معه بأفكارها متعالقة معه حينًا بتأويلاتها الضافية ومشاكسة له في طرحه حينًا آخر، وهي إذ تناقش النص وتسائله تستنطق فكر شخصياته التي تنوعت ما بين غلام أو امرأة أو مسنّ أو طفل كما تنوعت مصادرُه المرجعية فمن كتاب تاريخي إلى آخرَ أدبي، ومن آيات قرآنية إلى حديث نبوي ومن وصية إلى بيت شعري ومن خبر إلى حكمة أو مثل أو نادرة.

وأذكر من بحوثها التي تندرج في هذا الجانب الحواري من اللغة وقراءة نصوص التراث:

-قراءة تداولية في محاورة الحجاج مع غلام من أهل الكوفة.

-المرأة المحاورة- قراءة في التراث.

-صورة المسن في التراث اللغويّ.

ولـم تكتف ببحث اللغة في جانبها المكتوب أو المنطوق وإنما صرفت عنايتها إلى ما يصاحب الفعل الكلامي من تعبيرات حركية تعزز من قوته الإنجازية، كالإشارات

والإيماءات الجسدية، وتعبيرات الوجه، كما في بحثها الموسوم بـ(التواصل غير المنطوق في ديوان عمر بن أبي ربيعة: مستوى التبادل البصَريّ نموذجًا) الذي خلصت فيه إلى أن مستويات التبادل البصَريّ في ديوان عمر كشفت عن ذلك التنوعِ الدلالي للغة العيون، وعن تلك المقدرةِ التعبيرية لدى الشاعر في توظيف الاختلافات الدلالية بما يحقق التوافق الفني والواقعي، وفي ظل اهتمامها بهذا الجانب التواصلي غير اللفظي ألقت محاضرات عدة في الإطار نفسه منها: (لغة الحركة الجسمية: الدلالة والمفهوم).

ولم تقصر اهتمامها على النص التراثي وإنما تجاوزته إلى اللغة العربية المعاصرة ولهجاتها، فقلبت النظر البحثي في خطابات المحتوى الإعلامي ووسائل التواصل الاجتماعي إضافة إلى الأمثال الشعبية وما يتصل بها من جوانب نفسية واجتماعية، ومن بحوثها في هذا المضمار: (مستويات الاستعمال اللغوي في ساعات البث اليومي: القناة الأولى – التلفزيون السعودي) و(من أمثال القصيم: دراسة في المضمون والصياغة)، و(من مستجدات الخطاب والتواصل: رسائل الجوال نموذجًا).

وعلى الرغم من تخصصها، رحمها الله، في العلوم اللغوية لم تقف عند حدود العلم اللغوي وإنما أطلقت العِنان لشغفها العلمي أن يشق بحر البلاغة والأدب ويطاول قمم البيان؛ فإذا بك أمام بلاغية تستشف مواطن الجمال في الخطاب وتقبض على شوارد المعاني وإيحاءات اللفظ، ولا أدلّ على ذلك من بحثها الحصيف

الموسوم بـ(الخوف في سياقات قصة موسى في القرآن الكريم: مثيراته وتأثيراته)، والحق أنك لتعجب أفي البلاغة والبيان هذا البحث فعلًا أم في التراكيب أم في المعجم أم في علم النفس أم في علم الإنسان أم في علم الاجتماع؟ فقد اقتحمت به الباحثة جبلًا أرعنَ لا تبلغ قمته سوى نفس جسور صلدة تسربلت بأدوات بحثية تضرب بأطنابها في شتى مفازات المعرفة، وإن قارئ البحث، مع ذلك، لتستهويه تلك اللغةُ الأدبيةُ التي سبك بفرائد ألفاظها ونُسج بخمائل حروفها، وإنه ليعجب من ذلك النفاذ المدوي للباحثة في أغوار النفس الإنسانية حين يستثيرها الخوف ويدفعها إلى شتى السلوكات اللفظية والجسدية، وعلى الرغم من أن مشاهدَ الخوف جاءت متناثرة في ثنايا التنزيل مازال ذلك البحث يتقصّاها حتى نظمها في سِمط واحد يروق للعين بصيصُ دره.

وللفقيدة، رحمها الله، إلى جانب تلك المنجزات البحثية المنشورة جوانب أخرى من الأنشطة العلمية، تتمثل في الإشراف على الكثير من الرسائل العلمية الماجستير والدكتوراه ومناقشتها وتحكيم الترقيات العلمية في عدد من الجامعات إضافة إلى تحكيم بعض الأبحاث العلمية في عدد من المجلات العلمية العربية كما شاركت بأوراق عمل بذلت فيها جهودًا مضنية في النفاح عن اللغة العربية، ألقتها في كثير من الملتقيات والندوات والمؤتمرات وحلقات البحث في جامعات عديدة، ولاسيما فيما يتصل باللغة العربية وتحديات الهُوية، وأسهمت في دروس ومحاضرات جمة تنسرب في دائرة الاهتمام نفسها، ألقتها في مراكز البحوث والمكتبات والمدارس والمهرجانات التربوية والثقافية، يضيق المقام بذكر عناوينها، وأخص بالذكر

مساهماتها الوافرة في حلقات النقاش التي كان يقيمها مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية.

وحازت، رحمها الله، عضوية الكثير من اللجان والجمعيات العلمية التي تُعنى باللغة العربية في العالم العربيّ، أذكر منها عضو رابطة الأدب الإسلامي بالرياض وعضو جمعية اللغة العربية في المملكة وعضو رابطة الأدباء في الكويت وعضو جمعية اللسان العربي في القاهرة، وصفوة القول أن اللغة العربية كانت مثار فخر لديها واعتزاز وولاء وانتماء وهوية وحضارة وتاريخ، وكان لها القِدْح المعلّى من وقتها واهتمامها وعنايتها في شتى المحافل والمناسبات والأوساط الأكاديمية والثقافية والإعلامية، فلا تراها تكتب عن العربية إلا وتحسب قلم الجاحظ امتطى أناملها وظلت العربية هاجسها الذي لا يهدأ وَجِيبه، تذود عن حياضها حتى فاضت روحها إلى بارئها.

يضاف إلى ذلك مشاركتها في عدد من الموسوعات العلمية وإدارة عدة أمسيات شعرية كما تزخر سيرتُها بكثير من المشاركات الثقافية في الإذاعة والتلفزيون الكويتي والسعودي، والكتابات الصحفية في عدد من الصحف والمجلات الثقافية في البلدين: الكويت والسعودية، ذانك البلدان اللذان أُشرِبت حبُّهما فأودعتهما جنبات قلبها وضمتهما بين جوانحها كما تضم السماء الفرقدين وعاشت كغمامة سكوب يهيّجها الشوق حينًا فتسري إلى الكويت ويجتويها الحنين حينًا فتغدو إلى الرياض حتى وافتها المنية.

تلك لمع سريعة عن منجزها العلمي الذي أراه لا ينفصم عن ذلك الجانب الإنساني النبيل الذي عرفت به، فأراني حين أتحدث عنها إنما أتحدث عن جمهرة إنسان، قدّت من حنان الأم ووفاء الزوجة وتواضع الباحثة وصبر المربية وحكمة الخبيرة وأناة المعلمة.

ولئن كنا نحتفي بها اليوم فلكم احتفت هي برموز العربية وأجلّت نبلاء الفكر والمعرفة ولكم عظمت فرحتها بترقية زميلة، أو نبوغ طالبة أو إنجاز باحثة، تعرف لكلٍّ قدره وتبوئه مكانته المستحقة، وتنسب الفضل لأهله وتعزو المعروف لصاحبه.

وما أحبت إنسانًا، رحمها الله، إلا رفعته في علّية قلبها وأغدقت عليه رعايتها وجادت له بمدادها وأكرمته بجميل ثنائها وحشدت له الأصوات وذكرته بجليل صفاته في المجالس حتى لربما سار بذكره الركبان من فيض ما أجزلت له الاهتمام وجادت له بالعناية.

أرانا نحتفي بها اليوم وهي التي ما علمتْ يومًا بمحفل سيقام لتكريم صديقة أو توديع زميلة إلا كانت أول الحاضرات تبهَر الجمع بابتسامتها العذبة ونظراتها الوقادة بالحب وصوتها الطلْق الهادئ وخطابها البليغ المتأني الذي لم تكن تخطط لتنميقه وإنما كانت تقف بيننا كقمة شماءَ ترتجل كلماتِها وتقطفها غضةً من أفانين قلبها، فإن شق عليها الحضور أرسلت هداياها السخية متوجة بحروفها الهادرة شوقًا وودًّا.

هذه الثلة من الشمائل الكريمة هيأت لها أن تلج قلوب محباتها من طالبات العلم ورائدات الفكر والثقافة، فإن من عرفها من كثَب عرفها عذبة المنطق نقية السريرة نبيلة

الموقف رقيقة الإحساس لـمّاحة ألمعية، تعرف الأسى في وجه صاحبه قبل أن يشتكي وتستشف الفرح من مآقيه قبل أن ينطق ربة الحب وإيقونته بل كانت هي والحب صِنوين إذ كانت تقول: (أنا لا أستطيع العيش بدون الحب)، ولا مكان للبغض عندها سوى بغض المراء والمناكفات، متصالحة أبدًا مع الجميع حتى مع الموت الذي قالت عنه كما روت عنها إحدى الزميلات: "أنا لا أخاف الموت أنا مستعدة له".

تلك هي الدكتورة وسمية المنصور، هيّنة ليّنة حتى مع تلميذاتها تقبل العذر وتغفر الزلّة وتتجاوز عن الهفوة لم يُر باب مكتبها يومًا موصدًا تستقبل طالبات العلم بكرة النهار وأطرافه تزجي إليهن ثمار علمها وتهدي لهن فرائد نصائحها ولم تضن عليهن بتوجيه أو إرشاد ولو كان بها خصاصة من الوقت.

تشرح الدرس بأسلوب ميسر بعيد عن الغموض والتغليق وتفند من المسائل ما يشكل وتعيد إيضاح ما يثقل بذهن نقاد وخاطر وقّاد ولا أنسى حين درسنا أول مرة علم الصرف على يديها ونحن في المستويات الأولى من البكالوريوس كيف كانت تحضّنا على قراءة أمهات كتب الصرف ولاسيما كتاب الممتع لابن عصفور وتحبّب إلينا الرجوع إلى مصادر التراث اللغويّ وتعزز لدينا الوعي بأهمية البحث العمليّ وكم كانت تردد: "أطمح أن أراكن باحثات لا حافظات" وكعادتها، رحمها الله، في صنع الفروق اللغوية المدهشة بين المفاهيم كانت تؤكد لنا الفرق بين الممتاز والمتميز.

تلك هي الراحلة الجليلة الدكتورة وسمية المنصور أمّة من العطاء الإنساني والعلمي وقلب اتسعت حناياه لحب الجميع وقصة وفاء عزّ نظيرها مع رفيق دربها، وحماطة قلبها الأستاذ الجليل الدكتور إبراهيم الشمسان وفاء تتجلى بعض شذَراته في ذلك الكتاب الذي وسم باسمه الكريم، كتاب (أبو أوس إبراهيم الشمسان) الذي توجته فكانت هي فاتحةَ الكتاب وخاتمتَه وكأنها أرادت من حيث تشعر أو لا تشعر أن تحيط بأبي أوس إحاطة السوار بالمعصم وتطوقه حبًّا ووفاءً كما يطوق العقد الجيد كيف لا وهي التي لم تكن تأتي على ذكره إلا وتقول: (حبيبي أبو أوس) لم تكن تخفي تلك العاطفة المشبوبة ولا ترى غضاضة أن تبوح بها أمام الملأ وحدها من كان يفعل ذلك في الأوساط الأكاديمية التي ارتادتها.

فلا عجب ولا غرو بعد ذلك أن أسلمت روحها الطاهرة إلى بارئها بعد أن صنعت فلكًا فسيحًا يسبح فيه بدرٌ وبدور وزرعتْ روضةً وسميةً تهمي فيها ديمةٌ وطفاءُ ويصول فيها أوسٌ همام.

فسقى غيثُ الرحمة ثرى قبرها ما طلعت شمس وما لاح نجم.

والحمد لله رب العالمين.

الندوة الثانية

وسم وفاء لوسمية العطاء

جلسة ثقافية لصاحبة السمو الأميرة

نورة بنت محمد بن سعود

٠٦/ ٠٣/ ٢٠٣٤م

الرياض

تقرير عن الجلسة الثقافية كتبته د.أمل الشقير

اليـــومَ صاحبـــة السمـــوِّ حـــفـــيَّةْ تُزجـــي الفِعـــال بشيمـــةٍ عربيـــةْ

مـــن نـــورةٍ بنت الأمـــير محمّـــدٍ سحب الوفـــاءِ على الرُّبـــوع سخيَّةْ

اليـــومَ يكتمِـــل الحضـــورُ محبَّةً ويضـــمُّ بين حـــروفـــه (وَسْمِيَّةْ)

محـــبوبة بحيـــاتها وممـــاتها وبـــذاك نشهـــد بـــكرةً وعشِيَّـــةْ

سيكون هذا اليـــومُ يومًا خـــالدًا وتَـــزِينه قـــصص الـــوفـــاء نـــديَّة

في يومِ وفاءٍ مشهودٍ بحضرة صاحبة السمو الأميرة نورة بنت محمد، وهي النبع الزاخر للحراك الثقافي النسائي، وذات السبق والسخاء في تكريم أولي السعة والفضل من المثقفات والأكاديميات، وفي رحاب قصرها العامر، وبحضور الفضليات صاحبات السمو والأستاذات الأكاديميات ورفيقات الراحلة وطالباتها وعائلتها العزيزة، خُلِّدت الذكرى واستجلَتِ القيم المثلى بأمسيَّة عنوانها (وسم الوفاء لوسمية العطاء)، وذلك مساء يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شعبان عام ١٤٤٥هـ؛ إحياءً

لمآثر الجليلة أ.د. وسمية المنصور رحمها الله ومناقبها، واستقطابًا لفضائلها واستذكارًا لعطاءاتها.

استهلّت صاحبة السمو الأميرة نورة بنت محمد هذه الأمسية بكلمة كريمة ذات نبل ونُدْحة[1]، فرحَّبت صاحبة السمو وحيَّت الحضور حفاوةً وسعادةً، ولا غرو في نبلها ورحابتها، فهي من مملكة السَّعد وعنوان العطاء الممتدّ، ومن أوفَى للناس من الوطن، فكيف إذا عدَا إلى العالمة الكويتية ذات الروح السعودية!

افتتحت الأمسية صاحبة السمو بحديث يثير الشجون؛ فذكرت أن الإلف في مجلسها الميمون كان إثارة الأفكار ومثاقفة القضايا العلمية أو الأدبية، ولكن اليوم مستثنى لشخص لا لقضية وفاءً وحبًّا.

وتولّت تقدمة الأمسية وإدارة مضمار الزمن المختزل أ.د. نوال الثنيان، فكان الزمن طوع يديها ورهن إشارتها، يومض بومضتها، ممسكة بزمام المثاقفات ومداراتها بكل اقتدار.

وبادئ بداءة هاتفت سمو الأميرة حصة الشعلان الحضور باتصال ذي أُثرة[2] بكلماتها الطيبات، وقد كانت على سَفر للتطبُّب، ولكنها آثرت المداخلة وهي تناهض مرضها استيفاءً لصاحبة الوفاء.

---

(١) الندحة والمندوحة السعة.

(٢) الأُثْرَة الخاصة.

ولا تسل عن سلامة قلب وسمية، بل سل عما يجرى في لسان شهودها، فها هي سمو الأميرة جواهر بنت عبد الله، تحكي وصاية أبيها الملك عبد الله –طيَّب الله ثراه– إذ وصَّى بناته العزيزات بعمارة قلوبهن بودادها؛ وذكرت أنها كانت –رحمها الله– مخمومة[١] القلب تحاكي فطرةً طهُرت، وأيُّ نقاء ذلكم النقاء!

وإلى فضاء معارف من فاضت روحها، عرَجت د. عزة الشدوي الغامدي بسُهمة مقدورة (في ورقة ميسمها: المنجز العلمي والثقافي للراحلة الجليلة أ.د. وسمية المنصور)، تمدنا بحبل روافدها المعرفية ومنجزاتها العلمية وتسرد مسيرة عمرها طويلة الذيل خفيفة الوطأة، ملقية لآلئ منثورة ربما ضاعت في مجاهل الزمن لولا صون نفائسها.

وفي حديثٍ منساب حكت أ. د. أمينة الجبرين (بورقة عنوانها: وسمية المنصور الإنسانة) مآثرها الإنسانية والاجتماعية، والقلب مشغوف بسماع مناقب وسمية، فسردت مآثرها قَصصًا، وخرج شهودها منها بخير زاد وأحاديث عجبًا زادتهم لها حبًّا وبها إعجابًا.

ثم كانت مشاركتي التي جاهدتُ فيها عبراتي وهي مرثية بأميمتي أ.د. وسمية التي لم تكن علاقتي بها علاقة الطالب فحسب، بل تجاوزت ذلك لأكون ابنتها وكلي بذلك فخر، وكان مستهلّها:

كيفَ استبدَّ بيَ الوجومُ الأكبرُ لا شيءَ في هذا الوجودِ سيخبرُ

---

(١) نقية.

وبرَغمِ هذا الحزنِ يعصِفُ داخلي   اللهُ من كلِّ المواجعِ أكبـــرُ

وكم أدهشتنا ما حدّثت به رفيقتها أ.د. سعاد المانع عما استكنّ في روح وسمية من الفأل الحسن، إذ كانت آخر عبارة قالتها لها: "قريبًا إن شاء الله سأعود وتعود أيام الأنس"، ولكن أمر الله نافذ، وقالت: "ذكرى وسمية تستجلب الحياة لا الموت!"، وقد كانت محقة، فكم كانت –رحمها الله– متفائلة تحب الحياة وتبعث الأمل.

وعلى إثرها أنارت لنا مسارب العمر، ونبشت في الذكريات من جسّت قلبها بذكراها، فدنت إليها صفيّتها أ.د. نورة الشملان بحديث الذكريات، فاستدعت عطاءات علم وسمية ودرايتها، واستذكرت مآثر تستوحي الحب، وقالت: "وسمية كأنها خُلقت للحب"، وهي كذلك.

وفي غضون الأمسية أنِسنا بمداخلات وقورٍ مشهودة، وكانت على نسق وضرب من الـميعاد، فحينًا تهب بذكريات جميلة، وحينًا تومض بقناديل أثيرة.

فهذه ملء قلبها وقرة عينها ابنتها ديمة الشمسان، تُصدِّق ما قيل فيها وأكثر، وتقول إن منظر أمها ومخبرها سيَّان، وعسيٌّ لمثلها بعث الحب والحياة في شتى أوضاعها، فما ألطفَ ما رأت من تودّد أمها للعاملات في المشفى وهي على سرير المرض، وقالت إنها أبصرت في والدتها قلب طفل يحاذر لسعة الإبر، ولكنها لا تخشى القدَر، أو أن يتخطّفها الأجَل، بل كانت دائمّا طاهرة متوضئة على استعداد لبغتته فأحسن الله لها الختام بأن قُبضت روحها وهي على تلك الحال.

وما جمعنا في يوم ذكراها إلا الوفاء، وما منا إلّا وهي تنازع العبرات، متمالكة ومسترسلة، أما رفيقتها وجارتها د. عواطف القنيبط فلم تتمالك دموعها وقالت إنها لم

تُصدق خبر نعيها ودفنها في الكويت، واستعصى فقدَها على عقلها وقلبها، ففتحت باب بيتها في الرياض وأقامت العزاء لها فقد كانت تجمعهم آصرة الأخوة، بل هي منهم بمنزلة أختهن الرابعة.

وأما عن أهل اليمن، فقد استظهرت أ.د. ذكرى القبيلي رقة فؤاد وسمية ولين قلبها، إذ كانت هجيراها[١] لها: "أحبك، وأحب أهل اليمن"، وأنها كانت أول من بارك لها في نيل درجة الأستاذية رغم أنها كانت آنذك في الكويت.

وأما تِربها الأستاذة مي الجاسر فحدّثتنا عن أخلاق وسمية الآسرة ومحاسنها المتّسمة بمجانبة التكلف وخفض الجناح، فلا يُدرَى شأوها وشأنها، وما حديث خِدنها الكويتية الأستاذة الطبيبة فوزية الكندري عن ذلك ببعيد، فهي مائيَّة الطبع ومخلوعة[٢] الأوسمة بين أترابها ومن دونهم تواضعًا ولينًا، مع أنها أستاذية العطاء والاحتواء، وأستاذية قيم الحب، ونفخِ الروح في القاصي والداني.

وبينما كانت الحاضرات متأثّرات لما يسمعن أتت مداخلة جارتها د. هدى الغنيم، وذكرت ما اتصفت به وسمية من الدعابة والمرح والروح الخفيفة، وذكرت من المواقف ما جعل الحاضرات يتبسمن وكأن وسمية أبت –رغم غيابها– إلا أن تداعبنا وتؤنسنا كعادتها، ومن أجمل ما نعتتها به جارتها قولها عنها: (وسمية كانت روحها ملائكية!).

---

(١) كلامها الذي اعتادت قوله.

(٢) غير متباهية.

لله أنتِ! ما أجملَ نقاءَك يا روحًا سمت إلى باريها، وما أحسنَ أن ترى في النساء من تعرف المعروف وتعضد على الخير، وتكون في منأًى عن التنافس الدنيوي والغَيرة غير المحمودة.

وفي ختام الأمسية قدمت الشاعرة د. هند المطيري زميلتها في القسم أعذب الشعر وأحسنه، وقالت في حديثها عنها "وسمية الكويتية ذات الروح السعودية"، فما أدقَّ هذا الوصفَ وما أرقَّه!

وإذا أردت أن تقابس معنى وفاء وسمية في ذراه، فلك في صنيعها في أواخر حياتها أسوة، إذ عكفت مع أبنائها على جمع شهادات وأعمال لتهدى إلى شقيِّق نفسها –أبي أوس الشمسان– ضميمةً في كتاب بين دفتين، فبداءتها هي ومنتهاها هي، وكأنها تختم حياتها معه بالحب كما عهده معها، والعجب كل العجب أن يبادلها الأستاذ الجليل زوجها أبي أوس بكتاب يُعدّ الآن عنها، وكأن هذه الأسرة خُلقت للحب والوفاء في أسمى صوره.

وختمت صاحبة السمو أمسية الوفاء بأصدق الشكر وأخلص الدعاء للحضور، وقالت إنها شعرت أن روح سفيرة الكويت وسمية كأنها معنا في هذا المساء.

ثم قدّمت ابنة الراحلة ديمة الشمسان نيابة عن أسرتها الكريمة درعًا بين علمين (علم السعودية وعلم شقيقتها الكويت) إلى صاحبة السمو إشارةً إلى الراحلة التي كانت ذات الوطنين روحًا وحبًّا.

ثم أفاضت صاحبة السمو من جود سَيْبها بمدِّ مأدبة عشاء للحضور في ذيل اللقاء، فأسبغ الله عليها من واسع فضله وزادها الله كرمًا ووفاءً.

وكان على جانب الأمسية "كتاب الذكريات" حمَّالِ المشاعر التي أهديت من الحضور لروح وسمية بخط أيديهن.

لقد مرت ساعات وسم الوفاء مرور النسيم بالأحباب، فرحم الله روحًا كانت نسائمها في الدنيا جميلة.

هكذا أنت يا وسمية العطاء!

لقد رحلت ورحل من بعدك جزء من الحياة، طبتِ بالفردوس أيتها النفس المطمئنة، وسلام عليها يوم ولدت ويوم ماتت ويوم تبعث حيّةً، وإليها قافية الحب والوفاء ومنتهاها.

سجل توقيعات

١

بسم الله الرحمن الرحيم

ماذا عساني أن أكتب عن د. وسمية الغالية.

هل أتحدث في اللغوية الباحثة أم عن الكاتبة الجليلة أم عن من حملت عبق الأوطان وشبابه أم أم أوس الإنسانة ذات القلب الظاهر، طهارة الطفل البريء وعطاء الشيخ الحكيم أم لعلي أتحدث عن الصديقة الغالية د. وسمية من تنشر الفرح أينما حلت، الزوجة المحبة والأم الفخورة بنجاح الأبناء، المواطنة الكويتية السعودية القلب الذي اتسع للأسرة، والعمل والطالبات والصديقات والفقراء والمحتاجين، عاشقة لغة القرآن المحاربة الصارمة لبقائه شامخا.

رحم الله د. وسمية لن ننساك ما حيينا. وأدام الله ذكراك نبراسًا لنا نقتدي بك.

نورة بنت محمد بن سعود بن عبدالرحمن

٢

بسم الله الرحمن الرحيم

٧-٣-٢٠٢٤م

إلى من روح من أحبت الناس وأحبوها

إلى دكتورة العطاء والوفاء

رحمك الله دكتورتنا الحبيبة الغالية أم أوس كما تحب أن نناديها.

رحم الله من أفنت عمرها وهي تعطي في كل المجالات.

رحلت ولكن روحك الظاهرة باقية في نفوسنا. ومن خلّف ما مات حفظ الله بناتك الغاليات وأبنائك البررة، وحفظ الله أوفى من أحببت أبوأوس، الله يحفظه، ويمد في عمره ليكمل مسيرتك العطرة.

محبتك جواهر بنت عبدالله

٣

الأخت الغالية والصديقة الحنونة

رحلت وتركت بصمتك ومحبتك في قلوبنا كلنا رحمك الله، تركت أثرًا كبيرًا لن ينساه أحد.

محبتك بارعة الصباح

٤

أختي الغالية أم أوس

الكلمات تتبعثر أمامي وأعجز عن اختيار ما يعبر عن حبي وحزني، فأنت أكبر من الكلمات ولعلي أكتفي بالدعاء لك بالرحمة والمغفرة وأن يجزل لك المولى الثواب، ويكتبك في صحيفة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

نورة الشملان

٥

نهلنا من الوسميّ فارتوينا ... ولم يَرْتَوِ الحديث منّا

سبق أن قلت إني لن أكتب إلا بإيعاز من القلم. وهاهي الذاكرة تنهال مثل صيّب له من اسمها نصيب. كانت وسمية روحا ناصعة أكثر ما تتعلمه منها هو الشغف. تفعل كل شيء بشغف يذكرني بقول التوحيدي "متى كانت الحركة بشوق طبيعي لم تسكن البتة". تشيع الحب والإيجابية حيثما حلت، تغمر الجميع بحبها وتصغي إلى ما في نفوسهم تقرؤها في قسمات وجوههم وعيونهم قبل أن تنطق به ألسنتهم. مازالت نبرة صوتها في جوالي املأ بها فراغا تركه غيابها. ليس الموت مشكلة الأموات إنه مشكلة الأحياء في تعاملهم مع استحالة الحضور يؤثثون بالكلام وحشته القائمة، وسمية لم تترك إلا ألقا وضياء رحم الله وسمية.

بسمة عروس

٦

هذه الأمسية

لفتة كريمة وفيّة من صاحبة السمو الأميرة نورة بنت محمد أثارت فينا الشجن والحنين لصديقتنا الغالية تقبلها الله في واسع رحمته وأدخلها فسيح جناته د. وسمية المنصور.

أ.د. فتحية حسين عقاب

جامعة الملك سعود- قسم التاريخ

٧

ممتنة بهذا الحب وهذا الوفاء.

اشتقت لك حبيبتي الراحلة.

نورة السحيباني

٨

وسمٌ على العلم إن غابوا وإن حضروا	فعلمهــم في الــورى بــاقٍ لـه أثــرُ
وسميةُ العلــم مَن جئنـــا نكرمهـــا	والهدلق العالمُ والباقون لــو عبروا
هـــذا الوفـــــاء الذي ترعى قيادتنـــا	جـــراء ما زرعــوا فينــا وما بذروا
غابــوا وقد تركوا في العلم ساحتهــم	كأنما غــاب عنّا الشمس والقمـــرُ
لكنّمـــا علمهـــم فينـــا يُصبّرنـــــا	قد أسعف العلم ما لم يسعف القدرُ

هند المطيري

٩

غاليتي فقيدتنا د. وسمية

التقينا في رحاب الوفاء لك وعلى روحك المشرقة أرسلت رحمات ودعوات وأمل لقائك في الفردوس الأعلى. دام ذكرك عاطرًا. وسعدنا برؤية الابنة الغالية ديمة وعقيلتي الأبناء أوس وبدر حفظهم الله.

السيدة التي لا تغيب عن الذاكرة

د.عواطف سلامة

٢٥/ ٨/ ١٤٤٥هـ٦/ ٣/ ٢٠٢٤م.

١٠

فقيدتنا المحبوبة الأم الحنونة قبل كونك أستاذتنا القديرة. اسمك وسمية وقد حملت أوسمة كثيرة، وسام الإنسانية ووسام العلم ووسام الحب ووسام العطاء بكل وجوهه ووسام الدعم وأيضا تقلدت وسام حب الآخرين لك بل الإجماع على ذلك الحب.

ذهبت شخصًا وبقيت أثرًا جميلا في حياتي وحياة كل من عرفك باختلاف مجال المعرفة.

لن أنه لك كلمتك التي كنت ترددينها كلما رأيني وهي : "أنت يا الجوهرة دكتورة بلا دكتوراه"، وإحساسي الذي أشعر به حين تضمينني إلى حضنك باقٍ في الشعور.

رحمك الله ورضي عنك وأرضاك.

الجوهرة بنت عبد العزيز المعيوف

٢٥ شعبان ١٤٤٠هـ

١١

كان مساء مضيئا، ذاك الذي عقد في مجلس الأميرة نورة بنت محمد الثقافي. وقد خصص ذلك المساء لتأبين فقيدة قسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود أ. د. وسمية المنصور رحمها الله وغفر لها. وقد عايشت الفقيدة صديقة عن قرب وزاملتها بضع سنين. عرفتها ذات قلب محب كبير. أحبت وطنها الكويت وأحبت وطنها الثاني السعودية، وتركت في قلوب طالباتها ذكرى خالدة بما كانت تضفيه عليهن من محبة ورعاية إلى جانب العلم والمعرفة. تغمدها الله بواسع رحمته وجزاها جنة عرضها السموات والأرض بما قدمت من عمل صالح. وشكر لا ينقطع لسمو الأميرة المثقفة نورة بنت محمد التي تهتم دائمًا بتنمية المرأة وصقلها فكريًّا وثقافيًّا، وجعلت من مجلسها منارة تضيء الفكر والعقل. وشكر آخر للصديقة العزيزة الأستاذة الدكتورة نوال الثنيان التي أشرفت على تنظيم الندوة وإداراتها بما يليق بالمناسبة.

أ.د .عزيزة المانع

١٢

تكريم من أميرة الوفاء والعطاء إلى سيدة الوفاء والحب بكل الحب وعظيم الفقد أكتب للأستاذة الدكتورة وسمية المنصور (أم أوس).

سيدة اللغة العربية والخبيرة بمفاتيحها والوقوف على دهاليزها باقتدار ومعرفة علمية رصينة باللغة .. كانت رحمها الله باهرة في اختيار ما تقدمه على منابر العلم والمعرفة وفي قاعات المحاضرات والبحث.

أما د. وسمية الإنسانة التي ملكت القلوب، قلوب محبيها ومعارفها وأصدقائها بصدق الإحساس والشعور والمحبة والقدرة على الاحتواء والحميمية في اللقاء وكرم الضيافة وحسن التواصل والوفاء والمودة الصادقة فتشعر كل من تعرفه أنه رقم واحد في قائمتها الطويلة من الأحباب وتشعرك بهالة من الحب والود تحيطك أثناء التواصل معها، تعظم كل فعل بسيط وتجعله من وفائها وحفظها للجميل هرمًا؛ لأنها إنسانة قبل أن تكون أكاديمية بحبها وعطائها المتدفق وقدرتها على جمع القلوب وبمشاعر وأحاسيس راقية ونبيلة، فالكلمات لا تفيها حقها في ذكر خصالها العظيمة بل نحتاج إلى مجلد من الثناء والمديح لتكون أنموذجًا رائعًا للإنسانية. رحم الله الغالية أم أوس وغفر لها وعفا عنها وأسكنها الفردوس الأعلى من الجنة. وبارك الله في ذرّيتها ووالدهم.

المحبة

د.منيرة صالح العكاس

٥/ ٣/ ٢٠٢٤م

١٣

دكتورة وسمية المنصور.

سيدة العلم والمجتمع والعمل الخيري رحمها الله.

هند السديري

١٤

جاورت الدكتور وسميه وكانت خير جارة. أتمنى من الله كما كانت جارتي بالدنيا تكون جارتي في جنات الفردوس الأعلى تحت عرش الرحمن ووالدينا وأزواجنا وذرياتنا وأحبائنا.

هدى بنت عبد الرحمن الغنيم

حي الإزدهار سابقا

١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

وسم وفاء لوسمية العطاء خير عنوان لخير إنسان عرفته. أبحث في قلبي عن كلمات تتحدث عنك فتضيع. كيف عنك نقول ونكتب يا وسمية أختي وحبيبتي الغالية التي استشعر القلب فقدها والحب وجودها لكن أسأله سبحانه أن يغفر لك ويجمعنا معك في جنات النعيم و يحفظ عليك الأجر الجزيل بما تركت من الأثر الكبير والعمل الكثير ربي يتقبل منك ويرفع درجتك في عليين.

محبتك

د. فوزية الكندري

١٦

الوسم وسمية أستاذتنا الإنسانة الاستثناء. لم تكن مارة وغادرت بل هي مِن مَن هم في بطن الأرض أحياء. كان حزننا كبيرا لفراقها فلا تلاقي في هذه الحياة الفانية؛ لكنا

مغمورون بحبها وأثرها، فلم تكن الوسمية سيدة وكفى ولا أستاذة وكفى بل عالمة وإنسانة وقامة ومفكرة وسيدة وصديقة وأديبة وأُمًّا تركت أثرًا وبصمة وقدوة. غادرتنا وتركت الأثر. رحمة الله وأسكنها فسيح جناته. رحم الله قلب الطفلة أ. د رسمية.

أ.د. ذكرى يحيى القبيلي

١٧

يقول شوقي:

لا تحتقر عالَماً أنت فيـــه ولا تجحد الآخر المنتظر
وكن رجلًا إن أتــوا بعــده يقولـــون مرّ وهـذا الأثر

ليس أبقى من أن نترك أثرًا طيباً يكون لنا إرثًا ممتدًا عبر الأزمان وعبر الحياة وعبر القلوب، وليس أرقى من أن نرتب للناس أماكن في قلوبنا، وليس أنقى من أن تجد لك مكاناً في قلب أحدهم ، فكيف إذا كان هذا المكان هو قلب حبيبتنا أم أوس، كما تحب أن نسميها .

أمينة الجبرين
قسم اللغة العربية

١٨

وسمية الخير والعطاء.

لقاء قصير وأثر طويل وجميل تركته في نفسي هذه الإنسانة العظيمة ذات الروح الجميلة.

التقيت بها في يوم جميل في بيت الدكتورة نورة الشملان، وكانت لحظات رائعة بقربها شعرت خلالها بدفء روحها و كأني أعرفها منذ زمن.

فإلى جنات الخلد يا أم الجميع، وجمعنا الله بك في الفردوس الأعلى.

شيخة الحجرف

١٩

وسمية يا مطر وسمي سقى الوديان برعوده.

أستاذتي وسمية تلك الإنسانة الجميلة الرائعة التي تمنحك الدفء والحنان تشع نورا يتسلل إلى القلب ويعطيك شعورا يصعب وصفه، إلا أنه يشعرنا بالأمومة الحانية، والدفء والأمان.

كان لي الشريف أن حظيت بمناقشتها لي وأستاذي الفاضل أبا أوس الشمسان في رسالة الدكتوراه، سعيدة أن جمعت قلبيهما المحبين في يوم لا ينسى من أيام حياتي.

رحم الله ذاك الوجه البشوش والابتسامة الجميلة والقلب الحاني والأم الرؤوم.

د. أمل بنت سالم الحضرمي

شهادات

تظاهرة حبّ*

د.إبراهيم بن عبدالرحمن التركي
رئيس تحرير المجلة الثقافية–صحيفة الجزيرة

– تظاهرة الحب ليس مجرد قولٍ عابرٍ بل حقيقة أحس بها الزملاء في «الثقافية» وهم يُعدون هذا الملف من لدن إعلانه حتى عنوانه؛ فلم يقف الهاتف والبريد الآلي عن الاستفسار والاستقبال والسؤال والترقب تكريمًا لأستاذة جيلٍ بدا لنا عبر ما قرأناه وسمعناه أنها تجاوزت مرحلة البذل التأليفي والتميز المعرفي والقدرة الإيصالية إلى المحبة الجميلة التي زرعتها في نفوس وقلوب زميلاتها وطالباتها، وهو ما يجعلنا مقتنعين أن هذا الملف عن الدكتورة وسمية المنصور ممتلئٌ بالمشاعر فوق إضافاته المعلوماتية والتخصصية عن مجالٍ ندر عارفوه ومتخصصوه بعدما صارت العاميّة والعربيزيّة واللّحن المباح والاستهانة بالفصحى ومحاولة تعويم أدواتها واستسهال مدخلاتها ومخرجاتها ظواهرَ تتبدى لنا في مقاعد الدرس ومحابر الطرس وعلى الألسنة وعبر الوسائط الفردية والجمعية.

أمّا نحن فقد عرفنا الدكتورة وسمية بتآليفها وبحوثها وحضورها المنبريّ الجميل مدخلةً أو متداخلة، وشرف صاحبكم بأكثرَ من تعقيبٍ لها على أوراقٍ قدَّمها في منابر أكاديمية، ووجد منها الفهم والتفاهم ولغة العلماء الهادئة وإنصاتهم الوقور والأخذ

* نشر في المجلة الثقافية–صحيفة الجزيرة في السبت ٤محرم ١٤٣٧هـ/١٧ أكتوبر ٢٠١٥م. ع٤٧٤.

بمنطق الفرضيّة وإثباتاتها بمرحليّة وتدرج دون الجزم الحازم الذي يسد منافذ الأفق على اتساعها أمام القول ومقوله والنظرية وامتداداتها.

لصاحبكم منفذ آخر جميل تواصل به مع الدكتورة دون أن يتصل؛ إذ يكفي أن يكون شريكُ عمرها أستاذَنا الكبير الدكتور إبراهيم الشمسان ليدركَ القارئُ أن الجمال لا يجيءُ منفردًا بل يحيط به من بين يديه ومن خلفه النبل والعلم والسماحة والتواضع والإيثار والهدوء والوفاء ممثلًا بالإنسان الفاضل أبي أوس رعاهما الله، وكلاهما يستحقان أن يُكتب عنهما أنموذجين في تكامل أدب النفس والدرس بعدما شحَّ حاملوهما، والله المستعان.

- الحب لا يُشترى.

إنّها لَوسمية!*

أ.د. أحمد مطر العطية
جامعة الملك سعود

في موروثنا الشعبي الوسمية هي السحابة التي تَنْهَلُ بالمطر الغزير في زمن الوسم، وهذا المطر من أنفع الأمطار وأكثرها فائدة؛ إذ يأتي بالخير الوفير واليمن والبركة؛ فتأخذ الأرض زخرفها، وتنبت شتّى أنواع النبات الذي يفيد الأنام والأنعام. وكما يقال لكلٍّ من اسمه نصيب، فالدكتورة وسمية المنصور لها من هذا الاسم أكبر نصيب، فقد كثر عطاؤها وتنوّع، وقدّمت الخير الوفير لمجتمعها؛ فأينع عطاؤها، وعلا غرسها.

ولست أدري بماذا أستطيع أن أتحدّث عن أمّ أوس، فالحديث عنها لعسير؛ لأنه أوسع من صفحات معدودة، وهل يجمع البحر في ساقية، أو يختصر السِّفْر في وريقات؟! فلا يمكن أن أفيها حقّها في حديث وإن طال، ولكن حسبي أن أشير إلى بعض الإضاءات في فكر الدكتورة.

أقول هذا لأفصح عن تقديري الشديد لأختي أم أوس، لقد سعدت بزمالتها في قسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود سنوات عشرين، الأصدقاء كثر ولكنّ لأم أوس مكانًا أثيرًا خاصًّا، ربما كان ذلك لتقارب الفكر والمنهج، عرفت فيها الأديبة

---

* نشر في المجلة الثقافية-صحيفة الجزيرة في السبت ٤محرم ١٤٣٧هـ/١٧أكتوبر ٢٠١٥م. ع٤٧٤.

الأريبة، في حديثها عذوبة وطلاوة، وفي تآليفها صدق وبراعة، وفي شخصها الجدّ والإتقان، والالتزام والإخلاص والتفاني في العمل.

كانت أستاذة جامعية لامعة، وباحثة جادّة، تخوض في بحر اللغة؛ لتلتقط اللآلئ والدرر، لقد بلغت في العلم شأوًا بعيدًا، جمعت بين التراث والمعاصرة.

كانت باحثة تراثية خبرت علم النحو والصرف، واستقتهما من مناهلهما الأصيلة، وصنّفت كتبًا فيهما، وكانت باحثة حداثية، درست علم اللغة الحديث، وأتقنت فنونه، ونصبت جسرًا يصل حاضر هذا العلم بأصوله التراثية، وكتبت بحوثًا فيها الجدّ والطرافة، وفيها الأصالة والمعاصرة في تحقيق علميّ رصين ربط التراث بمعطيات علم اللغة الحديث.

لم تكن متعصّبة للقديم لكنها كانت عاشقة له، ولم تكن منكرة للحديث بل كانت مولعة به؛ فجاءت أبحاثها مزيجًا بديعًا من تراث هذه اللغة، وممّا استجدّ من لغويّات حديثة، وفق منهج يجمع بين اتجاهين؛ فيثمر علمًا غضًّا ضاربًا بجذوره إلى أوائل علم النحو والصرف، وتمتد فروعه لتأخذ من الألسنيّة بنصيب وافر؛ فيشعر من يقرأ بحوثها بالمتعة والفائدة في آن واحد.

لقد نشرت ما يربو على عشرين بحثًا في مجلات متخصصة، وفي حقول متنوّعة، كما شاركت في العديد من المؤتمرات العلمية، والندوات الفكرية، وكذلك هي عضو في كثير من الجمعيات العلمية والاجتماعية والأدبية، وشاركت في برامج تلفازية وإذاعية، وحصدت شهادات شكر وتقدير من جهات مختلفة.

وكانت تتحف طالباتها بروائع علم التراث وبدائع علم اللسانيّات.

وتقدم لهن وخاصة في الدراسات العليا عصارة علم تكوّنت عبر سنوات من البحث العلمي والاطلاع في أسفار علم الأوائل وكتب المحدثين؛ لتنقل لهنّ تجربتها الطويلة في مجال البحث العلمي، ولتكوّن منهنّ باحثات واعدات يستلمن الراية بعدها. وأشرفت على كثير من الرسائل العلمية (الماجستير والدكتوراه)، وشاركت في مناقشة الرسائل العلمية المتنوّعة.

وكان لها حضورها المميّز في اللجان وجلسات القسم، تثري النقاش بما أوتيته من فصاحة وحسن منطق، وجمال عرض وبراعة حوار، فلا يملك المرء إلا أن يسلّم لها لحسن آرائها وسدادها، وغالبًا ما تكون لتلك الآراء القول الفصل، ألم أقل في البداية: إنّها لَوسمية!

شمس العطاء التي لا تغيب*

أفنان المسلم - فاتن محمد

إلى وسم العطاء ...

إلى الروح البيضاء ...

إلى أمنا القديرة أ.د. وسمية المنصور.

تتوالى المشاهد تلك التي جمعتنا بك، ليس يغيب عن أذهاننا منها شيء.

كم حلقنا معك في فضاءات العلم الرحبة، ونهلنا مرارًا من معين روحك العذبة.

أسأل الله العلي القدير أن تظلي دومًا منارة للعلم والمعرفة.

قال الرسول الكريم: (مَن صَنَعَ إِليكُم مَعرُوفًا فَكَافِئُوه، فَإِن لَم تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوه فَادعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوا أَنَّكُم قَد كَافَأْتُمُوهُ).

يكفينا فخرًا واعتزازًا أننا نكتب لك كلمة شكر، ونهديك ابتسامة رضًا بفيض من الحب والامتنان على جهودك المبذولة، وتفانيك المبارك في أداء مهنتك، فقد علمتنا الكثير..

وكلنا أمل بأن نكون يومًا من الأيام شيئًا يشبهك، ولو بالقليل، وأن نراك دائمًا بأبهى ابتسامة يمزجها عبير الورد والرضا.

---

* نشر في المجلة الثقافية-صحيفة الجزيرة في السبت ٤محرم ١٤٣٧هـ/١٧أكتوبر ٢٠١٥م. ع٤٧٤.

شكل اللغة في المستوى المكتوب*

أ.د. ذكرى يحيى القبيلي

جامعة الملك سعود – جامعة صنعاء سابقا

في البدء أحيي صحيفة الجزيرة وفكرة الكتابة عن شخصيات قدمت من علمها وحياتها.. ولا شك أن الكلمات تظل قاصرة عن الحديث والوفاء.

ثم إن الكتابة تغدو أجمل حين تكون عن قامة علمية ذات روح ندية وشفافة كالأستاذة الدكتورة وسمية ذات الحضور البهي التي يغدو العلم والمقام بها أجمل.

وهي اللغوية القديرة المتعمقة التي تجيد الرسم باللغة وتتنقل في بساتين المعرفة، تلتقط العلم وتصدره، متلقية واعية تضيف للنص قبل أن يضيف لها.

أ.د. وسمية المنصور فاعلة في البحث وحريصة على المؤتمرات والفعاليّات العلمية، مهتمة باللغة واستعمالها بوصفها نشاطًا إِنسانيًّا يؤدي غايات مستعمليها في التعبير عن أفكارهم وتحقيق أغراضهم والتواصل مع الآخر، فاهتمت بدرس اللغة في واقع الاستعمال؛ لذا شغلها البحث في اللغة المعاصرة والبحث في الدرس اللهجي، فقد كانت من أوائل الباحثين الذين اهتموا بشكل اللغة في مستواها المكتوب في المنتديات الشبكية ورسائل الجوال فنشرت بحثها (من مستجدات الخطاب

* نشر في المجلة الثقافية– صحيفة الجزيرة في السبت ٤محرم ١٤٣٧هـ/١٧أكتوبر ٢٠١٥م. ع٤٧٤.

والتواصل – رسائل الجوال نموذجًا) في الكتاب التذكاري لتأبين المرحوم الاستاذ الدكتور مصطفي النحاس زهران نشر جامعة الكويت – ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

وقدمت بحثها: من استعمالات اللغة المحدثة (العربيزي) الذي نشر في كتاب مؤتمر مواكبة الفصحى للعصر – الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة في الفصل الدراسي الثاني ١٤٣٢هـ / ١٤٣٣هـ . وحقق هذا البحث ريادة شدت المهتمين بدراسة اللغة المعاصرة.

وكانت قد مهدت لهذا البحث بعدة دراسات بدأتها بالورقة البحثية التي قدمتها في ندوة (عودة إلى اللغة العربية من إعداد لجنة المرأة تابعة لمجلس الوزراء الكويتي تاريخ ٢٧ أبريل ٢٠٠٨م عنوانها: الدلالات النفسية والسلوكية لدى المتحدث باللغة الأجنبية في غير سياقها).

ومن اهتماماتها باللغة المعاصرة قدمت ورقة بعنوان (اللغة ولاء وانتماء) الاثنين ٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ الموافق ٨ أبريل ٢٠١٣م في الندوات المقامة ضمن فعاليات مهرجان التراث والثقافة.

وتوجهها إلى تأمل خصوصية لغة الشباب في بعض المناطق العربية، فشاركت بمحاضرة (من مستجدات اللغة المعاصرة) في الملتقى التنسيقي الأول للمؤسسات المعنية بخدمة اللغة العربية مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية محور (اللغة والشباب) من ٢٧ – ٢٩جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ الموافق ٧ –

٩ مايو ٢٠١٣م. وقد أصدر المركز كتابًا ضم بحوث الملتقى الطبعة الأولى كانت في محرم ١٤٣٦هـ.

وما زالت الدكتورة وسمية ترصد التغيرات في الأبنية، وتحول الدلالات في التراكيب والصياغات المتفردة في لغة الشباب، وقد بدأت في إعداد معجم خاص بلغة الشباب ولا أعلم أين وصلت فيه، فإعداد المعاجم ليس بالأمر الهيّن على الباحث فكيف بمادة معاصرة سريعة التغير متفلتة، فالمفردة المستعملة اليوم تتغير غدًا، والصياغة تنتقل إلى دلالة جديدة فأعانها الله وسدد رميها.

ومن اهتماماتها باللغة المعاصرة أنها انكفأت على مراقبة الاستخدامات اللغوية في التلفزيون السعودي في دورة الصيف لعام ١٤٢٢هـ ودورة رمضان في العام نفسه؛ فجاء بحثها (مستويات الاستعمال اللغوي في ساعات البث اليومي)، وقد نشره مركز البحوث في جامعة الملك سعود عام ١٤٢٤هـ. ومن أهم ما رصدته في هذا البحث معوقات السلامة اللغوية في المادة التلفزيونية منها:

١ - صناعة النجوم، فالتلفزيون يصنع من الشخصيات التي تظهر في ساعات البث نجومًا، وذلك في كل حقل واختصاص، ولا تقتصر النجومية على المذيعين والمذيعات، بل يصبح نجمًا كل من يتكرر ظهوره على الشاشة الفضية، أو يكون ممن حقق شهرة في مجال جماهيري، كأبطال المسابقات الرياضية. ولأبطال كرة القدم السبق في هذا المضمار. كذلك يلمع الفنانون أبطال المسلسلات والأعمال الفنية الأخرى، والقادة من رجال السياسة، وبعض رجال الفكر والأدب وغيرهم. ومن

الطبعي أن تتفاوت المستويات اللغوية لهذا الحشد من النجوم الذي يخطَف أبصار المشاهد، ولا يعني القائمين على ساعات البث التباين في المستويات اللغوية؛ فهدفهم تقديم الشخصية وما تمثله في حقلها الفني أو الرياضي أو الفكري، لكن هذا النجم له تأثير على المشاهدين، وتفعل لغيّته الشخصية فعلها في شيوع طريقة النجم في الحديث. فإذا كان للنجم اختيارات لغوية في الأصوات أو المفردات أو صحة التراكيب فإنها تنتقل إلى المشاهد، ومن المشاهدين ممن يعجب بالنجم يلتزم حينها بتلك اللغة دون أن يمحّص ما فيها.

٢ - قد يكون الثراء اللغوي أحيانًا عائقًا حين لا يحسن المعد أو كاتب النص اختيار المفردة المناسبة. ثم إن كثيرًا من البرامج يختلف فيها المعد عن المقدم؛ فبعض المذيعين لا يحسن قراءة المادة المُعدة أو لا يستطيع النفاذ إلى فكر المعدّ، فلا يتمكن من اختيار الوقفات المطلوبة؛ مما يؤدي إلى اختلاط الجمل فيفسد المعنى.

٣ - يأتي الاهتمام بالمستوى الصوابي بعد التيقن من سلامة المادة الإعلامية وموافقتها للمعايير الرقابية. وإن أمكن السيطرة على المواد المعدة سلفًا فإنَّ السيطرة على البرامج التي تبث حية متعذرة. بل إن بعض المواد المسجلة سلفًا لا تخضع لرقيب لغوي؛ ذلك أن هذه المهمة نادرة في الوظائف المدرجة في البرامج التلفزيونية.

٤ - غياب الضبط اللغوي للنصوص المقروءة مثل نشرات الأخبار والبيانات.

٥ - افتقار المذيعين إلى الدورات التدريبية المتجددة التي تنشط خبراتِهم اللغوية وتقيم ألسنتهم.

٦ – عدم التدريب الكافي على قراءة النصوص والتعجل في الظهور على الشاشة دون إعداد الأدوات الكافية للمذيع للاطلاع بتأن على المادة التي سيقدمها للمشاهد.

وتقول الدكتورة وسمية: للقنوات العربية وظائف مستحدثة في العصر الحديث فرضتها أهداف قومية ودينية. فهي قنوات تربط العرب المهاجرين بالوطن الأم وبلغتهم العربية وبدينهم، مما يجعل الالتزام بالفصحى غاية ومطلبًا. وللتلفاز السعودي خصوصية بث الفترة الدينية من الحرم المكي أو المدني ويوم عرفة وغيرها من المناسبات الدينية مما يؤثر في جذب المشاهد خارج المملكة للمتابعة.

وتتساءل: هل استطاعت اللغة الإعلامية أن تعزز الفصحى؟ وما أبرز خصائص اللغة الإعلامية؟

وتجيب عن ذلك: لا ينكر عاقل الأثر الإيجابي للمناشط الإعلامية عامة والتلفزيون خاصة في توسيع مدارك المتلقي وزيادة حصيلته اللغوية، وأصبحت اللغة التي يتلقاها المشاهد لغة منطوقة مشتركة ذات فهم متبادل بين عدد كبير من المشاهدين وفي المملكة العربية السعودية وغيرها من الدول العربية، نلحظ أثر هذه اللغة في مناطق التجمعات الكبيرة كالمدن الكبرى، ويتضح ذلك في البرامج الحوارية التي تستضيف متحاورين من مناطق مختلفة يمثلون ثقافات متعددة لكنهم يشتركون في تطريز حديثهم بمصطلحات يكون للتلفزيون الفضل بشيوعها. والخلاف القائم بين الباحثين يركز على الجانب السلبي للمادة اللغوية التلفزيونية، فالباحث يجد فئات كثيرة تتفاوت مراحلها العمرية ومستوياتها الثقافية تتسمر أمام التلفزيون، تختلف

قدرتها على تلقي ما يقدم، كما يتباين انعكاسه عليها لا في الجانب القيمي والأخلاقي فحسب وإنما في مردوده اللغوي. ويمثل الأطفال النسبة الكبرى ممن يجلس أمام التلفزيون ساعات طويلة، ثم كبار السن ممن ليس لهم عمل، وبعد انتشار الفضائيات التي تبث دون توقف ارتفعت نسبة المشاهدين من الشباب والمراهقين. وإذا كان الانتقاء سمة المشاهد المثقف الذي لديه مشاغل كثيرة فإننا نلاحظ تقلص ساعات المشاهدة، مما يجعل عملية المشاهدة محدودة بالوقت المتاح له، وما يوافق اهتماماته، ويلبي احتياجات ثقافية وتوجهات فكرية؛ فإنَّ فئة الأطفال والأميين تشكل أكثر فئات المجتمع استهلاكًا لساعات البث فهي تقبل على كل ما يبث دون انتقاء.

ومما تراه الدكتورة أن المتغيرات والمستجدات في الحياة العصرية استدعت نظرًا جديدًا في اللغة الإعلامية الموجهة للمتلقي، كما فصّلت في أنواع المستويات اللغوية وفاق الفئة التي تخاطبها، ولما كانت ساعات البث متاحة لجميع الفئات مع ضعف في الدور الرقابي للأسرة فلا بد من التحرز عند اختيار الأنماط اللغوية في الرسالة الإعلامية، فالمتلقي يتلقى رسالة واحدة مع اختلاف المتغيرات الاجتماعية، فاللغة الإعلامية يتجاذبها اهتمام كثير من العلماء وأهل الرأي وأصحاب القرار السياسي، فالإعلامي غايته إيصال الرسالة، واللغوي غايته الصحة والسلامة اللغوية، والتربوي ينظر إلى انعكاس أثر محتوى المنتج الإعلامي سلبا أو إيجابا، وتمثل الرسالة الإعلامية صوت القيادة وأصحاب القرار الرسمي فالهدف نقل موقفهم، وأن تكون

الرسالة الإعلامية رابطة بينهم وبين المتلقي. ولا تغفل طموحات اللغة الإعلامية الموجهة عن تحقيق الوظيفة الاجتماعية للغة التي تهدف إلى التواصل مع المشاهد.

أما اهتمامها بالدرس اللهجي فهو صدى انتماءاتها البيئية وعشقها للتراث اللغوي في رحلتها الإنسانية، وقد أثمرت دراساتها للهجات العربية عن بحوث نقف منها على:

- توظيف المأثور القولي في تنمية لغة الطفل/ مجلة عالم الفكر (المجلد الثامن والعشرون - العدد الثالث - يناير / مارس ٢٠٠٠م) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت.

- من أمثال القصيم - دراسة في المضمون والصياغة / مجلة الدارة (العدد ٣ - السنة الخامسة والعشرون ١٩٩٩م) دارة الملك عبد العزيز - الرياض.

- منظومة القيم الاجتماعية في الأمثال الشعبية الفلسطينية ج/ ١ (مجلة العرب - دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع ج ٣ و٤، ٤٦، رمضان وشوال ١٤٣١هـ الموافق أغسطس - سبتمبر ٢٠١٠م)

الدكتورة وسمية لها جهودها البحثية والمحاضرات والندوات شاركت فيها من أجل ردم الهوّة بين الفصحى والعامية. ووظفت في دراساتها معطيات الدرس اللغوي الحديث مع التزامها بمنهج البحث العلمي.

العالم الإنسان أبو أوس.. الاحتفاء والأسرة الجميلة*

أ.د. ذكرى يحيى القبيلي

أستاذ اللسانيات بجامعة الملك سعود

الاحتفاء بالعلماء واجب ووفاء لمستحق، وهو ينم عن خلق نبيل وصحة مجتمعية، وفيه تسليط الضوء على شخصيات نافعة لنفسها ومجتمعها. كما أنه يخلق تنافسًا وتحفيزًا على الإنجاز لدى الآخرين، فضلًا عن السعادة التي يحققها للمحتفى به وأحبته؛ وهم يرون التقدير والامتنان في حياة المحتفى به. وأستاذنا الجليل أبو أوس إبراهيم الشمسان، أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك سعود، عالم لغوي جليل، ترك موروثًا علميًّا رصينًا وأثرى المكتبة العربية بكتاباته وأبحاثه ومؤلفاته. والأهم أنه واحد ممن عرف بالتواضع والخلق الرفيع، وكثير من طلابه يشهد له بالتعامل الإنساني الراقي. وحين يجتمع الخلق والعلم في شخص فلا شك أنها من أجل النعم الخالدة التي يتشفع بها في الدارين.

أكتب اليوم عن احتفاء مختلف، وفكرة إبداعية فهو مبادرة من أبناء الدكتور إبراهيم، وهو يضاف إلى احتفاءات سابقة من جهات كريمة لم يغفل الأبناء تضمينها كتابهم.

* نشر في الجزيرة الثقافية الجمعة/السبت ٩-١٠ رمضان ١٤٤٤هـ/ ٣١ مارس ٢٠٢٣م.ع١٨٢٨٥.

ولأني من محبي هذه الأسرة ولم يسعفني الوقت لأشارك قبلًا فلا بأس أن تأتي مقالتي لاحقة بعد إصدار الكتاب. وكلامي هنا يتداخل فيه الخاص بالعام والعلمي بالعاطفي. وقد اعتدت على دعوات الغالية أم أوس أ.د. وسمية المنصور، وكنت في كل مرة أذهب يسابقني الشوق والحب لأجد الحب والسعادة في انتظارنا على اختلاف الحضور فقد تكون لقاءات تجمعنا بطالبات غاليات درسناهن فتتعدد السعادة مع كل نظرة لطالباتنا، وقد تكون دعوة لزميلات فيزداد اللقاء سعادة.

ولندع الحفاوة إلى الاحتفاء ونتحدث عن كتاب الأسرة التكريمي الذي أهداه أبناؤه، وحمل عنوان (أبو أوس إبراهيم الشمسان). وهي فكرة إبداعية لأنها تكريم في وجوده أطال الله عمره في خير وعافية وعطاء، ولها أثرها النفسي والخلقي؛ فالامتنان من تمثلات الخلق الرفيع، إضافة إلى الأثر العلمي لأنها توثق لعَلم وعالم ومنجزاته، كما تحفظ شهادات من عاشروه من أهله وأصدقائه ومعارفه وطلابه، وفيها الكثير من العلمي والإنساني. فالفكرة سنة جميلة من أسرة جميلة وسابقة جدير أن تقتدى وتقلد.

الكتاب كبير تزيد صفحاته عن خمس مئة. يتضمن -كما جاء على الغلاف- كلمات وأبيات وقراءات وشهادات وأبحاثًا مهداة. وهو قسمان القسم الأول تضمن كلمات الأسرة والأحباء وشهادات وأبيات كتبت في أبي أوس، وقراءات في جهوده العلمية ومؤلفاته وهي تعد توثيقًا للإنتاج العلمي الرصين في سيرته الحافلة. وقد ضُمن الملفات التكريمية التي نشرت قبلًا في المجلة الثقافية الملحقة بصحيفة

الجزيرة الصادرة في إبريل ٢٠١٨م. ونشرة جسور التي يصدرها مركز حمد الجاسر الثقافي في عدد رجب ١٤٤٣هـ. والقسم الثاني عبارة عن خمسة أبحاث مهداة، هي:

١- هجرة المخطوطات العربية أنموذج من القرن السابع الهجري: أبو زكريا صالح الحجي.

٢- التحقيب السياسي للعصور الأدبية نظرات ومراجعات: أ.د. عبد الله بن سليم الرشيد.

٣- من قيم التعايش في المثل العربي: د. علي بن معيوف المعيوف.

٤- قراءة نصية لمعاني حروف الجر عند الشمسان: د. محمد عبدو فلفل.

٥-الخوف في سياقات قصة موسى في القرآن الكريم، مثيراته وتأثيراته: أ.د. وسمية عبد المحسن المنصور.

وسأقف بين البداية والنهاية حيث تجد أم أوس الجميلة قلبًا وقالبًا التي لا يكتمل الحديث عن أبي أوس دونها؛ وهي من ملكت قلبه وعقله- كما قال في كتابه (أخي محمد)-. وهي في بداية الكتاب بمقالة، وفي آخره ببحثها، فهي في البدء وبها الختام. وكأنها كما قالت تحوط الكتاب بذراعيها.

إذن بدأ الكتاب بكلمات الأسرة التي جاءت مبهجة ومؤثرة وهما صفتان في الكتاب كله. أولها كان مقال أم أوس تحدثت فيه عن ثلاثية أبي أوس: العالم والباحث والإنسان ختمته بقولها: الحديث عن الشمسان الإنسان لا يقل عمقًا عن العالم

والباحث ونكتفي بالقليل ليشير إلى الكثير. وثانيها للأستاذ الدكتور أوس ينقل حكايته مع اسم أوس، ثم ديمة وبدور وقد عبرتا بقلوبهما عن العلاقة الراقية والدافئة التي جمعت البنت بالأب وكيف أن كلًّا منهما بأبيها معجبة وشبيهة. كما تكلم بدر عن العالم الإنسان ويقول هنا في القلب أبي القيمة والقامة.

وآخر الكتاب كما أسلفنا بحث أستاذة اللغويات وسمية المنصور، جاء بعنوان: الخوف في سياقات قصة موسى في القرآن الكريم، مثيراته وتأثيراته. وهو كما قالت لي (كتبته بقلبي واستغرق مني عامين). وفعلًا من يقرأ البحث يرى الدكتورة الوسمية ونَفَسها ويلحظ عمقًا وتأملًا، ومع أن أكثر جوانب القصة لا شك مرت بنا إلا أنك ستجد إشارات مهمة ولفتات ذكية فيها فائدة وجدة، فضلًا عن المتعة فمن يقرأه كأنه يقرأ قصة متسلسلة تحررت من جفاف قد يعتري اللغة العلمية. وقد وقف البحث على أحداث القصة التي جاءت في ٢٧ سورة متباينة المواضع في العدد والطول وتفاصيل الحدث. فحددت المواضع، وعرفت الشخوص؛ وهم: موسى، وأم موسى، وأخت موسى، وامرأة فرعون، وفرعون، والإسرائيلي، والقبطيان، والرجل الذي يكتم إيمانه، والرعاء، والرجل الصالح، والفتاتان وأبوهما، وهامان، وقارون، والسحرة، والسامري، والخضر. وتناولت معجم الخوف في القصة، ونماذج من مثيرات الخوف وتأثيراته في عدد من الآيات، واستفادت من الجداول لتظهر الفكرة وتجمل المواضع. ولم تهمل الوسمية الوقوف على البشارات كقوله تعالى ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، ولا عنصري الزمان والمكان في القصة فتناولتهما في مشاهد متسلسلة:

مشهد مولد موسى وإلقائه في اليم والتقاط قصر فرعون التابوت، والمشهد الثاني تربيته في القصر، والثالث خروجه من مصر إلى مدين هاربًا من فرعون وجنوده، والرابع لقاء موسى بربه في الوادي المقدس، والخامس الدخول الأول على فرعون وعرض الرسالة، والمشهد السادس مواجهة السحرة، والمشهد السابع العقوبة وإغراق فرعون ومن معه، وآخرها مشهد ما بعد العبور.

واهتمت بتحليل المثيرات للخوف في نماذج متباينة من الحوارات التي يسكنها الخوف ظاهرًا بلفظه: (أخاف)، و(خفتكم)، و(خائفًا)، و(خيفة)، أو كامنًا في سياق النص القرآني الكريم نحو: ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ الذي تقول فيه: كثير من المفسرين قال في تفسير (فقير) أنه الطعام. والوصف (فقير) يتحمل في هذا الموقف ظلال خوف لَمّا ينته، من قلق وهواجس وانتظار مجهول لا يتبينه فيستعد له، وعناء مكابدة جوع شديد باعثه تلبية حاجة طبيعية لمن يتأخر طعامه، مع جوع نفسي وليد الخوف والقلق. وهذا الجوع النفسي تعاني منه فئة من البشر ممن يكونون فريسة للعجز عن تجاوز الأزمات والافتقار إلى فكر حي رصين واسع الأفق يسيطر على جحافل القلق المستشرية التي تنهش المرء فيتضور جوعًا على جوع.

وعن مشهد مواجهة السحرة: ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَوْ يُعَقِّبْ﴾، تقول: هذا خوف مختلف في حدة درجته وقوة بلوغ تأثيره والتلاحق السريع لردة الفعل المباغتة (وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ). يستوقفنا توالي فعلين حركيين (ولّى) و(لَمْ

يُعَقِّبُ). الفعل الثاني متمم لحركة الفعل الأول -وإن شكل مع (مُدْبِرًا) وصفًا لحال فعل الحركة (ولى)- ومما دفع بالخوف إلى أبعد مداه أن الحال الأولى (مُدْبِرًا) جاءت صفة مكتفية بصيغة الوصف المشتق التي جمعت -مع حركة الإدبار وجهته- ثبات فعل إرادة فاعلها فهو من اتخذ قرار الإدبار بوعي، أو حدث الفعل جسديًا بدون وعي. في حين جاءت الحال الثانية (لَمْ يُعَقِّبْ) جملة فعلية واصفة لحالة الفرار بصيغة للفظ منفي تَحَمَّلَ شدة الخوف وهلع الروع، ممتزجًا بقرار فعل تلبس لفظه النفي المتحقق في لفظ (لم). وهو ما حقق تكامل سرعة تأثير مثير الخوف رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ مع فعل التحرك (رد الفعل) (وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ). وهو موقف يرسم معالم الخوف فيه تجمع أفعال ذات دلالة حركية تشكل رد فعل، عاجز هاله موقف تجاوز حدود الإدراك البشري. فما بين المقدرة الإلهية للرب الخالق المدبر سبحانه جل شأنه وبين المتلقي العبد المحدودة قدراته؛ نجد اختلاف تأثير الخوف وتمادي فعله.

هذه إشارات تخيرتها لكم من حالات الخوف التي قالت عنه الوسمية: لم يكن خوف موسى نمطًا موحدًا في جميع سياقات القصة ففي قوله تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكم﴾: هذا الفرار الذي أعقب الخوف ليس صورة من الانهزام النفسي، بل ضرب من استشراف ما قد يأتي، بناءً على حسابات تجربة واعية مدركة لعواقب موقف خاص في ظرف خاص، مع أقوام تسوق أفعالهم وسلوكهم تمثيل سلطة غاشمة، فهذا خوف مشوب بالحذر المقود بالخبرة ووعي التجربة.

أعود وأختم مقالتي -التي طالت دون قصد- عن أبي أوس، لكن بفقرة ليست إقفالًا لما بدأت بل فاتحة لكتاب آخر واحتفاء من نوع آخر. إنه كتاب (أخي محمد، الذي احتمل عني أوزار الحياة) والحديث عنه وثيق الصلة بما نحن فيه فالكتاب لأبي أوس أولًا، ويشكل احتفاءً من طراز فخيم بأخيه. ومن بعد فالكتاب مفيد وممتع، قالت أم أوس – عندما أهدتنا إياه في ليلة شتوية دافئة بالحب في بيت الغالية الراقية أ.د. سعاد المانع- إنها بمجرد أن وصل الكتاب وأثناء حمل النسخ إلى البيت كانت قد أخذت نسخة ولم تتركه إلا وقد انتهت منه. فقلت في نفسي: لها أن تفعل ذلك مع كتاب رفيق رحلتها أبي أوس. لكن الأمر تكرر معي ومع زوجي أبي عمار الذي وضع عليه اليد قبلي.

ولا أملك إلا أن أصفه بأنه طريقة مختلفة في الاحتفاء، وفي كتابة السيرة الذاتية، وفي كتابة التاريخ. فأبو أوس يكتب عن حياته وهو يسطر عن مواقف (أخيه) وعطائه وحبه غير المشروط. ويكشف بالفعل عن جوانب تاريخية مهمة في المملكة، وتفاصيل في الحياة التي يصفها بـ: سلسلة من المتاعب والمشاق والأهوال. يقول عن الكتاب إنه ليس بسيرة لكنه إطافة بلحظات مميزة في ذهني وبيان لمدى عناية أخي بي ورعايته الفائقة التي هي أكبر من رعايته أبناءه.

تجد أبا أوس يعبر عما كان يتعجب منه في ذلك الوقت بأسلوب رشيق مشوق، كحديثه عن التلفزيون: أعجوبة العجائب فتن كثير من الناس به وأدخلوه في بيوتهم

على الرغم من مذمة المتشددين لذلك، وكان الناس لعجبهم في تلك الأيام في خلاف فمنهم من يرى التلفزيون من عمل الشيطان.

ويتعجب في الرياض: ومن أعجب الأمور ما رأيته في جوار بوابة أحد المطاعم، قفص من الحديد فيه نار ملتهبة وأمامها سفود أسفله مركوز في صينية واسعة وأعلاه مثبت بما يمنعه من الميلان، وكان اللحم على هيأة مخروط مقلوب، والطباخ أمامه يدير المخروط كل حين لتصلى النار جوانب المخروط وتنبعث منه مع الحرارة رائحة تسيل اللعاب. مضينا عن ذلك فلسنا نملك ثمنه، وعلمت بعد بأنه يسمى (شاورما).

وهكذا فالكتاب يوثق للحياة في المملكة العربية السعودية، ويحفظ تفاصيل كثيرة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والمهنية، ويظهر التحول العجيب في الوقت القصير في حياة الأفراد والمملكة.

أعتذر إن أطلت لكن الحديث يجرّ بعضه بعضًا، وموضوعنا عن الاحتفاء الذي دائمًا عواقبه حميدة، وكان كتابان بين أيدينا، وعالمان لغويان، وأسرة مباركة.

وسمية المنصور .. العقل والقلب

الانتماء والاتجاه*

أ.د. سعاد بنت عبدالعزيز المانع

جامعة الملك سعود

المقصود هنا الأستاذة الدكتورة وسمية عبدالمحسن محمد المنصور الزميلة المعروفة في الوسط الأكاديمي في الرياض وفي الوسط الاجتماعي.

حين جاءت أ.د. وسمية المنصور إلى جامعة الملك سعود للتدريس في قسم اللغة العربية عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، كانت مؤهلة ليس فقط بشهادة الدكتوراه وإنما كانت لديها خبرة سابقة بالتدريس وبالعمل الإداري المتصل بالجامعة. فقد سبق أن درست في جامعة الكويت، وسبق أن عملت عميدة لكلية البنات في جامعة الكويت (١٩٨٤ - ١٩٨٥).

كان الجو الإداري والتقاليد الجامعية في جامعة الملك سعود في قسم اللغة العربية تختلف في بعض الجوانب عمّا هو موجود في جامعة الكويت وأيضًا تختلف عمّا هو موجود في جامعة القاهرة وجامعة عين شمس. وإلى هذه الجامعات الثلاث تنتمي الدكتورة وسمية المنصور على نحو ما. فهي تنتمي إلى جامعة الكويت بحكم العمل فضلا عن كون الكويت هو الوطن الأم؛ وتنتمي إلى الثانية (جامعة القاهرة) بحكم

* نشر في المجلة الثقافية- صحيفة الجزيرة في السبت ٤محرم ١٤٣٧هـ/١٧أكتوبر ٢٠١٥م. ع٤٧٤.

الدراسة الجامعية في مرحلة الحصول على درجة (البكالوريوس) ومرحلة الحصول على درجة (الدكتوراه)، وتنتمي إلى الثالثة في مرحلة الحصول على درجة الماجستير. أيضا تختلف التقاليد الاجتماعية في الرياض نوعا ما عمّا هو موجود في الكويت، وتختلف اختلافًا ملموسًا عمّا هو موجود في القاهرة؛ لكن وسمية المنصور استطاعت أن تتأقلم مع ما هو موجود في الجامعة والمجتمع، بل واستطاعت أن تجعل الكثير من الزميلات والطالبات يشعرن نحوها بكثير من الحب والإعجاب.

على المستوى الشخصي لم أكن أعرف د.وسمية المنصور معرفة جيدة[١] إلّا حين جاءت للعمل في قسم اللغة العربية في جامعة الملك سعود بالرياض. كنت آنذاك قد عينت حديثًا وكيلة له بعد عودتي مباشرة من البعثة للدراسة في مرحلة الدكتوراه؛ لكن بعد ذلك جمعتني والدكتورة وسمية زمالة في هذا القسم كل هذه السنين. وأحسب أني عرفتها أكثر وأكثر من خلال هذه الزمالة.

وفي هذا السياق الذي لا يمكنني إلّا أن أكتب شيئًا موجزًا عنها سأتناول ناحيتين: إحداهما الناحية الأكاديمية والأخرى هي الناحية الاجتماعية.

أولًا: الناحية الأكاديمية

(١) التقت الدكتورة سعاد والدكتورة وسمية حين كانتا طالبتين في القاهرة ورأيتهما معًا في مكتب قسم اللغة العربية أمام الدكتور طه عبدالمحسن بدر رحمه الله. (المحرر)

إذا كانت د. وسمية المنصور جاءت إلى جامعتنا وهي تنتمي إلى ثلاث جامعات من قبل، فلقد أصبحت اليوم تنتمي أيضًا إلى جامعتنا في قسم اللغة العربية. فهي قد درّسَتْ النحوَ والصرفَ وغيرهما، وتتلمذ على يديها عدد كبير من الطالبات ممن درسن اللغة في هذا القسم في درجة البكالوريوس، وأشرفت على عدد ليس بالقليل من الرسائل العلمية في القسم التي تقدم بها معدّوها لنيل درجة الماجستير والدكتوراه إلى جانب مشاركاتها في النقاشات العلمية سواء في نقاش رسائل الماجستير والدكتوراه أو غيرها.

من جانب آخر نجد بحوثها تشهد لها بالاهتمام العلمي. ولن يمكنني السياق هنا من الحديث عن هذه البحوث بالتفصيل، ولكن سأشير إليها إشارات موجزة فللدكتورة وسمية بحوثها في مجالها المتخصص في اللغة والنحو مثل البحث «عيوب الكلام – دراسة لما يعاب في الكلام عند اللغويين العرب» (منشور في حوليات كلية الآداب، الحولية السابعة، ١٤-٦-١٩٨٦الرسالة ٣٨)؛ و«كان وأخواتها من المعجمية إلى الوظيفة». (منشور في مجلة كلية دار العلوم –جامعة القاهرة ٢٠٠٦)؛ و«ظاهرة التعدد في الأبنية الصرفية» (منشور ضمن إصدارات مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية الإصدارة الأولى ٢٠٠٥ العدد ٥٤ص١-٤٩). هذه البحوث الثلاثة المتصلة باللغة والنحو والصرف تقع في الصميم من تخصص الدكتورة الباحثة.

لكن د. المنصور لا تقتصر بحوثها على مجال التخصص العلمي وحده؛ كما أن بحوثها العلمية ليست مقصورة على النواحي التقليدية في البحث، تناولت بحوثًا تتصل بالدراسات الحديثة في اللغة مثل «قراءة تداولية في محاورة الحجاج وغلام من أهل الكوفة» منشور في الكتاب التذكاري عن المرحوم أ.د. أحمد مختار عمر (قسم اللغة العربية وآدابها –كلية الآداب – جامعة الكويت ٢٠٠٨). هذا البحث واضح فيه أثر المناهج الحديثة، فالنص يعود إلى كتب التراث مأخوذ من كتاب الهفوات النادرة لأبي الحسن محمد بن هلال الصابي (ت ٤٨٠هـ)؛ لكن الباحثة تقدم قراءة تداولية له. هذه القراءة تجعل الموضوع ثريًّا من نواحٍ عديدة. فالنص من خلال هذه القراءة التداولية يتسع ويتشعب ويخضع للتحليل في أكثر من جانب.

إلى جانب هذا يلفت النظر ما لها من بحوث جادة طريفة تتصل باللغة والحياة المعاصرة منها:

* «مستويات الاستعمال اللغوي في ساعات البث اليومي في القناة الأولى للتلفزيون السعودي» منشور في: مركز البحوث – جامعة الملك سعود ١٤٢٤ – ٢٠٠٣). هذا البحث يتطرق إلى جانب عملي في البحث إذ يتناول النظر في اللغة المستعملة في التلفزيون السعودي. فالبحث يعتمد من جانب الوصف للغة ومستوياتها المختلفة في «القناة الأولى».

ومن جانب آخر يعتمد التحليل للاستعمالات اللغوية التي يرصدها في هذه «القناة».

لقد تعددت النواحي التي تناولتها د.وسمية المنصور في البحث العلمي فبعضها يتصل بالتربية وعلاقة الطفل باللغة مثل:

* «إشكالية التنمية والانتماء في لغة الطفل: الروافد والعوائق» (منشور في: ثقافة الطفل- الهوية ومتغيرات العصر نادي مكة الثقافي الأدبي ١٤٧ - ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م). هذا البحث يتصل بصميم الحياة العملية فهو يمس التربية والانتماء إلى الوطن، كما يلامس علاقة المجتمع باللغة في عصر أصبح التطور فيه سريعـًا.

إن ما يقال عن كون البحوث اللغوية تتسم بالجفاف يناقضه تمامًا ما جاء في بعض بحوث الدكتورة وسمية؛ فهي لها بحوث تتوقف عند نواحٍ طريفة في التراث كما يظهر فيما يلي:

* «صورة المسن في التراث اللغوي» (منشور في عالم الكتب العددان الثالث والرابع ١٤٢٦-١٤٢٧ = ٢٠٠٥-٢٠٠٦ ص٤٠٥-٤٣٢).

هذا البحث يتناول ما جاء في كتب التراث اللغوي من صفات وسمات مختلفة للمسنين؛ لكن تظهر فيه سمة الاتجاه الأدبي واضحة للعيان. فهو بحث يتناول بصورة قريبة من الاستقصاء ما أوردته كتب اللغة حول الإنسان حين يتقدم به العمر؛ لكنه لا يقف عند النواحي اللغوية وحدها وإنما يعنى بتسجيل ما ورد في هذه الكتب من أشعار ومقولات تتضمن صفات للمسنين، بعضها يحمل الشكوى وبعضها يحمل الحكمة. لكن الباحثة لا تقتصر على ما ورد في هذه الكتب وحدها وإنّما تستعين أيضًا في أثناء البحث بما ورد عن التقدم في العمر وعن أثره على الإنسان في مؤلفات متخصصة

حديثة علمية. لا تظهر الباحثة مجرد ناقلة أو مهتمة برصد ما ورد عن المسنين في المعاجم وكتب اللغة والأدب وما يماثلها من معلومات أسطورية وتذكره على علاته، وإنما هي تتوقف في أكثر من موضع لتثير الشك في روايات كثيرة يصعب تصديقها على العقل.

* «وقفات مع النوادر والملح العربية» منشور في الكتاب التذكاري للمرحوم أ.د. محمد رجب النجار (قسم اللغة العربية وآدابها-كلية الآداب – جامعة الكويت ٢٠٠٦. ص ٢٦٣- ٢٩٢).

في هذا البحث تتوقف الدكتورة وسمية عند عديد من كتب التراث لتنظر فيما ورد فيها من جانب أو جوانب تتصل بالنوادر. وهي تقرر أن «كتب الأدب العربي على مختلف عصوره وصنوفه، المجالس والمقامات والهفوات النادرة وكتب النقد والبلاغة والمعاجم.. إلخ. وكتب التاريخ وسير الرجال وكتب الحديث النبوي، وكتب العلوم الطبيعية حتى كتب التفسير وأسباب النزول تجد فيها شيئًا من الملح متناثرًا هنا وهناك» ص٢٦٣.

هذه الوقفات عند النوادر والملح تمثل سجلًا لما تحمله كتب التراث من التفات إلى ناحية التخفف من ثقل الحياة والتوقف عندما يبعث المرح في النفس.

* «المرأة المحاورة – قراءة في التراث» منشور في مجلة عالم الفكر (مج ٣٤ أكتوبر- ديسمبر ٢٠٠٥).

تتخذ وسمية المنصور في هذا البحث جانبين أحدهما إيراد مقولات المرأة في الحوار التي ذكرتها كتب التراث ونسبتها لنساء؛ والآخر النظر في هذا الموضوع من ناحية موضوعية، فهذه المقولات ليس هناك ما يثبت تماماً أنها حقاً قالتها نساء؛ لكن ما يعني البحث فيها هو أنها وردت في كتب التراث منسوبة إلى نساء وهذا يكفي. فالباحث في هذا المجال ليست مهمته مهمة المؤرخ أن يؤكد أن هذه الأشياء حدثت حقًّا. مهمة الباحث هنا هو أن يعتمد ما ورد في كتب التراث منسوباً للمرأة، سواء كان حقًّا قالته امرأة أم أنه قيل على لسانها. مثل هذه الأقوال وهذه الأفكار المنسوبة إلى نساء يبرز الجانب الأدبي فيها كما تظهر من خلالها الصور الأدبية للنساء سواء أكانت تعكس صورة حقيقية للمرأة أو صورة متخيلة. وإن كان بعض القصص مأخوذاً من كتب النحو وكتب اللغة وكتب التاريخ.

عند تأمل البحوث السابقة نجد سمة الاتجاه الأدبي تظهر واضحة للعيان في معظمها، وإن أدرجت ضمن البحوث اللغوية.

- ثانياً: الناحية الاجتماعية

عند النظر في السمة الاجتماعية عند وسمية المنصور- كما تظهر لعيني - تبدو هذه السمة بارزة جدا، فالدكتورة وسمية تثير الدهشة في قدرتها البارعة على اكتساب الصداقات على اختلافها.

فالدكتورة وسمية متحدثة بارعة ولها صداقات عديدة مع فئات مختلفة من الناس، ومتفاوتة. وقد ظلّ بيتها في الرياض دوماً عامرًا بالناس صديقات وزميلات

ودارسات وغيرهن. والعمل في الجامعة هنا وفي الكويت يتيح صداقات مع أناس لا يقيمون في بلادنا إلا أمدًا محدودًا ثم يعودون إلى بلادهم. لكن د. وسمية من فئة من الناس تحرص على استمرار الصداقة فصداقاتها لا تنقطع بالغياب، وليست صداقاتها محصورة في فئة من الناس دون فئة؛ لكنها تشمل كل من ربط بينها وبينهم رباط المودّة. فوشائج الصداقة تظلّ غالبًا تربط ما بينها وبين بلاد كثيرة حيث توجد هؤلاء الصديقات، هذه السمة الاجتماعية تظهر بوضوح في علاقاتها مع الطالبات فعلاقاتها مع الطالبات تبدو حميمة وتتسم بود كبير. ولعل الطالبات عند د. وسمية المنصور أكثر قدرة على تبيين أسلوبها في اكتساب ودهن.

لكن – ما يغلب على الظن – أنها موهبة منحها الله للدكتورة وسمية وليست مهارة تعلمتها ثم أخذت في تنميتها.

أشعر أن مكان وسمية المنصور الروحي سيظلّ خاليـًا في القسم.

رسالة شكر وتقدير*

شرعاء الشهري
جامعة شقراء

إن الاعتراف بالفضل لأهله، وإن الإقرار بالأيادي لأربابها: عنوان الخير، وآية الوفاء، وسقيا العلم والأدب.

هذه رسالة شكر وتقدير ناطقة بالفخر والاعتزاز لمن غمرتني بالفضل واحتضنتني بالنصح والإرشاد، أستاذتي ومعلمتي: أ. د وسمية المنصور.

ماذا أقول وهذا اليوم أمدحكم ... عذرًا إليكم فقد عيّت قوافينا

تلك الأستاذة الجهبذ في علوم اللغة، فقد تتلمذت على يدها في أكثر من مقرر في النحو والصرف واللغة أثناء دراستي للماجستير بجامعة الملك سعود، فمن مقرر: أصول النحو، وقضايا نحوية، وقضايا صرفية، وصولًا إلى مقرر: اللسانيات الاجتماعية الذي استمتعنا به كثيرًا، وأصبح من أحب المقررات إلى نفسي حتى إني صرت أحب خوض غمار اللسانيات في التدريس لطلبة البكالوريوس في جامعتي التي أنتمي إليها، وما ذلك إلا بفضل الله عز وجل ثم بفضلها فقد كانت مثالًا يُحتذى في الطواف في بحور العلم، إذ لم تكن تقتصر على المقرر وعرض المادة العلمية؛ بل كانت تبحر وبكل اقتدار في شتى صنوف المعارف اللغوية، ومما يميزها كذلك أنها لم

---

* نشر في المجلة الثقافية- صحيفة الجزيرة في السبت ٤محرم ١٤٣٧هـ/١٧أكتوبر ٢٠١٥م. ع٤٧٤.

تكن تنقطع صلتها بطالباتها بل كانت خير معين لهن حتى بعد تخرجهن وأنا إحداهن. قمة في التواضع ولين الجانب مع مكانتها العلمية المرموقة.

والحقيقة أنها كانت لي قبس الضياء في عتمة الدراسة وبحورها المتلاطمة، ولعلي لا أعدو الحق إذ أقول إنها كانت لي نعم الناصحة الأمينة التي أفاضت علي بعلمها وشملتني بفضلها ومنحتني الثقة وغرست في نفسي قوة العزيمة ولم تدخر جهدًا ولم تبخل عليّ بشيء من وقتها الثمين، فالشكر لها كل الشكر على إنسانيتها وأخلاقها الرفيعة التي قد انطبعت عليها، حيث بها قد استفدت، وعلى ضوئها انطلقت.

وأخيرًا لا أملك أمام هذه الموسوعة اللغوية إلا أن أتوجه لله بخالص الدعاء بأن يبقيها ذخرًا لطلبة العلم، وأن يجعل كل ما قدمته وتقدمه في ميزان حسناتها، وأن يرضيها بما قسم لها. والله ولي التوفيق.

الحياة بوصفها ذِكْرًا ثانيًا ومتصلًا

عبد الله الغذامي

دَقّــاتُ قَلــبِ المَرءِ قــائِلَةٌ لَـهُ إِنَّ الحَيـــاةَ دَقــائِقٌ وَثَــواني

فَارفَع لِنَفسِكَ بَعدَ مَوتِكَ ذِكرَها فَالذِكرُ لِلإِنســـانِ عُمرٌ ثــاني

يرسم أحمد شوقي أسباب العمر الثاني، ويجعله موعدًا لما بعد الموت، ويتحقق بصناعته قبل الموت؛ ولكن الأستاذة الدكتورة وسمية المنصور رسمت لعمرها عمرًا مصاحبًا، فعاشت بعمرين متجاورين، أحدهما عمرها العلميّ البحثيّ الأكاديميّ بسماته الثلاث، وكلها مميّزة بمنجزها وبمحاضراتها في الجامعة وفي المحافل العامة في الفضاء الثقافيّ والعلميّ وفي الندوات والمؤتمرات والنشر العلميّ والثقافي، والعمر الثاني الذي عاشته بأعلى شروطه هو العمر السلوكيّ وأخلاقيّات المعرفة؛ فقد كانت، رحمها الله، قلبًا نابضًا بالمحبة والوفاء وحسن المعشر، وهذه سمات رسمت سلوكها مع طالباتها ومع زميلات العمل وزملاء الكليّة، والكل كان يرى جوانب الأريحيّة السلوكيّة كلما جاءت مواقف تمتحن قدرات الشخص على أن يجمع بين الإنصاف والحق من جهة وبين التوازن في العلاقات العامّة من جهة ثانية، ومن ثَمّ كانت تحمل قيم الوئام، ولا أظنني سأتصور أحدًا يكره وسمية المنصور أو يتخذ منها وجه الحذر والريبة، بينما كان الكلّ يتوقّع من حضورها في أيّ تلاقٍ خاصّ أو عامّ أن تكون وسيط خير ولسانًا ينشر القول الحسن تأسّيًا بالآية الكريمة ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، وهذه

هي صفتها، رحمها الله، ولهذا فقد عمرت لنفسها عمرًا ثانيًا في حياتها، وحين رحلت تركت هذا العمر ليظل يصحب كل لحظة تذكر لها.

هذه صورة تلك السيدة الكريمة في ذاكرتي وتلك شهادتي عنها، طيب الله ذكرها وذكراها.

الطريق إلى المكتبة*

د. عزة الشدوي

جامعة الملك سعود

حين أزمعت أن أكتب لمعة خاطفة عن الحياة العلمية للقديرة الفاضلة الأستاذة الدكتورة وسمية المنصور تهيّب قلمي الكتابة خشية أن يبخسها حقها أو يقصر عن الوفاء بقدرها، فقد شرفت جامعة الملك سعود بانضمام الدكتورة وسمية إلى قائمة أعضاء هيئة التدريس بقسم اللغة العربية (الآداب) مدة ثلاثين سنة، بعد أن عملت في جامعة الكويت عشر سنوات، لم تكن خلال تلك السنوات نموذجًا للعطاء العلمي فحسب، بل كانت ينبوع أخلاق عظيمة أذهلتني وزميلاتي منذ المحاضرة الأولى التي شرعَتْ تشرح فيها سياستها العلمية والخُلقية بحنان وتواضع جمّ، ثم أثبتت سنين الدراسة التي تلقينا فيها علمي النحو والصرف على يديها صدق تلك الكلمات النابضة بالحب، الصاخبة بالودّ ولين الجانب، حتى لقد كانت تقف فينا المخطئة بين يديها وقوف الابنة أمام والدتها وهي توجهها بأسلوب تربوي فاضل، لم تكن تدّخر وقتًا أو جهدًا في التوجيه والتعليم والإرشاد والحرص على الطالبة، وما زلت أذكر كيف كانت بعض الطالبات المستجدات التائهات في الأسبوع الأول من كل فصل دراسي يطرقن مكتبها ضمن مكاتب أخرى كثيرة، يبحثن عمن يجيب عن

* نشر في المجلة الثقافية- صحيفة الجزيرة في السبت ٤محرم ١٤٣٧هـ/١٧ أكتوبر ٢٠١٥م. ع٤٧٤.

استفساراتهن ويوجههن الوجهة السليمة، فكانت هذه الفاضلة تستقبلهن في مكتبها بابتسامة مشرقة ملؤها الحنان، وترشدهن بكل ودّ ورقيّ ورحابة صدر، في الوقت الذي كانت تشكو فيه بعض الأستاذات – في ذلك الأسبوع– من كثرة طرق الطالبات لمكاتبهن واستعلامهن عن أمور هي في الحقيقة من اختصاص وحدة الإرشاد الأكاديمي.

أما عطاؤها العلمي فلا تفي هذه السطور الموجزة بوصفه، لقد علمتنا منذ الوهلة الأولى كيف نكون باحثات لا مجرد متلقيات، كيف نعشق الاستزادة من المصادر العلمية المتنوعة لا مجرد أن نقف على المقرر الدراسي، فعرفنا الطريق إلى مكتبة الجامعة، وتعلمنا كيف نكتب بحثًا قصيرًا أو رسالة علمية، كيف نتحمل ونكابد من أجل العلم، وإني أُشهد الله أني أدين لها بكل ما تعلمته على يديها وفهمته من قواعد علم الصرف خاصة، فكم قرأت في هذا العلم من كتب شتّى تضجّ بتلك القواعد الصرفية التي يستثقلها أكثر الدارسين، فما شفت غلة عندي ولا قضت وطرًا حتّى جلست في رواق ذلك الفكر الفذّ وهو يشرح ويلقن بتلك الطريقة العلمية المبهرة التي رسخّت في أذهان الدارسات مبادئ هذا العلم في أسلوب تحليلي منظم سهل تشويقي.

لم تقصر الدكتورة وسمية عطاءها وإنتاجها البحثي على المناهج اللغوية التراثية التقليدية وإنّما جمعت بينها وبين المناهج اللسانية الحديثة، وتنوعت اهتماماتها العلمية فألفت كتبًا وبحوثًا متعددة في الصرف والنحو واللهجات، أذكر منها في مجال الدراسات النحوية التراثية:

- «ليس» بين الفعلية والحرفية.

- «كان» وأخواتها من المعجمية إلى الوظيفية.

وفي مجال علم الصرف:

- صيغ الجموع في القرآن الكريم.

- أبنية المصادر في الشعر الجاهليّ.

- ظاهرة تعدد الأبنية الصرفية.

- نقل الحركة في الصحيح.

ولها في قراءة التراث:

- عيوب الكلام.

- المرأة المحاورة – قراءة في التراث.

- محاورة بين الحجاج وفتى من أهل الكوفة.

- الطرائف اللغوية.

- الخطاب غير المنطوق في ديوان عمر بن أبي ربيعة «محور البصر».

- صورة المسن في التراث اللغوي.

ولها في دراسة اللغة المعاصرة:

- مستويات الاستخدام اللغوي في التلفزيون السعودي.
- من مستجدات اللغة المعاصرة (العربيزي).
- رسائل الجوال.
- مواقع التواصل الاجتماعي ظاهرة مجتمعية ومتغير حضاري.

ولها في الدراسات اللهجية:

- أمثال القصيم: الصياغة والمضمون.
- منظومة القيم الاجتماعية في الأمثال الفلسطينية.
- توظيف المأثور القولي في تنمية لغة الطفل.

للدكتورة وسمية أيضًا قلم صحفي مبدع، فقد كانت تستأثر بزاوية صحفية في صحيفة اليوم (١٩٩٩- ٢٠٠٩م)، تناولت فيها موضوعات التراث والسياسة والمجتمع والجامعة.

وبعد هذه المسيرة الوارفة بالعلم والإنسانية تودع الدكتورة وسمية جامعة الملك سعود، لكن العلم الذي نهلناه منها، وفيض الحب والتقدير الذي غرسته في قلوبنا لها من طالبات وزميلات لن يودعنا ولن يودعها، ستظل نجمًا متألقًا في سماء الجامعة، وسماء الذكرى والذاكرة.

وقائع ومجالس*

د. محمود أحمد نحلة

جامعة الإسكندرية

مضى حين من الدهر لم أستمتع فيه بقراءة بحث كما استمتعت بقراءة بحث الأستاذة الدكتورة وسميّة عبد المحسن المنصور (وقائع الخطاب في كتاب مجالس العلماء للزجاجيّ) المنشور في كتاب الندوة الدوليّة الثانية التي أقامها قسم اللغة العربيّة بجامعة الملك سعود في ٢٥ - ٢٧ -٢-٢٠١٤ وعنوانها (قراءة التراث الأدبي واللغويّ في الدراسات الحديثة)؛ فقد تجافى البحث عن جهامة العلم التي نعاني منها حين نقرأ أو نكتب، وتماهى فيه الإبداع اللغويّ والإبداع العلميّ من دون إخلال بأصول المنهج العلميّ وقواعده الراسخة، وبرعت الباحثة في أن تنقل إلينا في سلاسة وكياسة مجالس العلماء نابضة بالحياة والحركة والحيويّة، بما فيها من ثراء لغويّ يذكيه شغف معرفيّ وترفده ألوان من العلل الاستدلاليّة، والإستراتيجيّات الحجاجيّة، وتوجهه نوازع نفسية تشي بها تعبيرات انفعاليّة لفظيّة وجسديّة، وتحكمه أعراف وثقافات اجتماعيّة، فضلًا عن جلاء لطرائق إدارة الحوار، وفعل السؤال والجواب، ومعايير التخطئة والتصويب، واختلاف مسالك الحوار وآلياته، مع التفاتات بارعة إلى إشكالات تصنيف كتب الأخبار، وما يعرض من تشابك الدلالات في الإحالات

* نشر في المجلة الثقافية-صحيفة الجزيرة في السبت ٤محرم ١٤٣٧هـ/١٧أكتوبر ٢٠١٥م. ع٤٧٤.

الضميرية المستكنّة في فعل القول، والتمييز الذي ينفي اللبس بين مجالس الرواية والإملاء والإقراء، وبين المجالس وكتب الأخبار والمدونات التاريخيّة، مع عناية فائقة بالتفاصيل الدقيقة والسمات الفارقة بين المشاركين في المجالس الذين قد يصل بهم التنافس إلى الصراع ثم العداوة لافتة إلى ما أسمته (معجم العداوة)، وما أبدعته المجالس من تعبيرات مجازيّة، وما اختصت به اللغة الشفاهيّة من خصائص. ولم تكتف بما في المجالس من مسائل النحو والصرف، بل كان لها اجتهادات تستحق أن تعقد لها مجالس ومناظرات ومن أبرزها اجتهادها في كلمة (وقائع) التي صدرت بها عنوان البحث أهي جمع واقعة أم هي جمع وقيعة؟ وما وزنها الصرفي؟ وأضافت إلى ما في المجالس من تساؤلات، تساؤلات كثيرة تركتها مفتوحة تنبيهًا لأذهان الباحثين وحفزًا لهممهم.

وقد استطاعت الباحثة أن تلفت الأنظار إلى أن هذه المجالس تمثّل مشروعـًا علميًّا يستحق أن يفرغ له فريق من الباحثين من تخصصات مختلفة لدراسة ما فيه من قضايا حجاجيّة واجتماعيّة ونفسيّة وتاريخيّة. وتلك لعمري دعوة جديرة بالاستجابة إليها.

ولم يكن لكل هذا أن يعرض على النحو الذي قرأناه إلا بما تتميز به الأستاذة الكبيرة من «كاريزما علمية» وتمكن من التراث وما جد به العصر من معارف. لقد استوت المجالس بين يديها خلقـًا آخر، إذ قصارى ما كان للغويّ غيرها أن يكتبه عن هذه المجالس أو يوجه إليه طلّابه في الدراسات العليا بحث (المسائل اللغويّة

والنحويّة في مجالس العلماء) ليأخذها جافّة مقطوعة من سياقها الحيّ فيعرضها على ما جاء في كتب اللغة والنحو، ثم يمضي لا يُلوي على شيء!

لقد خرجتُ من قراءة هذا البحث بشوق شديدة إلى معاودة قراءة مجالس العلماء في ضوء ما قدمت من إضاءات تذكي ما أسمته (الشّغف العلميّ) بهذا اللون من الدراسات اللغويّة.

فلها كل التحية والتقدير لما أبدعت وأمتعت.

أَأُلام يا سادة في الكتابة عن الأستاذة؟!*

ندى بنت سعد الشنّار

الحمد لله الذي تكفل بحفظ كتابه، فأنزله قرآنًا عربيًّا غير ذي عوج، والحمد لله أن قيّض لهذه اللغة من يخدمها خدمة لكتابه الكريم، علماء تركوا بصمتهم - بأمر الله ومن بعده - في حفظ هذه اللغة بكل دراساتها وعلومها وأبحاثها.

وها هو العصر الحديث يُثبت لنا أن هذه اللغة مادة ثرية ما زال أعلامها يتناوبون دراستها، ويسبرون أغوارها، ويتعهدونها بكلّ ما هو جديد، ومن هؤلاء العلماء والأساتذة البارزين الدكتورة وسمية بنت عبدالمحسن محمد المنصور من مواليد الكويت وتلاميذ الأستاذ عبد السلام هارون، وزوجة الدكتور إبراهيم الشمسان، لم تحصر نفسها في إطار المباحث الصرفية والنحوية المعيارية التقليدية لكن اهتمامها باللغة جعلها واسعة الطيف، فقد كتبت في النحو التقليدي من ذلك:

١) كان وأخواتها من المعجمية إلى الوظيفية.

٢) ليس بين الفعلية والحرفية.

ومما كتبته في الصرف:

١) نقل الحركة في الصحيح.

---

* نشر في المجلة الثقافية-صحيفة الجزيرة في السبت ٤محرم ١٤٣٧هـ/١٧ أكتوبر ٢٠١٥م. ع٤٧٤.

٢) ظاهرة تعدد الأبنية الصرفية.

٣) صيغ الجموع في القرآن الكريم.

٤) أبنية المصادر في الشعر الجاهلي.

وأجمل ما كتبت وتجد نفسها فيه ما كان قراءة في التراث مثل:

١) عيوب الكلام.

٢) الخطاب غير المنطوق في ديوان عمر بن أبي ربيعة «محور البصر».

٣) المرأة المحاورة – قراءة في التراث.

٤) صورة المسن في التراث اللغوي.

٥) محاورة بين الحجاج وفتى من أهل الكوفة.

٦) الطرائف اللغوية.

وكتبت في اللغة المعاصرة:

١) مستويات الاستخدام اللغوي في التلفزيون السعودي.

٢) من مستجدات اللغة المعاصرة (العربيزي).

٣) رسائل الجوال.

٤) مواقع التواصل الاجتماعي ظاهرة مجتمعية ومتغير حضاري.

وكتبت في الدرس اللهجي:

١) أمثال القصيم - الصياغة والمضمون-.

٢) منظومة القيم الاجتماعية في الأمثال الفلسطينية.

٣) توظيف المأثور القولي في تنمية لغة الطفل.

كما كانت تكتب زاوية في صحيفة اليوم من ١٩٩٩- ٢٠٠٩م، كتبت فيها في موضوعات متنوعة لغوية وثقافية واجتماعية وسياسية، بمعنى أنها كتبت ما بين الحاءين (الحب - الحرب)، فهي موسوعة عربية بحق، تتميز كتاباتها وأطروحاتها ومؤلفاتها بالعمق والسلاسة والتنظيم المنطقي، والإشباع المعرفي، والقدرة على توجيه الخطاب الفئوي الذي يتناسب مع كل فئة معنية بالخطاب بأسلوب يرتقي لعقليات الخاصة ويرتقي بأساليب وأفهام العامة، في مجاراة واعية عجيبة لمتطلبات العصر من الدراسات اللغوية.

لقد انعكست الروح الوسميّة في الفكر والثقافة على مسار العملية التعليمية في جامعة الملك سعود، وخصوصًا قسم اللغة العربية في كلية الآداب، فثمة اهتمام ملحوظ في كتابات ورسائل الدكتورة باللغة العربية، فقد دافعت عن لغتنا أيّما دفاع في العديد من المؤلفات والدراسات والأبحاث، ومن يقرأ مؤلفاتها يتبين إلى أي مدى كانت الدكتورة مؤمنة بحيوية اللغة العربية، وبثبات جذورها تاريخيًّا، وبقدرتها على الصمود أمام التحديات التي تفرزها التطورات المتسارعة التي تحدثُ في اللغات

البشرية في العصر الحديث، في دلالة على العقلية المتجددة الواعية لمستجدات العصر الحديث في اللغة العربية، والقدرة على مخاطبة هذا الجيل الجديد بما يتناسب مع طبيعته في ارتقاء بمستوى تفكيره، وتوسيع لمداركه، وتبصير له بوضع لغته؛ لِتُحَمِّلَهُ في ذكاء معهود وغير مباشر مسؤولية الحفاظ على هذه اللغة، وتعرّفهُ بدوره إزاءها الذي سيكون امتدادًا لأدوار جهابذة اللغة.

لن استفيض في ذكر علمها ومؤلفاتها فقد حُفِظَ بالتدوين، وبضغطة زر على الشبكة العنكبوتية تنفتح لك طاقات العلم الوسميّ لتنهل من معينه وترِدَهُ متى شئت عزيزي القارئ، ولكني أردت أن أنقل لك الجانب الآخر لأستاذتي التي شرفتُ بتدريسها لي في مرحلتي البكالوريوس والماجستير، الجانب المشرق بين أروقة الجامعة، وعبر وسائل التواصل، وفي الأماكن العامة، أردتُ أن أُعرّفك ما لا تعرفه عن أمّنا الروحية، أردت أن أُبين لك سرّ تعلقنا بها ودعواتنا الدائمة لها.

قديمًا قالوا لكل إنسان من اسمه نصيب. «وسمية» علم مؤنث لوسمي، يعني مطر الربيع، أو مجموعة من النجوم. «وسمية» اسم تحمله صاحبة القلب الكبير، والعقل المنير، فهي مطر وغيث للعقول والقلوب، وهي نجم في سماء جامعة الملك سعود، ونجوم في العربية وعلومها، هي هبة من الله لنا وللعربية، هي الجمال بكل أبعاده، هي روح تنبض بحب وعطاء لمن حولها.

سأحدّثُك عن ساعات المحاضرات والاختبارات، والنتائج، وبعد انتقالنا للمستويات الأخرى ولم تعد تدرسنا كيف كانت روحها تضللنا في اهتمام لم أعهده من قبل، وعناية لم أشهد لها مثيل، وماذا كتبت زميلات الدراسة عنها حفظها الله.

في المحاضرة رغم مرضها - حفظها الله وكشف ضرها - كانت أول الحاضرات إلى القاعة تنتظرنا بكلّ حبّ، وتبشّ في وجه كل طالبة تدخل القاعة وتناديها باسمها وتسأل عن أحوالها في تواضع العالِم لطلابه، وكأنها المعنية بقول زهير بن أبي سلمى:

تَرَاهُ إذا ما جِئْتَهُ مُتَهَلّلًا ... كأنّكَ تُعطيهِ الذي أنتَ سائِلُهْ

مبدأها قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[١٥٩- آل عمران]، فلم تكن تتخذ قرارًا بشأن الاختبارات والتكاليف والبحوث إلا بتحقيق مبدأ الشورى، في ديمقراطية حكيمة تعرفُ فيها متى تشد شعرة معاوية ومتى ترخيها، كانت حازمة من غير عنف، وليّنة من غير ضعف.

درّستنا مادة «أساليب البحث» فإذا نحن نبحر معها في بحر العربية الزاخر، فموجة تقلّنا للأدب وأخرى للنحو وثالثة في اللغة، والبلاغة كان لها نصيب، والنحو والصرف كذلك في ثراء علمي عجيب، تبلغ فيه أقلامنا جهدها في محاولة لتدوين ذلك العلم وتسجيل تلك اللطائف، فإذا ما أسعفنا الوقت كنا كخلية النحل نتساءل عمّا فاتنا ونتبادل من بعضنا البعض بعد انتهاء المحاضرة.

لم يقف ذلك العطاء عند ذلك الحدّ بل كانت حريصة على تزويدنا بالتغذية الراجعة؛ لتُشْعِرَ الطالبة بمواطن ضعفها فتتداركها، وتعزز لديها جوانب القوة لتطورها، فقد اعتدنا أن ننتظر الدرجة بعد تسليم البحوث؛ ولكن مع الدكتورة وسمية الوضع مختلف، فهي حريصة على تدوين الملاحظات ليست العلمية فقط بل حتى في اختيار المفردات داخل التراكيب اللغوية، وعلامات الترقيم فإذا هي ترشدنا وترينا بضاعتنا لنجوّد تجارتنا مع العلم، فهو التجارة الرابحة.

لقد كانت مواقفها مع الطالبات، وأنا أرصدها بعين تربوية ونظر طالبة وإحساسي بضرورة نقلها، محط إعجاب وتقدير، فرضٌ عليّ أن أنقلها بأمانة لتكون نبراسًا لكل معلم ومربٍ وأستاذ، فقد درستني وأنا حبلى بابنتي لبنى واتفق أن يكون موعد الاختبارات مع موعد الوضع، ما حييت لن أنسى حرصها على تقديم الاختبار في غير موعد الاختبارات وتكلفها عناء ذلك التقديم مع العمادة والقسم؛ لأن إحدى طالباتها على وشك الوضع وتخشى أن يفوتها الاختبار، فقد كانت حريصة على سؤالي عن موعد ولادتي طبّيًّا لتقدم الاختبار. أبعد هذا يا سادة أُلام في الكتابة عن الأستاذة؟!

لم يقف الأمر عند ذلك الحدّ بل كانت تتعهدنا بالسؤال والاتصال المباشر، فقد تأخرتُ يومًا في زحام الرياض عن الاختبار، وأخذ مني القلق مأخذه والتوتر، فإذا بهاتفي الجوال يصدح باسمها فأرد عليها وتسألني بلهفة الأم الحانية «ابنتي لمَ تأخرتِ عن الاختبار؟ أتشعرين بألم المخاض؟» بِرَبّك أيها القارئ هل مرّ بك هذا المعلم وهذا الأستاذ إلّا فيما نسمعه أو نقرأه من قصص العلماء مع تلاميذهم في كتب

التراث؟ إنها رحمة الله وكرمه ومنه وفضله علينا أن جعلنا نعيش مع عالم من هؤلاء العلماء واقعًا له أثره في نفوسنا بلا شك.

الدكتورة وسمية تتعهد غراسها علمًا وفضلًا وكرمًا، فهي دائمة السؤال لنا عبر المجموعة التواصلية «الوثاب» عن اختباراتنا ومواعيدها ونتائجنا وترسل لنا الدعوات بالتوفيق حتى بعد انتهاء المستوى الذي كانت تدرسنا فيه، ففي هذه المجموعة تتعهدنا بالسؤال وإرسال الروابط العلمية والمواقع الإلكترونية المفيدة والمؤلفات والأبحاث والدراسات والمقالات العلمية، وكل ما من شأنه أن يرفع من مستوى الطالبة ويفيدها في دراستها وأبحاثها، فهي كريمة في العلم، كريمة في الخلق، كريمة في العطاء. تعلمنا منها التحليل والتعليل لكل رسالة ترد عبر الوثاب وتخص اللغة العربية في طرح علمي مبسط ندرك منه الصواب وأوجه الاختلاف.

يوم الاختبار مع الدكتورة وسمية له نكهة خاصة ليس كبقية الاختبارات، كيف لا وهي تميزه وتجعله أكثر تفردًا بضيافة كويتية، وقهوة عربية، وخدمة فلبينية مميزة. قل بربك أيها القارئ هل غير الدكتورة وسمية من يفعلها؟!

أعن كرمها وطيب مجلسها أخبرك عزيزي القارئ أم عن حسن حديثها وروعة منادمتها؟ هي الجليس الصالح حامل المسك الذي أخبر عنه رسولنا الكريم ﷺ لا بدّ أن تصيب من طيبه، هي النهر العذب الذي لا بد أن تغترف منه، هي النخلة المباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء، هي الجمال بعينه لا عدمناها.

عندما تخطئ الطالبة في قراءة كلمة من حيث التشكيل كانت تقف برهة لتبين الفرق بين معنى الكلمة عند تغير حركتها بأسلوب إنشائي يثير الذهن ويُعْمله ويحثه على التفكير والمقارنة، ويدربه على التقويم الذاتي ليدرك سلامة المعنى لسلامة التشكيل. وعندما يكون الخطأ في الضبط والإعراب فإنها لا تصوّب مباشرة بل تطلب إعراب ما قبلها ليضبط إعرابها ونطقها في عناية خاصة بالتعلّم الذاتي لا التعليم، فهي تدرك تمامًا مسؤوليتها في مخاطبة العقول كأوعية معلوماتية لا قوالب آنية.

حريصة على تبصيرنا بكل جديد، واقتراح عناوين البحوث والرسائل للماجستير وفائدتها وجدّتها والإضافة التي ستضيفها لعلوم العربية، فهي معين لا ينضب.

كانت غضْبتها إذا انتُهكت العربيّة في إخلاص ووفاء للغتنا الأم، فتعلمنا منها مزيد احترامها فصرنا نخشى تلك الغضبة، فإذا بنا نغضبها غيرة على عربيتنا وحبًّا لها ولأستاذتها. وبالرغم من حرصها على الحديث بالفصحى والتواصل بها حتى خارج إطار الدرس ووقت المحاضرة كانت مرهفة الحس لكل كلمة عامية تقع على مسامعها فتسأل عن معناها وتبحث جذورها واشتقاقاتها حتى وجدنا أنفسنا نحاول مجاراتها، وكأنها أيقظت فينا الحس اللغوي أو غرست بذوره عند أخريات.

لم يكن قلمي وحده من كتب عن الدكتورة فكثير من الطالبات كتبن وسطّرن في علمها وفضلها، ولو دُوّنت كتاباتهن لطال الحديث، وسأختار مقتطفات مما كتبته زميلاتي، فهذه «عمرة الرشيدي» وقد جاش قلمها بقولها «دكتورة وسمية المنصور ليست أستاذة درسنا على يديها وانتهت بها علاقتنا إلى هذا الحد، دكتورتي الغالية هي

بالنسبة لي أمّ، كانت محاضراتها تمر سريعًا خفيفة ولكن ثقيلة بمعلومات كالذهب، تمنيت لو طال بنا الفصل الدراسي معها؛ ولكن – الحمد لله – استمرت علاقتها بنا وما زلنا ننهل من علمها إلى اليوم؛ لأنها لم ترض ولن نرضى أن نبتعد عنها، فهي ثروة روحية وعقلية لا يمكن وصفها، فقلبها يسع الكون محبة وصفاء وسعادة وجمالًا، بالنسبة لي هي أجمل شيء حصل لي في حياتي وفخر لي. أبقاك الله لنا وأطال بعمرك ونفع بعلمك يا غالية» أما «ثمرة البقمي» فقد كتبت «أرى نفسي محظوظة عن باقي زميلاتي في مرحلة الماجستير لكوني قد درست لدى الدكتورة وسمية المنصور في مرحلة البكالوريوس، لا أخفيكم في البداية أني كنت أهابها ربما هيبة العلماء أحسست بها لكن بعد ذلك كانت الدكتورة كالأمّ لنا تحتوينا تجيبنا بكل وضوح تقترب منا كثيرًا حتى إذا ما أشكل علينا موضوع لم نفهمه أو نحتاج لزيادة لم نكن نحس بحرج، فنجدها أحرص منا على إيصال المعلومة بشكل صحيح، أما خارج الدرس فهي كالأمّ بالنسبة لنا تبادر بالسؤال عن دراستنا وأحوالنا حتى إنها تشاركنا مناسباتنا وأفراحنا بحضورها، ما تفعله الدكتورة وسمية لطالباتها بقي في نفوسنا وكان له الأثر الطيب أتمنى لو كانت علاقة كلّ معلم مع طالبه كهذه العلاقة الطيبة وأكثر حتى نكون مجتمع محب للمعلم يسعى للمعرفة، كتبت هذه المشاعر ربما لم أستطع أن أعبر لكم عن كل ما قدمته لكن أثق تمامًا أن من يعرفها يتفق معي ويؤكد على ما قلت..جزاها الله خيرًا عمّا قدمت» وهذه الكتابات جزء مما كتب واكتفيت به تحرّجًا من الإطالة.

عذرًا أيها القارئ فرغم كثرة كتاباتي الذاتية التي لم تنشر من قبل لم أحتر يومًا في الكتابة بل أجد نفسي منقادة للكتابة بتنظيم واعٍ أو غير واعٍ؛ لكنه مترابط في نسق جميل أتلذذ به بعد مراجعته، لكني هذه المرة أجد نفسي أمام موضوع محدّد إلا أن أفكاره تتناسل بصورة عجيبة أعيتني عن تنظيمها أو ترتيبها في نظام معين، أو تربيتها لتنصاع لي في نسق إنشائي متكامل الرؤى، فأنا كمحمد علوان «لا أحبّ الكتابة الثديية تلك التي تلد وتهتم بصغارها، بل أحبّذ أن أترك ما أكتبه ليواجه الحياة وحده، ويتعلم الصمود وحده، فلن أكون معه عندما يواجه قارئًا ما»، فما كتبت إلا إحساسًا، وما سطّرت إلا نبضًا صادقًا من قلب صادق، أثق أنه سيلامس قلب ذلك القارئ وسيلتمس لي العذر إن أخطأت أو أخّرت أو قدمت أو كررت؛ لأن من كتبتُ عنها قد أضرمت كل مشاعر الحب والوفاء والتقدير في داخلي، وحُقّ لها ذلك.

أستاذتي إنّ الكلام عن عبقرية الإنسان ورسالته ومظاهر سموّه العلمي والأخلاقي، وما خلّفه من آثار وبصمات في عقول العلماء وطلاب العلم يحتاج إلى مزيد جهد، وبحث طويل.

أستاذتي لو كنت أملك من مفردات اللغة ما تملكين لكان لقلمي مطمع في أن يدنو من الوفاء بما يوجبه حقك، ويجري في الشكر إلى الغاية كما يطلبه فضلك؛ لكني أرجو عفوكم عن التقصير في وصف فضلكم، ففي الثناء، وملازمة الدعاء، وحفظ الجميل، وتبليغ العلم، واللجوء إلى الله في مكافأة فضلكم، وفاء لكم، وعذرًا لتطفلي على مقامكم العالي ناطقة بتقصيري.

على بابِك العالي من الفضل راية ... على رأسِ أرباب المعارف تخفقُ

فعلمكِ جنّـاتٌ وحلمـك جِنّةٌ ... وكلك خيـراتُ، وغيثكِ مغـدقٌ

إذا رمتِ إنشـاء فعن صدق فكـرة ... تهادى بأبكـارٍ وغيركِ يسـرقُ

أستاذتي الدكتورة وسمية المنصور إذا كان الكمال سمات شيء فأنت من يحقق ذا الكمال، تمثلين العطاء بلا حدود، تجسدين الحب بكل أبعاده، أنت رمز للعالِم الحق، دمتِ بخير.

إمام العربية من النساء*

د. وداد بنت أحمد القحطاني

جامعة الملك سعود

الأستاذة الدكتورة وسمية المنصور عطاء ووفاء شخصية راقية، وأستاذة قديرة، وباحثة قلَّ لها نظير، إنْ تحدَّثتْ أصغتْ لها الآذان، وأُشِير إليها بالبنان، وإنْ غابتْ اشتاقتْ لها القلوب، وحَنَّتْ لعطائها الدؤوب، لا ينكر فضلَها إلا جاحد، ولا ينْسى عظيمَ مناقبها إلا حاسد. إنَّها الأستاذة الدكتورة وسميَّة بنت عبدالمحسن المنصور، أستاذة النحو والصرف في قسم اللغة العربية -كلية الآداب- جامعة الملك سعود، وُلدتْ بالكويت، وحصلت على درجة الليسانس في الآداب والفلسفة، كلية الآداب جامعة القاهرة - ودرجة الماجستير في النحو والصرف، كلية البنات جامعة عين شمس القاهرة، عن بحث: (صيغ الجموع في القرآن الكريم)، وحصلت على درجة الدكتوراه في النحو والصرف، كلية الآداب جامعة القاهرة، عن بحث: (أبنية المصدر في الشعر الجاهلي). وعملت بجامعة الملك سعود منذ عام ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، وتدرجت في الترقية إلى أستاذ دكتور في عام ١٤٢٨هـ. أما جهودها العلمية والعملية فهي أكثر من أن تُحصى في هذه الوريقات، وسآتي على ذكر بعض منها. الأستاذة الإنسانة الفاضلة الدكتور وسمية عرفتها قبل أكثر من ثماني سنوات، وما زلتُ أذكر

---

* نشر في صحيفة الجزيرة-المجلة الثقافية السبت ٤محرم ١٤٣٧هـ/١٧ أكتوبر ٢٠١٥م. ع٤٧٤.

أوَّل لقاء جمعني بها في مكتبها بقسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود، فبادرتني بالترحيب، واحتضنتني بين ذراعيها، وأفاضت عليَّ بحبها وحنانها -ولم تكن تعرفني من قبل- فجذبتني بتواضعها، وروائع حديثها، وصدق مشاعرها، فكان لي الفخر بشرف معرفتها، وكريم صحبتها. وقد تأثَّرْتُ بأُستاذتي الإنسانة الراقية، وبنُبْل أخلاقها، فالعطاء أساس في تكوين شخصيتها، والوفاء هي أصله، تذكر مَنْ له فضل عليها ولا تنكره، فطالما تحدثت وأثنت على أساتذتها ومَن علَّمها حرفًا، وكان لأستاذها وزوجها الأستاذ الدكتور أبي أوس إبراهيم الشمسان النصيب الأوفر من المدح والثناء والشكر، كما تملك روح المرح والتفاؤل، تُدْهشك سرعة بديهتها، وبلاغة منطقها، إنْ تحدَّثتْ في العربية أبدعت، وإنْ تناولتِ الشعر والأدب أدهشت. تغمُرُك بكرمها، وحُسْن ضيافتِها فكأنَّك بجود حاتم تنعمُ. وتفيض بالحكمة وبُعد النظر وسداد الرأي فكأنَّها من حكمة لُقمَان تنهلُ، فقد علمتنا أنَّه ينبغي لنا أنْ نزرع دربَ الحياة بالمحبة، ونفرشه بالصبر، ونضيئه بالتفاؤل، ونمشي فيه بإيمان من غير شك، وثقة من غير غرور، وتواضع من غير ذلّ، وطموح من غير طمع. وأُعْجِبْتُ بشخصيتها العلميَّة فهي باحثة متميزة، وعالمة مبدعة، يبدو لك جليًّا في اختيارها لموضوعات أبحاثها، وطريقة عرضها للمسائل ومناقشتها، وإبداء الرأي في شجاعة أدبيَّة تعبِّر عن ثقتها بنفسها، متحرية الصواب، ومعتمدة على الحجة والدليل، وكأنَّ لسان حالها يقول:

وإنِّي وإنْ كُنْتُ الأخيرَ زمانُه ... لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

وبلا مبالغة لو كان للعربية إمام من النِّساء لكانتْ أهلًا له، يشهد لذلك الكم الوافر من الأبحاث والدراسات، والندوات، والمناقشات، والدورات. والأسلوب الساحر في التحليل والاستنباط. والمتأمل في آثارها العلمية سيدرك أنه أمام موسوعة علمية ثقافية، حائزة على الريادة، ومستحقة للسيادة، وإليكم بعضًا من دراساتها ومؤلفاتها، منها على سبيل المثال لا الحصر:

-نقل الحركة في الصحيح.

- كان وأخواتها من المعجمية إلى الوظيفية.

-من أمثال القصيم- دراسة في المضمون والصياغة.

- عيوب الكلام (دراسة لما يعاب في الكلام عند اللغويين العرب).

- ظاهرة التعدد في الأبنية الصرفية.

- توظيف المأثور القولي في تنمية لغة الطفل.

- بحث (الدلالات النفسية والسلوكية لدى المتحدث باللغة الأجنبية في غير سياقها).

- التواصل غير المنطوق في ديوان عمر بن أبي ربيعة- مستوى التبادل البصري نموذجًا)

- من مستجدات الخطاب والتواصل - رسائل الجوال نموذجاً.

وكانت لها محاضرات وندوات داخل الجامعة في قسم اللغة العربية، والأقسام الأخرى، وكذلك خارج الجامعة فلم تضنّ بوقتها وعلمها، فكانت كالغيث حيثما وقع نفع، فاستفاد منها القاصي والداني، وتنوعت موضوعاتها ما بين لغويَّة، وثقافية، ولم تنسَ قضايا المجتمع واهتماماته، فلقي ذلك استحسان كُلٍّ من حظِي بالاستماع إليها.

ومن تلك المحاضرات:

- لغة الشباب في مواقع التواصل الاجتماعي في قسم الإعلام – جامعة الملك سعود.
- محاضرة (مزايا الإنترنت وعيوبه). كلية العلوم– الملز / جامعة الملك سعود.
- محاضرة (ثقافة الاستهلاك) مركز الأميرة نورة بنت عبد الرحمن في القصيم.
- محاضرة (من مستجدات لغة الخطاب والتواصل – رسائل الجوال نموذجًا)؛ اليوم الثقافي – كلية الآداب – جامعة الملك سعود.
- محاضرة (نعم للاختلاف لا للخلاف)؛ مهرجان عنيزة – الجمعية الصالحية.

وللإعلام نصيب من اهتمامها وإبداعاتها المتنوعة، فلها زاوية أسبوعية ثابتة في صحيفة اليوم السعودية منذ عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، إلى ١٦-٧- ٢٠٠٩م. كما شاركت في رسالة الجامعة. جامعة الملك سعود (زاوية أسبوعية). من ٢٠٠٢- ٢٠٠٣م، إضافة إلى مشاركتها في العديد من البرامج الثقافية في الإذاعة والتلفزيون. وإضافة إلى هذه الجهود الكبيرة فهي أستاذة قديرة، وقدوة صالحة، في الأخلاق واحترام الأنظمة، وأداء رسالتها في التدريس ومناقشة الرسائل العلميّة، والإشراف

على الرسائل بتفان وإخلاص، ولمستُ شخصيًّا -عندما كنتُ وكيلة لقسم اللغة العربية- محبة واحترام الطالبات لها، وحرص الجادات منهنَّ والمحبات للعلم، ورغبتهنَّ وإلحاحهنَّ الدائم على التسجيل في شعب موادها. وعلى رغم عظم المسئولية التي تحملتها، وتعدد مهامها، نجدها مبتسمة ودودة متفائلة، تتجاوز عن الهفوة، وتسامح من أساء إليها، وتُذكي شعلة الأمل في النفوس، تمدُّ يد المساعدة لكلِّ مَنْ قصدها، فكم أزالت العثرة، ومسحت الدمعة، فوَسَمَتْ في القلوب محبتها، وخلَّدتْ في الأذهان ذكراها، وكم آلمنا جميعًا قرارها بالتقاعد عن العمل، إذ يصعب تعويض شخصها، فقل أنْ جاد الزمان بمثلها. وكم أسعدتني -في الوقت نفسه- تلك المبادرة الطيبة[١] بتكريم أستاذتنا الغالية، فالوفاء لأهل الوفاء من شِيَم الكرام، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان. واعترافًا بفضل أستاذتنا الفاضلة الدكتورة وسميَّة المنصور فإنني آمل أن تكون أعمالها وآراؤها عنوانا لأبحاث ودراسات تليق بعطائها وجهودها الرائعة.

وبعد.. فما ذكرته عن أستاذتي غيض من فيض، وقطرة في بحر علمها وعطائها، أَمَدَّ الله بعمرها، وبارك لها في جهودها، وجزاها عنَّا خير ما يجزي به عباده المخلصين المؤمنين. وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) تشير إلى مبادرة المجلة الثقافية في صحيفة الجزيرة بنشر ملف عنها وهي مبادرة من رئيس تحرير المجلة الدكتور إبراهيم بن عبدالرحمن التركي.(المحرر)

ساحل بحرها*

ياسر الحزيمي

كان اللقاء الأول بيننا في دورة لتدريب المدربين أقيمت في الرياض إثر مشاركة صوتية لها، صوت أشعرني بالهيبة وكلمات تستتر خلفها معاني حكمة السنين، عرّف الجميع بأنفسهم، وكان كثير منهم يعرّف بنفسه بألقابه ومناصبه وأحياناً بمنجزاته فيطيل حتى ننسى اسمه إلّا هي؛ قالت بتواضع زادها رفعة: أختكم وسمية المنصور، فقط هذا كل شيء وماذا عساها أن تقول قبل أو بعد اسمها، وهي التي تعرف بنضجها الفكري وقلبها النقي. أن تعريف الإنسان بألقابه ألقى به خارج حدود القلوب، وما هي إلا بعض كلمات ومداخلات وتساؤلات حتى أدركت أن الله منحني وسام الفخر بحضور أمثالها. "كنت مخطئة، تعلمت منك كذا، لا أدري، أشكرك لتصحيح مفهومي" كلمات لا يقوى عليها سوى الكبار، فلم يمنعها قدرها ولا عمرها من أن تتعلم ممن هو أقل علماً وعمرًا وقدرًا، وختمت الدورة بقولها أمام الجميع: يا ليتني تعلمت ذلك قبل ثلاثين سنة من الآن. أيّ قلب يتسع لذلك؟ وأيّ نفس تقوى على ذلك؟ وأي خلق يقدر على ذلك؟ انتهت الدورة لتبدأ العلاقة العلمية مرة بتواصل مباشر، ومرات أجدني متصلًا بها عبر مقالاتها وكتاباتها وتعليقاتها، كنت أسمع عن العالم الموسوعي؛ ولكني لم أجد ساحله إلا في بحر علوم أستاذتي وسمية أقرأ لها في

* نشر في المجلة الثقافية–صحيفة الجزيرة في السبت ٤محرم ١٤٣٧هـ/١٧أكتوبر ٢٠١٥م. ع٤٧٤.

النحو فإخالها خلقت له، وأقرأ لها في الصرف فأقول هي ممنوعة عن غيره من الصرف، تكتب عن الأنثى فأقول سفيرة عنها، فأقلب منتجاتها الفكرية فأجد (صورة المسن في التراث اللغوي) تحت مشرط نقدها، ومحاورة لفتى مع الحجاج فوق مائدة طرحها، حتى الطفل لم يفطم من مأثور قولها، ومنقولها تنوع فئوي لا يقدر عليه كل أحد، هي تكتب للعقل ولا يحدها العمر أو الجنس أو الشكل تعلمت في مصر وغيرها وعلمت في السعودية وغيرها، لذا تجدها تكتب دون الاعتراف بالحدود الجغرافية فمن أمثال القصيم إلى قيم فلسطين ومن الكويت إلى جوار الكميت، ظننتها تركز على التراث والقديم؛ ولكني اكتشفت أن عجلة إداركها تواكب الزمن فتكتب عن لغة الإعلام وعن لغة الجوّال، إن صحت التسمية، وعن مستجدات اللغة المعاصرة كما تسميها (العربيزي). حين تكتب فإنها تكتب بشمولية بعيدًا عن التهويل أو التهوين، وبعيدًا عن الحدية في الرأي والإسقاط على الآخر والتهميش، سألتها مرة عن رأي ما فأجابت بإجابات كثيرة محتملة تؤيده وتعارضه من عدة أوجه، وسألتها عن الترجيح لديها فقالت الآن لا أدري فتذكرت قول بعض السلف إذا زاد علم المرء زاد تردده – زادها الله من فضله – انتهى وصفي لساحل بحرها ولم ينته عجبي من حرصها على الطلب والتعلم ومن تواضعها ورقيّ تواصلها مع الجميع.

أبيات

يروعني الموت*

د. أسماء بنت إبراهيم الجوير
جامعة الملك سعود

يروعني الموتُ للأحبابِ مختطفا ... يبيتُ قلبي بذعرِ الموتِ مرتجفا

يروعني الموت في تأميلنا لغدٍ ... غدًا سنفعلُ ما لا يكتفي بـ(كفى!)

أجل، سنلقاكمُ أحبابنا، فغدًا ... نقضي مشاغلنا، نستأذنُ الترفا

تمضي المواعيد بالأيامِ ما غفلت ... ما أمهلتنا فضّيعنا وعود وفا

في كلّ يومٍ لنا غالٍ نودّعهُ ... وكلّ إلْفٍ بكى من خلفِ من ألِفَا

كيف التسلّي وسهمُ الموتِ منبشقٌّ ... وعن قريبٍ نكونُ الفقدَ والخُلفا؟

يا من رحلتم، إلى الجنّاتِ رحلتكم ... فليس حزني عليكم أيّها الشُّرفا

طابت سريرتكم في إثرِ سيرتكمْ ... خلفتموني أسيفًا حائرًا دنِفا

حزني على نفسي الحمقاء إذ سدرتْ ... في غيّها لم تدع وادٍ ولا جُرُفا

حزني على شوقي الفيّاض مال إلى ... آمال تكذيبِ فقدٍ بعد أن عرفا

حزني على يقظةِ المرزوءِ بعدكمُ ... كنتم له مرفأً، كنتم له كنفا

قد بات يسأل عنكم كلّ سارحةٍ ... للذكرياتِ، على أطلالكم وقفا

---

* نشرت القصيدة في تغريدة للشمسان:
https://twitter.com/aboawsalshamsan/status/1667546398118621194?t=pvnKi8khGBtajznfUr28tA&s=08

مــا غبتمُ مذ رحلتــم عن هــواجسه مضنــاكمُ بجـــلالِ اللهِ قــد حلـفــا

والله ما غابت الشمسُ الضحوك ولا بدر الدياجي الطروب الوجه ما خسفا

لكنّمــا الفقـد زلـــزالٌ، كأن علـــى رأســي يسـاقـطُ آثـار النـوى كِسَفـا

بـــانَ الخليـــطُ ومـــا ودّعتُه أمـــلًا قد نـــال آملـــه مـــن مأمـــلٍ جَنَفـــا

بنتــم وبنّا فمـــا ابتلّتْ جـوانحنـــا شوقًا إليكـــم ولا دمـــعُ النوى أَنِفـــا

أستودع الله مـــا استودعتـــمُ، ولقد صارت مغاني لقانا الحوضَ والغُرَفـا

الرياض ٥ ذو القعدة ١٤٤٤هـ/ ٢٥ مايو ٢٠٢٣م

مرثيَة في أ.د. وسمية المنصور*

د. أمل بنت محمد الشقير

إهداء:

إلى التي رحلت عنا فجر الخميس

١٤ شوال ١٤٤٤هـ،

إلى الأستاذة القديرة، أميمتنا الغالية:

أ.د.وسمية بنت عبد المحسن المنصور رحمها الله

تصدَّعتْ قلوبُنا حزنًا وكمدًا، ولا نقولُ إلا ما يُرضي ربَّنا:

﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾

اللهم اغفر لها وارحمها واجمعنا بها في مستقر رحمتك.

---

* نشرت في صحيفة الجزيرة في يوم الثلاثاء ١٩شوال ١٤٤٤هـ/ ٩ مايو ٢٠٢٣م.

وأنشدت في: 

أحسن الله عزاءكم شيخي الفاضل: أبو أوس أ.د.ابراهيم الشمسان، وأحسن الله عزاءكم يا فلذات كبدها: أوس وبدر وديما وبدور، وأحسن الله عزاء أهلها وأحبتها وعزاءنا جميعًا.

حقًّا أبا أوسٍ؟!

كيفَ استبدَّ بيَ الوجـــــومُ الأكبرُ ... لا شيءَ في هذا الوجودِ سيخبرُ

وبرَغمِ هذا الحزنِ يعصِفُ داخلي ... اللهُ مــن كلِّ المـــــواجعِ أكـبرُ

أنا لستُ أدري كيفَ باغتَني الأسى ... والصبحُ أظلمَ فهْـــو داجٍ أغبَرُ

جــــاءَ النعِيُّ فكانَ أولُ خــــاطرٍ ... أينالُ موتٌ من فــؤادٍ يُزهـــرُ

قد زلزلَ الخطب المُفاجئُ أضلُعِي ... وشعرتُ قلبِي جمرةً تتسعـــرُ

وهرعْتُ أختطفُ اتصَــــالًا للذي ... سيمدُّني علــــمًا به أتبَصَّـــرُ

حقًّا أبـا أوسٍ! فجـــــاوَبَنِي أسًى ... يبْكِي وأبكِي، والقُلوبُ تَفــطَّرُ

شيخِي! وصوتٌ ما يزالُ بمسمَعِي: ... أمْـــرُ الإلهِ أتَى وذاكَ مُقَــــدَّرُ

دارتْ بيَ الدنيَـــــا، فكيفَ بحالهِ ... وجثوتُ أبكِي، بالدُّعـــا أتصبَّر

يـــا ربِّ لا حـــولٌ لنَـــا أو قـــوّةٌ ... أنتَ الحكيمُ وأنتَ ربي الأخبَرُ

وذهبتُ صوبَ حديثِــنا في هاتِفِي ... مفجـــوعةً ملهـــوفةً أتحسَّـرُ

بالأمسِ بشَّرْتِ فــؤادي أنّـــكِ ... في صحةٍ بلْ قلـــتِ إنكِ أنضَرُ

وتبعتِ مـا بشّــــرتِني ببشـــارةٍ أخرى وقلتِ هيَ السرورُ الأكبرُ
قلــتِ: لقــد منَّ الإلــهُ وصمتُهُ رمضـــانَ ثم الســتَّ، ما أتأخرُ
وبأنّـــكِ عمّـــا قريـــبٍ بيننـا هذي البشائرُ لي حديثٌ ممـطرٌ
لولا اليقيــنُ وحُسْنُ تسليـمٍ لقدْ كـــادَ الفــؤادُ يطيرُ ممّـــا أشعُرُ
ورجعتُ أستمعُ المقـاطعَ كلَّها صوتٌ سماويٌّ بروحي يعبُرُ
كالطفلةِ الولهَى أُكفكِفُ أدمُعي وأنــا بحَمْلِ مصيبتــي أتعثَّرُ
أبكي التي كـانتْ كمثْلِ أُمَيْمَتِي بحنانِهـــا وبحبِّهـا كم تغمُرُ
مَنْ لُطفُهـــا عَمّ الجميعَ فكلُّهُم لخصـالِهَا بعدَ الفجيعةِ يذكُرُ
ولسـانُهَا بالذكرِ رطبٌ لاهــجٌ حمـدًا وشكرًا لا يَكُّفُ ويفترُ
مَن قــدْ أحبَّت مكــةً، وتعلَّقَتْ بالصـالحين محبـةً لا تُنْكَـرُ
مَن قــد أحبَّتْ زوجَهَـا وأحبَّها شـــابُوا على حبٍّ بِهِمْ يتجذَّرُ
وعيـالُهُم سـارُوا على منـوالِهِم دربٌ من الأفضــالِ لا يتَقَهْقَرُ
وَسْميَّةٌ، سِمَةُ الجَمالِ لها المدى أرضٌ، ومُتَّكَأٌ، ودربٌ أخضـرُ
ولهـــا القلوبُ مجالسٌ وحفاوةٌ من فرطِ ما بالحبِّ كانتْ تأسِرُ
مخمُومَةٌ، سُلَّتْ سخيمَةُ قلبِهَا[١] تمضي بلا لــومٍ، وكُلًّا تعــذُرُ
محبــوبةٌ وُضِعَ القَبــولُ لذِكرِهَا وكــذاكَ أحسبُهَا، وربِّـي أخبَرُ
وكريــمةٌ عُرِفت بحسنِ ضيــافةٍ فالبيتُ بالأحبـابِ دومًا يُعمَـرُ

(١) مخمومة: نقية، والسخيمة: الحقد.(المحرر)

وتحبُّ موطِنَهَــا الكُويتَ وأهلَهَا   وتحبُّ مملــكةَ العطاءِ وتفخَرُ

أُستــاذةُ النحــوِ الجليــلةُ أنفقَتْ   سنواتِهــا بالعلــمِ بذلًا تنشُــرُ

ويزيدُهَا علمًا تواضُعُهَا الذي   كلُّ الذيــنَ تعــاهدُوه تـأثَّرُوا

وجــــهٌ بَشــوشٌ طيبٌ متفــائلٌ   طُهْــرًا يشِـعّ وبالرِّضــا مُتدثِّـرُ

قلـــبٌ نقــيٌّ أبيــضٌ متوهـــجٌ   تلك الشمـائِلُ لا تُعَدُّ وتُحصَرُ

ما زلتُ أذكُرُ حين شرَّفَ خطوُهَا   بيتي، بهـا يزهُـو ووجهي يُسفِرُ

ودعوتُ أحبـابِي الذيـن تحلَّقُوا   من حولِهَــا، للهِ ذاكَ المنظــرُ

مـا زلتُ أذكــرُ حينمــا لاطَفْتُها   بالوردِ، إذْ هيَ بالورودِ الأجدرُ

فإذا بهـــا جعَلَتْـهُ أقــربَ منظَـرٍ   وردًا يدُومُ بقُرْبِهــا إذ تنـظُــرُ

مَـنْ قــدْ تَمَنَّتْ أن أُتِمَّ رســالَتِي   ليكــونَ لي منهَا احتفـالٌ مبهرٌ

أوصَــتْ أبَـــا أوسٍ علَيَّ كأنَّنِي   بنتٌ لهُــمْ، وأنــا بذلِكَ أفخَــرُ

اليــومَ عُدْتُ لكَيْ أُتِمَّ دراستـــي   فوجــدْتُ أنِّـــي لـمْ أزَلْ أتعَبَّرُ

مَــا زالَ في أُذْنِي صدَى دعْوَاتِها   تُوصي بأنْ أمضِـــيْ ولا أتَأَخَّرُ

لكنَّ دمعـــي لمْ يجــفَّ للحظةٍ   اغفرْ ليَ اللــهُمَّ إنّـــكَ تعـذُرُ

فإذَا شعرْتُ الغَمَّ يُـوهِنُ قُوَّتِـي   إنِّي لحُسْنِ ختــامِهَــا أتَذَكَّــرُ

طوبَى الممـاتُ على يمينٍ طاهرٍ   وعلى صيامٍ، نِعْــمَ ذاكَ المَنْظَرُ

تَتْلِيـــن آيَ اللهِ آخــــرَ مَنْطِــقٍ   بسكينةٍ طـابَ الختــامُ المُبْهِرُ

بلْ إنَّ ربِّي قد أجــابَ دعــاءَكِ   أنْ ترحلِي من دُون جَهْدٍ يُذكَرٌ

فأتــاكِ أمـرُ اللهِ ألطـفَ نعـمةٍ نومًـا هنيئًا بالجنـــانِ يُبَشِّـرُ
قدِ كنتِ توصيني بأن أدعو لكِ وخَشِيـتِ أنْ أنْسَــى ولا أتذكَّرُ
إنِّي على عــهدٍ قطعتُ أمَيْمَتِي أَدْعُـو كمَـا أوصَيْتِنِـي بلْ أكثَرُ

أبحاث مهداة

الغلطُ في كتابِ سيبويهِ

أ.د. أسماء بنت محمَّد العسَّاف
جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

ملخص البحث

يهدفُ هذا البحثُ إلى إبرازِ حكمٍ من أحكامِ النَّحوِ المعياريَّةِ وهو الغلطُ، وخصَّهُ بكتابِ سيبويهِ أولِ كتبِ النَّحوِ وصولًا إلينا، وعرَّج إلى تعريفِ الغلطِ لغةً واصطلاحًا، ثم بيانِ استعمالاتِهِ في كتبِ النَّحوِ وصولًا إليهِ في الكتابِ. وأشارَ إلى الخلافِ الواقعِ في تفسيرِ مرادِ سيبويهِ. وقد حكمَ سيبويهِ على أقوالٍ للعربِ بالغلطِ في خمسةِ مواضعَ، كلُّها كانت نثريَّةً، ثلاثٌ منها صرفيَّةٌ واثنتان نحويتانِ، تفاوتت فيما بينها بالتفاصيلِ واتَّفقت في النَّتيجةِ التي خلصت لمراد سيبويهِ من هذا الحكمِ، وهو مخالفةُ القياسِ لأسبابٍ معتدٍ بها بانت خلالَ البحثِ. وقد اختلفت أسبابُ النَّاطقِ بالخطأ من العربِ ما بينَ توهُّمٍ أو تخفُّفٍ لفظيٍّ أو مراعاةِ المعنى أو إمضاءِ الغلبةِ في اللفظِ، وهذا كلُّهُ مستنتجٌ من السِّياقِ وعبارة سيبويهِ.

مقدمة

الحكمُ في النَّحوِ العربيِّ جزءٌ من مكنوناتِه المعياريَّة، لا يكادُ ينفكُّ عنه ولا ينقطعُ، ولذا تراه مرافقًا إيَّاهُ منذُ النَّشأةِ التي اقتضت ظهورَ أحكامِ الخطأ والغلطِ أو الحسنِ والفصاحةِ ومثلِها؛ لكونِ هذا أبرزَ أسبابِ ظهورِ هذا العلمِ.

ولا يخفى أنَّ الحكمَ النَّحويَّ كانَ نتيجةَ تتبُّعِ كلامِ العربِ واستقراءِ نصوصِهم على اختلافِ لهجاتِها ومستوى فصاحتِها وقلَّتِها وكثرتِها، ولذا تجدُ كتبَ النَّحوِ تحفَلُ بطائفةٍ من الأحكامِ النَّحويَّةِ المصنَّفةِ تبعًا للنَّوعِ أو القدرِ بناءً على المرويِّ المجموعِ. وهذا كتابُ سيبويهِ – أولُ كتبِ النَّحوِ وصولًا إلينا – يزخرُ بطائفةٍ كبيرةٍ منوَّعةٍ من هذهِ الأحكامِ تعقبُ المسألةَ أو تتخلَّلُ تحليلها؛ بل إنَّه يُفرِدُ بابًا لهذا على غرارِ علمِ أصولِ النَّحوِ؛ فيقولُ: "هذا بابُ الاستقامةِ من الكلامِ والإحالةِ؛ فمنه مستقيمٌ حسنٌ، ومحالٌ، ومستقيمٌ كذبٌ، ومستقيمٌ قبيحٌ، وما هو محالٌ كذبٌ. فأمَّا المستقيمُ الحسنُ فقولُك: أتيتُك أمسِ وسآتيك غدًا، وأمّا المحال فأن تَنقض أوَّلَ كلامك بآخِره فتقول: أتيتك غدًا، وسآتيك أمسِ. وأما المستقيمُ الكذبُ فقولُك: حملتُ الجبلَ وشربْتُ ماءَ البحرِ، ونحوه. وأمَّا المستقيمُ القبيحُ فأن تضعَ اللفظَ في غيرِ موضعِه نحوُ قولِك: قد زيدًا رأيتُ، وكي زيدٌ يأتيك وأشباه هذا. وأمَّا المحالُ الكذبُ فأن تقولَ: سوف أشربُ ماءَ البحرِ أمسِ ... "[1].

والمقلِّبُ صفحاتِ الكتابِ عجلًا -دونَ تأمُّلٍ وتصفُّحٍ- يلمحُ عنايةَ سيبويهِ بالأحكامِ التي يُقيِّمُ فيها الشَّاهدَ أو القولَ، ولذا حظيَ هذا الحقلُ باهتمامِ الباحثينَ الذينَ تواردوا على هذا النَّبعِ يَروونَ شغفَهم بدراسةٍ خاصَّةٍ بحكمٍ واحدٍ، أو مجملةٍ لكلِّ الأحكامِ من جهةِ أثرِها في التَّقعيد أو اللاحقينِ مخالفةً أو مشابهة.

---

(١) ١/٢٥.

ومن واقعِ تعلُّقي بالكتابِ وملازمتي له فقد رأيتُ حكمًا من الأحكامِ التي أحسبُها قديمةً قِدَمَ النَّحوِ نفسِهِ؛ وهو الغلطُ الذي وصمَ بِهِ سيبويهِ قولَ عربيٍّ شعرًا أو نثرًا، فكانَ لي معَهُ وقفةُ تأمُّلٍ ومكوثُ تحليلٍ. فما مرادُهُ؟ وما سببُهُ؟ وما علاقةُ الحكمِ بأصولِ اللغةِ؟ وهل الأسلوبُ مرجوحٌ أو منبوذ؟ ... ونحو ذلكَ من الأسئلةِ المتزاحمةِ. ومن هذا الحوارِ الدَّاخليِّ قامتِ الفكرةُ، فجمعْتُ المادَّةَ الخاصَّةِ بالغلطِ ودرستُها عارضةً مسائلَها على كتبِ النحوِ وأقوالِ العربِ ومشابِهاتها أو مخالفاتِها.

حداني إلى العزمِ والمضيِّ جمعُ هذا الموضوعِ بينَ النحوِ وأصولِهِ، وعدمُ الوقوفِ على دراسةٍ تخصُّهُ بالبحثِ وتُجلِّيه، وكلُّ ما في المكتبةِ مما يشيرُ إلى الغلطِ مختلفٌ عمَّا تُعالجُهُ هذه الدِّراسةِ، وإن كانَ يحومُ حولَ الحمى كما يُقالُ؛ منها بضعُ رسائلَ علميَّةٍ عامَّةٌ، أولاها "ظاهرةُ الغلطِ في الدَّرسِ النَّحويِّ حتى نهاية القرن الرَّابع للهجرة" لأحمد الزَّكي[١]، والثَّانيةُ "الأحكام التقويمية في النحو العربي" لنزار الحميداوي[٢]، والثَّالثة دراسةُ زهير سلطان "المؤاخذات النحويّة حتى نهاية المائة الرابعة"[٣]، وكلُّ هذهِ الدِّراساتِ عامَّةٌ لكلِّ غلطٍ أيًّا كانَ مُصدِرُهُ وشاملةٌ فترةً طويلةً، ولذا لم تسلِّط أدواتِ البحثِ على الكتابِ ولم تُعنَ بكلِّ مسائلِه، وثمَّةَ بحثٌ صغيرٌ وُسِمَ بـ"من مظاهرِ الحكمِ بالغلطِ عند المبردِ في كتابه المقتضبِ" لسيف الدين طه الفقراء[٤]، وهو

---

(١)رسالة ماجستير في جامعة مؤتة.

(٢)رسالة ماجستير في جامعة بغداد.

(٣) رسالة دكتوراه في جامعة قار يونس.

(٤) مجلة جامعة الشارقة للدراسات الإنسانية والاجتماعية.

مختصٌّ بالمبردِ وكتابِهِ المقتضبِ وتناولُهُ بعضَ مسائلِ الكتابِ لا يتجاوزُ الوصفَ فقط، وكذا البحثُ الموسومُ بـ"مثارات الغلط الإعرابي من خلال كتاب مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري" لأمين قادري[1]، خاصٌّ بالغلطِ في الإعرابِ ومسائلِ أخطاءِ المعربينَ فقط، وثمَّة دراساتٌ بعيدةٌ كلَّ البعدِ عن هذهِ الدراسةِ؛ إذ هي فيما أخذَهُ النحاةُ على بعضِهِم، كما في (مسائل الغلط) للمبرد، الذي ضمَّنَهُ (١٣٢) مسألة انتقدَ فيها سيبويهِ، ذكرَ منها (٣٤) في المقتضبِ؛ وإن كانَ قد رجعَ عمَّا رآه بعدُ، معلِّلًا: "هذا شيءٌ كنَّا رأيناه في أيَّامِ الحداثةِ، وأمَّا الآنَ فلا"[2]. وعلى هذا النَّهجِ تصدَّى له (ابنُ ولاد) في كتابٍ سمَّاه (الانتصار). والفرقُ بينَ هذا وذي الدِّراسةِ بينٌ؛ إذ موضوعُنا في الغلطِ الذي هو حكمٌ للمسألةِ، لا الغلطِ الذي هو موجهٌ للعَلَمِ في حكمِهِ على المسائلِ، مقصورٌ على كتابٍ نحويٍّ واحدٍ ومقتصرٌ على ما صرَّحَ بتغليطِهِ سيبويهِ.

وجاءت الدِّراسةُ في مقدِّمةٍ وثلاثةِ مباحثٍ لتعريفِ الغلطِ، فتحليلِ مسائلِهِ، ثمَّ الوقوفِ على أسبابِ ذلك، متبوعةً بخاتمةٍ تُجْمِلُ العملَ وتُبرزُ نتائِجَهُ .

وقد اتَّبعتُ في دراسةِ هذا الموضوعِ المنهجَ التحليليَّ، ونظرتُ في كلِّ كتابٍ يخدمُهُ؛ ككتبِ الأصولِ والكتبِ المتعلِّقةِ بكتابِ سيبويهِ شرحًا وتعليقًا وشواهدَ ...، وكتبِ التخريجِ واللغاتِ، وسواها ممَّا يتَّكئُ بحثُ الحكمِ عليهِ.

---

(١) منشورات جامعة الجزائر.

(٢) الخصائص ١/٢٠٦.

واللهَ أسألُ أن يُوفقَني لبلوغِ الغايةِ وتحقيقِ المبتغى. والحمد لله ربِّ العالمين[١].

المبحثُ الأوَّلُ: تعريفُ الغلطِ

الغلطُ لغةً: غَلِطَ فِي الأَمرِ يَغْلَطُ غَلَطًا وأَغْلَطَه غَيْرُهُ، والغلط خِلَافُ الْإِصَابَةِ[٢]، وهوَ كَلَامٌ لشَيْءٍ لم تُرِدْهُ[٣]؛ إذ يُريدُ أن يتكلَّمَ بكلمةٍ فيغلَطَ فيتكلَّمَ بغيرِها[٤]. وَعنِ اللَّيْثِ: الغلَطُ كلُّ شَيْءٍ يعيا الْإِنْسَانُ عَن جِهَةِ صَوَابِهِ من غيرِ تعمُّدٍ[٥]. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: غَلِطَ فِي مَنْطِقِه، وغَلِتَ فِي الحِساب غَلَطًا وغَلَتًا، وَبَعْضُهُمْ يجعلُهما لُغَتَيْنِ بِمَعْنًى. قَالَ: والغَلَطُ فِي الحِساب وكلِّ شيءٍ، والغَلَتُ لَا يَكُونُ إلا فِي الْحِسَابِ[٦].

وخلاصةُ المدلولِ اللغويِّ أنَّ الغلطَ خلافُ الصَّوابِ بمعنى الخطأ لا فرقَ بينَهُما، ولذا تجدُ من يُفسِّرُ العنتَ بالخطأ والغلطِ[٧] كليهِما على سواءٍ، على أنَّ بعضَ من اهتمَّ

---

(١) أصل هذا البحث مشروع تفرُّغ عام ١٤٣٢هـ، وقد أنجز دون نشر للانشغال بالأعمال الإدارية ولم يكن على الساحة أيٌّ من تلك الدراسات السابقة المشار إليها أعلاه، ثم روجع للنشر ١٤٤١هـ بعد أن ظهرت أبحاث الغلط ولم يُفد منها فعليًّا.

(٢) انظر: مقاييس اللغة (غلط).

(٣) انظر: تهذيب اللغة ١٥٩/٥.

(٤) انظر: الصحاح (غلت)، تاج العروس (غلت).

(٥) انظر: تهذيب اللغة ٨٢/٨، المحكم (غ ل ط)، لسان العرب (غلط)، القاموس المحيط (غلط)، تاج العروس (غلط).

(٦) انظر: إصلاح المنطق ٢٣٥، جمهرة اللغة (غلت)، المحكم (غ ل ط)، العباب الزاخر (غلط)، الصحاح (غلت)، لسان العرب (غلط)، القاموس المحيط (غلط)، تاج العروس (غلط) (غلت).

(٧) انظر: مجمل اللغة ٦٣١/١، شمس العلوم ٤٧٩٥/٧.

بالفروقِ والحدودِ قد باعدَ بينَهما وفرَّقَ بأَنَّ الْغَلَطَ يجوزُ أَن يكونَ صَوَابًا فِي نَفسِهِ وإِن وُضِعَ فِي غير مَوْضِعِه، أَمَّا الْخَطَأُ فلَا يكونُ صَوَابًا على وَجهٍ[١]، أو يكونُ الخطأُ مُرتبطًا بما ليسَ للإنسانِ فيه قصدٌ أو تعمُّدٌ[٢]؛ بينما الغلطُ يكونُ مقصودًا، وهوَ بخلافِ ما نصَّ عليهِ اللغويُّونَ فيما نقلوه عن الليثِ الآنفِ ذكرُهُ.

وقد سبقَ ذلكَ كلَّهُ تفريقُ الْخَلِيلِ بينَ المتقارباتِ؛ حيثُ قَالَ: المُحَالُ كلامٌ لغير شيءٍ، والمستقيمُ كلامٌ لشَيْء، والغلطُ كَلَام لشَيْء لم تُرِدْه واللغْوُ كلامٌ لشيءٍ لَيْسَ من شأنِك، وَالْكذب كَلَام لشَيْء تَغُرُّ بِهِ[٣].

<u>**الغلطُ في اصطلاحِ النحويِّينَ :**</u> الغلطُ حكمٌ منَ الأحكامِ النَّحويةِ التَّقويميَّةِ التي تزخرُ بها كتبُ النَّحوِ والصَّرفِ واللغةِ، مبنيَّةً على ما صحَّ لديهِم من سماعٍ أو اعتُمِدَ من قياسٍ، وليسَ لهُ من تعريفٍ في كتبِ أصولِ النَّحوِ فيما أعلمُ، ولهُ تعريفٌ وحيدٌ وقفتُ عليهِ لابنِ الحاجبِ يُعرِّفُهُ بأنَّهُ "كلُّ ما خالفَ القياسَ واستعمالَ الفصحاءِ"[٤].

وبتتبُّعِ المصطلحِ في كتبِ النَّحويِّينِ نقفُ على أنَّ استعمالَهم لا يعدو المعانيَ الآتيةَ:

---

(١) انظر: الفروق اللغوية ٥٥.

(٢) انظر: التعريفات ١٠٤.

(٣) انظر: تهذيب اللغة ١٥٩/٥.

(٤) الإيضاح في شرح المفصَّل ١٨٢/٢.

- الدَّلالةِ على الخطأ مرادفًا لهُ بحيثُ يتعلَّقُ باللسانِ دونَ الجِنانِ، ترى هذا المعنى جليًّا في التَّوابعِ (بابِ البدلِ نوعِ الغلطِ والنِّسيانِ) (بابِ عطفِ النَّسقِ في بل ولا) (بابِ التَّوكيدِ في غاياتِهِ).
- الدَّلالةِ على الخطأ مرادفًا لهُ مُتعلِّقًا بالجِنانِ؛ ويكثرُ في تخطئةِ الأعلامِ والآراءِ والمذاهبِ، وقد صُنِّفت فيهِ المصنَّفاتِ يرمونَ بها عينَ الخطأ، نحوُ كتابِ الغلطِ أو مسائلِ الغلطِ – على اختلافٍ في تسميتِهِ – للمبرِّدِ، واستدراكِ الغلطِ لأبي بكرٍ الزُّبَيْديِّ، وإصلاحِ غلطِ أبي عبيدٍ لابنِ قتيبةَ الدينوريِّ، والتَّنبيهِ على ما في الفصيحِ من الغلطِ لأبي القاسمِ البصريِّ. ومنهُ –أيضًا– ما أفردت لهُ أبوابٌ في بعضِ المصنَّفاتِ كما فعلَ ابنُ جنِّي في الخصائصِ في بابٍ في أغلاطِ العربِ وبابٍ في سقطاتِ العلماءِ، ومن تبعَهُ كالسيوطيِّ في المزهرِ وغيرُهُ. ومنه كذلكَ ما كانَ في تخطئةِ مذهبٍ أو علمٍ أو رأيٍ كقولِ المبردِ في المذاهبِ: "وقد بيَّنا نصبَ هذا في قولِ سيبويهِ، ودلَّلنا على موضعِ الغلطِ في مذاهبِهم"[1]، وقولِ أبي جعفرٍ النَّحاسِ في النُّحاةِ: "ورأيتُ بعضَ النَّحويِّينَ قد جعلَ في كتابِهِ أنَّ معنى (لا يفضضُ اللهُ فاه) لا جعلَهُ اللهُ فضاءً لا أسنانَ فيهِ؛ لأنَّ الفضاءَ المكانُ الواسعُ، وهذا غلطٌ في الاشتقاقِ؛ لأنَّ لامَ الفعلِ منَ الفضاءِ ليست ضادًا، ولامُ الفعلِ من فضَّ ضادٌ، وهذا من أقبحِ الغلطِ، ولا سيَّما ممَّن يدعي الرياسةَ في النَّحوِ"[2]. وكذا ما خطَّأَ بهِ

---

(١) المقتضب ٣/ ٢٥٢.

(٢) عمدة الكتاب ١٣٨.

ابنُ جنِّي فريقًا منَ الرُّواةِ، يقولُ: "وزعمَ بعضُ رواةِ اللغةِ أنَّ (المروءةَ) مأخوذةٌ من قولِهِم: هوَ حسنٌ في مرآةِ العينِ، وهذا من فاحشِ الغلطِ، وذلكَ أنَّ الميمَ في (مرآة) زائدةٌ ومروءةٌ فَعُولَةٌ، فلو كانَت منَ المرآةِ لكانَت رُئيَّة"[١].

- الدَّلالةُ على خروجِهِ عنِ القياسِ وإن كان مسموعًا، وهوَ ما حدَّهُ ابنُ الحاجبِ، ومنهُ قولُ ابنِ السَّرَّاجِ: "واعلم أنَّ الذي حُكِيَ من قولِهم لولاي ولولا شيء شذَّ عن القياسِ كانَ عند شيخِنا يجري مجرى الغلطِ، والكلامُ الفصيحُ ما جاءَ به القرآنُ: لولا أنتَ"[٢].
- الدَّلالةِ على التَّوهُّمِ، وهوَ معنًى ظاهرُ الشُّيوعِ في كثيرٍ من مسائلِ النَّحوِ والصَّرفِ، وهذا المعنى شديدُ الارتباطِ بالسَّابقِ، وغالبًا ما يقترنُ سياقُ الحكمِ بألفاظٍ داعمةٍ تُؤكِّدُ هذا المعنى، كقولِ: وهِموا أو توهَّموا أو على التَّشبيهِ أو غيرِ ذلكَ ممَّا يدلُّ عليهِ، ومن ذلكَ قولُ أبي سعيدٍ جامعًا بينَ المعنيينِ في غيرِ ما موضعٍ: "وسيبويهِ يُجري مثلَ هذا على الغلطِ والتوهُّمِ "[٣]، " قيلَ لهُ: قد أقررتَ أنَّ الذي أدخلَ اللامَ الثَّانيةَ أدخلَها على أنَّ اللامَ منَ الأصلِ توهُّمًا وغلطًا، وبعيدٌ أن نتوهَّمَ كلَّ هذا الغلطِ ونستعملَهُ"[٤]، وكقولِ ابنِ الحاجبِ مضيفًا الظنَّ أيضًا معَهُما: "وذلكَ لأنَّ زيادةَ الميمِ فيها ليسَت لقصدِ الإلحاقِ؛ بل هيَ من قبيلِ التوهُّمِ والغلطِ، ظنُّوا

---

(١) الحلبيات ٥٩.

(٢) الأصول في النَّحو ٢/ ١٢٤.

(٣) شرح كتاب سيبويه ٥/ ٣١.

(٤) شرح كتاب سيبويه ٢/ ٢١١.

أن ميمَ منديلٍ ومسكينٍ ومدرعةٍ فاءَ الكلمةِ كقافِ قنديلٍ ودالِ درهمٍ"[١]، وينحو هذا ابنُ السَّرَّاجِ بإتباعِ التَّشبيهِ الغلطَ في قولِهِ: "وحُكيَ عنِ الكسائيِّ أو غيرِهِ منَ القدماءِ أنَّ بعضَ العربِ يقولُ: رُبَّ رجلٍ ظريفٌ فترفعُ ظريفًا، تجعلُهُ خبرًا لـ(رُبَّ)، ومن فعلَ هذا فقد جعلَها اسمًا، وهذا إنَّما يجيءُ على الغَلطِ والتَّشبيهِ"[٢]. وقد استعمَلَ بعضُهُم الخطأ بمعنى الغلطِ المرادِ بِهِ التَّوهُّمِ، ويوردُهُ مُفرِدًا ذِكرَهُ أو مجموعًا معَ الغلطِ والرُّؤيةِ، كما في قول السَّرخسيِّ: "ومَن همزَ (معايشَ) فقد غلطَ وأخطأَ، وإنَّما أوقعَهُ في هذا الغلطِ أنَّهُ رأى معيشةً مثلَ سفينةٍ في اللفظِ، ورآهُم يهمزونَ سفائنَ، فهمزَ معائشَ"[٣]، ثمَّ قد يُجمعُ بين ثلاثةِ ألفاظٍ؛ هي الغلطُ والتوهُّمُ والخطأُ بمعنًى واحدٍ، كما فعلَ ابنُ الحاجبُ إذ يقولُ: "وكذلكَ قراءةُ من قرأَ: ﴿عادًا لؤلى﴾ [النجم ٥٠] فهمزَ فهوَ خطأٌ منهُ ... فهمزَ الواوَ السَّاكنةَ؛ لأنَّهُ توهَّمَ الضمَّةَ قبلَها فيها، ولهذا الغلطِ في كلامِهِم نظائرُ، فإذا جاءَ فاعرفْهُ لتستعمِلَهُ كما سمعتَهُ ولا تقِس عليهِ"[٤].

ولعلَّ النَّاظرَ في عباراتِ النحويِّينَ المتضمِّنةِ هذا الحكمِ (الغلطَ) يرى تداخلَ المعنييَنِ الأخيرينَ وشديدَ ارتباطِهِما، وإن اختلفا عندَ الحُكمِ على المسائلِ، فكلُّ توهُّمٍ هوَ خارجٌ عنِ القياسِ، وليسَ كلُّ خروجٍ عنِ القياسِ توهُّمًا، فمخالفةُ القياسِ

---

(١) شرح الشَّافية ١/٦٨.

(٢) الأصول في النحو ١/ ٤١٨.

(٣) سفر السَّعادة ١/١٠٤.

(٤) شرح الشَّافية ٤/٤٣٠.

أعمُّ وأشملُ، وقد يكونُ التَّوهُّمُ أحدَ أسبابِهِ لا أنَّهُ السببُ الوحيدُ، والعلاقةُ بينَهُما سببيَّةٌ، وهذا ينطبقُ أيضًا على الخطأ الذي هو مخالفةٌ للقياسِ وأحدُ مسبِّباتِهِ، غيرَ أنَّ التَّوهُّمَ قد يقفُ معَهُ سماعٌ قليلٌ أو نادرٌ في مواجهةِ قياسٍ بُنيَ على مسموعٍ فاشٍ، بخلافِ الخطأ الذي يأتي من جهلٍ أو ظنٍّ.

الغلطُ في الكتاب: جاءَ لفظُ الغلطِ واشتقاقاتُهُ في كتاب سيبويه –حسبما أحصيتُ– ستَّ عشرةَ مرَّةً[1]؛ أكثرُها دالٌّ على القسمِ الأوَّلِ من استعمالِ الغلطِ في البدلِ وبل ونحوِهِما، وخمسٌ منها – كما سيأتي في المسائلِ بعدُ – هيَ المقصودةُ بالبحثِ، أطلقَهُ سيبويهِ حكمًا معياريًّا على استعمالٍ لغويٍّ أو تركيبٍ كغيرِهِ منَ الأحكامِ المتناثرةِ في كتابِهِ، مُتأثِّرًا بشيخِهِ الخليلِ الذي حفلَ معجمُهُ العينُ بألفاظِ التغليطِ، وقد نقلَ عنهُ أيضًا هنا تغليطًا لاستعمالٍ لغويٍّ مسموعٍ عنِ العربِ مُحلِّلًا التَّركيبَ تحليلًا نحويًّا مُبيِّنًا ضوابطَهُ وعلتَهُ، يقولُ: "وقالَ الخليلُ رحمَهُ اللهُ: لا يقولونَ إلاَّ (هذانِ جُحْرَا ضَبٍّ خَرِبانِ) من قِبَلِ أنَّ الضبَّ واحدٌ والجحرَ جحرانِ، وإنَّما يَغلَطونَ إذا كانَ الآخِرُ بعِدَّةِ الأوَّلِ، وكانَ مُذكَّرًا مثلَهُ أو مُؤَنَّثًا، وقالوا: هذهِ جِحرَةُ ضِبابٍ خربةٍ؛ لأنَّ الضِّبابَ مؤنَّثةٌ ولأنَّ الجحرةَ مؤنثةٌ والعدَّةُ واحدة فغَلِطوا؛ وهذا قولُ الخليل رحمه الله"[2].

ثمَّ ينحو هذا النَّحوَ سيبويهِ في مسائلَ أربعٍ؛ ثلاثٌ صرفيَّةٌ وواحدةٌ نحويةٌ، ينسبُ الغلطَ فيها للعربِ على التَّبعيضِ صراحةً، إذ يقولُ: "واعلم أنَّ ناسًا منَ العربِ

---

(١) أمّا ما كان شبيهًا له فقد ورد الخطأ ٢٢ مرّة والتَّوهُّم ٩ مرّات.

(٢) الكتاب ١/ ٤٣٧.

يغلطونَ"[١] "ومنَ العربِ من يقولُ في (ناب): نُوَيبٌ... وهوَ غلطٌ منهم"[٢] "وزعمَ أبو الخطَّابِ أنَّ ناسًا منَ العربِ يقولونَ: ادعِهِ من دعوت ... وإنما هو غلطٌ"[٣] ، أمَّا خامسةُ المسائلِ فيسندُ الغلطَ لهُم دونما تبعيضٍ، فيقولُ: "فأمَّا قولهُم مصائبُ فإنَّهُ غلطٌ منهُم"[٤]، وأحسبُ أنَّ شيوعَ اللغةِ الأخرى الفصيحةِ ودورانَ القياسِ عليها أغنى عن التَّصريحِ بما يدلُّ على البعضِ.

وفي كلِّ مسألةٍ حكمَ عليها سيبويهِ بالغلطِ نلقى توجيهًا ينطلقُ فيهِ ممَّا استقرَّ عندَهُ وصحَّ في القياسِ، وبيانَ خروجِهِ عنِ الوجهِ أو تفسيرِ التَّوهُّمِ الذي يُصرِّحُ بلفظِهِ كثيرًا.

وبتأمُّلِ تلكَ المسائلِ – على قلَّتِها – يظهرُ مصطلحٌ مصاحبٌ للحكمِ بالغلط؛ وهو التَّوهُّمُ، وقد ورد لفظُهُ في مسألتينِ من أصلِ خمسِ مسائلَ، تأتي في سياقِ الوقوفِ على سببِ الحكمِ الذي أصدرَهُ وهو الغلطُ، ففي قول ناسٍ من العربِ (ادعِهِ) بكسرِ عينِهِ علَّلَ ذلكَ بقولِهِ: " كأنَّها لما كانَت في موضعِ الجزمِ توهَّموا أنَّها ساكنةٌ"[٥]، وكذا في همزِ العربِ (مصائب) قالَ: "وذلكَ أنَّهم توهَّموا أنَّ مُصيبةً (فَعِيلَةٌ)"[٦]. ففي كلا المسألتينِ توهُّمُ المتكلِّمِ حالًا غيرَ الحقيقةِ كانَ علَّةً لوقوعِهِ في الخطأ.

---

(١) نفسه ٢/ ١٥٤.

(٢) نفسه ٤٦٢/٣.

(٣) الكتاب ٣٧٣/١.

(٤) نفسه ٤٢٤/١.

(٥) نفسه ٣٧٣/١.

(٦) نفسه ٤٢٤/١.

وقد وقعَ خلافٌ في تفسيرِ مصطلحِ الغلطِ عندَ سيبويهِ وغيرِهِ بينَ الخطأ والتَّوهُّمِ واللحنِ والخروجِ عن القياسِ ... وغيرِها، ولا أجدُ ما أطمئنُّ إليهِ في اتِّخاذِهِ مقصَدًا لسيبويهِ في هذهِ المسائلِ الخمسِ الواردةِ في كتابهِ سوى مخالفةِ القياسِ، يدعمُ ذلكَ أمورٌ منها:

- التَّصريحُ بألفاظِ القياسِ ومفاهيمِهِ عندَه في سياقِ تحليلِ المسألة، فها هو يقولُ في الجرِّ على الجوارِ: "وممّا جرى نعتًا على غيرِ وجهِ الكلامِ (هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ)؛ فالوجهُ الرفعُ، وهوَ كلامُ أكثرِ العربِ وأفصحِهِم، وهو القياسُ"[١].
- تأسيسُهُ القاعدةَ المتَّفقَ عليها بناءً على ما كثرُ سماعُهُ وصحَّ قياسُهُ قبلَ الولوجِ في تغليطِ القولِ، وأقتطعُ جزءًا من صدرِ إرساءِ نظامِ تصغيرِ المعتلِّ العينِ مثالًا لهذا، يقولُ مبتدئًا مسألتَهُ: "إن كانَت بدلًا من واوٍ ثم حقَّرتَهُ رددْتَ الواوَ، وإن كانَتْ بدلًا من ياءٍ رددْتَ الياءَ، كما أنَّك لو كسَّرتَهُ رددْتَ الواوَ إن كانَتْ عينُهُ واوًا، والياءَ إن كانَتْ عينُهُ ياءً ..."[٢] إلى آخرِ كلامِهِ في بيانِ ذلكَ تمثيلًا وتوضيحًا قبل ذكرِ القولِ المخالفِ.
- التَّبعيضُ عندَ نسبةِ الأقوالِ للعربِ، وهو جليٌّ في المسائلِ، ولا ريبَ أنَّ هذا ينبئُ بمُخالفةِ القياسِ الذي يُبنى عادةً على الشّائعِ والمطَّردِ والكثيرِ.

---

(١) الكتاب ٤٣٧/١.

(٢) نفسه ٤٦٢/٣.

- وقوعُ بعضِ المعاني الموردةِ ردفًا للغلطِ –عندَ بعضٍ من حكمَ على أنَّ المرادَ هو التَّوهُمُ أو الحملُ على المعنى مثلًا– ضمنَ نصوصِ سيبويهِ عللًا فقط، ممَّا يدفعُ كونَها هي الأصلَ في الحكمِ؛ إذ تُسجِّلُ جزءًا منهُ كما كانت جزءًا من القياسِ لا كلَّهُ.

المبحثُ الثَّاني: مسائلُ الغلطِ

وردَ الحكمُ بالغلطِ –على اختلافِ اشتقاقِهِ– عند سيبويهِ في مسائلَ خمسٍ نحويَّةٍ وصرفيَّةٍ كما مرَّ، تُفردُ أدناهُ بالنَّظرِ والتَّحليلِ، مُرتَّبةً وفقَ ورودِها في الكتابِ.

المسألةُ الأولى: **الجرُّ على الجوار:**

يقولُ سيبويهِ: "وممّا جرى نعتًا على غيرِ وجهِ الكلامِ (هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ)؛ فالوجهُ الرفعُ، وهوَ كلامُ أكثرِ العربِ وأفصحِهِم، وهو القياسُ؛ لأنّ الخَرِبَ نعتُ الجُحْرِ والجحرُ رفعٌ، ولكنَّ بعضَ العربِ يجُرُّه وليسَ بنعتٍ للضَّبِّ، ولكنَّه نعتٌ للذي أُضِيفَ إلى الضَّبِّ، فجرُّوهُ لأنَّه نكرةٌ كالضَّبِّ، ولأنَّه في موضعٍ يقعُ فيه نعتُ الضَّبِّ، ولأنَّه صارَ هوَ والضَّبُّ بمنزلةِ اسمٍ واحدٍ. ألا ترى أنَّك تقولُ: هذا حَبُّ رُمّانٍ؛ فإذا كانَ لكَ قلْتَ: هذا حَبُّ رُمّاني، فأَضفتَ الرُّمَّانَ إليكَ، وليسَ لكَ الرمَّانُ إنَّما لكَ الحَبُّ. ومثلُ ذلكَ: هذهِ ثلاثةُ أَثوابِك. فكذلكَ يقعُ على جُحْرِ ضبٍّ ما يقعُ على حَبِّ رُمّانٍ؛ تقول: هذا جُحْرُ ضَبِّي، وليسَ لك الضبُّ إنَّما لك جُحْرُ ضبٍّ، فلم يَمنعْك ذلك من أَنْ قلتَ جحرُ ضبِّي، والجحرُ والضبُّ بمنزلةِ اسمٍ مفرَدٍ؛ فانجرَّ الخَرِبُ على الضَّبِّ كما أضفتَ الجُحرَ إليك معَ إضافةِ الضبِّ. ومعَ هذا أَنَّهم أَتبعوا الجرَّ كما

أَتبعوا الكَسْرَ الكسرَ، نحوَ قولهم: (بِهِم وبدارِهِم) وما أشبه هذا. وكِلا التفسيرَيْنِ تفسيرُ الخليل، وكانَ كلُّ واحدٍ منهما عندَهُ وجهًا من التفسير.

وقالَ الخليلُ رحمَهُ اللهُ: لا يقولونَ إلاَّ: (هذانِ جُحْرَا ضَبٍّ خَرِبانِ)؛ من قِبَلِ أنَّ الضبَّ واحدٌ والجحرَ جحرانِ، **وإنَّما يَغلَطونَ إذا كانَ الآخِرُ بعِدَّةِ الأوَّلِ، وكانَ مُذكَّرًا مثلَهُ أو مُؤَنَّثًا**، وقالوا: هذهِ جِحرَةُ ضِبابٍ خربةٍ؛ لأنَّ الضِّبابَ مؤنَّثةٌ ولأنَّ الجحرةَ مؤنثةٌ والعدَّةُ واحدة فغَلِطوا؛ وهذا قولُ الخليل رحمه الله.

ولا نَرَى هذا والأوَّلَ إلّا سَواءً؛ لأنَّهُ إذا قالَ: هذا جُحْرُ ضبٍّ مُتَهَدمٍ؛ ففيهِ منَ البيانِ أنَّهُ ليسَ بالضبِّ مثلُ ما في التَّثنيةِ منَ البيانِ أنَّهُ ليسَ بالضبِّ، وقالَ العجَّاجُ:

كَأَنَّ نَسجَ العَنكَبُوتِ المرَمَّلِ

فالنَّسجُ مذكَّرٌ والعنكبوتُ أنثى"[1].

<u>وجه الإشكال:</u> (خربٍ) صفةٌ لـ(جُحْرُ)، والقياسُ يقتضِي إتباعَهُ رفعًا؛ فيُقالُ: هذا جحرُ ضبٍّ خرِبٌ. ومجيئُهُ - في قولِ العربِ هذا - مجرورًا صفةً لمرفوعٍ خلافُ الأصلِ، وإن كانَ سُمِعَ بالوجهين؛ أعني الرفعَ على القياسِ، وهو الأكثرُ والأفصحُ كما نصَّ سيبويهِ[2]، والجرُّ وهوَ المحكومُ عليهِ بالغلطِ، وعليهِ مدارُ البحثِ.

---

(١) الكتاب ١/٤٣٧.

(٢) انظر: نفسه ١/ ٤٣٦.

توجيه المسألة: أسمى كثيرٌ منَ النُّحاةِ ما وقعَ في هذا القولِ (الجوارَ أو المجاورةَ)[١]؛ يُريدونَ بذلكَ هنا أنَّ (خربٍ) تأثَّرَ بمُجاورتِهِ (ضبٍّ) المجرورةِ، فجُرَّ مثلَها بحُكمِ التَّجاوُرِ والمُقاربةِ، وقد عدَّهُ بعضُ النحويِّينَ أحدَ عواملِ الجرِّ الأربعةِ؛ حروفِ الجرِّ والإضافةِ والتبَعِيَّةِ لأحدِهما[٢]؛ ولستُ أراهُ كما قالوا لضعفِهِ ونُدرتِهِ فلا يُعتدُّ بهِ كما في العواملِ الأخرى، فضلًا عن إنكارِ بعضِ النَّحويينَ وقوعَهُ في لغةِ العربِ أصلًا.

وعلى هذا فللنُّحاةِ في إجازةِ الجرِّ على الجوارِ أقوالٌ[٣]:

- الجوازُ على الإطلاق.[٤]
- الجوازُ بقيدِ توافقِ المضافِ والمضافِ إليه في الجنسِ والعددِ.[٥]
- الجوازُ معَ تقييدِهِ بالنَّعتِ.[٦]
- المنعُ مُطلقًا.[٧]

---

(١) انظر : الخصائص ١/١٩٢، ارتشاف الضَّرب ٤/١٩١٢، وقد سمَّاه الثعالبي المجاورة أو حفظ التوازن وإيثاره (فقه اللغة وسر العربية ٢٨٣).

(٢) انظر: شذور الذهب ٢٩٦ .

(٣) سأقفُ معَ القولينِ الأولينِ اللذينِ يُمثِّلانِ رأي سيبويهِ وشيخِهِ الخليلِ؛ لكونِهِما مدارَ الحديثِ.

(٤) انظر: الكتاب ١/٤٣٦-٤٣٧، ارتشاف الضَّرب ٤/ ١٩١٤، همع الهوامع ٢/ ٤٤٠.

(٥) انظر : الكتاب ١/ ٤٣٧، شرح الكتاب للسيرافي ١/ ٤١٥، همع الهوامع ٢/ ٤٤٢.

(٦) انظر : جامع البيان ١٣/ ١٣٢، البحر المحيط ٤/ ١٩٢، خزانة الأدب ٥/ ٩١.

(٧) انظر : الخصائص ٢/ ٤٣٢، المغني ٢/ ٦٨٣-٦٨٥، المساعد ٢/ ٤٠٣ - ٤٠٤، همع الهوامع ٢/٤٤١.

- القصرُ على السَّماعِ.[١]

ونستطيعُ من خلالِ النَّصِّ السَّابقِ لسيبويهِ أن نقولَ: إنَّهُ يرى جوازَ الجرِّ على الجوارِ مُطلقًا بدليلِ تعليقهِ على كلامِ الخليلِ مُخالِفًا: "هذا قولُ الخليلِ رحِمَهُ اللهُ، ولا نرى هذا والأوَّلَ إلا سواءً؛ لأنَّهُ إذا قالَ : (هذا جُحْرِ ضبٍّ مُتَهَدِّمٍ) ففيهِ منَ البيانِ – أنَّهُ ليسَ بالضَّبِّ – مثلُ التَّثنيةِ أنَّهُ ليس بالضَّبِّ"[٢]

واستشهدَ على هذا بقولِ العجاجِّ :

كأنَّ نسجَ العنكبوتِ المُرْمَلِ[٣]

فـ(المرملِ) حُمِلَ على جوارِ (العنكبوتِ) رغمَ اختلافِهِما تذكيرًا وتأنيثًا.

ولا يجدُ سيبويهِ غضاضةً في أن يُسوِّغَ لجرِّ (خربٍ) على الجوارِ بأمورٍ؛ هيَ:

- أنَّهُ نكرةٌ كالضَّبِّ.
- أنَّهُ في موضعٍ يقعُ فيهِ نعتُ الضَّبِّ.
- أنَّهُ صارَ هوَ والضَّبِّ بمَنزِلَةِ اسمٍ واحدٍ [٤]. وهذا حقُّ الإضافةِ؛ إذ المضافُ والمضافُ إليهِ كالاسمِ الواحدِ.

---

(١) انظر: ارتشاف الضَّرب ٤/ ١٩١٣، همع الهوامع ٢/٤٤١، خزانة الأدب ٥/ ٩١، حاشية الصبان ٣/ ١٠٣٠.

(٢) الكتاب ١/ ٤٣٧.

(٣) ديوانه ١/ ٢٤٣، وانظره في الخصائص ٣ / ٢٢١.

(٤) انظر: الكتاب ١/ ٢١٧.

والقولُ بجوازِ الجرِّ على الجِوارِ هو قولُ الجمهورِ(١)، ويقعُ -على مذهبِهِم -في النَّعتِ كما في هذا الشَّاهدِ، والتَّوكيدِ(٢) والعطفِ(٣)، ولها شواهدُ ليسَ هذا موضعَها.

وسيبويهِ – بهذا النَّصِّ – يُخالفُ رأيَ شيخَهُ الذي يقولُ: "لا يقولونَ إلاَّ هذانِ جُحرا ضبٍّ خرِبانِ ... والعدَّةُ واحدةٌ فغلطوا"(٤).

من هُنا فالخليلُ معَ جوازِ الجرِّ على الجِوارِ؛ غيرَ أنَّهُ يشترِطُ توافقَ المضافِ معَ المضافِ إليهِ في العددِ والنَّوعِ والتَّعريفِ والتَّنكيرِ(٥). ويُفهَمُ من ذلكَ أيضًا أنَّهُما إن لم يتَّفِقا يكُنِ الكلامُ على وجهِهِ دونَما حملٍ على الجِوارِ(٦).

وخلاصةُ القولِ في توجيهِ الشَّاهدِ أنَّ سيبويهِ وشيخَهُ الخليلَ يحملانِهِ على الجوارِ. ولغيرهِم توجيهٌ آخرُ؛ فالسيرافيُّ وابنُ جنِّي تأوَّلا قولَهُم (خرِبٍ) على أنَّهُ صفةٌ لـ(ضبٍّ)، وأصلُهُ: هذا جحرُ ضبٍّ خرِبٍ الجحرُ منه، والجحرُّ معمولٌ لهُ، ثمَّ حُذِفَ الضَّميرُ للعلمِ بهِ، وأُسنِدَ إلى ضميرِ الضَّبِّ، كما يُقال: مررتُ برجلٍ حسنِ الوجهِ -بالإضافةِ- وأصلُهُ: حسنٍ الوجهُ منهُ(٧).

---

(١) انظر: ارتشاف الضَّرب ٤/١٩١٤، همع الهوامع ٢/٤٤٠.

(٢) من شواهده قول أبي الغريب:

يا صاحِ بلِّغْ ذوي الحاجاتِ كُلِّهِمُ أن ليسَ وصلٌ إذا انحلتْ عُرا الذَّنبِ (شذور الذهب ٢٩٦).

(٣) مما عُدَّ من شواهده قراءة الجرِّ في آية المائدة ١٢ ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾.

(٤) الكتاب ١/ ٤٣٧.

(٥) انظر: الكتاب ١/ ٤٣٧، شرح أبيات الكتاب للسيرافي ١/ ٤١٥، شرح الكافية للرضي ٢/ ٣٢٨.

(٦) انظر: شرح أبيات الكتاب للسيرافي ١/ ٤١٥.

(٧) انظر: شرح الكتاب للسيرافي ٢/٣٢٨، مغني اللبيب ٢/ ٦٨٣ – ٦٨٤، المساعد ٢/ ٤٠٣ – ٤٠٤.

ولا شكَّ أنَّ في هذا التوجيهِ منَ الضَّعفِ ما لا يخفى؛ ومِن أظهرِهِ أنَّ الحذفَ في العربيَّةِ مبنيٌّ على أمنِ اللبسِ، وفي تأويلِهِم قد حُذِفَ الضَّميرُ معَ اللبسِ.

ويَظهرُ أنَّهما؛ أعني السِّيرافيَّ وابنَ جنِّي وسواهُما – مِمَّن تحمَّلَ مشقَّةَ تخريجِ الشَّاهدِ على وجهٍ ولو كانَ بعيدًا – ينطلقانِ من مذهبِهِما في منعِ الجرِّ على الجِوارِ مُطلقًا، ولذا نرى العكبريَّ يقولُ: "الجوارُ من موضعِ الضَّرورةِ والشُّذوذِ، ولا يُحملُ عليهِ ما وجدتَ عنهُ مندوحةً". (١)

وكما يدفَعُ هؤلاءِ المجاورةَ يتحمَّسُ لها آخرون؛ ألا ترى إلى ردِّ الشَّنقيطيِّ على الزَّجَّاجِ في إنكارِهِ الجوارَ، يقولُ: "ولم ينكرْهُ إلا الزجَّاجُ، وإنكارُهُ له – معَ ثُبوتِهِ في كلامِ العربِ وفي القرآنِ العظيمِ – يدلُّ على أنَّهُ لم يتتبعِ المسألةَ تتبُّعًا كافيًا، والتحقيقُ أنَّ الخفضَ بالمجاورةِ أسلوبٌ من أساليبِ اللغةِ العربيةِ، وأنَّهُ جاءَ في القرآنِ لأنَّهُ بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ".(٢)

وثمَّةَ أمورٌ أجدُ منَ الضرورةِ التنبيهَ عليها:

- الأولُ أنَّ هذا النَّصَّ الذي يحتجُّونَ بهِ مقطوعٌ -لا ريبَ- وهوَ جزءٌ من كلامٍ للعربِ مُتَّصلٍ، وإلاَّ فكيفَ حُكمِ عليهِ بالجوارِ لو كانَ موقوفًا عليهِ ساكنًا؟ وقد حاولتُ – ما وسعني الجهدُ – أن أقلِّبَ كتبَ النَّحوِ والأمثالِ وإعرابِ القرآنِ

(١) التبيان في إعراب القرآن ١/ ١٧٤.

(٢) أضواء البيان ١/٣٣١.

واللغاتِ والمعاجمِ عليَّ أظفرَ ببقيةِ النَّصِ الواضحِ فيه اتِّصالُ الكسرِ ببقيتِهِ؛ فلم أفلحْ.

الثاني أنَّ موردَ قَبولِ الحملِ على الجوارِ الذَّائقةُ الصوتيَّةُ التي تستسيغُ إمضاءَ الكسرِ بعدَ كسرٍ؛ وهي ما ألمحَ إليهِ الأوائلُ بنصِّهِم على تقاربِ الجارِ للمُجاوَرِ، إذ لو ابتعدا أو فُصِلَ بينهُما بفاصلٍ لتغيَّرَ الحالُ، فهذا سيبويهِ يقولُ: "وقد حملَهُم قُربُ الجوارِ ... "[١]، وبمعناه جاء نصُّ المبردِ: "وقد حملَهُم قُربُ العاملِ على أن قالَ بعضُهُم: هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ، وإنَّما الصِّفةُ للجُحرِ، فكيفَ بما يصِحُّ معناهُ..."[٢] وزادَ أبو حيَّانٍ بقولِهِ:

"والعربُ تُراعي القربَ معَ فسادِ المعنى في نحوِ قولِهِم: هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ"[٣]

وأوضحُ منها قولُ ابنِ كثيرٍ:

"المجاورةُ وتناسبُ الكلامِ، وهذا سائغٌ ذائعٌ في لغةِ العربِ"[٤] وإن كنتُ أراه مُحِقًّا في الوصفِ الأوَّلِ فإنِّي أراهُ مُبالِغًا في الثَّاني؛ فالحملُ على الجوارِ - رغمَ ما فيهِ منَ الخلافِ - لا يعدو حالاتٍ قليلةٍ، ويُمكنُ أن يصدقُ وصفُهُ على الإتباعِ لا الجوارِ، وفرقٌ بينهُما؛ فالأوَّلُ لازمٌ والآخِرُ عارضٌ.

(١) الكتاب ١/ ٦٧.

(٢) المقتضب ٤/٧٣.

(٣) تذكرة النحاة ٣٤٦.

(٤) تفسير القرآن ٣/ ٥٣.

- الثَّالثُ أنَّ استقراءَ الشَّواهدِ الدَّالةِ على الجوارِ قرآنيَّةً ونبويَّةً وشعريَّةً ونثريَّةً – عندَ منْ أجازَهُ – تقفُ عندَ الجرِّ فحسبُ؛ ولا تتعدَّاهُ إلى قسيميهِ الرَّفعِ والنَّصبِ، ولا شكَّ أنَّ لهذا دلالةً صوتيَّةً تخفُّفِيَّةً، فإجراءُ اللِّسانِ بالكسرِ مرَّتينِ في لفظينِ مُتجاورَينِ –لا ريبَ– أخفُّ من تنَقُّلِهِ بينَ ثقيلَينِ مختلفينِ؛ الكسرِ ثمَّ الضمِّ، فضلًا عن قُوَّةِ الكسرِ؛ ألا تراهُ يغلِبُ الضَّمَّ إذا اجتمعا معَ الهمزِ في وسطِ الكلامِ فيُلزِمَ رسمَ الياءِ إملاءً. وقد استلهمَ النَّحويُّونَ هذا المعنى، فقالَ الفرَّاءُ: "من عادةِ العربِ أن يُتبعوا الخفضَ الخفضَ إذا أشبهَهُ"[١]، كما أنَّنا نلحظُ أنَّ العربَ تتوسَّع في الجرِّ أكثرَ من قسيميهِ؛ ألا تراهم كيف خصُّوا الجارَّ والمجرور بأحكامٍ واستثناءاتٍ لا تجوزُ معَ غيرِهِ، وإن كانَ الظَّرفُ يُشاركُهُ التَّوسُّعَ فإنَّما هوَ على محملِ الجرِّ بوجهٍ لتضمُّنِهِ معنى (في) فمردُّهُ إليهِ.
- الرابعُ أنَّ النَّحويينَ حملوا هذا ونحوَهُ على الجِوارِ ولم يُدرجوهُ ضمنَ الإتباعِ لفرقٍ دقيقٍ بينهُما؛ وهوَ أنَّ الأوَّلَ عارضٌ والآخِرَ لازمٌ، وإن وقعَ في بعضِ ألفاظ النَّحويِّينَ تجوُّزٌ فيهما فسحبُوا هذا على ذاكَ، كما في قولِ الأخفشِ: "ويجوزُ الجرُّ على الإتباعِ نحو : هذا جحرُ ضبَّ خربٍ ".[٢]
- الخامسُ هو كيفَ يُمكنُ إعرابُ (خربٍ) ونحوِها ممَّا حُمِلَ على الجِوَارِ؟ فإمَّا أن يُقالَ: صفةٌ مجرورةٌ محمولةٌ على ما قبلَها (مُجاورِها) خطأً؛ وهوَ خطأٌ مركبٌ

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/١٥٣.

(٢) معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٩٤.

لا شكَّ، وإمَّا أن تُعربَ: صفةٌ مرفوعةٌ وعلامةُ رفعِها الضَّمَّةُ المُقدَّرةُ منعَ من ظهورِها اشتغالُ المَحلِّ بحركةِ المُجاورةِ، وأراهُ الوجهَ. أمَّا المنكرونَ للجِوارِ فهيَ جاريةٌ على سننِ العربيَّةِ في حملِها على النَّعتِ السّببيِّ، فتكونُ صفةً مجرورةً مُتَحمِّلةً ضميرَ رفعٍ مُقدَّرًا بجحره مثلًا.

حكم المسألة: اختلفتْ أحكامُ النَّحويينَ على هذا القولِ بين منعٍ وشذوذٍ أو ضرورةٍ وقصرٍ على السماعِ أو قلَّةٍ وغلطٍ؛ ووقفتنا ستكونُ معَ الحكمِ الذي أطلقَهُ سيبويهِ وهوَ الغلطُ مدارُ البحثِ، إذ صرَّحَ بلفظِ الغلطِ بصيغةِ المضارعِ فقالَ: "وإنَّما يغلَطونَ ..."[1] ضمنَ قولٍ للخليلِ وهوَ مُؤيِّدٌ لهُ ضمنًا؛ حيثُ صرَّحَ بمُخالفتِهِ لهُ في القيدِ دونَ الحُكمِ ممَّا يدلُّ على موافقتِهِ، ومرادُهُ في ذلكَ الخطأَ لخروجِهِ عنِ القياسِ الذي يقضي تبعيَّةِ النَّعتِ للمنعوتِ إعرابًا، فلمَّا تخالفا ضمًّا وكسرًا ممَّا لم يجرِ به القياسُ خُرِّجَ على السَّماعِ وحُملَ على الغلطِ.

رؤيةٌ: بعد تتبُّعي للشَّواهدِ التي ذكرَها النُّحاةُ القائلون بالجوارِ، سواءٌ كانت شعريَّةً أم نثريَّةً، قرآنيَّةً أم حديثيَّةً، ودراستي للتوجيهاتِ والاحتمالاتِ التي قال بها المخالفونَ، والوقوفِ على حججِ المجيزينَ؛ أخلصُ إلى الآتي:

- الجوارُ ضربٌ منَ اللحنِ لمخالفته قوانين العربيَّةِ التي استُنبطت من كثيرِ كلامِ العربِ، ولذا فلا يصدُقُ وقوعُهُ على كلامِ اللهِ عزَّ وجلَّ. وأتَّفقُ معَ كثيرٍ منَ

(١) الكتاب ١/٤٣٧.

النَّحويِّينَ ممَّن أنكرَ وقوعَهُ في القرآنِ الكريمِ بخاصَّةٍ، فها هوَ الزجاجُ يقولُ: "فأمَّا الخفضُ على الجوارِ فلا يكونُ في كلماتِ الله"[١]. وجاء رد أبي جعفر النحاسِّ على الأخفشِ وأبي عبيدةَ: "وهذا القولُ غلطٌ عظيمٌ؛ لأنَّ الجوارَ لا يجوزُ في الكلامِ أنْ يقاسَ عليهِ، وإنَّما هوَ غلطٌ ونظيرُهُ الإقواءُ"[٢]. وكذا قالَ ابنُ خالويهِ: "فهوَ غلطٌ؛ لأنَّ الخفضَ على الجوارِ لغةً لا يُستعملُ في القرآنِ، وإنَّما يكونُ لضرورةِ شاعرٍ أو حرفٍ يجري كالمثلِ، كقولِهم: جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ"[٣]، ونفاهُ أيضًا مكيٌّ؛ قالَ: "وهوَ بعيدٌ، لا يُحمَلُ القرآنُ عليهِ"[٤]. وكلُّ ما استَشهدَ بهِ المؤيِّدونَ لهُ أوجهُ أخرى يُحملُ عليها، وهيَ أظهرُ منهُ فيما أرى.

- ما وقعَ في لغةِ العربِ نثرًا يُعدُّ خطأً ولا يُعتدُّ بهِ ولا يُقاسُ عليهِ وهوَ شاذٌّ، أمَّا ما وقعَ في الشِّعرِ فضرورةٌ -إن لم يكن ثمَّةَ محملٌ آخرُ- يلجأُ إليها الشاعرُ لكيلا يقعَ في الإقواءِ الذي هوَ عيبٌ في الرَّويِّ. وانظر إلى قولِ أبي البقاءِ كيفَ أوجزَ الحكمَ في هذهِ المسألةِ: "الجوارُ من مواضعِ الضَّرورةِ والشُّذوذِ، ولا يُحملُ عليهِ ما وُجِدَ عنهُ مندوحةٌ"[٥].

---

(١) إعراب القرآن المنسوب للزجَّاج ٢/٩.

(٢) إعراب القرآن للنَّحَّاس ١/٢٥٩.

(٣) إعراب القراءات السبع ١/١٤٣.

(٤) مشكل إعراب القرآن ١/٢٢٠.

(٥) التبيان في إعراب القرآن ١/١٧٤.

- لم يقعِ الجرُّ على الجوارِ في السَّعةِ عدا قولَ: (هذا جحرُ ضبٍّ خرِبٍ)، فكيفَ يُمكنُ البناءُ عليهِ والاعتمادُ دونَ الالتفاتِ لبقيةِ شواهدِ العربيّةِ التي جاءت على القياسِ، ثمَّ عسفُ الشَّواهدِ القرآنيَّةِ والشِّعريَّةِ لتحملَ على هذا الوجهِ دونَ غيرِهِ منَ الأوجهِ ليُجعلَ لهذا الغلطِ بابًا في اللغةِ وشأنًا! وقد جرتِ العادةُ عندَ النَّحويِّينَ ألَّا يلتفتوا للنَّادرِ إزاءَ الكثيرِ ويكتفونَ بالحكمِ عليهِ بالشُّذوذِ.
- ما وقعَ فيهِ النَّاطقُ بهذا القولِ -معَ الإقرارِ بغلطِهِ- لا يعدو أن يكونَ قد أغراهُ الاستخفافُ اللفظيُّ والتَّابعُ الصَّوتيُّ، فأجرى لسانَهُ وَفقَ نغَمِ الكلامِ منسابًا دونَ قيدٍ.
- عدَّ بعضُ العلماءِ هذا القولَ ممَّا يجري مجرى المثَلِ في كونِهِ يُحكى ولا يُقاسُ عليهِ(١). وأجدُ هذا مُوافقًا.
- ابنُ جنِّي كانَ لهُ موقفٌ صريحٌ في الجوارِ حملَ كلَّ شواهدِ المؤيدينَ على تأويلٍ واحدٍ وهوَ الحذفُ؛ يقولُ: "فمِمَّا جازَ خلافَ الإجماعِ الواقعِ فيه -منذُ بدئَ هذا العلمُ وإلى آخرِ هذا الوقتِ- ما رأيتُهُ أنا في قولِهِم: هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ، فهذا يتناولُهُ آخرٌ عن أولٍ على أنَّهُ غلطٌ منَ العرب، لا يختلفونَ فيه ولا يتوقفونَ عنه، وأنَّهُ منَ الشَّاذِّ الذي لا يُحملُ عليهِ، ولا يجوزُ ردُّ غيرِهِ إليهِ. وأمَّا أنا فعندي أنَّ في القرآنِ مثلَ هذا الموضعِ نيِّفًا على ألفِ موضعٍ، وذلكَ أنَّهُ على حذفِ المضافِ لا غيرَ، فإذا حملتَهُ على هذا الذي هوَ حشوُ الكلامِ منَ القرآنِ والشِّعرِ ساغَ وسلسَ

---

(١) انظر : إعراب القراءات السبع ١٤٣/١.

وشاعَ وقُبِلَ، وتخليصُ هذا أنَّ في أصلِهِ: هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ جحرُه، فيجري (خرب) وصفًا على (ضب) وإن كانَ في الحقيقةِ للجحرِ، كما تقولُ: مررْتُ برجلٍ قائمٍ أبوه ... فلمَّا كانَ أصلُهُ كذلكَ حذفُ (الجحر) المضافُ إلى الهاءِ، وأقيمَتِ الهاءُ مُقامَهُ فارتفعَت؛ لأنَّ المضافَ المحذوفَ كانَ مرفوعًا، فلمَّا ارتفعَت استترَ الضَّميرُ المرفوعُ في نفسِ (خرب)، فجرى وصفًا على ضبٍّ، وإن كانَ الخرابُ للجحرِ لا للضَّبِّ على تقديرِ حذفِ المضافِ"[1]. وأرى أنَّ حملَ هذا القولِ على حذفِ المضافِ بعيدًا مُتكلَّفًا، وكونُهُ غلطًا وقعَ فيهِ المتكلِّمُ مقبولٌ سائغٌ.

المسألةُ الثانيةُ: **الإتباعُ بالرَّفع على اسمِ إنَّ:**

يقولُ سيبويهِ: "واعلم أنَّ ناسًا منَ العربِ **يغلطونَ فيقولونَ: إنَّهُم أجمعونَ ذاهبونَ، وإنَّك وزيدٌ ذاهبانِ**؛ وذلكَ أنَّ معناهُ الابتداءَ، فيرى أنَّهُ قائلٌ: هم، كما قالَ:

* ولا سابقٍ شيئًا إذا كانَ جائيًا *[2]

على ما ذكرْتُ لكَ".[3]

---

(١) الخصائص ١/١٩١- ١٩٢.

(٢) لزهير في ديوانه ١٤٠ برواية (ولا سابقي شيء)، واستشهد به سيبويه ٢/ ١٥٤ على عطف "سابق" بالجر على "مدرك" على توهم الباء فيه.

(٣) الكتاب ٢/ ١٥٥.

وجهُ الإشكالِ: في ما حكاهُ سيبويهِ من قولِهِم: إنَّهُم أجمعونَ ذاهبونَ، وإنَّك وزيدٌ ذاهبانِ؛ جملتان مُستفتحتانِ بـ(إنَّ) النَّاصبةِ اسمِهَا المتبوعِ بتوكيدٍ (أجمعون) وعطفِ نسقٍ (وزيدٌ) وكلاهما مرفوعٌ، وهوَ ما حكمَ عليهِ سيبويهِ بالغلطِ، إذ حقُّهُما النَّصبُ لا الرَّفعُ إجراءً على اللفظِ واعتدادًا بالنَّسخِ.

توجيهُ المسألةِ: لا يرى سيبويهِ صِحَّةَ وقوعِ التَّابعِ لاسمِ (إنَّ) مرفوعًا قبلَ تمامِ الجملةِ بالخبرِ، ولذا فهوَ يُغلِّطُهُ لأنَّهم رأوا أنّ معنَى (إنّهم ذاهبونَ): هُمْ ذاهبونَ، فوهموا سقوطَ (إنَّ) من اللفظ فعطفوا عليهِ.

وللنُّحاةِ في رفعِ التَّابعِ [1] لاسمِ إنَّ مذهبانِ [2]:

- امتناعُ العطفِ على الموضعِ قبلَ تمامِ الخبرِ على كلِّ حالٍ، وهو مذهبُ البصريِّين ما عدا المبرِّدَ الذي يُخالفهُم إن كانَ اسم (إنَّ) مبنيًّا.
- جوازُ العطفِ على موضعِ (إنَّ) قبلَ تمامِ الخبرِ، وهوَ مذهبُ الكوفيِّينَ على تفصيلٍ في ذلكَ؛ فحينَ قصرَهُ الفرَّاءُ على ما لا يتبينُ فيه الإعرابُ أطلقَهُ الكسائيُّ على كلِّ حالٍ.

---

(١) النعت وعطف البيان والتوكيد كالمنسوق عند الجرمي والزجاج والفراء (شرح التسهيل ٤٧/٢، التذييل والتكميل ٢٠٨/٥)

(٢) انظر: الأصول ٢٥٧/١، علل النحو ٢٤٣/١، أسرار العربيَّة ١٢٤/١، الإنصاف (م ٢٣) ١٥١/١، البديع في العربية ٥٤٧/١، شرح المفصل ٥٤٢/٤، شرح الكافية للرضي ٣٥٦/٤، شرح التسهيل ٤٧/٢، الكناش ٢/ ٩٤-٩٥، التذييل والتكميل ١٩٤/٥.

وقد تعلَّقَ الكوفيُّونَ بأمور:

النَّقلِ الصَّحيحِ الصَّريحِ منَ القرآنِ الكريمِ في قراءةٍ سبعيَّةٍ متواترةٍ، وهي قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ والنَصَارَى﴾ [المائدة: ٦٩]، ومن النَّثرِ في قولي العربِ اللذينِ حكاهما سيبويهِ، وكذا ما حكاه الأخفش في مسائل الكبير: سمعت من العرب من يقول: إن زيدًا وأنت ذاهبان.

- القياسُ على الإجماعِ على جوازِ ذلكَ في (لا) من بابِ حملِ النَّقيضِ على النَّقيضِ.
- المنطقُ الذي يُجيزُ هذا كما أجازَهُ بعدَ تمامِ الخبرِ، فلا فرقَ بينَهُما؛ بناءً على مذهبِهِم في كونِ (إنَّ) غيرَ عاملةٍ في الخبرِ.

وقد أبى ذلكَ البصريُّونَ لما يستلزمُهُ من تعدُّدِ العاملِ في الخبرِ، وتأوَّلوا كلَّ شواهدِ الكوفيِّينَ؛ حيثُ حملوا آيةَ المائدةِ الآنفةِ على التَّقديمِ والتَّأخيرِ، والتقديرُ: إنَّ الذينَ آمنوا والذينَ هادوا من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والصابئون والنصارى كذلك [١]، كما حكموا على قولي العربِ بالغلطِ اتِّباعًا لسيبويهِ؛ معلِّلينَ ذلكَ بأنَّ العربيَّ يتكلمُ بالكلمةِ إذا استهواهُ ضربٌ منَ الغلطِ فيعدلُ عن قياسِ كلامِهِ، ولذا فلا يجوزُ الاحتجاجُ بهِ معَ قلَّتِهِ في الاستعمالِ وبُعْدِهِ عنِ القياسِ.

---

(١) انظر : مغني اللبيب ١/٦٢١.

حكمُ المسألةِ: تصدَّرَ سيبويهِ الحكمَ على إتباعِ المرفوعِ اسمَ (إنَّ) إن كانَ توكيدًا أو نسقًا بالغلطِ مُريدًا بهِ مَا عبَّرَ عَنهُ غَيره بالتوهُّمِ[١]" يريدُ أنَّهُ لم يُشركْ في النَّاصبِ وكأنَّهُ لم يتقدَّم ناصبٌ، بلِ ابتدأ بالاسمِ مرفوعًا فأتبعَهُ مرفوعًا، فصاركأنَّه لم يذكرِ النَّاصبِ"[٢]، وتبعَهُ كثيرٌ منَ النَّحويِّينَ بالنَّصِّ على عبارتِهِ في كثيرٍ من الأحيان، ويُلمحُ ابنُ السَّرَّاجِ إلى شذوذِهِ بقولِهِ عن الفرَّاءِ " وهو وأصحابُهُ كثيرًا ما يقيسونَ على الأشياءِ الشَّاذَّةِ"؛[٣] إشارةً إلى إجازتِهِم الإتباعَ على اسمِ (إنَّ) رفعًا.

رؤية: من خلالِ هذا العرضِ الموجزِ وطولِ تأمُّلي لأمثلةِ سيبويهِ وشواهدِهِ النَّثريَّةِ عنِ العربِ؛ أخلصُ إلى ما يأتي:

- ما حكاه سيبويهِ ممّا جاءَ في سياقِ قولِ العربِ: (إنَّهُم أجمعونَ ذاهبونَ ، وإنَّك وزيدٌ ذاهبانِ) لا يعدو أن يكونَا مثالينِ من أمثلةِ النَّحويِّينِ وإنشائِهِم، فنظرةٌ عجلى على شواهدِ النَّثرِ في كتابِهِ أو كتبِ غيرِهِ تُنبئُ عن مُخالفةِ هذينِ لسننِ العربِ في أقوالِهِم وتركيبِهِم، فضلًا عن مشابهتِها الأمثلةَ التَّوضيحيَّةَ المنشأةَ في تركيبِها ومفرداتِها التي تدورُ في أغلبِها، كما أنَّ سيبويهِ لم يُصرِّح حقيقةً بالنِّسبةِ للعربِ بشكلٍ قاطعٍ؛ بل محتملٍ حيثُ يُمكِنُ أن يُفهمُ منهُ التَّمثيلُ بالنَّظيرِ ممَّا قالته العربُ، فهم قالوا على غرارِ ذينِ المثالينِ، وجرى الإسنادُ تجوُّزا. واللهُ أعلمُ.

---

(١) وفيه أقوالٌ أخرى، ينظر : الإنصاف (م ٢٣) ١/١٥١، أسرار العربيَّة ١/١٢٥، التذييل والتكميل ٥/١٨٨.

(٢) شرح كتاب سيبويه ٢/ ٤٨٢.

(٣) الأصول في النحو ١/٢٥٧.

- أرادَ سيبويهِ "بالغلطِ مَا عبَّرَ عَنهُ غَيرُهُ بالتَّوهُّمِ وَذَلِكَ ظَاهرٌ من كَلَامِهِ ويُوضِّحُهُ إنشادُهُ الْبَيْتَ"[1]، وقد "سمَّاهُ غلطًا لخروجِهِ عنِ القياسِ لما فيهِ من إعمالِ عاملينِ في واحدٍ"[2]. يريدُ على التَّفصيلِ أنَّهُ لم يُشرك في النَّاصبِ وكأنَّهُ لم يتقدَّم ناصبٌ؛ بلِ ابتدأ بالاسمِ مرفوعًا فأتبعَهُ مرفوعًا، فصارَ كأنَّهُ لم يذكرِ النَّاصبَ، وسُمِّيَ غلطًا مجازًا لا حقيقة[3].

- وهِمَ ابنُ مالكٍ رحمَهُ اللهُ تعالى عندما فسَّرَ مرادَ سيبويهِ بالخطأِ، وأنَّهم لحنوا في ذلكَ، ولا يُوثَقُ بهم في ذلكَ ولا يُبنى عليه؛ فقالَ: "وهذا غيرُ مرضيٍّ منهُ رحمَهُ اللهُ، فإنَّ المطبوعَ على العربيَّةِ كزهيرٍ قائلِ البيتِ لو جازَ غلطُهُ في هذا لم يُوثَقُ بشيءٍ من كلامِهِ، بل يجب أن يُعتقَدَ الصَّوابُ في كلِّ ما نطقَتْ به العربُ المأمونُ حدوثُ لحنِهِم بتغيُّرِ الطِّباعِ"[4]. ورُدَّ بأنَّهُ "متى جوَّزنا ذلك عليهم زالت الثِّقةُ بكلامِهِم وامتنعَ أن نُثبِتَ شيئًا نادرًا لإمكانِ أن يُقالَ في كلِّ نادرٍ إنَّ قائلَهُ غلِطَ"[5].

---

(١) مغني اللبيب ١/٦٢١.

(٢) التذييل والتَّكميل ٥/١٩٧.

(٣) انظر: نفسه.

(٤) شرح التسهيل ٢/ ٥٢.

(٥) مغني اللبيب ١/٦٢١.

- العطفُ المشارُ إليهِ من بابِ عطفِ الجملِ لا المفرداتِ، ولذا لم يكُنْ إلا بعدَ تمامِ الجملةِ، ولو كانَ من عطفِ المفرداتِ لكانَ قبلَ التَّمامِ أولى من بعدِهِ؛ لأنَّ وصلَ المُتعاطفَينِ أجودُ من فصلِهِما[1].

وخلاصةُ الأمرِ أنَّ سيبويهِ سمعَ الوجهينِ منَ العربِ؛ الإتباعُ على اللفظِ نصبًا، وعليهِ أكثرُ شواهدِ العربيَّة التي اعتمدَها لبناءِ مقاييسِهِ وقواعدِهِ الممثِّلةِ مذهبِ مدرستِهِ، والوجهُ الآخرُ الرَّفعُ الذي تقلُّ شواهدُهُ – على تنوِّعِها – بالغةً حدَّ النُّدرةِ، ويحملُهُ على التَّوهُّمِ ولا يقيمُ عليهِ القواعدَ؛ بخلافِ الكوفيّينَ الذينَ توسَّعوا في النَّقلِ واعتمدوا عليهِ، وبينَ المذهبينِ أجدُني وسطًا؛ أزعمُ صحَّةَ الوجهينِ باختلافِ رتبتِهِما، فالإتباعُ نصبًا صحيحٌ قويٌّ بكثرَةِ شواهدِهِ، والإتباعُ رفعًا صحيحٌ أيضًا، لكنَّهُ أقلُّ منهُ رتبةً، والحكمُ على مثلِ هذا بالصِّحةِ ناتجٌ لما يأتي:

- ثبوتُ السَّماعِ بشواهدِهِ القرآنيَّةِ والشِّعريَّةِ والنَّثريَّة.
- ما نُقِلَ مُقدَّمٌ على ما عُقِلَ، ورتبةُ السَّماعِ –لا شكَّ– أعلى منَ المنطقِ وبراهينِ العقلِ.
- تأوُّلُ البصريِّنَ للشَّواهدِ مُتكلَّفٌ بعيدٌ ولا أجدُهُ سائغًا مقبولا.
- كونُ (إنَّ) واسمِها في موقعِ الابتداءِ مقبولٌ عقلًا، إذِ الموقعُ –رتبةً وأصلًا– للابتداءِ فحلتا محلَّهُ.

---

(١) انظر: شرح التسهيل ٢/ ٤٩.

- الاعتلالُ بعملِ عاملينِ في محلٍّ واحدٍ تقديرٌ بُنِيَ على خافٍ لا يظهرُ ولا يُجزَمُ بصحَّتِهِ، ويُمكنُ التَّخلُّصُ منهُ بافتراضٍ مختلفٍ للعاملِ في الخبرِ.

المسألةُ الثَّالثةُ: **قلبُ الياءِ واوًا في تصغيرِ الأجوفِ اليائيِّ:**

يقولُ سيبويهِ: "إن كانَت بدلًا من واوٍ ثمَّ حقَّرتَهُ رددتَ الواوَ، وإن كانَتْ بدلًا من ياءٍ رددْتَ الياءَ، كما أنَّك لو كسَّرتَهُ رددتَ الواوَ إن كانت عينُهُ واوًا، والياءَ إن كانت عينُه ياءً، وذلكَ قولُك في (بابٍ): بويبٌ، كما تقولُ: أبوابٌ و(نابٍ): نييبٌ، كما تقولُ: أنيابٌ وأنيبٌ. فإن حقَّرتَ نابَ الإبلِ فكذلك؛ لأنَّك تقولُ: أنيابٌ ... وإن جاءَ اسمٌ نحوُ النابِ لا تدري أمِنَ الياءِ هو أم من الواوِ فاحملْهُ على الواوِ حتَّى يتبيَّنَ لك أنَّها من الياءِ؛ لأنَّها مبدلةٌ من الواوِ أكثرَ، فاحملْهُ على الأكثرِ حتَّى يتبيَّنَ لك. **ومنَ العربِ من يقولُ في (ناب): نُوَيبٌ؛ فيجيءُ بالواوِ لأنَّ هذهِ الألفَ مُبدلةٌ منَ الواوِ أكثرَ، وهوَ غلطٌ منهم**".[1]

وجهُ الإشكالِ: مخالفةُ القياسِ بتصغيرِ (ناب) ذاتِ الأصلِ اليائي بقلبِ يائِها واوًا حيثُ قيلَ: نُوَيبٌ، وهوَ ما غلَّطَهُ سيبويهِ، والصَّوابُ يقتضي إرجاعَها لأصلِها اليائيِّ، فيُقالُ: نييبٌ.

توجيهُ المسألةِ: أصلُ (نابٌ) نَيَبٌ لجمعِهِ على أنيابٍ وأنيبٍ، ويُجمَعُ النَّابُ منَ الإبلِ على نيبٍ، فلمَّا تحركتِ الياءُ وفُتِحَ ما قبلَها قُلِبت ألفًا، ولأنَّ التَّصغيرَ يردُّ الأشياءَ

---

(١) الكتاب ٤٦٢/٣.

إلى أصولِها رُدَّت الألفُ إلى أصلِها اليائيِّ، فيُقالُ: نُيَيبٌ[١]؛ وفقَ مقاييسِ البصريِّينَ التي تستوجبُ الردَّ. وقد أجازَ الكوفيُّونَ الوجهينِ على حدٍّ سواءٍ بالردِّ والقلبِ؛ فيقولونَ: نُيَيب ونُوَيب [٢]،ووافقهم ابنُ مالكٍ على جوازِهِ جوازًا مرجوحًا[٣].

حكمُ المسألةِ: وصمَ بعضُ النَّحويِّينَ القولَ بـ(نُوَيبٍ) تصغيرًا لـ(نابٍ) بالشذوذِ والخروجِ عنِ القياسِ وفقَ مذهبِ البصريِّينَ، والجوازِ على رأيِ الكوفيِّينَ[٤]، كما اكتفى كثيرٌ منهم بتناقلِ نصِّ سيبويهِ وحكمِهِ ممَّا يُشيرُ لموافقتِهِم لهُ فيما رآهُ من تغليطِ بعضِ من نطقَ بذا منَ العربِ[٥]، ولا شكَّ أنَّ مرادَهُ من ذلكَ هوَ الخروجُ عمَّا ثبتَ لديهِ من مقاييسَ مبنيَّةٍ على كثيرٍ مسموعٍ من لغةِ العربِ.

رؤيةٌ: بنى البصريُّونَ قواعدَهُم على المنقولِ الوفيرِ، فلم يعتدُّوا بما خالفَ ذلكَ من شواهدَ مُتناثرةٍ، بخلافِ الكوفيِّينَ الذينَ يُقدِّسونَ المسموعَ مهما قلَّ، ولذا فقد ارتضوا في تصغيرِ نابٍ الوجهينِ القائمَينِ على حدَّينِ مختلفينِ عددًا اختلافًا ظاهرًا،

---

(١) انظر: تهذيب اللغة ١٥/١١٥، أسرار العربية ٢٥٥، البديع في العربية ٢/١٦٤، شرح الشافية ١/٢٠٩، الكناش ١/٣٥٨، ارتشاف الضرب ١/٣٦٠.

(٢) انظر: توضيح المقاصد ٣/١٤٣٢، همع الهوامع ٣/٣٣٠، شرح الأشموني ٤/ ١٦٥.

(٣) انظر: همع الهوامع ٣/٣٣٠.

(٤) انظر: شرح الكتاب ٤/٢٠٢، اللمع في العربيَّة ٢١٣، شرح الشافية ١/٢٠٩، ارتشاف الضرب ١/٣٦٠، توضيح المقاصد ٣/١٤٣٢، همع الهوامع ٣/٣٣٠.

(٥) انظر: الأصول في النَّحو ٣/٣٧، الحلبيات ١٧٢، البديع في العربية ٢/١٦٤.

وبينَ المذهبينِ أجدني سائرةً معَ البصريِّينَ في تضييقِهِم دائرةَ المسموعِ على الكثيرِ دونَ اعتدادٍ بما قلَّ أو ندرَ، ومعَ ذلكَ أجدُ مسوِّغًا للنَّاطقِ بـ(نُوَيبٍ) أجملُها فيما يأتي:

- الانسياقُ لغلبةِ الواوِ على الياءِ في هذا البابِ التي يُقرُّ بها النَّحويُّونَ[١]، وهوَ ما صرَّحَ بهِ سيبويهِ حينَ قالَ: "فيجيءُ بالواوِ لأنَّ هذهِ الألفَ مُبدلةٌ منَ الواوِ أكثرَ "، وفيهم من قال في (ناب): (نويب) فيجيء بالواو على جهة الغلط لكثرة أن تكون الألف من الواو[٢].
- احتمالُ جهالةِ الأصلِ التي تقودُ لحملِها على الواوِ [٣].
- الاتِّكاءُ على النَّظيرِ المسموعِ، نحوَ "بُوَيْضة" تصغيرًا لبيضةٍ.
- الجنوحُ للخفَّةِ بالقلبِ واوًا كَرَاهَةَ اجْتِمَاعِ الياءات[٤].

المسألةُ الرَّابعةُ: **تحريكُ آخرِ أمرِ النَّاقصِ معَ هاءِ السَّكتِ:**

يقولُ سيبويهِ: **"**وزعمَ أبو الخطَّابِ أنَّ ناسًا منَ العربِ يقولونَ: ادعِهِ من دعوت، فيكسرونَ العينَ، كأنَّها لما كانَت في موضعِ الجزمِ توهَّموا أنَّها ساكنةٌ إذ كانَت آخرَ شيءٍ في الكلمةِ في موضعِ الجزمِ، فكسروا حيثُ كانَتِ الدَّالُ ساكنةً؛ لأنَّهُ لا يلتقِي ساكنانِ، كما قالوا: ردَّ يا فتى، **وهذهِ لغةٌ رديئةٌ ، وإنما هو غلطٌ،** كما قالَ زهيرٌ:

---

(١) انظر: الحلبيات ١٧٢.

(٢) انظر: شرح الكتاب للسيرافي ٤/٢٠٣.

(٣) انظر: اللباب ٢/١٦٥، البديع في علم العربيَّة ٢/١٦٤.

(٤) انظر: همع الهوامع ٣/٣٣٠.

بدا ليَ أنِّي لسْتُ مُدرِكَ ما مضَى ... ولا سابِقٍ شَيئًا إذا كانَ جائيًا"[1]

وجهُ الإشكالِ: (ادعِه) فعلُ أمرٍ معتلُّ الآخرِ بالواوِ؛ بُنِيَ على حذفِ علَّتِهِ وبقيَ ما قبلَها مضمومًا، كما كانَ، دلالةً على الحرفِ المحذوفِ، وعندَ لحاقِ هاءِ السَّكتِ واتِّصالِها بِهِ نطقَ بِهِ ناسٌ منَ العربِ بكسرِ عينِهِ المضمومةِ -بلا وجهٍ- وهوَ ما غلَّطَهُ سيبويهِ؛ لأنَّ القياسَ بخلافِهِ.

توجيهُ المسألةِ: هاءُ السَّكتِ ساكنةٌ تلحقُ أواخرَ الكلمِ للمحافظةِ عليها والنُّطقِ بآخرِها، لا سيَّما ما أصابَهُ سقطُ حرفٍ فتتَّصلُ بِهِ جوازًا أو حرفينِ على سبيلِ الوجوبِ، والأصلُ -فيما حُذِفَ منهُ حرفٌ واحدٌ نحوَ (ادعُه واغزُه) ونحوهِما ممَّا سقطَ منهُ علتُهُ- أن تلحقَهُ هاءُ السَّكتِ معَ بقاءِ حركةِ الحرفِ الأخيرِ للفعلِ، فيُقالُ: ادعُهْ واغزُهْ بضمِّ سابقِ الهاءِ، وكذا في كلِّ ما دخلَت عليهِ هاءُ السَّكتِ من فعلٍ أو اسمٍ أو حرفٍ لا تُغيِّرُ فيهِ شيئًا[2].

وما حكاهُ أبو الخطَّابِ فيما نقلَهُ سيبويهِ عنهُ مخالِفٌ أصلَ العربيَّةِ؛ حيثُ كُسرَ آخرُ الفعلِ بلا مُوجبٍ فقيلَ: ادعِهْ؛ مُتوهِّمينَ سُكونِ آخرِها إذ كانَ في موضعِ الجزمِ كأنَّما لم يحذفوا شيئًا للجزمِ، فكسروه لئلا يلتقِي ساكنانِ (الدَّالُ والعينُ المُتوهَّمُ سكونُها)؛ وهوَ توجيهُ سيبويهِ لما وقعوا فيهِ من غلطٍ[3].

---

(١) الكتاب ٣٧٣/١.

(٢) انظر: شرح الشافية للرضي ٢٩٨/٢.

(٣) انظر: الكتاب ٣٧٣/١، الخصائص ٣/ ٢٠٤.

وثمَّةَ توجيهٌ آخرُ للمسألةِ؛ وذلكَ أنَّ منَ العربِ من يُسكِّنُ الحرفَ الذي يبقى آخرًا بعدَ المحذوفِ عندَ الجزمِ أو البناءِ؛ توهمًا منهم أنَّهم لم يحذفوا شيئًا للإعرابِ أو البناءِ، فيقولُ: اشترْ ثوبًا واتقْ زيدًا ونحوَهما، فيحذفُ الياءَ ثم يُسكِّنُ المتحرِّكَ الذي يسبقُ الياءِ المحذوفةِ، فلمَّا كانَ هذا قد يسكنُ قدرَ إسكانِ العينِ من ادعهْ على هذهِ اللغةِ، ثم ألحقوا هاءَ السَّكتِ لكونِ العينِ في تقديرِ الحركةِ ثم كسروا أولَّ الساكنينِ درءًا لاجتماعِهما[1]. وزعمَ أبو سعيدٍ أنَّ التوجيهَ السَّابقَ هذا هوَ مُرادُ سيبويهِ وإن لم يُصرِّح بهِ[2]؛ ولستُ أراهُ كما قالَ لتصريحِهِ بسكونِ الدَّالِ والعينِ وموجبِ سكونِ الأخيرةِ، واللهُ أعلمُ.

حكمُ المسألةِ: أولُ من حكمَ على كسرِ عينِ فعلِ الأمرِ النَّاقصِ حينَ لحاقِ هاءِ السَّكتِ بهِ –فيما وقفتُ عليهِ– هوَ سيبويهِ فغلَّطَهُ مفسرًا ذلكَ بالتَّوهُّمِ، وتبِعَهُ في ذلكَ قومٌ منهم أبو سعيدٍ والرَّضيُّ.

رؤيةٌ: لم تُسعفنا المصادرُ لخدمةِ هذهِ المسألةِ حيثُ لم أقف عليها إلا في عددٍ يسيرٍ من الكتبِ كانَ تناولُهُم لها عابرًا، ولعلَّ ندرةَ وقوعِ نحوِ هذا القولِ كانَ سببًا لندرةِ ظهورِها في المظانِّ، كما أنِّي أقولُ في هذا القولِ ما ذكرتُهُ آنفًا في ما راجَ على أنَّهُ قولٌ للعربِ في المسألةِ الثَّانيةِ: (إنَّهُم أجمعونَ ذاهبونَ ، وإنَّك وزيدٌ ذاهبانِ) من أنَّهُ لا يعدو كونَهُ من تمثيلِ النُّحاةِ حكوهُ على غرارِ ما نطقَ بهِ العربِ حُكمًا لا لفظًا.

---

(١) انظر: شرح الكتاب للسيرافي ٣١/٥، شرح الشافية للرضي ٢٩٨/٢.

(٢) انظر: شرح الكتاب للسيرافي ٣١/٥.

المسألةُ الخامسةُ: **همزُ جمعِ ما كانَ بياءٍ غيرِ زائدةٍ:**

يقولُ سيبويهِ: "**فأمَّا قولهُم مصائبُ فإنَّهُ غلطٌ منهُم**، وذلكَ أنَّهم توهَّموا أنَّ مُصيبةً (فَعِيلَةٌ)، وإنَّما هيَ مُفعِلَةٌ، وقد قالُوا: مصاوبَ".[1]

وجهُ الإشكالِ: زنةُ مصيبةٍ (مُفعِلةٌ) اسمَ فاعلٍ من (أصاب)، وأصلها (مُصْوِبةٌ) فنُقِلت حركةُ الواوِ للسَّاكنِ الصَّحيحِ قبلَها فصارت (مُصِوْبةً)، ثم قلبتِ الواوُ ياءً مجانسةً لسكونِها وانكسارِ الحرفِ قبلَها فأصبحَت (مصيبةً)، والياءُ فيها منقلبةٌ عن أصلٍ لا زائدةٍ ومتحرَّكةُ في الأصلِ لا حرفَ مدٍّ، وجمعُها على (مصائبَ) مهموزةً مُخالفٌ للقياسِ الذي يقتضي بقاءُ الواوِ كونَها ليسَت زائدةً، وهوَ شرطُ القلبِ همزةً. وقياسُها أن تُجمَعَ على مصاوِبَ.

توجيهُ المسألةِ: القياسُ للجمعِ على (فعائلَ) مهموزةً أن يكونَ المعتلُّ في المفردةِ حرفَ مدٍّ زائدٍ، فإن كانَ أصلًا (أو منقلبًا عن أصلٍ) أو غيرَ مدٍّ امتنعَ قلبُهُ همزةً وبقيَ على أصلِهِ، ومثلُ ما استوفى الشُّروط صحيفةٌ وصحائفُ وخميلةٌ وخمائلُ، أمَّا ما انتقصَ فيهِ شرطُ الزِّيادةِ فنحوُ مصيبةٍ ومصاوبَ،[2] كما يقتضيهِ القياسُ والأصلُ[3].

---

(١) الكتاب ١/٤٢٤.

(٢) وهو قول أكثر العرب بالتَّصحيح، انظر: شرح الكتاب للسيرافي ٥/ ٢٢٢سفر السَّعادة ١/٢٢٣، ارتشاف الضرب ١/٢٦١.

(٣) وقد حكى بعضُ العلماء مصايب بالياء. وقيل هو من قولهم: صاب السهم يصيب، ويكون من باب مَعايش، إلا أن الكوفيين يسهلون الهمز في مثل هذا الموضع على التشبيه، ويجعلون الأصلي كالزائد، ويُشبهونه بصحايف،

وأجازَ أبو إسحاقَ في قولِهم (مصائبَ) أن تكونَ الهمزةُ بدلًا منَ الواوِ المقدَّرةِ في (مَصَاوِبَ) كَمَا قَالُوا وِسادةَ وإسادَةَ، وهو ما رآهُ السِّيرافيُّ أيضًا في أحد تخريجيهِ للشُّذوذ[١]، وردَّ عليهِ أبو عليٍّ ذلكَ، وقالَ: إنَّ الواوَ المكسورةَ لم تُهْمَز غيرَ أوَّلٍ في غيرِ ذا الموضعِ فيحملُ هذا عليهِ، وإذا كانَ همزُها -وهيَ أوَّلُ- غيرَ مُطَّردٍ فهمزُها حشوًا خطأ. ووافقَهُ ابنُ جنِّي فيما ذهبَ إليهِ[٢].

ونقلَ أبو إسحاقَ عنِ الأخفشِ أنَّ (مَصائبَ) وَقعَتِ الْهمزَةُ فِيهَا بَدَلًا منَ الْوَاوِ لِأَنَّهَا أُعِلَّت فِي (مُصيبةَ)، وردَّهُ حاكمًا عليهِ بالرَّداءةِ؛ لاقتضائِهِ القولَ فِي مَقامٍ (مَقائمَ) وَفِي مَعونةَ (مَعَائنَ).[٣]

وَقَولُ سِيبَوَيْهٍ توهَّموها فَعيلةً؛ أَي توهَّموا الياءَ الَّتِي فِي مُصيبة -وَهِي مُنقَلِبة عَن الْعين الَّتِي هِيَ واوٌ- الياءَ الَّتِي تُزاد للمدِّ فِي نَحْو سَفينة، فهمزوا الْيَاء المنقلبة عَن الْوَاو الَّتِي هِيَ عينُ الْفِعْلِ كَمَا هَمَزوا الياءَ الَّتِي للمَدِّ فِي نَحْو سَفائِنَ وصَفائِحَ، وَلَا تُشبِه هَذِه الْيَاءُ تلكَ. فإنَّ هَذِه منقلبةٌ عَن واوٍ هِيَ عينٌ أصلُها الحركةُ، وتلكَ زائدةٌ للمدِّ لَا حَظَّ لَهَا فِي الْحَرَكَة[٤].

وقيل هو بالياء شاذ، لأنّ أصلها مصوبة من صاب يصوب لكن لكثرته في كلامهم خفّف على غير قياس. انظر: الكناش ٢/ ٢٨٤.

(١) والوجه الآخر وافق فيه سيبويه على التَّشبيه بفعيلة، انظر: شرح الكتاب للسيرافي ٥/ ٢٢١-٢٢٢، ٢٥٩/٥.

(٢) انظر: المنصف ١/ ٢٣٠، ١/ ٣٠٨.

(٣) انظر: تهذيب اللغة ١٧٧/١، المنصف ١/ ٣٠٩.

(٤) انظر: المخصص ٢٠٩/٤، ارتشاف الضرب ٢٦١/١.

حكمُ المسألةِ: أجمعَ النحويّون على أَن حَكَوْا مصائبَ فِي جمعِ مُصيبةٍ بِالْهَمْزِ، وأَجمعوا على أنَّ الاختيارَ مصاوِبُ، ومصائبُ عِنْدهم بِالْهَمْز من الشاذّ[١]، أُتِيَ بها على غير قياسٍ. وتفسيرُ ذلك -كما حكى سيبويهِ- أَنَّهم توهَّمُوا مُفْعِلَةً فَعيلةً التي ليس لها في الياءِ ولا الواو أَصْلٌ[٢]، شبَّهوها حيثُ سكنَت بصحيفةٍ وصحائفَ[٣].

واختلفت أحكامُ النَّحويِّينَ فيها؛ فمنهم من يرى الهمزَ لحنًا[٤]، وسيبويهِ رآهُ غلطًا كما تقدَّمَ وتبعَهُ كثيرٌ[٥]، ومذهبُ الزَّجَّاجِ ومن تبعَهُ الشُّذوذ[٦]، وبعضُهم خطَّأهُ[٧] أو ضعَّفَهُ[٨]، ومنهم من اكتفى بوصفِهِ خروجًا عن القياسِ[٩]أو توهُّمًا[١٠]. وكلُّ ذلك يقودُ لحكمٍ واحدٍ هو مفارقةُ القياسِ وتوهُّمُ المشابهةِ؛ وسببُ ذلك عائدٌ -كما حكى ابنُ جنِّي عن أبي عليٍّ- إلى كونِهِ: " إنَّما دخلَ هذا النحوُ كلامِهم؛ لأنهم ليسَت لهم أصولٌ

(١) انظر: تهذيب اللغة ١٢ /١٧٧، المحكم ٣٨٧/٨، شرح الشافية للرضي ٢٩/١.

(٢) انظر: المحكم ٣٨٧/٨.

(٣) انظر: الكتاب ٤٢٥/١.

(٤) انظر: الصحاح (صوب).

(٥) انظر: المقتضب ١/ ١٢٣، الأصول في النَّحو ٢٨٧/٣، المحتسب ٣٦٥/١، المنصف ١/ ٣٠٨، سفر السَّعادة ١٠٤/١، المزهر ٤٢١/٢.

(٦) انظر: شرح الكتاب للسيرافي ٢٢١/٥، الخصائص٣/ ١٤٦، الممتع ٢٢٤/١، سفر السَّعادة ٢٢٢/١.

(٧) انظر: المنصف ١/ ٣٠٧.

(٨) انظر: الشافية ١٠٠/١، شرح الشافية ١٢٧/٣.

(٩) انظر: المخصص ٣٦٦/٣، اللباب ٤١١/٢، شرح الشافية ٧٧٧/٢.

(١٠) انظر: سفر السَّعادة ١٠٤/١، شرح الشافية ٢٩/١.

يُراجعونها، ولا قوانينُ يستعصمونَ بها؛ وإنَّما تهجُمُ بهم طباعهم على ما ينطقون به فربما استهواهم الشيء فزاغوا به عن القصد ..."[1]

وفرَّقَ ابنُ عصفور بينَ حكمي الشُّذوذِ عندَ الزَّجَّاجِ والغلطِ عندَ سيبويهِ بناءً على علَّتيهِما؛ فقال: "وأمَّا مَصائبُ في جمع مُصِيبة فكان القياس فيها مَصاوِب ... فإمَّا أن يكونوا همزوا الواو المكسورة غير أوَّلٍ شذوذًا، فتكون مثل أقائيم في جمع أقوام، وهو مذهب الزَّجَّاج، وإمَّا أن يكونوا غَلِطوا فشبَّهوا ياءَ مُصيبة -وإن كانت عينًا- بالياءِ الزَّائدةِ في نحوِ صحيفةٍ، فقالوا: مَصائب، كما قالوا: صَحائف، وهو مذهبُ سيبويهِ. والأوَّلُ أَقيسُ عندي؛ لأنَّه قد ثَبَت له نظيرٌ، وهو أَقائيم".[2]

رؤيةٌ: بعدَ تتبُّعِ هذهِ المسألةِ في كتب النَّحويِّينَ واللغويينَ والقرَّاء أخلصُ إلى أنَّ ما وقعَ فيه العربُ من مُخالفةِ قياسِ نظامِ همزِ فَعَائِلَ (مَفَاعِل) يُسوِّغُهُ عندهم أمرانِ:

- وجودُ النَّظيرِ في القرآنِ الكريمِ وبقراءةٍ سبعيَّةٍ متواترة والشِّعرِ وغيرهما. ومنه قراءةُ نافعٍ ﴿وجعلنا لكم فيها معائش﴾ [الأعراف/ ١٠][3] وقولُ الطرماحِ:

---

(١) الخصائص ٣/ ٣٧٣.

(٢) الممتع ١/ ٢٢٤-٢٢٥.

(٣) وبها قرأ ابن عامر والأعرج وزيد بن على والأعمش (السبعة ٢٧٨، إعراب القرآن للنحاس ١/ ٦٠٠، مختصر شواذ القراءات ٤٢، النشر في القراءات العشر ١/ ١٦، الإتحاف ٢٦٤) وقال أبو الفتح: قد اختلفت الرواية عن نافع، فأكثر أصحابه يروي عنه: "مَعَايِش" بلا همز، والذي روى عنه بالهمز خارجة بن مصعب. (المنصف ١/ ٣٠٨) وخطَّأه كثير (معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٣٥٣، إعراب القرآن للنحاس ١/ ٦٠٠، شرح الكتاب

مزائد خرقاء اليدينِ مسيفة يخب بها مستخلف غير آئنِ[1]

وقولهُم: منارة ومنائر.[2]

- كونُ الحرفِ (الياء في مُصيبةٍ) في مرتبةٍ وسطى بين الأصلِ والزيادةِ، أو كما يُقال: مشبهًا بالزائد، فلا هو زائدٌ صِرفًا ولا أصلٌ على الحقيقة، وإنَّما هو بدلٌ من الأصلِ، ومن هذه الحيثيَّةِ عوملِ معاملَتَه[3]. ويدعمُهُ ما حكى سيبويهِ عن أبي الخطَّابِ أنَّهم يقولون في رايةٍ: راءة، فهؤلاءِ همزوا بعدَ الألفِ وإن لم تكن زائدةً وكانت بدلًا؛ كما يهمزون بعد الألفِ الزائدةِ في فضاءٍ وسقاءٍ. وعلةُ ذلك أنَّ هذهِ الألفَ وإن لم تكن زائدةً فإنَّها بدلٌ والبدلُ مشبهٌ للزائدِ، والتقاؤهما أنَّ كلَّ واحدٍ منهما ليس أصلًا[4].

ولتلمُّسِ هذينِ الوجهينِ، ولا سيَّما أوّلهما، وبخاصَّةٍ وروده في القرآنِ الكريمِ وفي قراءةٍ متواترةٍ صحيحةٍ؛ فإنِّي أجدني ميَّالةً لإجازةِ الجمعينِ؛ بالإجراء على الأصلِ والهمزِ، معَ التَّمييزِ بينهما قلةً وكثرةً، وقد كانَ النَّحويُّونَ يُقيمونَ القاعدةَ على الشَّاهدِ الواحد، واللهُ تعالى أعلمُ.

للسيرافي ٥/ ٢٦٠، المنصف ٢/ ٣٠٧، مشكل إعراب القرآن ١/ ٣٠٦، البيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٣٥٥).

(١) البيت للطرماح في ديوانه ١٦٥، وهو في الخصائص ١/ ٣٢٩.

(٢) انظر: الخصائص ١/٣٢٩ المخصص ٣/١٤٦.

(٣) انظر: المزهر ٢/٤٢١.

(٤) انظر: المخصص ٣/٢٨٠.

المبحثُ الثَّالثُ: أسبابُ الغلطِ

بدءًا ينبغي أن نُفرِّقَ بينَ أمرينِ للوقوفِ على بواعثِ الغلطِ في كتابِ سيبويهِ موطنِ الدِّراسةِ؛ هما:

- ما الذي سبَّبَ الغلطَ؟ بمعنى: ما الذي أوقعَ المتكلِّمَ فيه؟
- لِمَ حكمَ عليه النَّحويُّونَ بالغلطِ على قولٍ للعربِ أو استعمالٍ؟

ولا شكَّ أنَّه الأوَّلَ بخلافِ الثَّاني؛ إذ هو في دواعي القولِ وبواعثِه التي قادت للوقوعِ في المخالفةِ، في حينِ أنَّ الآخرَ يُعلِّلُ لصدورِ الحكمِ عليه بالغلطِ.

ومن خلالِ استعراضِ مسائلِ الغلطِ الآنفةِ وتفحُّصِها نخلُصُ إلى أنَّ سببَ وقوعِ النَّاطقِ بما حكمَ عليه سيبويهِ بالغلطِ هو أحدُ أمورٍ:

- التَّوهُّمُ؛ وهو أن يتخيَّل المتكلِّمُ أنَّ ما ينطقُ بهِ مطابقٌ لصورةٍ أخرى تشبِهُها في حالٍ وإن اختلفَت حقيقةً معها، فيساوي بينَ الاثنتين ويعاملُهما معاملةً واحدةً، وقد صرَّحَ سيبويهِ بهذا في مسألة (تحريكِ آخرِ أمرِ النَّاقصِ معَ هاءِ السَّكتِ) عندما قالَ: "وزعمَ أبو الخطَّابِ أنَّ ناسًا منَ العربِ يقولونَ: ادعِهِ من دعوت، فيكسرونَ العينَ، كأنَّها لما كانَت في موضعِ الجزمِ **توهَّموا أنَّها ساكنةٌ** إذ كانَت آخرَ شيءٍ في الكلمةِ في موضعِ الجزمِ، فكسروا حيثُ كانَتِ الدَّالُ ساكنةً؛ لأنَّهُ لا يلتقِي ساكنانِ، كما قالوا: ردَّ يا فتى". والشَّأنُ نفسُهُ في (همز ما كان بياء غير زائدة) حيث نصَّ

على التَّعليلِ بالتَّوهُّمِ قائلًا: "فأمَّا قولهُم مصائبُ فإنَّهُ غلطٌ منهُم، **وذلكَ أنَّهم توهَّموا أنَّ مُصيبةً (فَعِيلَةٌ)**، وإنَّما هيَ مُفعِلَةٌ".

- التَّخفُّفُ اللفظيُّ والانسجامُ الصَّوتيُّ، فيمضي المتكلِّمُ معَ هذا التَّناسبَ مُغيِّبًا الأصلَ الذي يُوجِبُ التَّغايرَ، وهذا جليٌّ في الإتباعِ على الجوارِ؛ إذِ الكسرُ سوَّغَ إجراءَ كسرِ ما بعدَهُ استرسالًا صوتيًّا على نسَقٍ، ولا شكَّ أنَّهُ أيسرُ للمتكلِّمِ منَ الانتقالِ منَ الكسرِ للضَّمِّ، فيكونُ في مخرجِهِ الصَّوتيِّ أسيرًا بينَ حركتينِ تُصنَّفانِ الأقوى والأثقلَ، يُسوِّغُهُ تجانسٌ آخرُ هو اتِّفاقُ اللفظينِ تنكيرًا، وهو الملمحُ الذي نصَّ عليهِ سيبويهِ؛ إذ قالَ: "ولكنَّ بعضَ العربِ يجُرُّه وليسَ بنعتٍ للضَّبِّ، ولكنَّه نعتٌ للذي أُضِيفَ إلى الضَّبِّ، **فجرُّوهُ لأنَّه نكرةٌ كالضَّبِّ**، ولأنَّه في موضعٍ يقعُ فيه نعتُ الضَّبِّ" حتى بلغَ من تجانسِ اللفظينِ المكسورينِ وتناسبِهما أنَّهما توحَّدا حتَّى صارا "بمنزلةِ اسمٍ واحدٍ" وغديا كالمضافِ إلى ياءِ المتكلِّمِ لا ينفكَّانِ ولا يستقلُّ أحدهما عن الآخرِ ويُكسرُ أحدُهما تبعًا للآخرِ كما قالَ سيبويهِ.
- مراعاةُ المعنى، فيُخلصُ المتكلِّمُ – حينَ نطقِهِ – ارتباطًا بمعنى الكلامِ، فيُسيطِرُ عليه المضيُّ وفقَهُ مسقطًا اللفظَ الموجبَ خلافَهُ إعرابًا، وهو بيِّنُ القصدِ في مسألةِ (الإتباعِ رفعًا على منصوبِ إنَّ)، وقد نصَّ سيبويهِ على هذا صريحًا بقولِهِ: "واعلم أنَّ ناسًا منَ العربِ **يغلطونَ فيقولونَ: إنَّهُم أجمعونَ ذاهبونَ، وإنَّك وزيدٌ ذاهبانِ؛** وذلكَ أنَّ معناهُ الابتداءَ، فيرى أنَّهُ قائلٌ: هم"، فاستلهامُ معنى (هم) وهو الابتداءُ في (إنَّهم) كانَ مدعاةً للنَّظر باحتسابِ الموقعِ الذي هو الابتداءِ دونَما اعتدادٍ

بالطَّارئِ الذي نسخَهُ وغيَّر صورتَهُ؛ فأجرى الكلامَ كما نظرَ إليهِ في باطنِ عقلِهِ: هم أجمعونَ ذاهبون، وأنت وزيدٌ ذاهبانِ.

- إمضاءُ الغلبةِ في اللفظِ دونَ سبرِ غورِهِ وتأمُّلِ ما يستحقُّ على وجهِ الخصوصِ، وهو ظاهرٌ في تصغيرِ نابٍ على نويبٍ، حيثُ أجرى النَّاطقُ المصغِّرُ – عندَ ردِّ الألفِ لأصلِها – الكلمةَ على ما شاعَ وكثُرَ في نحوِ ذلكَ غيرَ ناظرٍ لهذا اللفظِ تحديدًا، وفي هذا يقولُ سيبويهِ مُعلِّلًا هذا القولَ: "ومنَ العربِ من يقولُ في (ناب): نُوَيبٌ؛ فيجيءُ بالواوِ **لأنَّ هذهِ الألفَ مُبدلةٌ منَ الواوِ أكثرَ،** وهوَ غلطٌ منهم".

أمَّا الإبانةُ عن سببِ حكمِ سيبويهِ عليها بالغلطِ فقد مضى في صدر البحثِ عند الحديثِ عن الغلطِ في الكتابِ في المبحثِ الأوَّلِ، فينظرُ ثمَّ.

خاتمة

انتقى هذا البحثُ حكمًا من الأحكامِ النَّحويَّة، وقصرها على كتابِ سيبويهِ فحسبُ لأسبابٍ لا يجهلُها المتخصِّصُ، وقد كانَ هذا أدعى للخلوصِ إلى نتائجَ ربَّما تختلفُ لو نُظِرَ لهذا الحكمِ نفسِهِ في كتابٍ آخر أو كتبٍ مختلفةٍ.

وقد انتهت الدِّراسة – بعد تفحُّصِ مسائلِ الغلطِ في الكتابِ – إلى أنَّ سيبويهِ لم يرد لهذا الحكم أن يكونَ مرادِفًا للغلطِ كما قالَهُ بعضُهم؛ وإنَّما قصدَ بهِ خروجَ المحكومِ عليه (الكلام) عنِ القياسِ، ولكلِّ عالمٍ مصطلحُهُ وأسلوبُهُ في المعالجةِ والتَّناولِ. كما خلُصَ البحثُ – بعدَ سبرِ أغوارِ القولِ وتتبُّعِ أطوارِهِ – إلى سببِ غلطِ

النَّاطقِ ومرجعِهِ وما دارَ في لبِّهِ حين جاوزَ القياسَ، وكلُّ ذلك مستقًى من حرفِ سيبويهِ ولفظِهِ، معَ الاستئناسِ بما فسَّرَهُ الشُّرَّاحُ من بعدِهِ وما قالَهُ المصنِّفونَ الذين عرَّجوا على هذهِ المسائلِ، وكذا بانَ جليًّا - من خلالِ تحقيقِ المسائلِ - أنَّ ثمَّةَ فريقًا من النُّحاةِ تابعوا سيبويهِ في الحكمِ، وآخرَ خالفوه ثمَّ افترقوا في وصفِ تلك المسائلِ بأحكامٍ لا تخلو من العيبِ، كالخطأ والضعفِ والشُّذوذِ ... وخلافِها.

ثمَّ إنَّ هذا الكتابَ كلما نُقِصَ منه موضوعٌ ازدادَ وربا، فالبحثُ فيه بمسألةٍ يكشفُ عن أخريات تتجلَّى تفتقرُ للإحاطةِ والفقهِ؛ فمُقارباتُ الغلطِ ومشابهاتُهُ عندَ سيبويهِ - مثلًا- وموازنةُ أوجُهِ الشبهِ اتِّفاقًا واختلافًا؛ موردٌ عذبٌ لينهلَ منهُ الدَّارسونَ، فضلًا عن غيرِ هذا من الأحكامِ أو الأوصافِ. ومن هنا توصي الباحثةِ بالتَّزوُّدِ من هذا الأصلِ حتى تتكشفَ لنا بدائعُهُ وأسرارُهُ. واللهُ الهادي إلى سواءِ السَّبيلِ.

المصادر والمراجع

إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لأحمد بن محمد الدمياطيّ شهاب الدين الشهير بالبناء (المتوفى: ١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة: الثالثة،١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان محمد بن حيان (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

أسرار العربية لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

إصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق المشهور بـابن السكيت (المتوفى ٢٤٤هـ)، شرح وتحقيق: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، الطبعة: الرابعة ١٩٨٧م.

الأصول في النحو لأبي بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج (المتوفى:٣١٦هـ)، تحقيق: عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ –١٩٨٥م.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.

إعراب القرآن المنسوب للزجاج لأبي الحسن علي بن الحسين الباقولي (المتوفى: نحو ٥٤٣هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتب اللبنانية بيروت، الطبعة: الرابعة – ١٤٢٠هـ.

إعراب القرآن لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

إعراب القراءات السبع وعللها لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (المتوفى: ٣٧٠)، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الخانجي، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ)، المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

الإيضاح في شرح المفصل لأبي عمرو عثمان بن الحاجب (المتوفى ٦٤٦هـ)، تحقيق: موسى بناي العليلي، وزارة الأوقاف – العراق، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن حيان (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

البديع في علم العربية لأبي السعادات المبارك بن محمد، ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، تحقيق ودراسة: د. فتحي أحمد علي الدين، منشورات أم القرى، مكة المكرمة – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ)، تحقيق: طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

تاج العروس من جواهر القاموس لأبي الفيض محمّد بن محمّد الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

تذكرة النحاة لأبي حيان محمد بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.

التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان محمد بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم– دمشق ودار كنوز إشبيليا، الطبعة: الأولى.

تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء ابن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مجموعة، مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

كتاب التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري محمد بن جرير (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك لأبي العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

المسائل الحلبيات لأبي علي الفارسيّ الحسن بن أحمد (المتوفى ٣٧٧ هـ)، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم للطباعة والنشر ، دمشق - دار المنارة للطباعة والنشر ، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني (المتوفى ٣٩٢ هـ)، تحقيق: محمد النجار، عالم الكتب – بيروت.

ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

ديوان الطرماح للطرماح بن حكيم ، دار الشرق العربي بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

كتاب السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد أحمد بن موسى (المتوفى: ٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ.

سفر السعادة وسفير الإفادة لأبي الحسن علي بن محمد علم الدين السخاوي (المتوفى: ٦٤٣ هـ)، تحقيق: د. محمد الدالي، دار صادر، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

شرح أبيات سيبويه لأبي محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافي (المتوفى: ٣٨٥هـ)، تحقيق: الدكتور محمد الريح هاشم، الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

شرح الأشموني على ألفية ابن مالك لأبي الحسن علي بن محمد نور الدين الأُشْمُوني (المتوفى: ٩٠٠هـ)، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.

شرح تسهيل الفوائد لأبي عبد الله جمال الدين محمد ابن مالك (المتوفى: ٦٧٢هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

شرح شافية ابن الحاجب لمحمد بن الحسن الرضيّ الإستراباذي (المتوفى: ٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لأبي محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا.

شرح الرضي على الكافية لمحمد بن الحسن الرضيّ الإستراباذي (المتوفى: ٦٨٦هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

شرح الكافية الشافية لأبي عبد الله جمال الدين محمد ابن مالك (المتوفى: ٦٧٢هـ)، حققه وقدم له: عبد المنعم أحمد هريدي، منشورات جامعة أم القرى، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (المتوفى: ٣٦٨هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨م.

شرح المفصل للزمخشري لأبي البقاء موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (المتوفى: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميرى (المتوفى: ٥٧٣هـ)، تحقيق: حسين العمري وآخرون دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

الفروق اللغوية لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

العباب الزاخر واللباب الفاخر لرضي الدين الحسن بن محمد الصغاني (المتوفى: ٦٥٠هـ)، تحقيق : د. فير حسن، منشورات المجمع العلمي العراقي _ بغداد، الطبعة الأولى _ ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

علل النحو لأبي الحسن محمد بن عبد الله بن العباس، ابن الوراق (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد - الرياض / السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

عمدة الكتاب لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم – الجفان والجابي للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

الكتاب لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

الكناش في فني النحو والصرف لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن شاهنشاه بن أيوب (المتوفى: ٧٣٢ هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ٢٠٠٠م.

لسان العرب لأبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

اللمع في العربيَّة لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية – الكويت.

مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

مختصر في شواذ القرآن لأبي عبد الله الحسين ابن خالويه (المتوفى: ٣٧٠هـ)، مكتبة المتنبي – القاهرة.

المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيدة (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

المزهر في علوم اللغة وأنواعها لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ضبطه وصححه ووضع حواشيه: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

المساعد على تسهيل الفوائد لبهاء الدين بن عقيل (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. محمد كامل بركات، منشورات جامعة أم القرى (دار الفكر، دمشق – دار المدني، جدة، الطبعة: الأولى، (١٤٠٠ – ١٤٠٥ هـ)

مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ.

معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

معانى القرآن للأخفش لأبي الحسن المجاشعي بالولاء، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ)، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.

معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب. – بيروت.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لأبي محمد عبد الله بن يوسف ،ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥.

الممتع في التصريف لعلي بن مؤمن ابن عصفور الإشبيلي (المتوفى: ٦٦٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٩٨هـ– ١٩٧٨م.

المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، دار إحياء التراث القديم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م.

النشر في القراءات العشر لأبي الخير شمس الدين ابن الجزري، محمد بن محمد (المتوفى: ٨٣٣ هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.

همع الهوامع في شرح جمع الجوامع لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر.

التقدير التجريدي في النظرية النحوية العربية

نماذج من كتاب سيبويه*

د. أمل بنت محمد الشقير

ملخص البحث:

التمثيلات التجريديةُ العقلية التي يلجأ إليها النحويون بطرق شتى، ومحاولاتُ التقريبِ والمحاكاة لها بنحو عبارة (تمثيل لا يتكلم به) وأشباهها، هي مسالكُ أجاءت سيبويه إلى تأسيسِ افتراضاتٍ ذهنية مطروحة لتأصيلِ قوانينَ محددَّة ولبيان أغاريض وظيفية. ومن ثَم أدَّى إلى ما يُعرف في النظرية الخليلية بالتجريد التمثيلي. فيسعى هذا البحثُ إلى تقريبِ مفهومِه المؤطّرِ بمسلك من مسالك الاستدلال التمثيلية العقلية بإحدى طرق البناء التركيبي المجرَّد، مراعًى فيه مفهوم الموضع وقياس النظائر. ويوطّئُ لمباحثه ببيانِ من ألمح إليه في الدرسِ اللغويِّ الحديث، وتوجيه ابتكار مصطلح (التقدير التجريدي)، مع التعرف على نوعيه في المنوال النحوي الأول. وسيقومُ هذا البحثُ بالكشفِ عن طرقه في (كتابِ سيبويه)، وذلك نحو الاستبدال والمقابلة والمعادلة والتصرف وتصور إمضاء الكلام وتقدير المعنى أو السؤال. وسيُتبع ذلك إبرازُ صوره وتعبيراته بانتقاءِ النماذجِ من (الكتاب) موزَّعةً على ضربيه، وكان مدار الضربِ الأول على التمثيل الذي لا يتكلم به والمتصور اللغوي الذي لم يتلفظ به والتقدير التجريدي لقوة القول وإرادة المقول والتجريد التمثيلي بمفهوم المجرى، وأما الآخر فكان مداره على التجريد التمثيلي بالمقاولة، والتجريد التمثيلي بالمحاورة بتصور الكلام جوابًا عن سؤال، والمحال التمثيلي التركيبي التجريدي، والتمثيل الحجاجي بمفهوم المنزلة.

---

* نشر في مجلة الآداب، مج (٣٥)، ع (٤)، ص ص ٣-٣٢، جامعة الملك سعود، الرياض (١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م).

١-مقدمة:

من الوسائل المكوِّنة للنحو العربي (وسيلة الافتراض والتجريد) في المنهج العلمي التنظيري التفسيري، حيث يتجاوز النحوي في بناء منواله وصف عبارة المتكلم إلى افتراض ما قد يأتي به المتكلم من استعمالات لغوية، وثمة دوافع تحدوه إلى بحث الممكن وافتراضه، منها أن أي منوال علمي يتجاوز في بنيته التأسيسية وصف الواقع بالفعل إلى الواقع بالقوة، وذلك بتوليد الاحتمالات الممكنة وغير الممكنة وَفق قوانينها العلمية، وهذا النوع من التفكير يدخل ضمن نسقٍ معرفيٍّ يسعى إلى تأسيس المعارف، ولاسيما إذا كانت هذه العلوم في مرحلتها الأولى، وهو الواقع مع سيبويه في كتابه، إذ ترشح الأمثلة التقديرية التجريدية في استيعاب المبادئ المجرَّدة التي تكتنف الظواهر اللغوية المعقدة، ويقتضي استحضارها في مسار بناء المناويل؛ لأنها توسع مجالات الكفاية التفسيرية. وقد وقع الاختيار على هذا الموضوع ليلقى الضوء عليه في هذا البحث؛ لاختلاف طرق هذه القضية المعرفية في كتاب سيبويه، والحاجة إلى تمييز خصائصها، وللتعرّف على صورها وأنماطها في ضوء (كتاب سيبويه) الذي يمثِّل النموذجَ النحويَّ الأول.

ويبدو أنَّ (التقدير التجريدي) في كتابه متناثرُ المواضع، ولم يُتنبَّه إلى شأنه في بناء (الكتاب) وغموضه لسلوكه التجريد التمثيلي التركيبي، على غياب مَن تناول البنى التصورية والفضاءات الذهنية عنده، مع اختلاف طرق التقدير التجريدي وصوره، ولذا هذا البحث سيجيب عن الأسئلة الآتية: كيف كان للحدس النحوي التجريدي

التمثيلي شأنٌ في بناء منوال كتاب سيبويه وفي اللغة النحوية الواصفة؟ ما طرق التقدير التجريدي في (الكتاب)؟ ما مظاهره التعبيرية والصُّوْرية في (الكتاب)؟

وثمة دراسة سابقة قد قاربت هذا البحث في التنظير والإجراء؛ وهي دراسة (الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان)، وتوافقه في معالجة بعض طرق الضرب الأول من التقدير التجريدي والإشارة بطرف خفي إلى بعض التعبيرات، وهذا البحث يختلف عنها في تحديد المفهوم وابتداع المصطلح الدقيق، والتفريق بين ضربيه، واستظهار كثير من طرقه، وتنميط صوره ومحاولة استيعابها.

ويهدف هذا البحث إلى تجذير التجريد التمثيلي في الفكر النحوي العربي وتكييفه بأبعاد معالجة سيبويه له على المستوى التركيبي، واستنباط طرقه وأثرها في بناء منوال كتابه، وإبراز صوره في (الكتاب) في ضربي التقدير التجريدي للتعرُّف على رسومه في فيه وفي المؤلفات النحوية اللاحقة.

وتبرز أهمية هذه الدراسة في إبراز إسهام الفكر النحوي العربي التراثي -في الكتاب لسيبويه - في معالجة قضية لغوية تلامس ما يتناوله الدرس اللغوي المعاصر في المنهج التوزيعي والاتجاه العرفاني، وذلك بتتبع طرق الاستدلال العقلي التمثيلي التجريدي في (الكتاب) وأنماطه، وهذا ما سيؤدي إلى بيان ملامحه في المنوال النحوي القديم وتجليات امتداده، نتيجةً لتأثر النحويين بنصوص سيبويه وأمثلته وعباراته.

وقد اتبعَت هذه الدراسة وَفق مقتضيات البحث المنهجَ الوصفيَّ التحليليَّ في عرض مفهوم التقدير التجريدي وضربيه في المنوال النحوي الأول، وفي استنتاج طرقه

الاستدلالية العقلية وصوره التعبيرية. واقتضت طبيعة الموضوعِ أن يقع تقسيم البحث في تمهيد ومبحثين. يُخصَّص التمهيد للحديث عن تحرير مضمون التقدير التجريدي في النظرية النحوية العربية، وعن ضربيه في فكر سيبويه. وسيعالج المبحث الأول طرقه في مركزية النحاة (كتابِ سيبويه). وأما المبحث الثاني فسيتناول صوره على ضوء ما جاء في (الكتاب). وبعد ذلك تأتي الخاتمةُ مُذيَّلةً بأهم نتائج البحث وتوصياتِه.

٢- تمهيد: مفهوم التقدير التجريدي ونوعاه.

٢-١- مفهوم التقدير التجريدي:

التجريد لغةً من (جرَّد)، وهذا الفعل يعود إلى الجذر الثلاثي، وهذا الجذر ترجع دلالته المحورية إلى التَّعريَة والتشذيب وبدوِّ ظاهر الشيء[١].

والتجريد عند الفلاسفة هو انتزاع عنصر من عناصر الشيء، حيث يفصل بين الأشياء التي لا تفصل في الواقع، كالخيال يجرِّد الصورة المتخيَّلة عن المادَّة والواقع[٢].

(١) ابن فارس، أحمد **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩، ١/٤٥٢ (ج ر د). والمرتضى الزَّبيدي، **تاج العروس**، تحقيق: عبدالسلام هارون، مطبعة الحكومة، الكويت، ١٩٩٤، ٧/٤٨٨-٤٩٠ (ج ر د).

(٢) جميل صَليبا، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ١/٢٤٦-٢٤٨. وجلال الدين سعيد، **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية**، دار الجنوب، تونس، ٢٠٠٤، ص ٩٦- ٩٧.

والتجريد تحليل ذهني، والاستدلال به هو استخراج نتائج بعض المبادئ المسلَّم بها من غير النظر إلى تحقق تلك النتائج في الواقع، وقد يكون تحققها غير ممكن وإن كانت صحيحة، لوجود أمور حائلة بينها وبين تحققها في الوجود لا تلاحظ في الاستدلال المجرَّد[1]، ولقد سمَّى الحاج صالح صنيع النحويين في التقديرات غير المنطوق بها التي لا وجود لها إلا في الذهن والتصورات الافتراضية "التجريدَ التمثيلي أو التجريد الإجرائي"[2].

ومفاد مفهوم (التجريد) في المعجم الفلسفي، أن هذا المصطلح ليس مصطلحًا نحويًا بل هو مقترض من المعارف الأخرى[3]؛ لأن الواقع أن النحويين لم يؤسِّسوا لمصطلح (التجريد)، لكن سيبويه وغيره استعمله في سياق التمثيل، وذلك ليبيِّن بوضوح أن المقصود من هذا التجريد الذهني إنما هو محاولة لأن يستبدل بصورة البنية التركيبية الظاهرة -التي تبدو في حالة الغموض- صورة أخرى مجرَّدة أيسر وأقرب إلى الفهم.

وكذلك البحث عن النظائر وإثبات التكافؤ في البنى أو المجرى والمنزلة، يقتضي النظر في ضروب الكلام المسموعة عن العرب ثم تفسيرها مع نظائرها، وهو تجريدي

---

(١) صَليبا، **المعجم الفلسفي**، ٢٤٨/١.

(٢) عبدالرحمن الحاج صالح، **منطق العرب في علوم اللسان**، دار موفم، الجزائر، ٢٠١٢، ص ٢٧٩، ٢٨٢.

(٣) يطلق (التجريد) عند البلاغيين بمعنى الانتزاع من شيء ذي صفة شيئًا آخرَ مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه. انظر: أحمد مطلوب، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٦، ٤٤/٢.

تمثيلي تفسيري يتدخل العقل فيه لاكتشاف التكافؤ التمثيلي بإبراز نظائر يكون فيها موضع تملؤه علامة في بعضها ويخلو منها في بعضها الآخر، فيظهر في النظائر ما لا يظهر في الملفوظ، فتفسر بتلك النظائر أفراد فئة الملفوظ، فلا تجريد إلا برموز ولو كانت لفظية.

ومع إطلاق الحاج صالح على الظاهرة التي ندرسها مفهوم (التجريد الإجرائي) أو (التجريد التمثيلي)، قد اخترت (التقدير التجريدي) دون اصطلاحه عنوانًا لهذا الموضوع؛ لأن الجمع بين (التجريد والإجراء) قد يرِد عليه إشكال وهو أن (التجريد) يدخل في دائرة الاحتمال والتصور، بخلاف (الإجراء) يدخل في دائرة التحقُّق والتجريب والإنجاز[1]. ولقائل أن يقول: إن (التجريد) الذي هو عمل ذهني قد ظهر في مقولات النحويين، وأصبحت له منجزات لغوية وتمثيلات في اللغة الواصفة النحوية ولو كانت افتراضية أو غير منطوق بها، وبهذا يصح الجمع بينهما، أو يقال (الإجراء التجريدي) تقييدًا لما يتبادر إلى الذهن من تصور مفهوم (الإجراء).

وأما (التجريد التمثيلي) فلكونه يشمل غير التقدير التجريدي عند مطلِقِه، قد أُبعد عن الإطلاق على العملية التجريدية المراد بحثها؛ لأنه تناول التجريد في التمثيل عمومًا، وإن لم يكن فيه تقدير تجريدي تركيبي كالبنى في مستوى المفردات (مستوى التصريف)، مع أن المراد بالتجريد التمثيلي عند الحاج صالح (٢٠١٢) هو "وسيلة

(١) مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، دار قباء الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٢٤.

لتوضيح البنى مجرَّدة من جزء الحروف التي صيغت عليها، وذلك لإظهار البنى وحدها مجرَّدة من محتواها ومن ثم ليفسرها، ويتم ذلك فيما يخصُّ الغامض من التراكيب وغيرها، بإلحاق هذا الغامض بتركيب أوضح وإن كان لا يقوم أحيانًا مقامه في الاستعمال بنفس المعنى"[١]، يفيد نصه الاختصاص بصورة من صور التجريد في التمثيل.

وقد يقال: إن التجريد التمثيلي الذي يريده الحاج صالح[٢] (٢٠١٢) غير مختصٍّ بصورة من صور التجريد بل يشمل مفهومَ التقدير التجريدي أجمعَ؛ لكون التقدير التجريدي يقع غالب صوره أو كلها ضمن الاستدلال بالتمثيل، وهذا له وجاهة من حيث إن التقدير التجريدي صوره كذلك، لكن يرِد على هذا التجريد التمثيلي المطلَق أنه يشمل غير التقدير التجريدي أثناء المعالجة عند من أورد هذا المصطلح.

فالتمثيل عند النحويين يمثل نوعًا من التقدير "والتقدير آلة من آلاته القياس، وضربٌ من ضروبه التمثيلي" (م. ن. ص ص ٣٠٣-٣٠٤)، وللتمثيل غاية أبعد مما ذُكر، فلا يلجأ إليه في حالة الغموض فحسب، بل يشمل التراكيب الواضحة والغامضة، فليست ثمة عبارات في العربية إلا ولها مُثُل يرسمها النحوي محاذيًا للتراكيب عند أصل الواضع. وهو يريد بذلك تحقيق التعميم والتماس النظائر؛ إذ المثال مثال لما يكون على رسمه.

---

(١) الحاج صالح؛ عبدالرحمن، **منطق العرب في علوم اللسان**، ٢٨٠.

(٢) الحاج صالح؛ عبدالرحمن، **منطق العرب في علوم اللسان**، ٣٠٣-٣٠٤.

وإنما جمعتُ بين (التقدير والتجريد)؛ لكون سيبويه قد يزاوج بينهما في بعض المواضع كقوله: "كأنه في التقدير وإن كان لا يتكلم به"[١] (سيبويه، ١٩٨٨، ص ٢/١٧٦)، ولملاحظة بعض دلالات التجريد الفلسفية مع رعاية التقدير النحوي الذي ليس في حكم المذكور، فقيَّد بالتجريدي إخراجًا للتقدير المعهود الذي يقال عنه: المقدَّر كالمذكور.

وهو أمر أكَّده أبو حيان حين قال: "لا يلزم من تقدير الشيء كونه ينطق به في الكلام، فكم من مقدَّر لا ينطق به، وكثيرًا ما في كتاب سيبويه من تقدير، ويقول: فهذا تمثيل ولا يتكلم به"[٢].

فالتقدير المراد به هنا في هذا المصطلح المركَّب: المقايَسة بين الموضعين أو البنيتين الملفوظة والمقدَّرة المجرَّدة بإحدى طرق البناء التركيبي المجرَّد، والقياس في اللغة التقدير على مثال الشيء[٣]. فالتقدير هنا تمثيل تجريدي متصوَّرَة رسومُه وصورته في الوجود الذهني.

---

(١) سيبويه، **الكتاب**، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨، ٢/١٧٦.

(٢) أبو حيان، **التذييل والتكميل في شرح التسهيل**، تحقيق: حسن هنداوي، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ٢٠١٣، ١١/٦٦. المراد برمز (س) سيبويه، يرمز به أبو حيان اختصارًا لكثرة وروده في شرحه.

(٣) الجوهري، **الصحاح**، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، ١٩٨٧، ٣/٩٦٨ (ق ي س).

وهذا التأليف بين التقدير والتجريد يفضي إلى توازيه مع أحد مفاهيم (الموضع) الاصطلاحية[١]، وهو أن الموضع موقع تقديري واعتباري أي مجرد تقتضيه بنية اللفظة أو بنية الجملة العاملية في مستوى التراكيب وما فوقها كالخطاب. فهو وضع معين يجب أن يكون عليه كل واحد من مكونات الجملة لفظًا أو تقديرًا، قد تخلو من بعض عناصرها إلا أن مواضعها متصوَّرة مرسومة في مثال الجملة أي نمطها وقياسها[٢] (الحاج صالح، ٢٠١٣).

وسبب هذا التوازي أن غالب طرق التقدير التجريدي وصوره تكون برعاية الموضع، ونظرية الموضع هي أحد الأسس المكونة للنظرية الخليلة الحديثة عند عبدالرحمن الحاج صالح، فلا غرابة إذن من حضور التقدير التجريدي في مؤلفاته، وربطه بالموضع باستثمار النحو الخليلي أو نصوص سيبويه[٣].

ويشكِّل هذا (التقدير التجريدي) جزءًا من (الفرضيات النحوية) التي هي عملية تصورية تقديرية لجأ إليها النحويون في تقرير القواعد وتعليل أحكامها والتمثيل لها وفي تفسير تلك التمثيلات[٤].

---

(١) من مفاهيم الموضع الاصطلاحية: التوزيع أي مجموع السياقات التي يظهر فيها تجانس تركيبي. (حركات، ١٩٩٨).

(٢) عبدالرحمن الحاج صالح، **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**، دار موفم، الجزائر، ٢٠١٣، ٢/١٣، ١٦.

(٣) عبدالرحمن الحاج صالح، **البنى النحوية العربية**، المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، ٢٠١٦، ص ٦٢.

(٤) العتابي، **الفرضيات وآثارها في أحكام النحو العربي**، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، بغداد، ٢٠٠٢، ص ٢٣.

وبناءً على ما تقدم فإن ما أعنيه (بالتقدير التجريدي) هو: تصور النحوي ما ليس مذكورًا في البنى التركيبية كأنه مذكور أو العكس، أو تصوُّر الممتنع نحويًّا، وذلك بالتمثيل الذي لا يُتكلم به، وتقدير الحوار أو السؤال الافتراضي، وذلك بغية إعادة بناء بعض التراكيب في ضوء عملية ذهنية لتجعله قريبًا إلى الفهم ببنى مشتركة مجردة.

أو بعبارة أخرى: هو مسلك من مسالك الاستدلال التمثيلية العقلية بإحدى طرق البناء التركيبي المجرَّد، مراعًى فيه مفهوم الموضع وقياس النظائر.

والغاية من هذه الرعاية التجريدية تعرُّض النحوي في كل باب من الأبواب النحوية إلى كل التراكيب التي تحتملها القسمة أو أكثرها ضمن إطار نحوي معين (الاسم والفعل ومشتقاتهما مع النفي والاستفهام والأمر والنهي وغيرها)، لغرض إثبات تكافؤ التراكيب الفرعية التي تفرعت على الأصول المختصة بالفئة الواحدة في البنى المشتركة[1]، وقد قال ابن جني[2]: "الاعتبار بالأصول أشبه منه وأوكد منه بالفروع". ولا يكاد يخلو باب من أبواب كتاب سيبويه من عمل الاعتبار التجريدي المراد به

---

(١) المراد بالأصول هنا: التراكيب الأصلية المسموعة التي أجري تحليلها واستخرج مثالها وتفرعت عليها الفروع برعاية التكافؤ واستخراج البنية المشتركة، وهي تراكيب بسيطة لأنها أصول للفروع، فهي المرجع لكل اعتبار أو لكل تقدير اعتباري. انظر: الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ٢/٢٩٤.

(٢) ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦، ١/٢٢٣.

تجريد التراكيب باستنباط بنيتها المشتركة، وهو أساس التقدير التجريدي الذي مكَّنه سيبويه وغيره في استخراج البنى المشتركة فيما يخص الأصول[١].

٢-٢- نوعا التقدير التجريدي في المنوال النحوي الأول:

يتنوع (التقدير التجريدي) في كتاب سيبويه إلى نوعين قد يُظن حين النظرة الأولى أنهما نوع واحد أو بينهما تداخل، وهما:

الأول تجريد من افتعال -افتراض- النحوي ذاته.

أما النوع الآخر فهو يأتي في صدد بناء الجهاز النظري للمنوال النحوي من داخل النظام، فالنظام النحوي هو الذي يفرض على النحوي التجريد.

فالتقدير الأول تجريد يستحثه النحوي من عدمٍ لبناء منواله بناءً دقيقًا متناسقًا، مراعيًا الموضع في كثير من صوره.

وكثيرًا ما يُجري سيبويه – وهو المنوال النحوي الأول- على ضروب الكلام أنواعًا من العمليات كاستبدال شيء بشيء أو المقابلة بين مكوِّنات التراكيب التي هي من فئة واحدة للاختبار، وقد يسمي هذه العملية الاختبارية اعتبارًا (وهو اعتبار تجريدي)[٢]، كاستدلاله بالاستبدال لمجيء الرفع والنصب في تركيب من فئة واحدة يقول سيبويه: "وتقول: أعمرًا أنت واجدٌ عليه، وأخالدًا أنت عالم به، وأزيدًا أنت

---

(١) الحاج صالح، **منطق العرب في علوم اللسان**، ٢٩٣-٢٩٤.

(٢) الحاج صالح، **منطق العرب في علوم اللسان**، ٢٩٣.

راغب فيه، لأنك لو ألقيت عليه وبه وفيه مما ها هنا لتعتبر، لم يكن ليكون إلا مما ينتصب، كأنه قال: أعبدَ الله أنت ترغب فيه، وأعبدَ الله أنت تعلم به، وأعبد الله أنت تجد عليه... ولو قال: آلدَّارُ أنت نازلٌ فيها، فجعل نازلًا اسمًا رفع، كأنه قال: آلدَّارُ أنت رجلٌ فيها"[١].

وأما التقدير الآخر ففرضته البنى ذاتها، هي واضحة في جزء منها؛ ولكنها غامضة في بعض عناصرها، وهذا ما نسميه بالتقدير التجريدي الذي يفرضه النظام على المحلل أو النحوي، ويخالف عن الإضمار في كون المقدَّر هنا بناءً تركيبيًّا مجرَّدًا مضمرًا في العنصر اللغوي الظاهر ويقوم مقامه، وليس إضمار بنية عاملية محذوفة، وذلك نحو قول سيبويه: "وذلك قولك: مررت به فإذا له صوتٌ صوتَ حمار... فكأنه قال: فإذا هو يصوِّت، فحمله على المعنى فنصبه، كأنه توهم بعد قوله (له صوت): يصوِّت صوتَ الحمار أو يبديه، أو يخرجه صوتَ حمار، ولكنه حذف هذا، فصار (له صوت) بدلًا منه"[٢].

فهنا نصب المصدر المشبَّه به فرض على النحوي أن يبحث عن كفاية تفسيرية لوجه النصب بتمثل أبنية عاملية يقتضيه النظام، ففسَّره سيبويه ببعد تأويلي دلالي تداولي، حيث يقول: "لأنك مررت به في حال تصويت، ولم ترد أن تجعل الآخر صفة للأول ولا بدلًا منه. ولكنك لما قلت: له صوت، علم أنه قد كان ثَمَّ عمل، فصار

---

(١) سيبويه، **الكتاب**، ١/١٠٩.

(٢) سيبويه، **الكتاب**، ١/٣٥٥-٣٥٦.

قولك: له صوت بمنزلة قولك: فإذا هو يصوِّت، فحملت الثاني على المعنى"[١]. ففسَّره بتوظيف مقام محتمل يضمن للبنية معنى العرَضية الذي يجعل الحدث هنا عارضًا لصاحبه غير لازم له، وهو شرط في تضمن البنية الاسمية (له صوت) على الحدث وصاحبه[٢]، ودلالته العرَضية هذه مقترنة بوجود الفعل (مررت)، أي مررت به وهو على تلك الحال.

ويلاحظ أنه عدَّ المصدر (صوتٌ) تصوُّرًا واختزالًا للفعل والفاعل في (يصوِّت)، فتكون البنية (له صوت) بمنزلة (هو يصوِّت) دالة على الحدث وعلى القائم مما يسوغ تصور العامل في المصدر، فمقاربته قائمة على التعويض، في إعمال المصدر المعوّض للفعل المضمر.

ومن الصور المحتملة لمقاربة سيبويه التجريدية:

التعويض: (مررت به فإذا له: صوتٌ صوتَ حمار) عوض عن: (مررت به فإذا هو: يصوِّت صوتَ حمار).

أو الإضمار تصوُّرًا وافتراضًا: (مررت به فإذا له صوتٌ: يصوِّت صوتَ حمارٍ) فصار (مررت به فإذا له صوتٌ: Ø صوتَ حمار)، حذف (يصوِّت) وأقيم (له صوت) مقامه، فرجع إلى الصورة الأولى التعويضية.

---

(١) سيبويه، **الكتاب**، ٣٥٦/١.

(٢) رضي الأستراباذي، **شرح كافية ابن الحاجب**، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٦، ٣١٩/١.

وفي سياق تعليق الرضي الأستراباذي على نص سيبويه يقول: "ظاهر كلام سيبويه أن المصدر منصوب بقوله: (له صوت) لا بفعل مقدَّر"[١]، فيؤدي الإضمار إلى تعويض المصدر عن العامل المتوهم كما يبدو من تفسير سيبويه.

٣- طرق التقدير التجريدي:

تتعدد طرق الاستدلال العقلي وأدواتها المنهجية التي مارسها النحويون لتجريد صورة هذه اللغة وكشف نظامها، منها: الاستدلال بالقياس، والاستدلال بالعلة، والاستدلال بالعامل، والاستدلال بالأصل، والاستدلال بالنظير، والاستدلال بالموضع[٢].

ومن هذه الاستدلالات ما يمكن وصفها بأنها إجراءات آلية رياضية، فهي عمليات استدلالية منهجية فيها تفكيك وتركيب تجريبي تؤدي إلى نتائج منضبطة في دراسة

---

(١) الأستراباذي، **شرح الكافية**، ٣١٩/١. وللرضي-في هذه الصفحة أيضًا- رأي آخر في تفسير وجه النصب وهو: (مررت به فإذا له صوتٌ يصوِّته صوت حمار)، وفي تفسير المعنى يقدِّر (مِثل) ونحوه؛ والسبب أن المصدر لا يعمل عمل الفعل، إلا إذا صح تقديره بأن وفعل منه، ويؤدي تعويض المصدر (بأن وفعل/ فإذا له أن يصوِّت صوتَ) إلى عدم القطع بحصول الفعل، وذلك يفضي إلى دلالة مخالفة للمقام.

(٢) محمد بن حجر، **الاستدلال في كتاب سيبويه (الاستدلال بالعقل)**، مركز الكتاب الأكاديمي، عَمَّان، ٢٠٢٢، ٢٩٨/٢-٢٩٩.

اللغة كالتثبت من صحة التحليل النحوي والاستدلال على تلك الصحة، وهي في كل توظيفٍ لها بالكفاية نفسها تؤدي إلى نتيجة مماثلة[١].

وتلك الطرق الاستدلالية المتعلقة بالنظير والموضع منها ما هو مختص بالنوع الأول من التقدير التجريدي، ومنها ما هو مختص بالنوع الآخر منه.

٣-١- طرق النوع الأول من التقدير التجريدي:

٣-١-١- الاستبدال:

وذلك بأن يعمد النحوي إلى عنصر أو مجموع عناصر من مكونات الجملة المراد تحليلها، فيبعد ذلك العنصر أو مجموع تلك العناصر اللغوية، ويضع موضعَ العنصر المبعَد أو مجموعِ العناصر المبعَدة عنصرًا آخر أو مجموع عناصر أخرى لغوية لغرض ما كبيان الوظيفة النحوية[٢].

ويراعَى في ذلك مبدأ التكافؤ بين العناصر اللغوية مع ارتباطه بمبدأ التعويض، وكانت تلك النظرة حاضرة لدى سيبويه ومن قبله شيخه الخليل، "لقد كان الخليل يدرك إمكان استبدال جزء آخر بجزء من التركيب"[٣]، يقول: "ألا ترى أنك تقول:

---

(١) علي المعيوف، **طرق الاستدلال التركيبي الآلي لدى سيبويه والجرجاني**، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، العدد ٢، (٢٠١١)، ص ١٠١-١٠٢.

(٢) محمود نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢، ٢٠١-٢٠٢.

(٣) مايكل كارتر، **نحوي عربي من القرن الثامن للميلاد دراسة عن منهج سيبويه**، ترجمة: عبدالمنعم آل ناصر، مجلة المورد، العدد ١، (١٩٩٢)، ص ٢٩٣٦-٣٧.

علمت أنك منطلق فمعناه: علمت انطلاقك"[١]. وقد استعمل سيبويه في موضع فريدٍ مصطلح (بدل) للدلالة على الاستبدال[٢]، وذلك في قوله: "كأنه إذا قال: هنيئًا له الظَّفرُ، فقد قال: ليَهنِئْ له الظَّفرُ، وإذا قال: ليَهنِئ له الظَّفرُ، فقد قال: هنيئًا له الظَّفرُ، فكلٌّ واحد منهما بدلٌ من صاحبه"[٣].

وقد كان سيبويه كثيرًا ما يعالج الوحدات التركيبية التي لم يعالجها الخليل بمبدأي التكافؤ والتعويض، من ذلك: استبدال الاسم المحمول على المصدر المستعمل في موضع الحال بالاسم الموضوع موضع المصدر الموضوع موضع الحال، على نية إلقاء الألف واللام وطرحهما، يقول: "هذا باب ما يجعل من الأسماء مصدرًا كالمصدر الذي فيه الألف واللام نحو (العِراك)، وهو قولك: مررت بهم الجمَّاءَ الغفيرَ، والناس فيها الجمَّاءَ الغفيرَ. فهذا ينتصب كانتصاب العراك. وزعم الخليل رحمه الله أنهم أدخلوا الألف واللام في هذا الحرف وتكلموا به على نية ما لا تدخله الألف واللام، وهذا جعل كقولك: مررت بهم قاطبةً، ومررت بهم طُرًّا، أي جميعًا؛ إلا أن هذا نكرة لا يدخله الألف واللام، كما أنه ليس كل المصادر بمنزلة العراك، كأنه قال: مررت بهم جميعًا. فهذا تمثيل وإن لم يتكلم به"[٤].

---

(١) سيبويه، **الكتاب**، ٣/٢٦١.

(٢) محمود نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللغوي**، ٢٢١.

(٣) سيبويه، **الكتاب**، ١/٣١٧.

(٤) سيبويه، **الكتاب**، ١/٢٧٥-٢٧٦.

فمذهب الخليل وسيبويه أن (الجماء الغفير) اسم موضوع موضع المصدر الموضوع موضع الحال؛ لأن الحال إذا كانت اسمًا غير مصدر لم يكن بالألف واللام، فأحوج ذلك أن يُجعل (الجمَّاء الغفير) في موضع المصدر كالعراك في نحو: (أرسلها العراكَ)[١]. فالأصل في قولك: مررت بهم الجماء الغفير: مررت بهم جميعًا، فـ(جميعًا) حال ثم وضع موضعه (العراك) تمثيلًا فحسب، فـ(العراك) مصدر في موضع الحال على تأويل معتركة وليس ثَمَّ عامل مقدَّر[٢]. ثم وضع موضعه (الجمَّاء الغفير)، وليس فيه تكلف إضمار، فكأنك قلت: مررت بهم الجمومَ الغفيرَ أي جمومًا غفيرًا، فالجماء اسم؛ لعدم تصرُّف الفعل منه، وهو بمنزلة (قاطبة) و(طُرًّا) المنكَّرتين المحمولتين على المصدرية الدالتين على معنى الجميع.

والغرض من هذا التجريد التمثيلي بيان الوظيفة النحوية: وهي أداء المستبدَل والمستبدَل به الوظيفة نفسها وهي الحالية، مع أن (الجماء الغفير) معرَّف بأل وهو اسم غير مصدر.

٣-١-٢- المقابلة بين عناصر جملتين ذواتي بناء تركيبي مجانس:

---

(١) السيرافي، **شرح كتاب سيبويه**، تحقيق: أحمد مهدلي وعلي سيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨. ٢/٢٦٢.

(٢) بخلاف من جعل المقدَّر هو الحال على خلاف في التأويل: تأويل فعل (تعترك)، تأويل اسم مشتق (معتركةً العراك). انظر: أبا حيان، **التذييل والتكميل**، ٢٠٠٠، ٣/٧١٠-٧١١.

ويراد بها أن يقابل النحوي الجملة المراد تحليلها بجملة أخرى جاءت فيها مكونات لغوية غير التي في الجملة التي يريد تحليلها، لكن البنية التركيبية المجرَّدة للجملتين مجانسة، وكذلك الوظائف النحوية بينهما متقاربة أو مماثلة[١].

والفرق بينها وبين الاستبدال أنها تكون بالإتيان بجملة جديدة مختلفة عن الجملة المراد تحليلها، بخلاف الاستبدال يكون بإزالة عنصر أو مجموع عناصر لغوية ووضع موضعه عنصرًا آخر، مع بقاء بقية عناصر الجملة كما هي[٢].

من أمثلة المقابلة: مقابلات جملتي (أعبدُ الله ضرب أخوه غلامَه) و(أعبدَ الله ضرب أخاه غلامُه). يقول سيبويه: "تقول: أعبدُ الله ضرب أخوه غلامَه إذا جعلت الغلامَ في موضع زيد حين قلت: أعبدُ الله ضرب أخوه زيدًا، فيصير هذا تفسيرًا لشيء رَفَع عبدَ الله لأنّه يكون مُوقِعًا الفعلَ بما يكون من سببه كما يوقِعُه بما ليس من سببه، كأنَّه قال في التمثيل وإن كان لا يُتكلَّمُ به: أعبدُ الله أَهانَ غلامَه أو عاقبَ غلامَه، أو صار في هذه الحال عند السائل وإن لم يكن ثُم فسَّر. وإن جعلت الغلام في موضع زيد حين رفعت زيدًا نصبت فقلت: أعبدَ الله ضرب أخاه غلامُه، كأنه جعله تفسيرًا لفعل غلامه أوقعه عليه؛ لأنه قد يوقع الفعل عليه ما هو من سببه كما يوقعه هو على ما هو من سببه، وذلك قولك: أعبدُ الله ضرب أباه، وأعبدَ الله ضربه أبوه، فجرى مجرى أعبدُ الله هو

(١) علي المعيوف، **نظرية الموضع في كتاب سيبويه**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ٢٠١٠، ص ٣٨١.

(٢) علي المعيوف، **نظرية الموضع في كتاب سيبويه**، ٣٨٣.

ضرب زيدًا، وأعبدَ الله ضربه زيدٌ، كأنه في التمثيل تفسير لقوله: أعبد الله أهان أباه غلامُه، وأعبد الله ضرب أخاه غلامُه"[١].

جملة هذا الكلام أنه إن كان للاسم المشغول عنه الذي يلي حرف الاستفهام سببيَّان[٢]؛ جاز حمل هذا الاسم المشغول عنه على أحدهما إما المرفوع أو المنصوب، نحو: أزيدٌ ضرب أخوه غلامَه، وأزيدًا ضرب أخاه غلامُه.

فإن حُمل على المرفوع منهما فكأنه رُفع على صورة ما يكون سببيُّه واحدًا فاعلًا والفعل فيه واقع من سببيِّه بالمسبَّب نحو: أعبدُ الله ضرب أخوه زيدًا، والرفع فيه على أحد وجهين: إما أن يكون بالابتداء، وإما أن يكون بإضمار فعل يرفع، كأنك قلت: ألابَسَ عبدُ الله زيدًا ضرب أخوه زيدًا.

وإذا كان الفعل واقعًا من سببيِّه (وهو المرفوع) صار كأنه واقع منه لا من سببيِّه، فيصير (عبد الله) كأنه الفاعل، وكأن الفعل فيه ليس واقعًا من سببيِّه، فيضمر فعل يرفعه، كأنه قيل: أعبدُ الله ضرب غلامَه. وإذا صار كأنه واقع منه، جرى مجرى ما ليس فيه أحد سببيِّه: أعبدُالله ضرب زيدًا[٣].

---

(١) سيبويه، **الكتاب**، ١/١٠٣.

(٢) المراد بسببي الاسم المتقدم: كل شيء له صلة وعلاقة به، من قرابة أو صداقة أو نحوهما.

(٣) السيرافي، شرح الكتاب، ١/٤١٤-٤١٦.

وأما إن حمل على المنصوب منهما صار كأنه نُصب على صورة ما يكون سببيُّه واحدًا منصوبًا والفعل فيه واقع على أحد سببيِّه وهو المنصوب نحو: أعبدَ الله ضرب أخاه زيدٌ.

وإذا كان الفعل واقعًا على سببيِّه المنصوب صار كأنه واقع عليه لا على سببيِّه، فيصير (عبدَالله) كأنه المفعول به، وكأن الفعل فيه ليس واقعًا على سببيِّه، كأنه قيل: أعبدَالله ضربه غلامُه. وإذا صار كأنه واقع عليه، جرى مجرى ما ليس فيه أحد سببيِّه: أعبدَالله ضربه زيدٌ.

وقول سيبويه: (كأنه قال في التمثيل وإن كان لا يتكلم به: أعبدُ الله أهان غلامَه، أو عاقب غلامَه). يريد: وإن كان لا يتكلم به في هذا المعنى المذكور، وهو قولك: (أعبدُ الله ضرب أخوه غلامَه)، وإنما جعله تقدير الرفع (عبد الله) في هذا الكلام تجريديًّا تمثيليًّا، ولا يؤدي عن معناه بعينه(١).

والغرض من هذا التقدير التجريدي: الاستدلال على صحة الوجه النحوي وصحة تحليله.

وبيان المثال الأول على هذا النحو:

الجملة المقابَلة	**الجملة المقابِلة والفعل فيها واقع من سببيِّه**	**الجملة المقابِلة والفعل فيها غير واقع من سببيِّه**

(١) السيرافي، شرح الكتاب، ١/٤١٦.

أعبدُ الله ضرب أخوه غلامَه	أعبدُ الله ضرب أخوه زيدًا	أعبدُ الله أهان غلامَه أو ضرب غلامَه. يجرى مجرى: أعبدُالله ضرب زيدًا.

وبيان المثال الثاني على هذا النحو:

الجملة المقابَلة	**الجملة المقابِلة والفعل فيها واقع على سببيِّه**	**الجملة المقابِلة والفعل فيها غير واقع على سببيِّه**
أعبدَ الله ضرب أخاه غلامُه	أعبدَالله ضرب أخاه زيدٌ	أعبدَ الله ضربه أبوه أو ضربه غلامُه. يجرى مجرى: أعبدَ الله ضربه زيدٌ.

٣-١-٣- التصرُّف في الترتيب:

ويراد بذلك إعادة ترتيب عناصر الجملة ترتيبًا يطابق ترتيب المواضع في البنية التركيبية المجردة للجملة ليبين استقرار المواضع في بنيتها ولتسهيل فهم المعنى المراد.

من ذلك التصرف في الترتيب مع المقابلة، التصرف في نحو: "﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧]، فـ(أنَّ) مبدلة من (إحدى الطائفتين)، موضوعة في مكانها، كأنك قلت: وإذ يعدكم الله أنَّ إحدى الطائفتين لكم"[١].

وبيان ذلك:

الطريقة	المنهج التوزيعي (القياس التناظري ونظرية الموضع)			
الجملة المقابَلة من غير تصرف	يَعدُ، الله	كم (مفعول أول)	إحدى الطائفتين (مفعول ثان)	أنها لكم (بدل اشتمال)
الجملة المقابَلة بتصرف	يَعِدُ، الله	كم (مفعول أول)	أن إحدى الطائفتين لكم (في موضع المفعول الثاني)	

٣-١-٤- المجيء بمعادِل في الوظيفة النحوية وأنه يستعمل في موضع معادلَه:

من ذلك إجراء نعت السببي المنكَّر[٢] المضافِ، سواء أواقعًا (حالًا) أم غير واقع (مستقبلًا) وسواء أعلاجًا كان أم غيرَه مجرى نعت السببي المنكَّر، يقول سيبويه بعد أن ذكر مسألة جريان النعت السببي المنوَّن على الأول أي على المنعوت: "فإن قلت:

(١) سيبويه، **الكتاب**، ١٣٢/٣.

(٢) المراد بالعلاج ما يفتقر في إيجاده إلى استعمال جارحة ونحوها أو ما كان من المرفوع به فعل في ما أضيف إليه، وغير العلاج ما لم يفتقر إلى ذلك أو ما لم يكن له فعل يفعله. انظر: أبا حيان، **التذييل والتكميل**، ٢٠١٤، ٣٢٢/١٢.

مررت برجلٍ مخالطِه داءٌ، وأردت معنى التنوين جرى على الأول، كأنك قلت: مررت برجل مخالطٍ إيَّاه داءٌ. فهذا تمثيل، وإن كان يقبُح في الكلام"[١].

فيُجري سيبويه النعت على الأول فيما التبس بالموصوف (مررت برجلٍ مخالطِه داء) مجرى ما التبس بشيء من سببه بالتقدير التجريدي (مررت برجل مخالطٍ إياه داءٌ) كأنه قيل: مررت برجل مخالطٍ أباه داءٌ، فكما يجرى المنون فيما إذا كان فعل سببه مجرى إذا كان فعل الأول، كذلك يجرى فيما إذا كان غير منون كأنه قيل: مررت برجل مخالطٍ؛ جريًا على وتيرة واحدة[٢].

والمقصد الأكبر من هذه المعادلة ردُّ ما اختلف فيه بالتقدير التجريدي إلى المُجمع عليه أصلًا، فأجري المنوَّن وغيره على وتيرة واحدة كما أجروهما إذا كان الوصف للأول نحو: مررت برجلٍ قائمٍ وبرجل ضاربٍ غلامُه، وهذا باتفاق، فكذلك يكون المنون وغيره فيما التبس بالموصوف أو بشيء من سببه يجري مَجرى واحدًا.

٣-١-٥- التصرُّف في الكلام بزيادة شيء على عناصره الواردة فيه:

(١) سيبويه، **الكتاب**، ١٩/٢.

(٢) وفي المسألة خلاف، فالفراء وافق سيبويه إلا فيما كان علاجًا واقعًا فيلزم نصبه، وعيسى بن عمر يلزم الرفع في العلاج مطلقًا واقعًا كان أم لم يقع، وفي غير العلاج إن وقع التزم نصبه وإن لم يقع أتبعه، ويونس بن حبيب لا يُجري، بل ينصب ما كان واقعًا علاجًا وغيره، ويرفع ما كان غير واقع علاجًا وغيره. والخلاف إنما هو في الجريان، ولا يمنع سيبويه الرفع والنصب، وإنما يمنع التزام أحدهما والتفصيل الذي ذهبوا إليه (أبو حيان، ٢٠١٤).

من ذلك قول سيبويه: "وتقول: صيد عليه يومَ الجمعة غدوةُ يا فتى، وإن شئت جعلته ظرفًا؛ لأنك كأنك قلت: السَّير في يوم الجمعة في هذه الساعة. وإن شئت قلت: سير عليه يومُ الجمعة غدوةَ، كما تقول: سير عليه يوم الجمعة صباحًا، أي سير عليه يوم الجمعة في هذه الساعة"(١).

أدخل سيبويه حرف الجر (في) ليستدل به على أن المفعول الذي لم يسم فاعله (غدوة) في المثال الأول و(يوم الجمعة) في المثال الآخر، وقع في موضع المفعول فيه، ووجه استدلاله هنا أن الاسم الذي يقع في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله هو ما يقع في موضع الظرفية، وقد كان للحكم الإعرابي لموضع الظرفية بزيادة (في) أثره الظاهر في الدلالة على ذلك؛ إذ إن نصب (يوم، وغدوة) زاد في قوة الاستدلال على الموضع الذي شغل هذا الاسم وظيفته في المثالين المختلفين، مع جواز نصبهما معًا في مثال واحد.

من ذلك توجيه سيبويه ذهاب النون في نحو (لا مسلمي لك): "وإنما ذهبت النون في لا مسلمي لك على هذا المثال، جعلوه بمنزلة ما لو حذفت بعده اللام كان مضافًا إلى اسم وكان في معناه إذا ثبتت بعده اللام، وذلك قولك: لا أباك؛ فكأنهم لو لم يجيئوا باللام قالوا لا مسلميك فعلى هذا الوجه حذفوا النون في لا مسلمي لك، وذا تمثيل وإن لم يتكلم بلا مسلميك"(٢).

---

(١) سيبويه، **الكتاب**، ١/٢٢٣.

(٢) سيبويه، **الكتاب**، ٢/٢٧٨.

وجَّه سيبويه هذه التراكيب الجائزة على قلة؛ لكن لا إلى حدِّ الشذوذ في المثنى وجمع المذكر السالم وفي (الأب والأخ) من بين الأسماء الستة إذا وليها لام الجر، أنها تعطى حكم الإضافة، فيصير الاسم الذي قبل اللام في تقدير المضاف إلى ما بعدها، فاسم (لا) في العبارة المذكورة ونحوها مضاف إلى المجرور باللام، فهو معرب منصوب، أما اللام الواقعة بين المتضايفين فهي زائدة بين المتضايفين لأمرين: الأول لتأكيد الإضافة، إذ الإضافة تتضمن معنى اللام وإن قدرت محذوفة، فاللام الظاهرة تأكيد لتلك المقدرة التي تضمنتها الإضافة بمعناها. والآخر: للفصل بين المتضايفين لفظًا، فيكون الفصل بين المضاف والمضاف إليه كلا فصل، فلا يستنكر لفظه، وهم قد قصدوا نصب هذا المضاف المعرَّف بـ(لا) من غير تكرير (لا) تخفيفًا، وحق المعارف المنفية بـ(لا) الرفع مع تكرير (لا). والدليل على قصدهم هذا الغرض أنهم لا يعاملون المنفي المضاف إلى النكرة هذه المعاملة، فلا يقولون مثلًا: لا أبا لرجل حاله كذا، ولا غلامي لشخص نعته كذا[1].

ومثَّل لتقوية ذلك الحكم ببناء تركيبي مجرَّد (لا مُسلمِيك) بحذف أحد عناصر التركيب، مع الإتيان بمعادِل له (لا أباك). وإنما فعل ذلك ليُظهر دليلًا على أن الاسم بعد (لا) في الأصل نكرة، وإن كان في اللفظ يصير معرفة إن لم يفصل بين المتضايفين باللام التي دخولها كخروجها، و(لا) لا تعمل في المعارف، فلما كانت الإضافة

(١) الرضي الأستراباذي، **شرح الكافية**، ٢/١٧٩-١٨٠.

تتضمن اللام، أظهرها دليلًا على أن الاسم نكرة، وساغ أيضًا ذلك من أجل حذف التنوين والنون لأجل البناء، فيصير دخول اللام عوضًا من بناء الاسم(١).

وبمِثْل ذلك التوجيهِ التجريديِّ التمثيليِّ وجه ابن يعيش ما يعادله من العبارات نحو (لا أباك ولا أخاك)، فقال: "يكون لفظ الاسم بعد (لا) كلفظ الاسم المضاف، و(لا) عاملة فيه غير مبنية معه، كأنك أضفت الاسم المنفي إلى المجرور، فقلت: لا أباك، ولا أخاك، وهذا تمثيل ولا يتكلم به"(٢).

٣-٢- طرق النوع الثاني من التقدير التجريدي:

٣-٢-١- طريقة تصور إمضاء الكلام في موضع كأنه قد تكلم به.

ويقصد بها تصور إمضاء الكلام بما يكثر استعماله في ذلك الموضع لكثرة مصاحبته له، فيُجرى على توهم معناه وحضور الدلالة عليه؛ "لأن كثرة المصاحبة يطلب فيها الكلامُ ما كثرت مصاحبتُه له"(٣).

من ذلك تصور فعل مضمر من أفعال الكَون مع الاستفهام في نحو: (ما أنت وزيدًا، كيف أنت وقصعةً من ثريدٍ).

---

(١) ابن الوراق، **علل النحو**، تحقيق: محمود الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٩، ص٤٠٩.

(٢) ابن يعيش، **شرح المفصل**، تحقيق: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١، ١٠١/٢.

(٣) الرماني، **شرح كتاب سيبويه**، تحقيق: شريف النجار، دار السلام، القاهرة، ٢٠٢١، ٥٣٩/٢.

وهما مثالان لمسألة من مسائل المفعول معه وهي أن تتقدم الواو جملةٌ متضمنة معنى الفعل، وبعد الواو اسم لا يتعذر عليه العطف، فيترجح فيها العطف على وجه النصب؛ لأنه لم يتقدم الواو فعل ولا اسم فيه معنى الفعل وحروفه[١].

وأما وجه النصب فهو محكيٌّ عن بعض العرب كما قال سيبويه: "وزعموا أن ناسًا يقولون: كيف أنت وزيدًا، وما أنت وزيدًا. وهو قليل في كلام العرب، ولم يحملوا الكلام على (ما) ولا (كيف)، ولكنهم حملوه على الفعل، على شيء لو ظهر حتى يلفظوا به لم ينقض ما أرادوا من المعنى حين حملوا الكلام على (ما) و(كيف)، كأنه قال: كيف تكون وقصعةً من ثريد، وما كنت وزيدًا؛ لأن كنت وتكون يقعان ها هنا كثيرًا ولا ينقضان ما تريد من معنى الحديث. فمضى صدر الكلام وكأنه قد تكلم بها وإن كان لم يلفظ بها، لوقوعها ههنا كثيرًا"[٢].

والذي يظهر من نصِّ سيبويه (كأنه قد تكلم بها، كأنه قال) أن المقدَّر هنا تجريدي؛ فلذلك عبَّر ابن الضائع عن توجيه النصب عنده بقوله: "لكن زعم س [أي سيبويه] أنه جارٍ على توهم كان أو تكون"[٣]، فعبَّر (بالتوهم) لئلا يُظنَّ أن الكون هنا محذوف، وقد حكى تلميذه أبو حيان عنه قوله: "ظاهر كلام س عندي أنه ليس (كان) في هذه

---

(١) أبا حيان، **ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب**، تحقيق: رجب عثمان ورمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨، ١٤٨٨/٣.

(٢) سيبويه، **الكتاب**، ٣٠٣/١.

(٣) أبو حيان، **التذييل والتكميل**، ٢٠٠٩، ١٢٦/٨.

المواضع محذوفة، ويكون قومي مبتدأ[١]، فكما أن توهم الباء في: (لست مدرك ما مضى)[٢] لا يصير (مدرك) مخفوضًا بها، فكذلك توهم (كان) هنا لا يصير (قومي) مرفوعا بها، وكذلك ما أنت وزيدًا، وما مثله من الأبيات"[٣].

ومن ثَمَّ احتاج أبو حيان إلى التنبيه على أن ظاهر كلام سيبويه هو أن ارتفاع أنت في: كيف أنت، وما أنت بـ(كان) المضمرة، وذكر أنه لا يُتخيَّل أن معنى ما أنت وزيدًا – وهو ما كنت وزيدًا – هو الذي يعمل؛ لأن المعاني لا تعمل في المفعولات الصِّحاح[٤]. وإنما دعاه إلى قول ذلك هو دفع ما فهمه ابن الضائع من كلام سيبويه.

والذي يظهر أن ابن الضائع فهمه على وجهه، ولذلك نظائر في كلام سيبويه من الاستدلال بالموضع بطريقة الاستبدال، فيكون المضمر تصوريًّا تجريديًّا، حيث أجري الكلام على تصور فعل من أفعال الكون مع مصاحبِه الذي يصاحبه بكثرة؛ لأن الكون مع الاستفهام مفهوم، وهو مما يستعمل في ذلك الموضع، فجرى نحو (ما أنت)

---

(١) يريد (قومي) المذكور في البيت الذي أورده سيبويه في الكتاب، ص ٣٠٥/١:

أَزْمانَ قومي والجماعةَ كالذي   منَع الرِّحَالة أن تَميلَ مَمِيلا

(٢) وهذا توضيح لما استشهد به سيبويه تقوية للتوجيه الذي ذهب إليه في النصب، فقد قال: "وهذا مشبَّه بقول صِرْمة الأنصاري:

بدَا ليَ أني لست مدركَ ما مضى   ولا سابقٍ شيئًا إذا كان جائيَا

فجعلوا الكلام على شيء يقع هنا كثيرًا". (الكتاب، ص ٣٠٦/١).

(٣) أبو حيان، **التذييل والتكميل**، ٢٠٠٩، ١٢٩/٨.

(٤) أبو حيان، **التذييل والتكميل**، ٢٠٠٩، ١٢٦/٨.

مجرى (ما كنت) و(كيف أنت) مجرى (كيف تكون) من غير أن ينقض معنى الكلام[١].

ومفاد ذلك أن (أنت) غير مرتفع (بكان) المضمرة بخلاف قول المتأخرين، و(كان) ناقصة على الأصح عندهم، واسمها ضمير المخاطب الذي كان مستترًا، فلما حذف برز وانفصل، وأداة الاستفهام قبلها خبر مقدَّم[٢].

وأما سيبويه فيفهم من كلامه أن (ما أنت) وضع موضع (ما كنت) و(كيف أنت) يقع موضع (كيف تكون)، لا أن (أنت) ناشئ من حذف الضمير المستتر.

٣-٢-٢- طريقة تفسير المعنى للوصول إلى تقرير الإعراب تجريديًّا.

ويقصد بذلك ما روعي فيه المعنى لتوجيه ما خالف من التراكيب ظاهر الصناعة الإعرابية أو ما غمُض منها، أو التُمس تفسير التركيب بتركيب آخر يوازيه في المعنى للوصول إلى تقدير الإعراب تجريديًّا.

والفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى أن تفسير الإعراب لا بدَّ فيه من ملاحظة الصناعة النحوية، وأما تفسير المعنى فلا تضره مخالفة ذلك[٣].

---

(١) سيبويه، **الكتاب**، ٣٠٤/١.

(٢) أبا حيان، **التذييل والتكميل**، ٢٠٠٩، ١٢٦/٨. وخالد الأزهري، **التصريح بمضمون التوضيح**، تحقيق: عبدالفتاح بحيري، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٧، ٥٢٧/٢.

(٣) ابن جني، **الخصائص**، ٢٨٢/١، ٢٨٢/٣. السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ٣٢٠/٢.

وكثيرًا ما يمثل سيبويه تجريديًّا ويُعَبِّر عنه بعض المتأخرين بتفسير المعنى، وقد يُتوهم أنه يقصد بذلك التقديرِ التجريدي التقديرَ المعهود من الإضمار والحذف، ولم يعلموا أن سيبويه وأمثاله من المتقدمين كالمبرّد يريدون بذلك التجريد التمثيلي لا تقدير الإعراب، وليس لزامًا أن يطابق الإعرابُ المعنى دائمًا، إذ لا يمكن مطابقتها في كل حال، وقد يخالفه لأسباب صناعية[1].

وقد نبَّه على هذا الملحظ ابن جني مع تنبهه إلى الوجه الذي يكثر فيه هذا الصنيع وهو وجه النصب، حيث قال: "وسيبويه كثيرًا ما يمثِّل في كتابه على المعنى، فيتخيَّل من لا خبرة له أنه قد جاء بتقدير الإعراب فيحمله في الإعراب عليه وهو لا يدري، فيكون مخطئًا وعنده أنه مصيب، فإذا نُوزع في ذلك قال: هكذا قال سيبويه وغيره. وإذا تفطَّنت لهذا في (الكتاب) وجدته كثيرًا، وأكثر ما يستعمله في المنصوبات في صدر الكتاب؛ لأنه موضع مُشكِلٌ وقلَّما يُهتدَى له"[2].

ومن أمثلة ما روعي فيه المعنى لتوجيه ما خالف من التراكيب ظاهر الصناعة الإعرابية أو ما غمض منها قول سيبويه: "فكأنك قلت: ما شأنُك وملابسةٌ زيدًا، أو وملابستُك زيدًا"[3].

---

(١) فخر الدين قباوة، **إعراب الجمل وأشباه الجمل**، دار القلم العربي، حلب، ١٩٨٩، ص ٥٢.

(٢) ابن جني، **المنصف**، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٤، ١/١٣١.

(٣) سيبويه، **الكتاب**، ١/٣٠٩.

فهذا تقدير معنوي، يعني أن سيبويه لا يريد بتقدير (ملابستك) أن الاسم الذي بعد الواو منصوب بهذا المصدر المقدَّر؛ لأن المصدر العامل مع معموله كالموصول وصلته، ولا يجوز حذف الموصول مع بعض صلته وإبقاء بعضها الآخر، وإنما قدَّره سيبويه بهذا لتبيين المعنى فقط، لا لأن اللفظ مقدَّر بما ذكر[1].

ووافق أبو علي الشَّلَوبِين ظاهر قول سيبويه في تقدير المصدر أولًا، ثم خالف وقال: هو تفسير معنى لا تقدير إعراب، وتقدير الإعراب فيه: ما لك تلتبس وزيدًا. وهذا التقديرُ وتقديرُ المصدر يخرجه عن أن يكون مفعولًا معه، ويعيِّنه أن يكون مفعولًا به[2]. ولأن هذا التقدير تقدير تجريدي اعتذر الشَّلَوبِين عن إعمال المصدر مضمرًا بأنه هنا في قوة الملفوظ به لوضوح الدلالة عليه[3]. فاعتباره بأنه في قوة الملفوظ لا أنه مقدر تقديرًا إعرابيًّا دليل على أن صنيع سيبويه تمثيل تجريدي، ولذا قال الشَّلوبِين كما نقل عنه أبو حيان نقلًا عن تلميذه ابن الضائع: "ويدل على أنه عند س كذا، ذِكرُ هذه المسألة في باب المفعول معه، ولو كان النصب على أنه مفعول به لم يذكرها معه"[4]، أي لو كان تقدير المصدر تقديرًا إعرابيًّا، لكان المنصوب مفعولًا به ولم يورده في هذا الباب.

---

(١) الرضي الأسترابادي، **شرح الكافية**، ١/٥٢٣.

(٢) أبا حيان، **ارتشاف الضرب**، ٣/١٤٨٨.

(٣) أبا حيان، **التذييل والتكميل**، ٨/١٢١.

(٤) أبو حيان، **التذييل والتكميل**، ٨/ ١٢١.

ولذلك ذهب السِّيرافي وابن خَروف إلى تقديرٍ إعرابيٍ أوضحَ، فجعلاه منصوبًا بـ(لابَس) محذوفة بعد الواو، كأنك قلت: ولابست زيدًا، والواو دالة على معنى (لابَس)، وإنما ارتكبا هذا تفاديًا مما لزم سيبويه من نصب الاسم بمصدر مقدَّر، ويلزمهما نيابة الواو عن الفعل ونصب الاسم بها، إذ لا يصح الجمع بين الواو وذلك الفعل المقدَّر[1].

وأما ما التُمس فيه تفسير التركيب بتركيب آخر يوازيه في المعنى للوصول إلى تقدير الإعراب تجريديًّا، فنحو: سبحان الله، ولبيك وسعديك، يقول سيبويه مبيِّنا تفسير المعنى فيهما: "فكأنه إذا قال الرجل للرجل: يا فلانُ، فقال: لبيك وسعديك، فقد قال له: قربًا منك ومتابعةً لك. فهذا تمثيل وإن كان لا يستعمل في الكلام، كما كان (براءةَ الله) تمثيلًا لسبحانَ الله ولـم يستعمل"[2].

قابل سيبويه انتصاب (سبحان الله) بانتصاب (براءةَ الله)، والمسوغ لذلك أن (سبحان) لا فعل له من لفظه مستعمل، فأتى بهذا المصدر المنتصب المعادل ليبين أنه بمعناه، وأن فعله مأخوذ من فعل مصدره المعادل (برئ)؛ التماسًا له فعلًا من غير لفظه أي من معناه، وتوصل بذلك إلى بيان وجه انتصابه مفعولًا مطلقًا.

فوظف سيبويه تفسير المعنى للعبارة الموازية للعبارة المراد تفسيرها للوصول إلى تقرير حكم نحوي، لجامع المشاركة بينهما في الجانب الدلالي والوجه الإعرابي

---

(١) الرضي الأستراباذي، **شرح الكافية**، ١/٥٢٣.

(٢) سيبويه، **الكتاب**، ١/٣٥٣.

وهو النصب على المصدرية، وفي ذلك إعمال لقياس النظير. وهو بهذه المقابلة التجريدية كأنه يقدِّر فعلًا تجريديًّا (لسبحان) وإن كان فعله في الأصل مهملًا على منوال فعل معادله.

وهذه من عوائد سيبويه أنه يلتمس الأفعال للمصادر المنتصبة التي لا أفعال لها من لفظها بوسيلة تفسير المعنى للوصول إلى تقرير الإعراب، نحو: لبيك وسعديك، فسَّرها بمعنى قربًا منك ومتابعةً لك. وقد عني ببيان معناهما وأطنب في ذلك إلى أن ذكر مقصده من هذا التفسير[1].

٣-٢-٣- طريقة تصوُّر الكلام جوابًا عن سؤال

ويراد بذلك تصور النحوي من المخاطَب افتراض سؤال أثناء تفسيره لبعض التراكيب، حيث يجعلها واقعةً في جواب ذلك السؤال المتصور.

وفائدة هذه الطريقة أن السؤال استفهام بياني يوضِح المستفهَم عنه أو التركيب اللغوي المراد تفسيرُه وحلُّ إعرابه، فيكون هذا المستفهَم عنه أولى بعناية المتكلم من غيره من عناصر التركيب، فيكون التركيب المتصوَّر واقعًا في سياق معين، يُنجَز في إطار السائل والمجيب أو المتكلم والمخاطب المتصوَّرين، والأحكام الإعرابية لفظية مقيَّدة بذلك السياق في إفادتها المعنى المراد[2].

---

(١) سيبويه، **الكتاب**، ١/٣٥٣-٣٥٤.

(٢) عبدالرحمن بودرع، **النص الذي نحيا به**، عَمَّان، دار كنوز المعرفة، ٢٠١٩، ٢٦٦-٢٦٧.

ومن أغراض تقدير السؤال افتراضًا وتصوُّرًا تفسير التراكيب وضبط الأبواب وطردها والتعليل وتفسير الإعراب وتقدير المحذوف، ولا يختص بالمواضع التي فيها خروج عن الأصل أو المخالفة للقاعدة[١].

وينطلق النحويون في تصورهم للأسئلة وافتراضها من نظرٍ مفاده أن الكلام في حقيقته كالأجوبة عن سؤالات المخاطب، وهذا المنطلق هو ما بيَّنه المبرّد بقوله: "إنما وُضعت الأخبار جواباتٍ للاستفهام"[٢]، وأكَّد على هذا المنطلق السيرافي حين بيَّن تصور سيبويه للسؤال في باب (لا) النافية للجنس: "(لا رجل في الدار) جواب (هل من رجل في الدار) وذلك أنه إخبار، وكل إخبار يصح أن يكون جواب مسألة"[٣].

وقد علَّل سيبويه لهذا النظر حين تصوَّر الكلام جوابًا عن سؤال في نحو: مررت برجلين مسلم وكافر، فقال: "جمعت الاسم وفرقت النعت. وإن شئت كان المسلم والكافر بدلًا، كأنه أجاب من قال: بأي ضرب مررت؟ وإن شاء رفع كأنه أجاب من

(١) عبدالله الصليمي، **ظاهرة السؤال المقدر في كتاب سيبويه**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٤-١٤٣٥، ص ٢٣-٢٤.

(٢) المبرد، **المقتضب**، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي بوزارة الأوقاف، القاهرة، ١٩٩٤، ٣٥٧/٤.

(٣) السيرافي، **شرح الكتاب**، ١٤/٣.

قال: فما هما؟"[١]، ثم قال بعد ذلك: "فالكلام على هذا وإن لم يلفظ به المخاطَب؛ لأنه إنما يجرى كلامه على قدر مسألتك عنده لو سألتَه"[٢].

ومراد كلامه أن المتكلم يضع نفسه موضع المخاطَب من حيث توارد الأسئلة في الذهن حين يُتكلَّم بكلام ما، فيُخرج الكلامَ كأنه أجوبة عن تلك السؤالات المتوقعة من المخاطب. وهذا يدل على أن المتكلم هو من يشغل المواضع في تأليف الكلام، رعايةً لدوران الأسئلة في ذهن مخاطَبه، بغية إيصال ما يريده إليه.

ونجد سيبويه في موضع آخر يستثمر هذا السياق الحواري في توجيهه مثالًا يوضِح فيه عناصر أسلوب المدح يقول: "وأما قولهم: نِعم الرجل عبدُ الله، فهو بمنزلة: ذهب أخوه عبدُ الله، عمل نِعم في الرجل ولم يعمل في عبد الله. وإذا قال: عبدُ الله نِعم الرجلُ، فهو بمنزلة: عبدُ الله ذهب أخوه؛ كأنه قال: نِعم الرجل، فقيل له: من هو؟ فقال: عبد الله. وإذا قال عبد الله فكأنه قيل له: ما شأنه؟ فقال: نِعم الرجل"[٣].

قد يقال: إن سيبويه قد صرَّح بإجازة الإضمار بهذا النص، وفي إجازته لما أجاز حجة.

فالجواب أن سيبويه لم يذهب إلى إضمارٍ، أي لم يذهب إلى أن يكون المخصوص خبر مبتدأ محذوف لازم الحذف، فكأنه قال: هو عبدُالله، أو الممدوح

---

(١) سيبويه، **الكتاب**، ٤٣١/١.

(٢) سيبويه، **الكتاب**، ٤٣١/١.

(٣) سيبويه، **الكتاب**، ١٧٦/٢-١٧٧.

عبدُالله، ومن تأمل كلامه تبين ذلك، فإنه قال: "وأما قولهم: نِعم الرجل عبدُالله، فهو بمنزلة: ذهب أخوه عبدُالله، عمل نِعم في الرجل ولم يعمل في عبدالله"[١]. فهذا ظاهر في أن المخصوص مبتدأٌ تقدَّم أو تأخر، وذلك حينما نزَّله منزلة: ذهب أخوه عبدُالله مستدلًّا بطريقة المقابلة، ثم قال: "وإذا قال: عبدُالله نِعم الرجلُ، فهو بمنزلة: عبدالله ذهب أخوه؛ أو كأنه قال: نِعم الرجل، فقيل له: من هو؟ فقال: عبدالله. وإذا قال عبدالله فكأنه قيل له: ما شأنه؟ فقال: نِعم الرجل"[٢]. فهذا ظاهر في أن هذا الكلام مبني على التفسير، كأنه يبين احتياج المبتدأ إلى الخبر، والخبر إلى المبتدأ، لا أنه أراد أنَّ الكلام على تقدير محذوف[٣]. وكأنه يشبِّهه بنحو: إنه كرامٌ قومُك، وإنه ذاهبةٌ أَمتُك، فالهاء إضمار الحديث الذي يأتي بعده ولا يجيء إلا مضمرًا؛ لأنه قد لزمه التفسير[٤].

فالذي يظهر أنه يجعل المخصوص مبتدأ وخبره (نعم، وبئس)، ومما يقوي هذا الوجه الظاهر:

الأول- أنه لو كان غير مبتدأ لوجب أن ينتصب إذا دخلت عليه (كان)؛ لأن خبر المبتدأ هذا حكمه معها، فكان يقال: نِعم الرجل كان عبدَالله، وبِئس الرجل كان أبا فلان، فتبين

---

(١) سيبويه، **الكتاب**، ١٧٦/٢.

(٢) سيبويه، **الكتاب**، ١٧٦/٢-١٧٧.

(٣) الشاطبي، المقاصد الشافية، تحقيق: محمد البنا وعبدالمجيد قطامش، معهد البحوث العلمية إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠٠٧هـ، ٥٤٠/٤.

(٤) السيرافي، **شرح الكتاب**، ١٠/٣.

أن المخصوص لم يكن قبله ضمير فيكون هو خبره، بل كان المخصوص مبتدأ مخبرًا عنه بجملة المدح والذم.

والثاني- أن الكلام تام من غير تقدير الحذف، على تقدير أن يكون (عبدالله) مبتدأ خبره ما قبله، فتكلف الحذف تكلف لما لا يحتاج إليه. وأيضًا فدعوى الحذف في موضع لم يظهر فيه ذلك المحذوف، مجرد دعوى من غير دليل.

والثالث- أن (نِعم الرجل) إنما هو في قوة جزء كلام، وليس كلامًا مفيدًا بوجه، فلا بُدَّ من جزء آخر؛ لأن (نِعم الرجل) في معنى: جامع المحامد الرجل، أو جمع محامد الرجل، فهو كلام مفتقر إلى جزء آخر وهو المخصوص ويتم الكلام، فتقدير المحذوف نقض للغرض، وجعل ما هو تام غير تام[1].

ولذلك ذكر أبو حيان أن هذا النص من سيبويه يفيد فساد نسبة وجوب الإضمار في هذا الأسلوب له، كما فعل ذلك ابن مالك، وتعقَّب عليه بأنه لم يتصفَّح كلامه أو قلَّد من نسب ذلك إلى سيبويه[2].

٣-٢-٤- طريقة توصيل الأُثرة إلى غير المذكور وقوعًا على شيء من سببه فكأنه قد وقع به:

---

(١) الشاطبي، **المقاصد الشافية**، ٤/٥٣٦-٥٣٨.

(٢) أبا حيان، **التذييل والتكميل**، ٢٠١١، ١٠/١٣٥.

من ذلك قول سيبويه: "وإذا قلت: زيدٌ لقيت أخاه فهو كذلك، وإن شئت نصبت، لأنه إذا وقع على شيء من سببه فكأنه قد وقع به. والدليل على ذلك أن الرجل يقول أهنت زيدًا بإهانتك أخاه وأكرمته بإكرامك أخاه. وهذا النحو في الكلام كثير، يقول الرجل إنّما أعطيت زيدًا، وإنّما يريد لمكان زيد أعطيت فلانًا. وإذا نصبت زيدًا لقيت أخاه، فكأنه قال: لابست زيدًا لقيت أخاه. وهذا تمثيلٌ ولا يتكلَّم به، فجرى هذا على ما جرى عليه قولك أكرمت زيدًا، وإنّما وصلت الأُثرة إلى غيره"[١].

اختلف النحويون في ناصب الاسم المشغول عنه، فذهب جمهور النحويين البصريين إلى أن ناصبه فعل مضمر وجوبًا موافق للفعل المذكور في اللفظ والدلالة في نحو: خالدًا أكرمته. أي أكرمت خالدًا أكرمته، أو موافق في المعنى في نحو: خالدًا سلَّمت عليه، والتقدير: حيَّيت خالدًا سلَّمت عليه، وخالدًا ضربت أخاه، والتقدير: أهنت خالدًا ضربت أخاه.

وذهب الكسائي إلى أن نصب الاسم المتقدم بالفعل المتأخر، وأن الضمير ملغى. وذهب الفرَّاء إلى أن الاسم والضمير منصوبان بالفعل المذكور، لأنهما في المعنى لشيء واحد[٢].

ويظهر من نص سيبويه أن تقدير فعل الملابسة تمثيل تجريدي، ولا يلزم من تقديره موافقة لفظِ المقدَّر التجريدي ومعناه لفظَ المظهر ومعناه، بمعنى لا يشترط

---

(١) سيبويه، **الكتاب**، ٨٣/١.

(٢) خالد الأزهري، **التصريح بمضمون التوضيح**، ٣٥٠/٢-٣٥٢.

اتفاق لفظ الملابسة ومفهومها مع لفظ اللُّقيِّ ومفهومه، فيكون التقدير: لقيت زيدًا لقيت أخاه.

وإنما تكفي الموافقة المعنوية؛ لأن هذا التقدير تجريدي، وإعمالًا بتوصيل الأُثرة. فإن (لابست) المقدَّر في: زيدًا لقيت أخاه موافق (للقيت) الظاهر؛ إذ الملابسة العامة غير مرادة هنا، وإنّما يراد الملابسة الخاصة، وهي لقاء الأخ، فلابست بحسب القصد إنما معناه: لقيت الأخ، فاتفقا من جهة المعنى المراد، وإنما قدَّر (لابست) تجريديًا ليكون مسلَّطًا على (زيد) فيصح المعنى ويتنزل على نصب اللفظ. ونحو ذلك: زيدًا مررت بأخيه، فالمرور بالأخ ملابسة لزيد من جهة ما، وتلك موافقة في المعنى، وكذلك: زيدًا مررت به إذا قدِّر: جاوزت زيدًا مررت به، فهي موافقة المعنى ظاهرَه، وعلى هذا التقرير يجري سائر الباب[1]، ولذلك قال سيبويه: "وإن شئت قلت: زيدًا مررت به تريد أن تفسِّر به مضمَرًا، كأنك قلت إذا مثَّلت ذلك: جعلتُ زيدًا على طريقي مررت به، ولكنك لا تُظهر هذا الأولَ لما ذكرتُ لك"[2].

والذي يدل على أن هذا التقدير تجريدي هو تساوق ما تدعو إليه صنعة الإعراب والنظام النحوي؛ لأن كلَّ منصوب لا بُدَّ له من ناصب عند النحاة، ولما لم يظهر ناصب للاسم المتقدم، لجأ سيبويه إلى التقدير التجريدي.

---

(١) الشاطبي، **المقاصد الشافية**، تحقيق: عياد الثبيتي، ٢٠٠٧، ٣/ ٧٩-٨٠.

(٢) سيبويه، **الكتاب**، ٨٣/١.

وإن التقدير الذي يذهب إليه النحاة المتأخرون في هذا الباب مفسد للمعنى، مفسد للجملة فإن الجملة تنحلّ بذلك التقدير: (أكرمت خالدا أكرمته) و(سررت خالدًا أحببت رجلًا يحبه) وبنحو ذلك من التقديرات.

فتقدير النحويين متساوق مع الصنعة الإعرابية غير أنه مفسد للمعنى ومفسد للجمل، وما ذهب إليه الكسائي والفراء غير مطَّردٍ مع الصنعة الإعرابية فلا يستقيم في كثير من التعبيرات.

وحقيقة الأمر أنه ليس هناك اشتغال ولا مشغول عنه بهذا المعنى وبهذا التقدير. وأما على مذهب الكسائي والفرَّاء فليس ثَمَّ اشتغال أصلًا.

فالاشتغال أسلوب خاص يؤدي غرضًا ما في اللغة؛ لأنه ليس معنى (خالدًا أكرمت) كمعنى (خالدًا أكرمته)، فمعنى (خالدًا أكرمت) خصصته بالكرم، وأما (خالدًا أكرمته) فتفيد إكرام خالد، لا تخصيصه بالإكرام، وقد قدِّم للعناية. وهو لا يفيد توكيدًا كما يذكره النحويون؛ إذ لو كان توكيدًا لجاز ذكره، بل لوجب ذكره عند بعض النحاة؛ لأن الحذف ينافي غرض التوكيد[1].

والفرق بين المشغول عنه المرفوع والمنصوب: أن المتحدث عنه في نحو قولك (محمدٌ أكرمتُه) هو محمد، وفي (محمدًا أكرمتُه) الإخبار عن المتكلِّم. فالفرق بين (محمدًا أكرمته) و(محمدٌ أكرمته) أنه بالرفع جُعل مدار الحديث على (محمد)،

(١) فاضل السامرائي، **معاني النحو**، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٠، ٢/١٣٠.

وجعل الإخبار عنه وهو مدار الاهتمام. أما بالنصب فقد قدم فيه (محمدًا) للاهتمام، قدمته ليتحدث عنه بدرجة أقل من العمدة، فإنه يفيد الإخبار عن المتكلم، ولكن قد يقتضي السياق أن يخص (محمدًا) بحديث.

فإن المشغول عنه على صورة المبتدأ من حيث إرادة الحديث عنه، ولذا لابد له في الجملة المتأخرة عنه من ضمير يربطها بالاسم المتقدم، كالمبتدأ الذي لابد له من رابط يربط جملة الخبر به ليصح الحديث عنه، ولكن الفرق بينهما أن الحديث في الابتداء مداره على المبتدأ، بخلاف الاشتغال الذي يكون فيه مدار الحديث على شيئين: أمر أساسي وهو المسند إليه، وأمر دونه وهو المنصوب المتقدم.

وبهذا يمكن أن يقال: إن الاشتغال مرحلة دون المبتدأ وفوق المفعول، إذ هو متحدث عنه من جهة؛ لكنه لا يرقي إلى درجة المبتدأ، فيكون معنى الاشتغال على هذا أنه إنّما جيء بالاسم المنصوب المتقدم لإرادة الحديث عنه، ثم شغل عنه بالحديث عن المسند إليه، فهو أسلوب على صورة المبتدأ والخبر[١].

أما الإعراب فإنه يمكن أن يعرَب الاسم المتقدم مشغولًا عنه منصوبًا، ولا اضطرار إلى ذكر الناصب؛ لأنه يمكن أن يقال: إن الفاعل في العربية مرفوع، والمفعول به منصوب، والمشغول عنه منصوب، وهكذا[٢]. ولا حاجة إلى السؤال عن العامل

---

(١) فاضل السامرائي، **معاني النحو**، ٢/١٣٠-١٣١.

(٢) فاضل السامرائي، **معاني النحو**، ٢/١٢٧.

الذي أحدث هذا، وإذا كان لا بدَّ من الجواب، فالتجريد التمثيلي أو التقدير التجريدي -كما يصنع سيبويه- كافٍ في بيان الوجه وتقرير الإعراب.

٣-٢-٥- طريقة الاستبدال والمعادلة

من ذلك قول سيبويه: "باب ما ينتصب لأنه ليس من اسم ما قبله ولا هو هو، وذلك قولك: هو ابنُ عمِّى دِنْيا، وهو جَارِي بيتَ بيتَ... ومثل ذلك هذا درهمٌ وزنًا، ومِثل ذلك هذا عربيٌّ حَسْبَه. حدثنا بذلك أبو الخطاب عمن نثق به من العرب. جعله بمنزلة الدِّنْي والوزن، كأنه قال هو عربيٌّ اكتفاءً. فهذا تمثيل ولا يتكلَّم به... ومثل ذلك: هذا درهمٌ سواءً. كأنه قال هذا درهمٌ استواءً. فهذا تمثيل وإن لم يتكلَّم به"[١].

أورد سيبويه في هذا الباب الأسماء المنتصبة أحوالًا مع فقدانها أحد شروط الحال، وهو أن تكون نفس صاحبها في المعنى[٢].

والغرض من هذا الاستبدال والمجيء بمعادل مبيِّنًا أن هذا تمثيل تجريدي، أي استبدال (حسْبَه) بـ(اكتفاءً) واستبدال (سواءً) بـ(استواءً)، وجعلها بمنزلة (ابنُ عمِّى دِنْيا، وهذا درهمٌ وزنًا)، الغرض من ذلك: أنها لما جاءت تلك الأحوال غير متحدة مع صواحبها في المعنى، احتاجت إلى التقدير التجريدي ليتبين وجه الحالية، فـ(اكتفاءً) يؤول بمعنى كافيًا، واستواءً يؤول بمعنى مستويًا، كما أن (ابنُ عمِّى دِنْيا)

---

(١) سيبويه، **الكتاب**، ١١٨/٢-١١٩.

(٢) خالد الأزهري، **التصريح بمضمون التوضيح**، ٦١٧/٢.

يؤول بمعنى يناسبني دانيًا، و(هو جاري بيتَ بيتَ) يؤول بمعنى هو جاري ملاصقًا، و(هذا درهمٌ وزنًا) بمعنى موزونًا[1].

فتكون الأحوال بذلك التمثيل التجريدي مطابقة لصواحبها في المعنى؛ لأنها أوصاف لها وأخبار عنها، فتكون الأوصاف هي الموصوفات والأخبار هي المخبر عنها.

٣-٢-٦- طريقة الزيادة

من ذلك قول سيبويه: "هذا باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره استغناءً عنه، وسأمثله لك مظهَرًا لتعلَم ما أرادوا... هذا باب ما جرى منه على الأمر والتحذير وذلك قولك إذا كنت تحذر: إيَّاك. كأنك قلت: إيَّاك نحِّ، وإياك باعد، وإياك اتق، وما أشبه ذا. ومن ذلك أن تقول: نفسك يا فلان، أي اتق نفسك، إلا أن هذا لا يجوز فيه إظهار ما أضمرت، ولكن ذكرته لأمثِّل لك ما لا يظهر إضماره"[2].

قد يفهم من ظاهر كلام سيبويه أن الفعل لازم الإضمار أو جائزه، وهو الناصب للتحذير والإغراء. والذي يظهر أن تقديره لهذه الأفعال تجريدٌ تمثيلي دعت إليه الصنعة الإعرابية والنظرة الدلالية، ولا إضمار في الحقيقة لحجج، هي:

---

(١) السيرافي، **شرح الكتاب**، ٢/٤٤٧.

(٢) سيبويه، **الكتاب**، ١/٢٧٣.

– أن سيبويه قد أكَّد في نصِّه هذا بأكثر من مؤكِّد يشير بأن هذا الإضمار منويٌّ متصوَّر مفترض، فقال: (المتروك إظهاره)، ثم قال: (استغناءً عنه)، ثم قال: (وسأمثله لك مظهَرًا لتعلَم ما أرادوا)، ثم قال: (ولكن ذكرته لأمثِّل لك ما لا يظهر إضماره).

وقد قال السيرافي: "هذا الذي ذكره سيبويه من إضمار الفعل صحيح، وبعض النحويين يأباه، ويزعم أنه لا مضمر ينصبه"[١]. فإباءة بعض النحويين كأنها إشارة إلى أن كلام سيبويه قد فهم على غير وجهه فظُنَّ لأجل ذلك أنه يذهب إلى الإضمار صناعةً.

– أنه قال في موضع آخر: "(وإيّاك) بدل من اللفظ بالفعل"[٢]، فلا يجمع بين العوض والمعوض عنه، وقد قال الشاطبي: "وكأن العرب جعلت هنا (إياك) بدل اللفظ بالفعل الناصب، فلا يظهر معه أصلًا"[٣].

– أن سيبويه لم يقدِّر فعلًا بعينه، وهو الذي يلزم تقديره، بل كل ما يؤدي المعنى يصح تقديره، فـ"لا يقتصر على تقدير باعد ولا على تقدير (احذر)، بل الواجب تقدير ما يؤدي الغرض، إذ المقدَّر ليس أمرًا متعبَّدًا به لا يعدل عنه"[٤]. فهذا يدل على أن المقدَّر تجريديٌّ غير مراد تحديده، فـ(إيّاك) قائمة بالدلالة عن تلك المقدَّرات.

---

(١) السيرافي، **شرح الكتاب**، ١٦٩/٢.

(٢) السيرافي، **شرح الكتاب**، ٢٧٥/١.

(٣) الشاطبي، **المقاصد الشافية**، تحقيق: عبدالمجيد قطامش، ٢٠٠٧، ٤٧٦/٥.

(٤) الصبَّان، **حاشيته على شرح الأشموني**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ٢٨٠/٣.

- لعل جعل (إياك) هي الناصبة هي الأوجَه؛ لأن "التحذير بـ(إيّا) هو منع عام بصيغة التبعيد المطلق، في حين إن التحذير بالفعل مقيَّد بمعنى ذلك الفعل"[١].

- كثير من النحويين يذهبون إلى أن الناصب للاسم الواقع بعد الواو المسبوقة بـ(إيَّا)، هو كونه معطوفًا على (إيَّاك) لا أنه معمول لفعل محذوف[٢]. وهذا يقوي عمل (إيَّاك) النصب.

- لو أعربت (إياك) بأنها اسمُ فعلٍ بمعنى بعُد، أو احذر، ونحو ذلك، كما قالوا في: (دونَك) بمعنى (خذ) و(عليك) بمعنى الزَم، و(إليك) بمعنى تنحَّ، لكان ذلك الإعراب وجيهًا[٣].

- أسلوب التحذير من الأساليب الإنشائية فلا يتحمل التصرف تقديرًا أو غيره، والأمر إذا دار بين التقدير وعدمه كان الأولى عدمه، ومثل ذلك يقال في (نعم وبئس)، ولأن التحذير مقترن بقرينة مقامية حضورية، وهي من القرائن القوية التي يستغنى بحضورها عن الافتقار إلى التقدير[٤].

٣-٢-٧- طريقة الرجوع إلى أصل التركيب.

---

(١) فاضل السامرائي، **معاني النحو**، ١١٠/٢.

(٢) ابن يعيش، **شرح المفصل**، ٢٥/٢. وابن عقيل، **المساعد على تسهيل الفوائد**، تحقيق: محمد كامل بركات، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٩٨٢، ٥٧٠/٢.

(٣) فاضل السامرائي، **معاني النحو**، ١٠٧/٢-١٠٨.

(٤) عبد الهادي الفضلي، **دراسات في الإعراب**، دار تهامة، جدة، ١٩٨٤، ص ١٥٢، ١٥٤-١٥٥.

من ذلك: "فضَّلتُ متاعَك أسفلَه على أعلاه، فإنما جعله مفعولًا من قوله: خرج متاعُك أسفلُه على أعلاه، كأنه قال في التمثيل: فضَلَ متاعُك أسفلُه على أعلاه، فعلى أعلاه في موضع نصب"[١].

قصد سيبويه بإرجاع التركيب إلى الفعل اللازم تمثيلًا تجريديًّا بيان وجه البدلية في التركيب الأول، وأن أصل التركيب: فضَّلت أسفلَ متاعك على أعلاه، وليس المراد: فضَّلتُ متاعَك وأسفلُه على أعلاه على الحالية.

ويكون (على أعلاه) في موضع النصب؛ لأن هذا الموضع يقع فيه المنصوب نحو: (دفعت الناسَ بعضَهم ببعض) فهو محمول (دفع الناسُ بعضهُم بعضًا)، كذلك هنا. وقد بين سيبويه أنه لا يكون في مثل التركيب إلا وجه النصب؛ "لأن ما ذكرتَ بعده ليس مبنيًّا عليه فيكون مبتدأ، وإنّما هو من نعت الفعل"[٢].

وكأن سيبويه يؤكِّد بهذا التجريد التمثيلي أن العامل متسلِّط على المعمول فيما بعده على البدلية والمعنى يدل على ذلك، ولا يصح أن يكون ما بعده مبتدأً فيكون الجار والمجرور مبنيًّا عليه أي خبرًا.

٣-٢-٨- طريقة استجلاب المهمل لرعاية الصناعة النحوية

---

(١) سيبويه، **الكتاب**، ١/١٥٣.

(٢) سيبويه، **الكتاب**، ١/١٥٢.

ويقصد بذلك أن يلتمس النحوي عنصرًا لغويًّا وإن لم يستعمل؛ لأن التقدير هنا تمثيل تجريدي، وذلك نحو إجراء سيبويه (قَعْدَك اللهَ) مجرى (عَمْرَك اللهَ)، ثمَّ المجيء بمعادلٍ تقديريٍّ تجريديٍّ لهما وهو (نَشْدَك اللهَ)، يقول: "(قِعْدَك اللهَ) يَجري هذا المجرى وإن لم يكن له فعل. وكأن قوله: (عَمْرَك اللهَ وقِعدَك اللهَ) بمنزلة (نَشْدَك اللهَ) وإن لم يُتكلَّم (بنَشْدَك اللهَ)، ولكن زعم الخليل -رحمه الله- أن هذا تمثيل يمثَّل به"[1].

والغرض من المعادلَة بيان أن الأصل في (عَمْرَك اللهَ وقِعْدَك اللهَ): معنى (نشدتك الله) أي سألتك به وطلبت منك به، فهما في معنى الطلب والمسألة. وكلها تضمن معنى القَسمِ الطَّلبي الموسوم بقَسَم السؤال أو القسَم الاستعطافي أيضًا، وأنها تقتضي جوابًا، وجوابها يكون بأحد ستة أشياء: الاستفهام والأمر والنهي وإلا ولـمَّا وأنْ[2].

وثَمَّ مقصد أكبر مما ذُكر وهو تنزيل الصور المفرَّعة المتكافئة وهي قليلة الاستعمال منزلة نظيرتها التي تعتبر أكثر منها جريانًا على الألسنة، وتمثيل تلك التي يكثر دورانها تجريديًّا بصور نظائرها إن لم يكن لها تصرُّف مثلها في أحد اشتقاقاتها؛ لتكون هي الأصل في الدلالة والحكم وصحة التحليل الذي ذهب إليه النحوي في الصور الفرعية الأخرى التي تناظرها.

---

(١) سيبويه، **الكتاب**، ٣٢٣/١.

(٢) نظر: ناظر الجيش، **تمهيد القواعد**، تحقيق: علي فاخر وآخرين، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٧، ٣٠٥٧/٦-٣٠٧٨.

وبعد، فهذه بعض العمليات الاستدلالية العقلية التي ترتبط بالتقدير التجريدي، وإن البحث فيها يبين مدى أهمية موقعها في النظرية النحوية والعربية ودورها في بناء المنوال في جانب الاستدلال أثناء التحليل، ومدى حاجتنا إليها في استيعاب تصرف سيبويه وغيره من النحويين في التمثيل والاستدلال به وفي تحليلنا اللغوي.

فهي طرق استدلالية وثيقة الصلة بمفهوم الموضع الذي هو أحد الأسس التي كونت النظرية الخليلية الحديثة، ولها اتصال بقياس النظائر وهو حمل النظير على النظير في البنية والمجرى أو إثبات التكافؤ والتناظر في البنى والمجرى[(١)].

وإن الناظر فيما أورده سيبويه من التمثيل وما قدَّمه من التحليل وَفق عمليات استدلالية عقلية، يقف على علاقات متعددة بين العناصر التركيبية على اختلاف تلك البناءات الملفوظة والتركيبية المجرَّدة، وهي صالحة أن تنتظم في دوائر ومخططات خاصة بكل مجموعة من التراكيب المتكافئة القائمة على القياس التناظري، حيث يمكن الوقوف بذلك على أنواع من التحليل النحوي القائم على معادلات هندسية متقنة من حيث انتظام الوحدات التركيبية في النص اللغوي، وتتبع كيفية تعاقب هذه الوحدات وتراتبها، إذ تفرض بعض الوحدات وحداتٍ أخرى معينة متصورة، ويمكن توزيعها بالتصنيف الموضعي أو التحليل الموقعي (Predictive Analysis) برعاية

---

(١) الحاج صالح، **منطق العرب في علوم اللسان**، ٣١١.

نظرية الموضع في تحديد العناصر اللغوية باتباع نمط التحليل التسلسلي (String Analysis)[1].

ومن الممكن أن يقرَّب صنيع النحويين وصنيع سيبويه خاصة في هذا المجال التحليلي باتباع نمط التحليل الموضعي أو التسلسلي، وذلك بشكل مخططات جدولية. وهذه الوسيلة من أهم وسائل التحليل النحوية الإجرائية اتباعًا لمفهوم الموضع بالمعنى التوزيعي، وكان منشأ ذلك ظهور القياس التناظري أي حمل النظير على النظير.

والتوزيع بمعنى مجموع السياقات التي تظهر فيها الوحدة والتكافؤ، منهج في التحليل اللغوي اتخذته مدرسة بلومفيلد، وهي إحدى مدارس النظر اللغوي الأمريكية، وقد عولت في معيارها أن يكون موضوعيًّا إجراءاته آلية، وكان مدار اهتمامها (التوزيع) توزيع الوحدات اللغوية بوسيلة (الاستبدال)[2]. وهي بهذا المنهج تحلِّل الجمل إلى مكوناتها التي تقاربها، من غير النظر إلى وظائفها، بل تكتفى بمعرفة توزيع وحداتها.

وقد اكتشف هذا المنهج التوزيعي مايكل جي كارتر عام ١٩٦٨ في أطروحته: (مبادئ التحليل النحوي عند سيبويه)، وذكر أن سيبويه يتبع منهج التحليل إلى

---

(١) الحاج صالح، **النظرية الخليلية الحديثة**، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، ٢٠٠٧، ٦٠.

(٢) نهاد الموسى، **نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث**، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٠،ص٣٢.ومصطفى حركات، **اللسانيات العامة**،الدار الثقافية للنشر،القاهرة، ١٩٩٨،ص ٧٨.

المكونات المتكافئة والمتآلفة، وأنه بهذا يمثل نوعًا من التحليل البنيوي مع أن كتابه أول عمل منهجي في النحو العربي، ولم يكن معروفًا ذلك التحليل النحوي حتى القرن العشرين الميلادي[1].

وإن كان مفهوم الموضع بالمعنى التوزيعي قد استثمره سيبويه والخليل قبل بلومفيلد ومدرستِهِ الاستغراقية التوزيعية، فإن مفهوم الموضع بالمعنى التقديري التجريدي لم تعرفه اللسانيات الغربية واختصت به اللغويات العربية[2].

وإن كان ثمة فروق بين منهج سيبويه في التوزيع بطريقة الاستبدال وبين منهج التوزيعيين، فهو أن المصطلحات كانت قارَّة عند التوزيعيين وتكاملت عندهم نظرياته وإجراءاته العملية، بخلاف مسلك سيبويه وأضرابه فإنه كان إجراءً من حزمة مفاهيم إجرائية متعددة، يلجأ إليها النحوي لتحليل التراكيب بغية التبيُّن من صحة التحليل النحوي أو الاستدلال على تلك الصحة.

٤- صور التقدير التجريدي:

تتعدد صور التمثيل التجريدي وعباراتها التي أوردها النحويون لإخراج التصور الذهني التركيبي إلى الواقع اللغوي وجعله كالمتلفظ به وإن لم يتلفظ به أو لا يتكلم به، منها: التمثيل الذي لا يتكلم به، كأنه تكلم بذلك وإن لم يلفظ به، كأنه قال، كأنه

---

(١) نهاد الموسى، **نظرية النحو العربي**، ٣١. ومايكل كارتر، **نحوي عربي من القرن الثامن للميلاد**، ٢٩.
(٢) الحاج صالح، **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**، ٢/١١-١٢.

أراد أن يقول كذا، جرى مجرى كذا، كأنك قلت، كأنه قيل له، لو قلت كذا لم يكن كلامًا، كأنه أجاب من قال، بمنزلة قولك، ونحوها.

وإنَّ أقدمَ التعبيرات للتقدير التجريدي في التراثِ النحويِّ هي الموَرَدةُ في النموذجِ النحويِّ الأولِ كتابِ سيبويه، بل أبرزُ صوره فيه، وسيأتي إيراد تلك الصور التي استعملها هو وشيخُه الخليلُ في جملةِ التعبيراتِ الموزَّعةِ على صورتَي التقدير التجريدي (التمثيل التجريدي من غير وسيلة المحاورة والمساءلة، والتمثيل التجريدي بوسيلة المحاورة).

٤-١- صور الضرب الأول:

تعبيرات هذا الضربِ مدارها على التمثيل الذي لا يتكلم به والمتصور اللغوي الذي لم يتلفظ به والتقدير التجريدي لقوة القول وإرادة المقول والتجريد التمثيلي بقياس النظير والمجرى.

فهذه أنماط التعبير عن التجريد التمثيلي في هذا الضرب:

٤-١-١- التمثيل الذي لا يتكلم به:

هذا التعبير الذي هو نقطة البحث ههنا (تمثيل ولا يتكلم به) استظهر معرفة سيبويه العميقة ودرايته التامة بالمفاهيم الخليلية التي تلقاها عن أستاذه بنهج علمي بديع، وشكَّل تصوره المعرفي لتلك المفاهيم السائدة في الحقل العلمي آنذاك. فإن كان التمثيل يعدُّ آلة ذهنية يؤتى بها لتفسير التراكيب وتحليل مضامينها بحيث توضع في

أنساق مِثاليَّة تتساوق مع الطرق المعِينة على فَسر النظام النحوي، فعبارة: تمثيل لا يتكلم به، تعدُّ ضربًا من ضروب الاستدلال الذهني التجريدي المستدل به على نظام اللغة[1].

ويمكن أن يعرَّف (التمثيل الذي لا يتكلم به) بأنه: تركيب تجريدي تصوري للمثال المصنوع المستعمل يستدعيه النحوي لكشف النظام النحوي في ذهن العربي أو لإبراز ما تقتضيه الصناعة النحوية، من غير أن يكون له حظٌّ في الاستعمال اللغوي.

وهذ المفهوم يمكن استنباطه من إطلاقات سيبويه لهذه التمثيلات؛ إذ كان يشير فيها إلى الدوالِّ الصناعية وتقرير صحة التحليل النحوي، ولا سيما التراكيب التي فيها غموض أو كانت بحاجة إلى التأويل، مع تأكيده في مواضع كثيرة على عدم التكلم بهذه التمثيلات، نحو قوله: لا يتكلم به، ولم يتكلم به، ولا يستعمل في الكلام.

ومن المواضع التي توضِح تعبيرات سيبويه عن التجريد التمثيلي غير المتكلم به:

تعبير التجريد التمثيلي	موضعه في (الكتاب)
هذا تمثيل ولم يتكلم به	١/ ٧٢
كأنه يقول... فهذا تمثيل وإن لم يتكلم به، كما كان... تمثيلا	١/ ٣٧٥
كأنه قال... فهذا تمثيل وإن لم يتكلم به	١/ ٣٧٦، ٢/ ١١٩
كأنهم قالوا... فهذا تمثيل وإن لم يتكلم به	٢/ ١٧١

(١) علاء جواد، **التمثيل النحوي في كتاب سيبويه**، رسالة دكتوراه، جامعة القادسية، الديوانية، ٢٠٠٧، ص ١٨.

كأنك قلت... فهذا تمثيل وإن لم يتكلم به	٣/ ٣٤
كأنك قلت في التمثيل... وهذا تمثيل ولا يتكلم به	٣/ ٢٨
فكأنه قال... وهذا تمثيل ولا يتكلم به	١/ ٨٣، ٢/ ٩٢
كأنك قلت... في التمثيل ولكنهم لا يتكلمون	٢/ ٢٨١
كأنه في التقدير وإن كان لا يتكلم به	٢/ ١٧٦
وكأن قوله... بمنزلة... وإن لم يتكلم بـ...، ولكن زعم الخليل رحمه الله أن هذا تمثيل يمثل به	١/ ٣٢٣
فهذا تمثيل وإن كان لا يستعمل في الكلام، كما كان... تمثيلا... ولم يستعمل	١/ ٣٥٣
وزعم الخليل رحمه الله... أنه كقولك... فهذا تمثيل، ولكنه لم يستعمل في الكلام	١/ ٣٧٤
كأنه قال.. ولا يستعمل في الكلام... ولكنه مثل به	١/ ٣٩٢
فهذا تمثيل... ولكنهم لا يستعملون	٣/ ١٢١
كأنك قلت... فهذا تمثيل وإن كان يقبح في الكلام	٢/ ١٩
تعبير التجريد التمثيلي	**موضعه في (الكتاب)**
كأنه كـ... وهذا تمثيل	١/ ٤٢٧
وسأمثله لك مظهرًا لتعلم ما أرادوا... إلا أن هذا لا يجوز... ولكن ذكرته لأمثل لك	١/ ٢٧٣
فإنما ذكرت لك ذا لأمثل لك	١/ ٢٨٤
كأنك قلت... وهذا محال، ولكن أردت أن أمثل لك	١/ ٣٠٠

وهذا الجدول يشير إلى الآتي:

أولًا- جريان التجريد التمثيلي في لسان الخليل في ثلاثة مواضع من (الكتاب)، ولعل هذا من مبتكرات أفكاره واستعمالاته وأساليبه، وربما يعدُّ هو الواضع الأساسي لفكرة التمثيل التجريدي.

ثانيًا- ايتلاف (تمثيل لم يتكلم به) مع نحو عبارة (تمثيل يمثَّل به) المؤكدة على قضية التجريد التمثيلي، ونحو عبارة (ذكرته لأمثل لك) وقد زاوج بينهما في عبارة (فهذا يوضِح لك وإن كان لا يتكلم به) مشيرًا إلى غرض من أغراض التمثيل التجريدي وهو إيضاح المعنى.

ثالثًا- عزو عدم الاستعمال إلى العرب نحو عبارة (ولكنهم لا يتكلمون، ولكنهم لا يستعملون)، في ذلك إيحاء إلى أن التقدير التجريدي من المهملات اللغوية المستجلبة للتمثيل وإيضاح النظام النحوي الكامن في ذهن العربي ولذا أكد سيبويه في أكثر من موضع بقوله: يوضح لك، لأمثل لك، كأنه في التمثيل تفسير لكذا.

رابعًا- جريان بعض عبارات التمثيل غير المتكلم به مع بعض الأنماط الأخرى للتقدير التجريدي كالمنزلة والمحال.

خامسًا- إطلاق (التقدير) في موضع واحدٍ مرادفًا للتمثيل التجريدي غير مراد به التقدير الصناعي المعهود، وذلك في قوله: (كأنه في التقدير وإن كان لا يتكلم به)، ويدل على أن المراد بالتقدير هو التمثيل، هو قوله: (وإن كان لا يتكلم به)، وهو مما

يقوي ما ذهبت إليه دراستي هذه من إطلاق (التقدير التجريدي) على هذا الضرب من التمثيل النحوي.

ومن أوجه عدم التكلم بنحو هذه التمثيلات التجريدية هي:

- عدم ورود السماع عن العرب بنحو هذه التمثيلات، من ذلك بيان سيبويه أن العرب لم تتكلم بنحو: شيء أحسَنَ عبدالله[١].

- كون التلفظ ببعض هذه التمثيلات محالًا، والتعليق على محالٍ محالٌ، من ذلك تمثيل (ما صنعتَ وأخاكَ) بـ(ما صنعتَ أخاكَ)، وقد قال: "وهذا محالٌ، ولكن أردتُّ أن أمثِّلَ لك"[٢].

- وجود علة نحوية حائلة بين تلك التمثيلات والتكلم بها، منه تمثيل (زيدًا مررت به) بـ(جعلت زيدًا على طريقي مررت به)، والقاعدة الكلية النحوية المانعة هي امتناع جمع العوض والمعوَّض عنه أو المفسِّر والمفسَّر معًا.

وجِماعُ عدم التكلم بهذه التمثيلات عند سيبويه وشيخه إنما هو عدمُ السماعِ والاستعمالِ؛ لأنها تمثيلات مسكوكة مصنوعة، مع كونها دلائل لتقرير الإعراب وإلحاقِ الحكم النحوي، لشمولها على المعنى الوظيفي.

٤-١-٢- تصور الكلام غير الملفوظ به:

---

(١) سيبويه، **الكتاب**، ٧٢/١.

(٢) سيبويه، **الكتاب**، ٣٠٠/١.

تُدرَج هذه الصورة والصورتان اللاحقتان التي تليانها ضمن ما يسمَّى (بالحدس اللغوي)، وهو مفهوم توليديّ متفرِّع من (الكفاية اللغوية)، ونابعًا من الطبيعة الذهنية التي تنطلق منها النظرية التوليدية في تفسير النشاط اللغوي.

وقد أطلق نعوم تشومسكي الحدس اللغوي (Intuition) مشيرًا إلى أن عمل الباحث اللساني يكون مرتكزه على القدرة اللغوية للمتكلمين والمعارف الحدسية التي يمتلكونها عن لغتهم[1].

والحدس عملية تصورية مقترنة بالذهن المجرد أكثر من اقترانها بالمنجز الكلامي، ويتجاذبه طرفان هما من مقومات العملية الكلامية: أحدهما حدس المتكلم المنتج للغة، يستطيع به التمييز بين ما هو نحوي وما هو غير نحوي، والحكم على أصولية الجمل ومقبوليتها. والآخَر حدس اللساني في تحليله اللغوي بمعالجة صيرورة اللغة وتكوينها في مستوياتها المختلفة، مع ترشيح معرفته الضمنية بتلك اللغة الكامنة في ذهنه[2].

وإعمال الحدس النحوي هو من باب إعمال الحدس اللساني (المحلل اللغوي) الذي يعمل بمقتضى تصورات ذهنية مسبَّقة، ويوظف ذلك في تحليل اللغة ودراسة

---

(١) ماري آن يافو وجورج إليا سرفاتي، **النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية**، ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢، ص ٢٧٨. وسمير استيتية، **اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج**، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠٠٨، ص ١٧١.

(٢) خليل عمايرة، **في نحو اللغة وتراكيبها**، دار عالم المعرفة، جدة، ١٩٨٤، ص ٦٠.

ظواهرها وقضاياها المختلفة. ويستطيع النحوي بهذا الحدس والملاحظة الوصولَ إلى استنباط القوانين، وتصور الكلام غير الملفوظ وتقدير قوة القول غير المتكلم به، واستنطاق الإرادة القولية.

ومن تعبيرات سيبويه الحدسية الماثلة في إمضاء الكلام كأنه قد تكلم به:

تعبير تصور الكلام غير الملفوظ	موضعه في (الكتاب)
فمضى صدر الكلام وكأنه قد تكلم بها وإن كان لم يلفظ بها، لوقوعها ههنا كثيرًا	١/ ٣٠٣
فالكلام على هذا وإن لم يلفظ به المخاطب	١/ ٤٣١
يقدَّر وإن لم يلفظ به	٢/ ٢٠٢

٤-١-٣- تقدير قوة القول:

يراد بتقدير قوة القول: افتراض الوجود القولي أو اللساني نظريًّا في التمثيل التجريدي، أي في الوجودين اللساني والذهني الفرضيين. ومصطلح (قوة القول) مأخوذ من تقسيم المناطقة للوجود إلى الوجود بالفعل والوجود بالقوة[1]، والوجود بالفعل ما له صورة ومادة، ويكون بقدرة مرجحة للفعل مقارنة له، وأما الوجود بالقوة أو الهيولى فهو ما ليست له هيئة معينة وغير منتظمة، ويكون بقدرة مصححة للفعل، يمكن معها الفعل والترك.

(١) أبا حامد الغزالي، **معيار العلم في فن المنطق**، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١، ص ٣٣٢- ٣٣٣.

فالوجود القولي بالفعل وجود لساني حقيقي ملفوظ به. وأما الوجود القولي بالقوة فمقدَّر تجريدي، ويكون قبل القول بالفعل، ويبقى إلى حين القول الفعلي، وهو يصلح لاجتماع الضدين باختلاف جهتيهما وانفكاكهما، فينزَّل مثلًا المقول المنصوب منزلة المقول المرفوع، والمعرَّف منزلة المنكَّر.

وهذه بعض المواضع من كتاب سيبويه تفيد تقدير قوة القول:

تعبير تقدير قوة القول	موضعه في (الكتاب)
إياك، إياه، وإياي، وإياه، كأنه قال: إياك باعد، وإياه، أو نَحِّ. وزعم أن بعضهم يقال له: إياك، فيقول: إيَّاي، كأنه قال: إيَّاي أحفظُ وأحذرُ.	١/ ٢٧٤
تعبير تقدير قوة القول	**موضعه في (الكتاب)**
ومن ذلك قول العرب: مَن أنت زيدًا... وبعضهم يرفع، وذلك قليل، كأنه قال: مَن أنت كلامُك أو ذكرُك زيدٌ.	١/ ٢٩٢
وزعموا أن ناسًا يقولون: كيف أنت وزيدًا، وما أنت وزيدًا... كأنه قال: كيف تكون وقصعةً من ثريد، وما كنتَ وزيدًا	١/ ٣٠٣

٤-١-٤- تقدير الإرادة القولية:

هذا نمط حَدْسي من حُدُوس اللسانيِّ الذي يقدِّر تجريديًّا إرادة ما تكلَّم به غيرُه، فالإرادة تشمل فعل الإنسان نفسه وفعل غيره، ويتقدم على الفعل زمنيًّا، وكذلك يقال في القول[١].

وقد لا يستطيع المتكلم أن يقصد مرادًا ما إذا لم يكن يملك الإرادة، إذ يؤثِّر القصد بمفهومِ إرادةِ قول شيء في الحكم على القول نفسه، فتصبح الأقوال تابعة للمقاصد، وإذا كان الأمر كذلك فإن قصد المتكلم -بوصفه إرادته- ليؤثر في خطابه بدرجة قصوى في إنجاز الفعل اللغوي، لاتكائه على توفر الإرادة من عدمها، وكذلك في ترتيب الكلام والخطاب للتدليل عليه[٢] (الشهري، ٢٠٠٤).

ومن تعبيرات سيبويه التي تمثل هذا النمط:

تعبير تقدير إرادة القول	موضعه في (الكتاب)
في نصب نحو: إن تأتني فتحدثني أحدثك. ووجه نصبه أنه حمل الآخر على الاسم، كأنه أراد إن يكن إتيان فحديث أحدثك	٣/ ٨٨
وإن شئت قلت: مررت برجل خير ما يكون خير منك، كأنه يريد برجل خير أحواله خير منك	١/ ٤٠١

(١) أبا هلال العسكري، **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، ١٩٩٧، ص ١٢٦.

(٢) عبدالهادي الشهري، **إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية**، دار كتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤، ص ١٨٩.

ويراعي سيبويه في نحو هذه المواضع ضرورة اقتران قصد المتكلم بمفهوم الإرادة لغاية الفهم والإفهام، وكأنه يذهب إلى أن المنطوق به لا يكون كلامًا حقًّا حتى تحصل من الناطق إرادة توجيهه إلى غيره وإرادة إفهامه[1]. وهنا يأتي موقف النحوي في التقاط ما تلفظ به المتكلم فهمًا وإفهامًا؛ لأن حدس النحوي يقوده إلى إفهام ما فهمه.

٤-١-٥- التجريد بالمجرى:

يراد بالإجراء عند النحويين: جريان الشيء مجرى غيره من حيث الصيغة والتركيب أو العمل أو الموضع أو الدلالة، وهو تحويل مقصود مؤثر في التركيب والدلالة[2].

ومن المواضع التي استعمل فيها سيبويه مفهوم الإجراء التمثيلي التجريدي:

تعبير التجريد بالمجرى	موضعه في (الكتاب)
وإذا قلت: عبدُ الله مررتُ به أجريت الاسم بعده مجراه بعد: زيدٌ لقيتُه، لأنَّ مررتُ بعبد الله يجرى مجرى لقيتُ عبد الله.	١/ ٩٣
وذلك قولك: أعبدُ الله ضرب أباه، وأعبدَ الله ضربه أبوه، فجرى مجرى أعبدُ الله هو ضرب زيدًا، وأعبدَ الله ضربه زيدٌ،	١/ ١٠٣

---

(١) طه عبدالرحمن، **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٨، ص ٢١٤.

(٢) حسن مبارك، **الإجراء في الصيغ والتراكيب النحوية**، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢-٣.

كأنه في التمثيل تفسير لقوله: أعبد الله أهان أباه غلامُه، وأعبد الله ضرب أخاه غلامُه	
رويدَكم أنتم وعبدُ الله، كأنك قلت: افعلوا أنتم وعبدُ الله، لأن المضمر في النية مرفوع، فهو يجري مجرى المضمر الذي يبين علامته في الفعل	١/ ٢٤٧

٤-٢- صور الضرب الثاني:

تعبيرات هذا الضرب دارت بين التجريد التمثيلي بالمقاولة نحو قولهم: كأنك قلت، والتجريد التمثيلي بالمحاورة بتصور الكلام جوابًا عن سؤال، والامتناع التمثيلي التركيبي التجريدي، والتمثيل الحجاجي بمفهوم المنزلة.

فهذه أنماط التعبير عن التجريد التمثيلي في هذا الضرب:

٤-٢-١- التجريد التمثيلي بالمقاولة:

من أساليب سيبويه الحجاجية الأسلوبُ الحجاجي الاستدلالي التمثيلي بالنزعة الحوارية بتصور مقام المقاولة بمعنى افتراض مقام للمحاورة مع الدارس والناظر لهذه الصناعة النحوية. وهذا التقدير للمقاولة في مجمله افتراض لبنية كلامية متمِّمة يراد بها مواءمة التراكيب محذوفها أو مضمرها بمذكورها حتى تنتظم، وهي ذات وظيفة إحالية تداولية.

ويرتكز التقاول إلى قاعدة تخاطبية هي سلوك طرق الاستبدال والتقابل والزيادة في تشقيق الكلام. وهو أسلوب من أساليب الحوار الذي يشبه تظاهر مشاركة غيره في طلب المعرفة وإنشائها وتفريعها(١).

وهذه بعض المواضع التي سلك فيها سيبويه هذا النمط من التجريد التمثيلي بعبارة (كأنك قلت):

تعبير التجريد التمثيلي بالمقاولة	موضعه في (الكتاب)
وإن شئت قلت: زيدًا مررت به، تريد أن تفسر به مضمرًا، كأنك قلت إذا مثَّلتَ ذلك: جعلت زيدا على طريقي مررت به	١/ ٨٣
دفعت الناس بعضهم ببعض، على قولك: دفع الناس بعضهم بعضا... كأنك قلت في التمثيل: أدفعت	١/ ١٥٣
تقول: رأيت متاعَك بعضُه فوق بعض...، كأنك قلت: رأيت متاعَك بعضُه أحسنُ من بعض، ففوق في موضع أحسن	١/ ١٥٥
ما أتاني أحد خلا زيدًا، وأتاني القوم عدَا عَمرًا، كأنك قلت: جاوز بعضهم زيدًا. إلا أن خلا وعدا فيهما معنى الاستثناء، ولكني ذكرت جاوز لأمثل لك به، وإن كان لا يستعمل في هذا الموضع	٢/ ٣٤٨

(١) إدريس مقبول، **الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه**، ط٢، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠٢٠، ص ٨٦.

٤-٢-٢- تصور الكلام جوابا عن سؤال:

يلاحظ في بعض نصوص سيبويه أنه يتخيل السياق الذي دارت فيه الجملة، ويتخيل حوارًا ومسرحًا لغويًّا دارت فيه الأحداث، ويوظف قرائنه في التوجيه والتحليل النحوي[١].

ومن تلك السياقات الحوارية التي أنيط بها التجريد التمثيلي: تصور الكلام جوابًا عن سؤال، والسؤال ههنا ليس ذا قيمة وصفية فحسب بل هو ذو قيمة حجاجية، فتصور السؤال يعكس هاجس اللغة التي بها الحوار وبها السؤال وبها الجواب، فسيبويه يريد التفاعل بينه وبين مخاطبه المتمثل افتراضًا، فأُزيح التمثيل ههنا إلى المستوى الحواري، حينما استنطق مخاطَبه المفترض من أجل الاسترشاد اللغوي والعلمي، وذلك وَفقَ طرق استدلالية تؤدي إلى الإقناع.

ويسمي خالد ميلاد تقدير اعتقاد المتكلم في البنى النحوية التركيبية موضع الاعتقاد أو موضع القيمة الدلالية للجملة، ويسميه كذلك موضع الإفادة. والمتكلم عندما يخبر إنما يجيب المخاطب عن سؤال صريح أو غير صريح، وكل إخبار يصح أن يكون جوابًا لسؤال سائل[٢].

---

(١) إيهاب عبدالحميد، **قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيبويه**، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠١٦، ص ١٤٨.

(٢) خالد ميلاد، **الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة**، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ٢٠٠١، ص ٨٩.

وهذا التصور متوافر في تحليلات سيبويه بتمثلاتٍ تجريدية يلجأ فيها إلى تقديرات حوارية من أجل تفسير الأوضاع النحوية، من ذلك:

تعبير تقدير السؤال التجريدي	موضعه في (الكتاب)
وقد يجوز أن تقول: ألَا رجلٌ إما زيدٌ وإما عمرٌو، كأنه قيل له: من هذا المتمنَّى؟ فقال: زيد أو عمرو.	١/ ٢٨٩
فمن ذلك قولك على قول السائل: أى سير سير عليه؟ فتقول: سِير عليه سيرٌ شديد	١/ ٢٩٩
تعبير تقدير السؤال التجريدي	**موضعه في (الكتاب)**
أمَّا النُّبلَ فنبيلٌ، وأما العقلَ فهو الرجل ُالكاملُ، كأنه قال: هو الرجلُ الكاملُ العقلَ والرأيَ، أي للعقل والرأي، وكأنه أجاب من قال: لمه؟	١/ ٣٨٦

٤-٢-٣- المحال التجريدي التمثيلي أو اللَّوقلَة التمثيلية:

يراد بالمحال التجريدي التمثيلي: إتيان النحوي بتراكيب غير منتظمة تركيبًا أو دلالةً في سياق التمثيل بالتجريد (أي إنه كلام متعذر التحقق وجودًا وإمكانًا في الواقع اللغوي)، فهي تراكيب مجانبة للصحة النحوية محوَّلة عن وجهها، غير منتظمة في تآليفها، أو غير تامَّة الإفادة.

وأما اللَّوقلَة التمثيلية فالمراد بها: تصور النحوي الامتناع التمثيلي بوسيلة التجريد بقوله: (لو قلت)، واللَّوقلَة منحوتة كالفَنْقلَة المنحوتة من قولهم: (فإن قيل ونحوها)، وهي طريقة من طرق الحجاج التمثيلي في التبليغ اللساني.

وهذه بعض المواضع التي ذهب فيها سيبويه إلى المحال التركيبي التمثيلي التجريدي:

تعبير اللوقلة التمثيلية	موضعه في (الكتاب)
ألا ترى أنك لو قلت: إنَّ يَضْرِبَ يأتينا وأشباه هذا، لم يكن كلامًا	١/ ١٤
لو قلت: خِلت زيدًا وأُرى زيدًا، لم يجز	١/ ٤١
تعبير اللوقلة التمثيلية	**موضعه في (الكتاب)**
لو قلت: ضربتُه القائمَ تريد: قائما، كان قبيحًا، ولو قلت: ضربتُهم قائمِيهم تريد: قائمِين، كان قبيحًا.	١/ ٣٧٧

ركَن سيبويه في هذه المواضع إلى الافتراض التمثيلي لتحديد بعض صور المحال أثناء تحليله بعض التراكيب النحوية لبيان الخارجة منها من نطاق الصحة والمقبول ومن المخالفة لأصل من أصول النظرية النحوية، واستعمل وسيلة اللَّوقلَة مع الحكم على التراكيب بعبارات تفيد عدم الاستعمال والخروج عن حيز الصحة النحوية، وهذه العبارات هي: (لم يكن كلامًا، لم يجز، فيه قبح أو كان قبيحًا).

فقوله: (لم يكن كلامًا) يفيد امتناع مثله في الوجود اللساني، وقوله: (لم يجز) يفيد العدول عن الوجه والصواب، وقد يجمع بينه وبين الحكم عليه بالقبح نحو (لم يجز وكان قبيحًا).

فقوله: (لم يكن كلامًا) يفيد امتناع مثله في الوجود اللساني، وقوله: (لم يجز) يفيد العدول عن الوجه والصواب، وقد يجمع بينه وبين الحكم عليه بالقبح نحو (لم يجز وكان قبيحًا). وحكمه بالقبح في نحو هذا الاستعمال اللغوي المفترض مع أنه ليس متحققًا في الوجود اللساني، ولم تتكلم به العرب، يدل على أن النحوي قد يراعي حين التحليل النحوي بيان الأوجه المتصوَّرة للتركيب لإفادة الدارس أن منها ما هو منتظم مع كلام العرب، ومنها ما هو مخالف لنظامها اللغوي. فالحكم بالقبح عند النحوي ليس قاصرًا على الاستعمالات اللغوية المسموعة أو المصنوعة بل قد يشمل التراكيب المفترضة، وبعض أقيسة النحاة ولم تتكلم بها العرب، وقد يكون على تأويل نحوي متوقع في نمط استعمالي[١].

وأما أوجه إحالة هذه التراكيب فمتعددة منها ما جاء مخالفًا لقاعدة التضام كالفصل بين العامل ومعموله بأجنبي وبين الجار ومجروه ونحوه، ومنها ما جاء مخالفًا لبعض أسس الإخبار في الكلام وهو مبدأ الإفادة.

---

(١) جزاء المصاورة، **الاستعمال اللغوي القبيح دراسة في الاصطلاح والاستعمال عند سيبويه**، مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب بجامعة البحرين، العدد ٢٥، (٢٠١٥)، ص ١٢٠.

٤-٢-٤- الافتراض القولي بتنزيل القول منزلة قول آخر:

قد يفسِّر سيبويه ضروبًا من الكلام بإجرائها على نظائرها، ويقوم بعملية تجريدية مؤدِّيةٍ إلى التكافؤ في المجرى بانتزاع الصفة المشتركة الجامعة في الـمُجرَى والـمُجرَى عليه(١)، وذلك نحو: "ما أحسنَ عبدَ الله! زعم الخليل أنه بمنزلة قولك: شيءٌ أَحسنَ عبدَ الله"(٢)، ونحو: "وأما قولهم: نِعم الرجلُ عبدُالله، فهو بمنزلة: ذهب أخوه عبدالله"(٣).

وقد مثلت (المنزلة) عند سيبويه قانون قياس النظير والتمثيل، وسمَّى عبدالرحمن بودرع هذا النوع من التجريد (تقارضَ الخصائص وانتقالَ السِّمات)، ويجري هذا في التحليل النحوي من قبيل التفريع، وهو ضرب من ضروب استعارة السِّمات، ومعناه أنَّ العبارتين المختلفتين قد يُتصوَّر فيما بينهما تقارضُ سِمة واحدة أو أكثر(٤).

واتَّسمت (المنزلة أو تقارض الخصائص) مع التمثيل بالمنهجية العلمية حينما صيَّرها المنوال النحوي وسيلة بحث عقلي تبنى على أساس تجريدي، وذلك لمتابعة المبادئ التفسيرية التي تعمِّق التحليل النحوي. وإن محاولة النحويين تفسيرَ الجمل بصيغ افتراضية وبالحجاج التمثيلي بمفهوم المنزلة، إنما هي محاولة لإظهار السِّمات

---

(١) الحاج صالح، **منطق العرب في علوم اللسان**، ٢/٢٨٨.

(٢) سيبويه، **الكتاب**، ١/٧٢.

(٣) سيبويه، **الكتاب**، ٢/١٧٦-١٧٧.

(٤) بودرع، **الأسس المعرفية للغويات العربية**، دار ورد الأردنية، عَمَّان، ٢٠١٣، ص ١٩٥.

الممكنة التركيبية والدلالية في البنية المنجزة بتأويلها وتنزيلها منزلة بنية تمثيلية مجرَّدة.

وفي هذا الإطار الحجاجي وظَّف سيبويه مفهوم (المنزلة) ليحمل جملة من الأغراض جامعها الاستدلال الحجاجي للوصول إلى إثبات صدق قضية أو إبطالها في برهنة جدلية، وهو المسلك الذي برز في المنوال النحوي بهدف الإقناع بوسيلة (المنزلة)[1].

ومن المواضع التي عبر فيها سيبويه بالافتراض القولي بمفهوم المنزلة:

تعبير التجريد بالافتراض القولي التنزيلي	موضعه في (الكتاب)
ألا ترى أن قولك: قد ذهب بمنزلة قولك: قد كان منه ذهاب	١/ ٣٤
وذلك قولك: ما أحسنَ عبدَ الله. زعم الخليل أنه بمنزلة قولك: شيء أحسنَ عبدَ الله، ودخله معنى التعجب. وهذا تمثيل ولم يتكلم به.	١/ ٧٢

وقد وظف سيبويه رؤيته التحليلية بربط التمثيل التجريدي بالمنزلة بوصفها أداة للكشف عن نسق منطقي تفسيري للمنجز الكلامي، وليست الغاية منها تفسير الظواهر فحسب، بل تقديم الأحكام النحوية الجامعة المشتركة بين المنزَّل والمنزَّل

---

(١) رجاء الحسناوي وحسن الأسدي، **الحجاج بمفهوم المنزلة عند سيبويه**، مجلة الباحث، جامعة كربلاء، العدد ١٠، (٢٠١٤)، ص ١٣٨، ١٤١-١٤٦.

عليه، فتكون وظيفتها تقليل المجهود الذهني في كشف النظام اللغوي بوسيلة تنزيل البنية المنجزة إلى أقرب بنية أخرى تناظرها.

تلكَ هي صور التقدير التجريدي وتعبيراته في كتاب سيبويه، وقد أفصحَت تلك التعبيراتُ عن مَدَى تفنُّنِها وتركُّحِها عند النحويِّين، دافعةً إلى فَهمِ طبيعةِ التقدير التجريدي، فهيَ مفاتيحُ أساسيّةٌ لإدراكِ ما تحمِلُه من أحكامٍ وتأويلاتٍ نحويةٍ، ولا سبيلَ إلى إبانتِها إلا رَقابةُ تداولِها مشفوعَةً بما يَخدُمُها من نصوصٍ تُسجِّلُ تصرّفاتِها ودلالاتِها.

٥- خاتمة:

هدف هذا البحث إلى معالجة استدلال من الاستدلالات العقلية المتمثلة في التمثيل التركيبي المجرَّد، فكشف أنواعه وطرقه وصوره في كتاب سيبويه، وتوصّل إلى النتائج الآتية:

- اقترض مفهوم (التقدير التجريدي) مِن المعجم الفلسفي دلالتَه، مع تكييفِه بما يناسِبُ صناعتَه النحوية في المنوال النحوي العربي الأول عند سيبويه.

وهو مصطلح مؤلَّف من جزأين: (تقدير) و(تجريد)، فالأول يدل على المقايسة بين الموضعين المثالِ المراد تحليله والمثال المتصوَّر الموازي له تجريدًا، والآخر يدل على التصور والافتراض من النحوي موائمًا مع مفهوم (الموضع) الذي يدل على أنه اعتبار تجريدي موزَّع فيه مجموع العناصر اللغوية بتجانس تركيبي. وهو بهذا التأليف يدل على أنه مسلك من مسالك الاستدلال التمثيلي العقلية بإحدى طرق البناء التركيبي المجرَّد مراعًى فيه مفهوم الموضع وقياس النظائر.

- اقترن مفهوما التمثيل والتجريد بالحجاج النظري عند سيبويه، فالتمثيل آلة من آلات الحجاج تسير باتجاهين أحدهما في إثبات تركيب على وجه الصحة النحوية أو الرخصة النحوية والآخر في إبطال تركيب على وجه مجانبة الصواب النحوي.

- ليس الغرضُ من الفروضِ الذهنية والتقديراتِ العقليةِ التجريدية بطرق شتى المؤدية إلى التكافؤ انتماءَ البنى إلى فئة واحدة وانتزاعَ الصفة أو الصفات المشتركة الجامعة فيها فحسب، بل يتسوَّر التجريد النحوي مجالَ انتظام متغيرات العناصر المحوَّلة إلى وحدات غير معينة بالنسبة إلى الصفة المشتركة مع العناصر الثوابت، مع خضوع المتغير والثابت إلى التكافؤ في الترتيب، وبذلك يكتشف النحوي البنى اللفظية والتكافؤ البنيوي.

- إنَّ نحو عبارة سيبويه: (هذا تمثيل، ولا يُتكلَّمُ به) دالَّة على التفريق بين التركيبِ الأصليِّ الموضوعِ للتحليلِ، وبين العبارةِ الشارحةِ أو التجريديِّ التمثيليِّ الموضِح والمفسِّر، وأنَّ تقدير المحذوف في بعض المواضع مسألةٌ افتراضيةٌ وأنها مجرَّدُ تصورٍ

ذهنيٍّ تأويلي، وأنها أداةٌ تحليلية لصناعةِ المعرفةِ اللغويةِ وبناءِ أسسها العلمية. ومن هنا يلتبس كثيرًا النوع الثاني من التقدير التجريدي بالإضمار الصناعي المعهود، فيحتاج إلى بيان الأوجه والحجج التي تبين أن النحوي يقصد بصنيعه ذلك التقدير التجريدي وأغراضه، بخلاف النوع الأول يبيَّن فيه التحليل الموضعي التوزيعي ومقاصده التي ذهب لأجلها إلى البناء التركيبي المجرد.

- تَميُّزُ سيبويه بارتجالِ تعبيراتٍ غيرِ مسبوقةٍ وبالقدرةِ على إبداعِها؛ متنبِّئًا بالقضايا التفصيليةَ للتجريد التمثيلي.

- من أغراضِ التقدير التجريدي ومقاصدِه التي تجلَّت في مواضعه: بيانُ قوانين الصناعة النحوية، وإيضاحُ المعنى وتقريبُه إلى ذهن المخاطب، وتفسيرُ المبهم، وتحقيقُ التعميم وتقارضُ الأحكام.

وبعد، فكلّ بحث يصِل بعد معالجة الموضوع إلى توصيات، وحاصلها ما يأتي:

- توسيع مباحثة التقدير التجريدي في المنوالِ النحوي العربي المتأخرِ منوالِ شروح المفصل والكافية والألفية، والموازنة بينها وبين منوال سيبويه ونظرائه بتوظيف المعطيات العرفانية.

- دراسة الإخلال بالنقل عن سيبويه، وتثبت الأقوال المعزوة إليه عند المتأخرين من غير تصفح نص (الكتاب)، وإنما هي مستندة على نحوي سابق نسب إليه ذلك القول أو ذكر أنه ظاهر كلامه، وبيان الأوهام المبنية على هذا الإخلال.

المصادر والمراجع

الأزهري، خالد بن عبدالله. **التصريح بمضمون التوضيح**. تحقيق: عبدالفتاح بحيري. القاهرة: دار الزهراء للإعلام العربي(١٩٩٧).

استيتية، سمير. **اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج**. إربد. عالم الكتب الحديث(٢٠٠٨).

أوشان، علي. **اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي**. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة ودار الثقافة(١٩٩٨).

بودرع، عبدالرحمن. **الأسس المعرفية للغويات العربية**. عَمَّان: دار ورد الأردنية (٢٠١٣).

ابن جني، أبو الفتح عثمان. **المنصف**. تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين. القاهرة: مطبعة البابي الحلبي(١٩٥٤).

ابن جني، أبو الفتح عثمان. **الخصائص**. تحقيق: محمد علي النجار، ط٤. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب(٢٠٠٦).

جواد، علاء. **التمثيل النحوي في كتاب سيبويه**. رسالة دكتوراه. الديوانية: جامعة القادسية(٢٠٠٧).

الجوهري، إسماعيل بن حماد. **الصحاح**. تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين(١٩٨٧).

الحاج صالح، عبدالرحمن. **النظرية الخليلية الحديثة**. الجزائر: مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية(٢٠٠٧).

الحاج صالح، عبدالرحمن. **منطق العرب في علوم اللسان**. الجزائر: دار موفم(٢٠١٢).

الحاج صالح، عبدالرحمن. **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**. الجزائر: دار موفم(٢٠١٣).

الحاج صالح، عبدالرحمن. **البنى النحوية العربية**، الجزائر: المجمع الجزائري للغة العربية (٢٠١٦).

ابن حجر، محمد. **الاستدلال في كتاب سيبويه (الاستدلال بالعقل).** عَمَّان: مركز الكتاب الأكاديمي(٢٠٢٢).

حركات، مصطفى. **اللسانيات العامة**. القاهرة: الدار الثقافية للنشر(١٩٩٨).

الحسناوي، رجاء. والأسدي، حسن. **"الحجاج بمفهوم المنزلة عند سيبويه"**. مجلة الباحث. جامعة كربلاء(٢٠١٥)، العدد ١٠.

أبو حيان، محمد بن يوسف. **ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب**. تحقيق: رجب عثمان ورمضان عبدالتواب. القاهرة: مكتبة الخانجي(١٩٩٨).

أبو حيان، محمد بن يوسف. **التذييل والتكميل في شرح التسهيل**. تحقيق: حسن هنداوي. دمشق: دار القلم، الرياض: دار كنوز إشبيليا (ج ٨/ ٢٠٠٨، ١٠/ ٢٠١١، ١١/ ٢٠١٣، ١٢/ ٢٠١٤).

الرضي الأستراباذي، محمد بن الحسن. **شرح كافية ابن الحاجب**. تحقيق: يوسف حسن عمر. بنغازي. منشورات جامعة قاريونس(١٩٩٦).

الرماني، علي بن عيسى. **شرح كتاب سيبويه**. تحقيق: شريف النجار. القاهرة: دار السلام(٢٠٢١).

السامرائي، فاضل. **معاني النحو**. عَمَّان: دار الفكر (٢٠٠٠).

سعيد، جلال الدين. **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية**. تونس: دار الجنوب(٢٠٠٤).

سيبويه، عمرو بن عثمان. **الكتاب**. ط٣. القاهرة: مكتبة الخانجي(١٩٨٨).

السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله. **شرح الكتاب**. تحقيق: أحمد مهدلي وعلي سيد. بيروت: دار الكتب العلمية(٢٠٠٨).

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن. **الإتقان في علوم القرآن**. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب(١٩٧٤).

الشاطبي، إبراهيم بن موسى. **المقاصد الشافية**. تحقيق: محمد إبراهيم البنا وعبدالمجيد قطامش وعياد الثبيتي. مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى(٢٠٠٧).

الشهري، عبدالهادي بن ظافر. **إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية**. بيروت: دار الكتاب الجديد(٢٠٠٣).

صَليبا، جميل. **المعجم الفلسفي**. بيروت: دار الكتاب اللبناني(١٩٨٢).

الصليمي، عبدالله. **ظاهرة السؤال المقدر في كتاب سيبويه**. رسالة ماجستير. مكة المكرمة: جامعة أم القرى(٢٠١٣).

عبدالحميد، إيهاب. **قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيبويه**. رسالة دكتوراه. القاهرة: جامعة عين شمس(٢٠١٦).

عبدالرحمن، طه. **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي (١٩٩٨).

العتابي، نجاح. **الفرضيات وآثارها في أحكام النحو العربي**. رسالة ماجستير. بغداد: جامعة بغداد(٢٠٠٢).

العسكري، أبو هلال الحسن. **الفروق اللغوية**. تحقيق: محمد إبراهيم سليم. القاهرة: دار العلم والثقافة(١٩٩٧).

ابن عقيل، عبدالله بن عبدالرحمن. **المساعد على تسهيل الفوائد**. تحقيق: محمد كامل بركات مكة المكرمة. مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى(١٩٨٢).

عمايرة، خليل. **في نحو اللغة وتراكيبها**. جدة: دار عالم المعرفة(١٩٨٤).

الغزالي، أبو حامد محمد. **معيار العلم في فن المنطق**. تحقيق: سليمان دنيا. القاهرة: دار المعارف(١٩٦١).

ابن فارس، أحمد. **مقاييس اللغة**. تحقيق: عبدالسلام هارون. بيروت: دار الفكر (١٩٧٩).

الفضلي، عبدالهادي. **دراسات في الإعراب**. جدة: دار تهامة(١٩٨٤).

قباوة، فخر الدين. **إعراب الجمل وأشباه الجمل**. حلب: دار القلم العربي(١٩٨٩).

كارتر، مايكل. **"نحوي عربي من القرن الثامن للميلاد دراسة عن منهج سيبويه"**. ترجمة: عبدالمنعم آل ناصر. مجلة المورد(١٩٩٢)، العدد ١.

مبارك، حسن. **الإجراء في الصيغ والتراكيب النحوية**. رسالة دكتوراه. القاهرة: جامعة القاهرة (١٩٩٩).

المبرد، محمد بن يزيد. **المقتضب**. تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة. القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي بوزارة الأوقاف(١٩٩٤).

المرتضى الزَّبيدي، محمد بن محمد. **تاج العروس**. تحقيق: عبدالسلام هارون. الكويت: مطبعة الحكومة(١٩٩٤).

المعيوف، علي. **نظرية الموضع في كتاب سيبويه**. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية(٢٠١٠).

المعيوف، علي. **"طرق الاستدلال التركيبي الآلي لدى سيبويه والجرجاني"**. مجلة الدراسات اللغوية. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض(٢٠١١)، العدد ٢.

مقبول، إدريس. **الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه**. ط٢. إربد: عالم الكتب الحديث(٢٠٢٠).

الموسى، نهاد. **نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات (١٩٨٠).

ميلاد، خالد. **الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة**. تونس: المؤسسة العربية للتوزيع(٢٠٠١).

ناظر الجيش، محمد بن يوسف. **تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد**. تحقيق: علي فاخر وآخرين. القاهرة: دار السلام(٢٠٠٧).

نحلة، محمود. **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية (٢٠٠٢).

ابن الوراق، محمد بن عبدالله. **علل النحو**، تحقيق: محمود الدرويش. الرياض: مكتبة الرشد (١٩٩٩).

وهبة، مراد. **المعجم الفلسفي**. القاهرة: دار قباء الحديثة(٢٠٠٧).

يافو، ماري آن. وسرفاتي، وجورج إليا. **النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية**. ترجمة: محمد الراضي. بيروت: المنظمة العربية للترجمة(٢٠١٢).

ابن يعيش، يعيش بن علي. **شرح المفصَّل**، تحقيق: إميل يعقوب. بيروت: دار الكتب العلمية (٢٠٠١).

الأسماء الخماسية المجردة
في معجم تاج العروس للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)
دراسة تأصيليّة في ضوء الدلالة

أ.د. البندري بنت عبدالعزيز العجلان

جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

ملخص البحث:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛

فقد انطلقت فكرة هذا البحث من مشكلة تمثّلت في عدم تناسب طول الأبنية الخماسيّة المجرّدة مع طبيعة اللغة العربيّة الاشتقاقيّة، ومع ميل العربيّة للإيجاز والاختصار. فتبنّى الباحث نظريّة قديمة ترى أنّ الخماسيّ المجرّد ما هو إلا مشتقّ ممّا هو دونه في البنية، ويشترك معه في اللفظ والدلالة، فقام باستقراء الخماسي المجرد غير المزيد في تاج العروس للزبيدي، فكان مجموع الأسماء ثلاثة وثمانين اسمًا خماسيًّا. ثمّ قام بتطبيق نظريّة أن الخماسيّ مشتقّ ممّا هو دونه، فاتّضح له صدقها، فقد ظهر أن أربعة وأربعين اسمًا يعود إلى أصل ثلاثيّ زيد بحرفين من أحرف (سألتمونيها) أو رباعيّ زيد بحرف واحد منها، واجتمع في ستة أخرى زيادة أحد حروف (سألتمونيها) وزيادة تكرير. وقد أرست العربيّة دعائم استمرارها وتطورها بوضعها ضوابط لتطويل الكلمات، مع المحافظة على ميلها للإيجاز والاقتصاد في اختيار الألفاظ، فاستعملت النحت وعاملت لفظين معاملة الاسم الواحد، وذلك في واحد وعشرين اسمًا، وأدخلت في لغتها اثني عشر اسمًا من المـُعَرَّب وفق الأبنية المتفق عليها. وكانت أبنية الخماسيّ المتّفق عليها بين الصرفيّين هي الوعاء المناسب لاستيعاب ما طال لفظه من المنحوت والمعرب. وظهر في البحث أنّ ما وصف بالخماسيّ المجرد

قد خضع لتغيّرات لغويّة واجتماعيّة، فأمّا اللغويّة فهي كالقلب المكانيّ والإبدال اللغويّ، وأما الاجتماعيّة فهي هجر الناس لكثير من أمثلة الخماسيّ، ولم يعد مستعملًا عندهم إلّا بعض الألفاظ المرتبطة ببيئتهم وحياتهم.

المقدمة

بسم الله، والحمد لله، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمّا بعد؛ فهذه دراسة لغوية تؤصل للأسماء الخماسية المجردة [1]في معجم تاج العروس للزبيدي[2]. وقد كانت وفرة المادة العلمية في معجم تاج العروس سببًا أساسًا لاختياره مجالًا للدراسة، فقد أُحْصِيَ ثلاثمائة اسم[3]خماسي فيه. أما اختيار دراسة الخماسي المجرد فقد دفع إليها أمور أهمها: أنّ القول بأصالة جميع حروفه لا يتناسب مع طبيعة اللغة العربية الاشتقاقية، وميلها إلى الإيجاز. ثم إن العلاقة الدلالية

---

(١) سيفرد للخماسي المزيد دراسة مستقلة إن شاء الله.

(٢) "محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى: علّامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين "ت ١٢٠٥هـ انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ٧/ ٧٠. وكتابه تاج العروس من جواهر القاموس معجم ضخم شرح فيه القاموس المحيط للفيروزآبادي، واستعان في شرحه بكثير من المعجمات التي سبقت معجمه، وأثرى عمله بمعلومات كثيرة متنوعة في الجغرافية والتاريخ والأنساب وغيرها. انظر مقدمة المؤلف تاج العروس ١/ ٢ ـ ٥.

(٣) انظر محاضرات في علم اللغة الحديث لأحمد مختار عمر ١١٦. وانظر دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس، موسى؛ علي حلمي، وشاهين؛ عبد الصبور. وهذه الإحصائية تشمل المجرد والمزيد، المفسر دلاليًّا وغير المفسر كالأعلام، وما جاء على الأبنية المتفق عليها أو غيرها، وتشمل ما ورد في موضعين مقلوبًا وغير مقلوب، ومبدلًا وغير مبدل، وهذا يفسر كثرة لخماسي الوارد في الإحصائية.

وثيقة بين كثير من الخماسي وما يشاركه في اللفظ وهو دونه في البنية، وهذا يشير إلى أن ثمة علاقة لفظية تطوريّة بينهما. ويزيد اختلاف اللغويين في الحكم على بعض الأسماء أخماسيّة مجردة هي أم بها زيادة؟ من الشك في كون هذه الأسماء خماسية مجردة. وتنطلق هذه الدراسة من فكرة اعتدَّ بها عدد من اللغويين القدامى الذين عنوا بالعلاقة الدلالية بين الثلاثي وما زاد عليه، فقد ذهب ثعلب إلى أن زغدبًا من الزغد[1]. وتبعه كراع النمل[2]. أمّا ابن فارس فقد ألّف كتابه مقاييس اللغة[3]، وعني فيه بأصل ما زاد عن ثلاثة. ونُسب إلى الكوفيين القول بأن أقصى الأصول ثلاثة وما زاد عليها فهو زائد[4]. وهذه الإشارات لم تُعط حقها من الدراسة والبحث، فقد غلب رأي الفريق الذاهب إلى تعدد الأصول، وتجاهل العلاقات الدلالية الواضحة بين الثلاثي وما زاد عليه[5].

وعني المحدثون بتأصيل الرباعي، فذهب هنري فليش إلى أن الرباعي المجرد قد يكون متطورًا عن الثلاثي المجرد[6]، وذهب تمام حسان إلى عدم قصر حروف

---

(١) انظر الخصائص لابن جني ٤٩/٢.

(٢) علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن: عالم بالعربية. مصري. لقب «كراع النمل» لقصره، أو لدمامته. ترجمته في بغية الوعاة ١٥٨/٢. وانظر رأيه في كتابه المنتخب ٧٠٠ باب الزوائد من غير العشرة ومن أخواتها.

(٣) سيأتي تفصيل موقف ابن فارس من الخماسي.

(٤) انظر رأي الكوفيين في الإنصاف لأبي البركات الأنباري ٢ /٧٩٣ (م١١٤) وشرح المفصل لابن يعيش ١١٢/٦وشرح الشافية للرضي ٤٧/١.

(٥) انظر المنصف لابن جني ٢٥/١، ٢٦.

(٦) انظر العربية الفصحى من ٢٠٤ -٢٠٦.

الزيادة على حروف (سألتمونيها)[١] لوجود علاقة دلالية بين الثلاثي المجرد والرباعي المجرد. واستعمل رمضان عبد التواب قانون المخالفة[٢] لتفسير اللام في زَحْلَفَ، وبيّن أنها من زَحَّف الماضي المضعف العين، أبدل المضعف الأول لامًا. وذهب إسماعيل عمايرة إلى أن الرباعي ينشأ من فكّ تضعيف الثلاثي وإقحام حرف قبل العين مثل دَغْفَق من دَفَّق الثلاثي[٣]، أو بعدها مثل طَرْمَح من طَرَّح[٤].وذهب عبد الرزاق الصاعدي[٥] إلى تقسيم حروف الزيادة إلى قسمين: صرفية جمعها في (أمستويان) واستبعد اللام والهاء من حروف (سألتمونيها)، ولغوية سماعية معجمية أحفورية وتشمل الحروف جميعًا.

وتهدف الدراسة إلى تأصيل الأسماء التي حكم عليها اللغويون بأنها خماسية مجردة[٦] تأصيلًا يوضح العلاقة الدلالية الوثيقة بين المحكوم عليه بأنه خماسي مجرد وبين ما يتفق معه فيها وهو أقل منه في البنية ثلاثيًّا كان أو رباعيًّا. وهذا التأصيل يعتمد

---

(١) انظر اللغة العربية معناها ومبناها ١٦١، ١٦٢.

(٢) انظر التطور اللغوي ٦٠. وانظر التطور النحوي لبرجشتراسر ٣٤، ٣٥.

(٣) انظر معالم دراسة في الصرف ٦٠.

(٤) انظر معالم دراسة في الصرف ٦٢.

(٥) انظر مقال أسطورة حروف الزيادة العشرة المجموعة في قولهم: (سألتمونيها) نشر في موقع مجمع اللغة العربية الافتراضي يوم الخميس ٢٨ أبريل ٢٠١٦م.

(٦) استبعد البحث ما اتفق الصرفيون على أنه من مزيد الرباعي ككنهبُل وسنعبُق، وكل ما وقعت فيه النون ثالثة ساكنة وإن احتملت الأصالة نحو خَبَنْفَث.

على أدلة الصرفيين كالاشتقاق ـ وهو أعلى الأدلة وأوثقها عندهم ـ ولا يغفل الأدلة الأخرى كالتصريف وعدم النظير إن لم تتعارض مع الاشتقاق.

أمَّا مجال الدراسة فالأسماء الخماسية التي حكم عليها الزبيدي بأنها مجردة وجاءت على أحد الأبنية الأربعة المتفق عليها، وأورد الزبيدي لها تفسيرًا لغويًّا، وعددها ثلاثة وثمانون اسمًا. واستبعد البحث ما لم يفسر كالأعلام، وما لم يعرف أصله، واقتصر على المـُعَرَّب الذي جاء على أحد الأبنية الخماسية المتفق عليها.

وتنوعت المناهج المطبقة في هذه الدراسة، فطبق المنهج الاستقرائي في جمع المادة العلمية من معجم تاج العروس، مع حرصٍ وعناية بكتب الصرف واللغة وتتبع الخماسيّ فيها. والمنهج الوصفي في وصف الاسم الخماسي ودلالته ونوعه. والمنهج التحليلي في بيان وزن الاسم الموصوف بأنه خماسيّ وبيان الروابط الدلالية بينه وبين ما يقل عنه في البناء ويشاركه في الدلالة أو في جزء منها. والمنهج الاستنباطي الذي يستنبط الأحرف الأصول والأحرف الزوائد في كل اسم منطلقًا من ضابط من ضوابط العربية هو ميلها إلى الخفة والاختصار وعزوفها عن الثقل والإطالة. والمنهج التاريخي المقارن في مقارنة العربية بأخواتها الساميات في أقصى أصول الأسماء[١]. وقد بيّن هنري فليش أنّ دراسة الرباعي أو الخماسي شاقة وصعبة، وأنها لم تدرس دراسة عميقة[٢].

---

(١) نشوء الفعل الرباعي في اللغة العربية لأحمد هريدي ٦٠.

(٢) انظر العربية الفصحى ٢٠٤.

وواجهت الدراسة صعوباتٍ، منها: التداخل بين الرباعيّ والخماسيّ، واختلاف أحكام اللغويين على الكلمة الواحدة، وإخضاعهم الأعجمي للاشتقاق، وتعدد الدلالات للكلمة الواحدة، وورودها بصور مختلفة بفعل الإبدال والقلب المكاني. وارتباط دلالة بعض الكلمات ببيئتها التي تولدت فيها وشاع استعمالها لها ثم أهملت في العصور التالية. وقصور ما أورده المعجميون من دلالة وتفسير لبعض الكلمات، الذي يظهر في تفسيرهم بعض الكلمات الغريبة بكلمة واحدة.

وقد سبق إلى دراسة الخماسيّ دراسة منفردة الدكتور مصطفى عبد الحفيظ سالم في كتابه الخماسيّات اللغوية وآثارها في العربية. عني فيه بالخماسيّ وجمع عددًا كبيرًا مما رآه خماسيًّا، وردّ نظرية ابن فارس، ووصفها بالتكلف والتعسف[١]، وتبع القدماء في أحكامهم بخماسية بعض الألفاظ. وتختلف هذه الدراسة عن دراسته في عنايتها بنظرية ابن فارس، وتطبيقها على الأسماء الخماسية. أمّا الدكتورة سهى فتحي نعجة في بحثها الموسوم بـ(البنية الخماسية بين التصور والتمثيل)[٢]فقد عنيت بالربط بين الخماسي والثلاثي والرباعي المشترك معه في اللفظ والدلالة، واكتفت بنماذج من لسان العرب لعرض فكرة بحثها[٣]. ويختلف هذا البحث عن دراستها في مجال التطبيق، وفي استقصاء كل خماسي ورد مفسرًا في تاج العروس. وقد استفاد البحث

(١) انظر: الخماسيات اللغوية ٣٩.

(٢) منشور في المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، الأردن، المجلد الخامس العدد الأول ٢٠٠٩م. (ص١١-٤٠).

(٣) البنية الخماسية بين التصور والتمثيل ١٩.

من دراسات عنيت بنظرية ابن فارس التأصيليّة لما زاد عن ثلاثة، كدراسة سامر بحرة[1]، التي تنطلق من نظرية ابن فارس، ولكنها تختلف عنها في المجال، فمجال هذا البحث الخماسيّ في تاج العروس، ومجال سامر بحرة ما زاد عن الثلاثي في مقاييس اللغة. ومما يزيد من قيمة هذه الدراسة أن ابن فارس نفسه لم يولِ الخماسي ما أولاه الرباعي من عناية فقد ذكر السحيمي[2] أن ابن فارس لم يذكر من الخماسي إلا كلمات معدودة، قال: "ومعظمها مذكور في الموضوع وضعًا، لأن نظرية ابن فارس في النحت لا تنطبق على الخماسي"[3]. ودراسة السحيمي توافق دراسة سامر بحرة في المجال، وفي العناية بالرباعي، وتخالف هذه الدراسة في مجالها، وقد نص السحيمي على أن ابن فارس لم يذكر من الخماسي إلا خمسة عشر مثالًا[4]، ذكرها في الموضوع وضعًا، أي أنه لم يعنَ بتأصيلها. ويزيد من قيمة هذه الدراسة أنها تستقري كل خماسي مجرد، ذكر الزبيدي له دلالة، وأنها تقسمه بحسب أصله الذي تولد منه إلى ثلاثة أقسام، مزيد بزيادة صرفية، ومنحوت، ومعرب. ثم ترتب الأسماء الخماسية وفق أبنيتها المتفق عليها بين الصرفيين، وتفسر كيفية تولدها، وتشرح التغيرات التي طرأت عليها، متخذة من نظرية ابن فارس فيما زاد عن ثلاثة متكأً ومنطلقًا. وتهدف الدراسة أيضًا إلى

---

(١) منهج ابن فارس في تأصيل ما زاد على ثلاثة أحرف "دراسة نقدية في معجم مقاييس اللغة" بحث منشور في مجلة دراسات في اللّغة العربية وآدابها، جامعة سمنان الإيرانية، السنة الرابعة، العدد ١٤، ٢٠١٣م من ٤١ وما بعدها (ص ٤١ .٧٤).

(٢) انظر كتابه: أصل ما زاد على ثلاثة عند ابن فارس من خلال معجم مقاييس اللغة.

(٣) السابق ٢٨، وانظر ٣٩، ٤٠.

(٤) انظر أصل ما زاد على ثلاثة عند ابن فارس من خلال معجم مقاييس اللغة ٣٩، ٤٠.

الكشف عن عبقرية اللغة العربية في توليد الخماسي، وأنها لغة اشتقاقية تنطلق من بنية أصغر إلى بنية أكبر محتفظة في رحلتها بجزء من دلالة البنية التي هي أقل ومضيفة إليها ما تطلبه زيادة المبنى، وأن هذا الاشتقاق يسير وفق نظام، وليس عشوائيًّا.

واقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة وفصلين وخاتمة.

الفصل الأول: الأسماء الخماسية المجردة عند اللغويين والصرفيين، ويشمل:

المبحث الأول: الأسماء الخماسية المجردة: خصائصها، وأبنيتها المتفق عليها.

المبحث الثاني: الطرائق القياسية لإنشاء الأبنية الخماسية.

الفصل الثاني: تأصيل أمثلة الأسماء الخماسية المجردة في ضوء الدلالة.

المبحث الأول: ما لحقته زيادة من أحرف الزيادة الصرفية.

المبحث الثاني: المنحوت.

المبحث الثالث: المعرب.

ثم خاتمة تذكر فيها أهم النتائج والتوصيات.

الفصل الأول: الأسماء الخماسية المجردة عند اللغويين والصرفيين

المبحث الأول: الأسماء الخماسية المجردة: خصائصها، وأبنيتها المتفق عليها

عُرف الخماسي المجرد بأنه اسم مكون من خمسة أحرف أصول، ليس بينها زائد، ولا حرف علة(١). ووصفه سيبويه ببنات الخمسة(٢).

خصائص الأسماء الخماسية المجردة عند الصرفيين(٣):

- لا يصاغ منه فعل؛ لثقله الناشئ من كثرة أحرفه فلم يعد يحتمل الزيادة اللازمة للأفعال.(٤)

- اختص الخماسي خلاف غيره من الأبنية الرباعية والثلاثية بأنه لا يكسر(٥)؛ أي إن لفظه الخماسي لا يجمع جمع تكسير فلا يقال سفارجل، بل يحول إلى رباعي بحذف الحرف الأخير، فيصبح (سفرج) ويجمع على سفارج ويصغر على سفيرج(٦). أما إذا كان الحرف الرابع يشبه أحرف الزيادة مثل دال فرزدق التي تشبه التاء فيعامل معاملة الزائد ومن ثم يجوز حذفه أو حذف الحرف الأخير(٧).

---

(١) انظر أبنية الأسماء لابن القطاع ٣١٦.

(٢) انظر الكتاب ٣٠١/٤.

(٣) هناك خصائص تجمع بينه وبين الرباعي منها أن يكون به حرف أو أكثر من أحرف الذلاقة والشفوية (ر، ل، ن، ف، ب، م)، وإذا خلا منها فليس بعربي، نحو كشَعْثج وخَضَعْثَج وَكَشَعْطَج وأشباهِهِنَّ، فهذه مولَّدات لا تجوز في كلام العرب. انظر العين ٥٢/١.

(٤) انظر الكتاب ٣٠١/٤.

(٥) السابق.

(٦) انظر: الكتاب ٤١٧/٣.

(٧) انظر: الأصول لابن السراج ٣٩/٣.

– البناء الخماسي أقل استعمالًا من الرباعي، ومن الثلاثي، قال سيبويه: "وبنات الخمسة قليلة"[١] أمّا القسمة العقلية فتقتضي أن يكون الخماسيّ أكثر الأبنية عددًا، قال الرضي: "وكان حق أبنية الخماسي أن تكون مائة وأحدًا وسبعين، وذلك بأن تضرب أربع حالات اللام الثانية في الثمانية والأربعين المذكورة فيكون مائة واثنين وتسعين، يسقط منها أحد وعشرون، وذلك لأنه يسقط بامتناع سكون العين واللام الأولى فقط تسع حالات الفاء واللام الثانية، وتسقط بامتناع سكون اللام الأولى والثانية فقط تسع حالات الفاء والعين، وتسقط بامتناع سكون العين واللامين معًا ثلاث حالات الفاء، يبقى مائة وأحد وسبعون بناء"[٢].

– نص ابن جني على أن الخماسي لا تستعمل تقاليبه إلا في ضرورة الشعر، وأن قول بعضهم: (زبردج) قَلْبٌ لَحِق الكلمة ضرورةً[٣].

---

(١) انظر: الكتاب ٤/٣٠١.

(٢) شرح الشافية ١/٤٧، ٤٨ وانظر العين ١/٥ ٩. وقال الزبيدي في مقدمة التاج ١/٧: "وعدة الخماسي سِتَّة آلَاف ألف وثلاثمائة ألف وَخَمْسَة وَسَبْعُونَ ألفا وسِتمِائَة، الْمُسْتَعْمل مِنْهُ اثْنَان وَأَرْبَعُونَ، والمهمل سِتَّة آلَاف ألف وثلاثمائة ألف وَخَمْسَة وَسَبْعُونَ ألفا، وَخَمْسمِائة وَثَمَانِية وَخَمْسُونَ".

(٣) انظر الخصائص ١/٦٢.

– الواو وأختيها الياء والألف لا تكون أصلًا في الخماسي[١]، ولذلك أخرج ابن جني (نَخْوَرِش) من بنات الخمسة[٢]، مخالفًا المبرد[٣].

أبنية الأسماء الخماسية المجردة:

اتفق جمهور النحويين كالخليل[٤] وسيبويه[٥] ومن تبعهما[٦] على أن أبنية الخماسي المجرد أربعة، وما عداها شاذ. وهي:

١. فَعَلَّل ـ بفتح الفاء والعين وسكون اللام الأولى وفتح الثانية ـ مثل سَفَرْجَل.

٢. فَعْلَلِل ـ بفتح الفاء وسكون العين وفتح اللام الأولى وكسر اللام الثانية ـ مثل جَحْمَرِش.

٣. فُعَلِّل ـ بضم الفاء وفتح العين وسكون اللام الأولى وكسر الثانيةـ مثل قُذَعْمِل.

(١) أبنية الأسماء لابن القطاع ٣١٦، ويشاركه الرباعي في هذه الصفة.

(٢) انظر المنصف ١/٣١ وشرح الشافية ٢/٢٦٤.

(٣) انظر المقتضب ١/٦٨، ووافقه ابن عصفور في الممتع ٧١. وقد اختلف فيه، فدلالته من الخرش، وهذا يدل على أنه نَفْوَعِل، والنون والواو زائدتان. وهو قول ابن سيدة في المحكم ٥/٢٢: "وجَرْو نَخْوَرِش: قد تحرّك وخَدَش: لَيْسَ فِي الْكَلَام (نَفْوعل) غَيره". وقيل من نخرش الرباعي فهو فَعْوَلِل، وقيل خماسي مجرد كجحمرش. انظر تاج العروس ٤/٣٥٥.

(٤) انظر العين ١/٤٩

(٥) انظر الكتاب ٤/٣٠١.

(٦) انظر الأصول ٣/ ١٨٤ والمنصف ١/ ٣٠ وشرح المفصل ٦/١٤٢ وشرح الشافية ١/٤٧.

٤. فِعْلَلّ ـ بكسر الفاء وسكون العين وفتح اللام الأولى وسكون الثانية. مثل جِرْدَحْل.

أما فُعْلَلِل ـ بضم الفاء وسكون العين وفتح اللام الأولى وكسر الثانية ـ فبناء مختلف فيه زاده ابن السراج ومثل له بهُنْدَلِع [1]. ولم يوافقه الصرفيون على ذلك، لأن[2]نونه زائدة، وإذا تردد الحرف بين الأصالة والزيادة والوزنان نادران، فالحكم بالزيادة أولى لكثرة ذي الزيادة. وقال الرضي: "ولو جاز أن يكون هُنْدَلِع فُعْلَلِلًا لجاز أن يكون كَنَهْبُل فَعَلُّلًا، وذلك خرق لا يرقع، فتكثر الأصول"[3] فهو رباعي مزيد مستدرك على سيبويه[4]. وزاد بعض اللغويين أبنية أخرى للخماسي المجرد مثل:

فُعْلَلٌّ ـ بضم الفاء وسكون العين وفتح اللام الأولى وسكون الثانية ـ مثل قُسْبَنْد[5]، ورُدّ الاستدلال بهذا المثال، لأنه فارسيّ مُعَرَّبُ: كُسْبَنْدٍ لما يشد في الوسط، أو كُوسْبَنْدَ للشاة[6].

---

(١) انظر: الأصول ٣ / ١٨٦، بقلة تاج العروس ٥/٥٥٦. وحكي في هائه الكسر انظر شرح الأشموني ١٨٦/٤. ومثل له ابن القطاع في أبنية الأسماء ٣١٧ بهندلق.

(٢) انظر: الخصائص ٣ / ٢٠٣ وشرح المفصل ابن يعيش ٦ / ١٤٣ شرح الشافية ١/ ٤٩.

(٣) شرح الشافية ٤٩/١.

(٤) انظر الاستدراك على سيبويه لأبي بكر الزبيدي ٣٦ والخصائص ٣/ ٢٠٣ والمنصف ٣١/١.

(٥) انظر: أبنية الأسماء لابن القطاع ٣١٦ وارتشاف الضرب ١٤٠/١وفيه (قُسْبَنْدَة).

(٦) انظر تاج العروس ٤٦٦/٢ ومعناه الطويل العظيم العنق.

وفِعِلِّل ـ بكسر الفاء والعين واللام الأولى ـ نحو عِقِرْطِل للفيلة[1]. ولا أراه أصلًا، ففيه لغة أخرى على مثال سفرجل، واللام زائدة.

وفُعُلُّل ــ بضم الفاء والعين وسكون اللام الأولى وضم الثانية ــ نحو قُرُعْطُب[2]، ما له قرعطب، أي ما له شيء. وفيه لغة أخرى كقِرْطَعْب. وقُرُعْبُل لغة في قَرَعْبَل وقَرَعْبَلَانة (دويبة)[3]. أفرد ابن دريد له بابًا، ومثل له بقُرُعْطُبة وقُرُطْعُبَة وخُبُعْثُنَة[4].

وفِعَلَّل ــ بكسر الفاء وفتح العين وسكون اللام الأولى وفتح الثانية ــ نحو سِبَعْطَر للضخم الشديد البطش[5]. ونلحظ أن سبب إهمال اللغويين لهذه الأبنية يعود إلى أحد سببين: إما العجمة وإما ورودها بلغتين إحداهما قياسية.

المبحث الثاني: الطرائق القياسية لإنشاء الأبنية الخماسية

ذهب فريق من الصرفيين واللغويين إلى تبني نظرية ترى أنّ أقصى الأصول ثلاثة، وما زاد عليها فهو زائد، وقد أشار سيبويه إلى هذه النظرية واعترض عليها، قال سيبويه: "فمن زعم أن الراء في جعفرٍ زائدة أو الفاء فهو ينبغي له أن يقول: إنه فَعْلَرٌ

---

(١) انظر: أبنية الأسماء لابن القطاع ٣١٦، وارتشاف الضرب ١ /١٤٠ وتاج العروس ٣١/٨.

(٢) انظر ارتشاف الضرب ١ /١٤٠.

(٣) انظر أبنية الأسماء ٣١٦ وتاج العروس ٧٨/٨ ووردت قرعبل كسفرجل في العين ٤٩/١.

(٤) انظر جمهرة اللغة ٤٠٥/٣ والأصل فيه أن يأتي للمضاعف مثل جُلُعْلُعَة وثُرُعْطُطَة، انظر جمهرة اللغة ٤٠٥/٣ ومثل بما فيه زيادة النون ثالثة ساكنة أيضا نحو زُنُنْقُطَة.

(٥) انظر أبنية الأسماء ٣١٦ وارتشاف الضرب ١٤٠/١، ورد السَّبَعْطَرَيّ كقَبَعْثَرَيّ وسِبَعْطَر لغة انظر:تاج العروس ٢٥٤/٣.

وفَعْفَلٌ، وينبغي له إن جعل الأولى زائدة أن يقول: جفعلٌ"[1] وتبنّى الكوفيون هذه النظرية، واختلفوا في الزائد، أهو الحرف الأخير أو ما قبله[2]، ونسب إلى الفراء القول بأن الحرفين الأخيرين في الخماسي المجرد زائدان[3]. ووصف الرضي قوله بالتناقض، لأنه يزن سفرجلًا بفَعَلَّل. ويمكن اختصار اعتراض الجمهور على مذهب الكوفيين بأمرين: أولهما: ادعاء زيادة من غير حروف سألتمونيها. وثانيهما: الخروج على ضوابط الوزن الصرفي. وعند البحث في آثار الكوفيين نجد قولًا منسوبًا لثعلب يرى فيه أن زغدبًا من الزغد، والباء زائدة[4]. وردَه ابن جني محتجًّا بأن الزغد والزغدب أصلان وإن تقاربا في الدلالة. وابن جني نفسه لحظ التقارب الدلالي واللفظي بين الثلاثي وما زاد عنه قال: "البغثر الأحمق الضعيف، قال: كأنه من معنى الأبغث وهو من خساس الطير وضعافها ولست أقول إن الراء زائدة"[5] وتبعهم ابن دريد فجعل فرزدقًا مزيدًا فيه[6]. وذهب كراع إلى ما ذهب إليه الكوفيون، وزاد عليهم أنّ الزيادة ليست محصورة في الآخر أو ما قبل الآخر، بل تكون في الأول أو في الوسط أو في الآخر[7]. وبسط الحديث في هذه النظرية، فأفرد بابًا للزوائد من غير العشرة وأخواتها،

---

(١) الكتاب ٤ /٣٢٨.

(٢) انظر الإنصاف ٧٩٣/٢المسألة١١٤، شرح الشافية ٤٧/١، شرح المفصل ١٤٣/٦.

(٣) انظر شرح الشافية ٤٧/١.

(٤) انظر الخصائص ٤٩/٢.

(٥) المبهج لابن جني ١٥٤.

(٦) انظر جمهرة اللغة ٣٦٩/٣ ولم يوضح كيفية الزيادة.

(٧) انظر المنتخب ٧٠٠/٢، ٧٠٥.

فالزيادة عنده على ثلاثة أنواع: الأول: حروف سألتمونيها[١]، والثاني: أخوات سألتمونيها، وهي ما توافقها في المخرج[٢]، فالطاء والدال أختا التاء[٣]، والجيم أخت الياء[٤]. والراء أخت اللام، والزاي أخت السين[٥]. والثالث: ليس من العشرة ولا أخواتها، ومثّل له بالعين في ارتعج، وأصله ارتجّ، قال: "فزيدت العين وليست من الزوائد ولا من أخواتها"[٦]؛ ولكن كراعًا لا يرى زيادة في نحو سفرجل وفرزدق[٧]. ثم جاء ابن فارس فأصّل ما زاد على ثلاثة، فقسم الرباعي والخماسي إلى ثلاثة أقسام: مشتق وفيه زائد من حروف سألتمونيها أو غيرها، ومنحوت، وموضوع وضعًا. وقد استقصى هذا البحثُ أمثلةَ الخماسي في مقاييس اللغة، فتوصل إلى أن: الخماسي عند ابن فارس ينقسم إلى: مزيد فيه زيادة غير صرفية، ومنحوت، ومعرب، وموضوع وضعًا. وما لا يعتد به. فالمزيد: اسمان كلاهما صفة، وهما: "خُبَعْثِنَة الأسد الشديد، وبه شبه الرجل. والعين والنون زائدتان"[٨]. و"شَمَرْدَل الرجل الخفيف في أمره... من شمر"[٩] فالدال واللام زائدتان. وهاتان الصفتان ليستا من الخماسي عند ابن فارس،

---

(١) انظر المنتخب ٦٨٩ – ٦٩٩.

(٢) انظر المنتخب ٦٩٩.

(٣) انظر المنتخب ٧٠٤.

(٤) انظر المنتخب ٧٠٥.

(٥) انظر المنتخب ٧٠٣.

(٦) المنتخب ٧٠٠. ومن هذا القسم الغين والكاف، والحاء ٧٠١– ٧٠٢.

(٧) انظر المنتخب ٦٩٩.

(٨) انظر مقاييس اللغة ٢/٢٤٨.

(٩) انظر مقاييس اللغة ٣/٢٧٤.

فخُبَعْثِنة عنده ثلاثي من الخبث، ويخالف في رأيه هذا سيبويه الذي ذهب إلى أن خُبَعْثَنًا خماسي مجرد[١]. وشمردل ثلاثي الأصل مزيد بحرفين عند ابن فارس، مخالفًا سيبويه[٢] الذي جعله خماسيًّا مجردًا. والمنحوت عند ابن فارس مما عده غيره من الصرفيين خماسيًّا مجردًا: أربعة أسماء، سيأتي تفصيلها. ومن المـُعَّرب: نَبَهْرَج "ليست عربية صحيحة فلذلك لم يطلب لها قياس"[٣]. أما الموضوع وضعًا فثمانية أسماء: حَبَرْكَل صفة للقصير[٤]، وخَبَرْنَج صفة للحسن الغذاء[٥]، وسَجَنْجَل[٦]، المرآة، وقَلَهْبَس صفة للهامة المدورة[٧]، وقَبَعْثَر صفة للعظيم الخلق[٨]، وقِرْطَعْبَة خرقة[٩]، وقُذَعْمِلة[١٠]، وهَبَنْقَع[١١]صفة للأحمق. وأما ما لا يعتد به فخَدَرْنَق، قال:"وأما قولهم لذكر العناكب خدرنق، فهذا من الكلام الذي لا يعول على مثله، ولا وجه للشغل

---

(١) انظر الكتاب ٤/٣٠٢ وأبنية الأسماء لابن القطاع ٣١٦.

(٢) انظر الكتاب ٤/٣٠١ وانظر العين ١/٤٩.

(٣) نفسه١/٣٣٣.

(٤) انظر مقاييس اللغة ٢/ ١٤٨.

(٥) انظر مقاييس اللغة ٢/٢٥٤

(٦) انظر مقاييس اللغة ٣ /١٦٢.

(٧) انظر مقاييس اللغة ٥/ ١١٩.

(٨) انظر مقاييس اللغة ٥/ ١١٩.

(٩) انظر مقاييس اللغة ٥/ ١١٩.

(١٠)انظر مقاييس اللغة ٥/ ١١٩.

(١١)انظر مقاييس اللغة ٦/٧٣. ولم يشر إلى زيادة النون قياسًا.

به"[١]. ومن هنا تتضح أهمية هذا البحث، فلم يزد ما أصّله ابن فارس عن اسمين في المزيد، وأربعة في المنحوت. والخلاصة أن رأيَّ اللغويين السابقين في نشوء الخماسي مختلفٌ باختلاف المذاهب، فالفريق الأول يمثله البصريون ومن تبعهم، يرون أنه إما مجرد، أو ثلاثي أو رباعي ألحق بالخماسي بزيادة صرفية أو بالتكرير. وقد عرفوا الإلحاق بأنه: "ما قصد به جعل ثلاثيّ أو رباعيّ موازنًا لما فوقه، محكومًا له بحكم مقابله غالبًا، ومساويًا له مطلقًا في تجرده من غير ما يحصل به الإلحاق، وفي تضمن زيادته إن كان مزيدًا، وفي حكمه، ووزن مصدره الشائع إن كان فعلًا"[٢]. وهو إما: إلحاق ثلاثي بخماسي، أو إلحاق رباعي بخماسي، قال الرضيُّ: "وكذا الملحق بالخماسي من الثلاثي والرباعي كثير، فمن الثلاثي الملحق بسفرجل نحو صَمَحْمَح[٣] وعَفَنْجَج[٤] وكَرَوَّس[٥] وعَمَلَّس[٦] وعَثَوْثَل[٧] وهَبَيَّخ[٨] وعَقَنْقَل[٩] وخَفَيْدَد وخَفَيْفَد[١٠]

(١) انظر مقاييس اللغة ٢/٢٥١.

(٢) التسهيل لابن مالك ٢٩٨.

(٣) الشديد القوي. تاج العروس ٢/١٨٤.

(٤) الضخم. تاج العروس ٢/٧٥.

(٥) الضخم. تاج العروس ٤/٢٣١.

(٦) القوي على السير. تاج العروس ٤/١٩٧.

(٧) الكثير شعر الرأس والجسد. تاج العروس ٨/٥.

(٨) الأحمق المسترخي. تاج العروس ٢/٢٨٥.

(٩) الوادي العظيم. تاج العروس ٨/٣٠.

(١٠) السريع. تاج العروس ٢/٣٤٤.

وأَلَنْدَد ويَلَنْدَد[١] وحَبَنْطَى[٢]. ومن الرباعي جَحَنْفَل[٣] وحَبَوْكر[٤]. ومن الملحق بقِرْطَعْب من الثلاثي إِرْدَبّ[٥] وفِرْدَوْس وإِدْرَوْن[٦] وإِنْقَحْل[٧]. ومن الرباعي قِرْشَبّ[٨] وعِلْكَدّ[٩]. وقولهم: هَمَّرِش[١٠] عند سيبويه ملحق بجَحْمَرِش بالتضعيف، وعند الأخفش ليس فيه زائد وأصله هنمرش، ويجوز على ما ذهبنا إليه أن يكون سِرْدَاح ملحقًا بجِرْدَحْل، وعُلَابِط ملحقًا بقُذَعْمِل"[١١]

أهم ضوابط الصرفيين في الحكم بالزيادة:

١ .الاشتقاق: هو أهم الضوابط وأكثرها دقة، وعليه عوّل سيبويه في الحكم برباعية عنتريس[١٢]؛ لأنه من العترسة، على الرغم من أن النون وقعت ثانية فيه.

---

(١) الشديد الخصومة. تاج العروس ٤٩٣/٢.

(٢) القصير الغليظ. تاج العروس ١١٧/٥.

(٣) الغليظ الشفة. تاج العروس ٢٥٣/٧.

(٤) رمل يضل فيه السالك. ١٢١/٣.

(٥) مكيال ضخم. تاج العروس ٢٦٩/١.

(٦) الوطن أو الأصل أو المعلف. تاج العروس ١٩٨/٩.

(٧) المسن. تاج العروس ٧٧/٨.

(٨) المسن والسيّئ الحال. تاج العروس ٤٢٦/١.

(٩) الشديد. تاج العروس ٤٣٠/٢.

(١٠) العجوز الكبيرة. تاج العروس ٣٦٨/٤.

(١١) شرح الشافية ٦٠/١.

(١٢) انظر: الكتاب ٤/ ٣٢٢ والعنتريس: الداهية تاج العروس ١٨٤/٤.

٢.عدم النظير: ولذلك حكموا بزيادة النون[١] في كَنَهْبُل؛ لأنه ليس في الكلام مثال سَفَرْجُل.

٣.كثرة زيادة الحرف في ذلك الموضع المخصوص: كالنون إذا كانت ثالثة ساكنة في الخماسي، نحو جَحَنْفَل من الجحفلة[٢].

ويؤخذ على هذا الفريق عدّهم الخماسي المجرد قسمًا خاصًّا، على الرغم من مخالفة ذلك لطبيعة اللغة العربية التي تميل إلى الإيجاز والاختصار، ومخالف كذلك لطبيعتها الاشتقاقية التي تعتمد على تطويل الثلاثي بحروف الزيادة الصرفية (سألتمونيها) أو بالتكرير.

أمّا الفريق الثاني ويمثله الكوفيون القائلون بأن أقصى الأصول ثلاثة، وما زاد عليه فهو زائد، فيؤخذ عليهم تعيين موضع الزيادة بالحرف الأخير أو ما قبله. ثم جاء بعدهم كراع النمل، فسار على هديهم وخالفهم في مواضع الزيادة فلم يقيدها بموضع معين، وقسم حروف الزيادة ثلاثة أقسام: حروف الزيادة العشرة أو إحدى أخواتها المقاربات لها في المخرج أو ما ليس من أخواتها. ثم جاء ابن فارس فقسم ما زاد على ثلاثة فهو إمّا مشتق من ثلاثي وزيادته قد تكون صرفية أو غير صرفية، وإمّا منحوت، أو موضوع وضعًا. ولم تجد نظرية الكوفيين ومن تابعهم من يتابع تطويرها وتهذيبها، فقد كانت الغلبة والانتشار لأصحاب المذهب البصري على الرغم من ظهور العلاقة الاشتقاقية

---

(١) انظر الكتاب ٤/٣٢٤.

(٢) انظر: شرح التصريف للثمانيني ٢٢٨.

بين الثلاثي وما زاد عليه من المعدود رباعيًّا أو خماسيًّا مجردًا، هذه العلاقة حملت عددًا من اللغويين والصرفيين على الحكم بالزيادة على بعض ما عدّه البصريون وتابعيهم مجردًا[١]، مثل همرجل، قال الجوهري: الميم زائدة [٢]، وقال غيره: اللام والميم زائدتان من هرج، فوزنه فَمَعْلَل، وقيل من مرج، ووزنه هَفَعْلَل[٣]. **ثم جاء المحدثون** فبحثوا في نشأة ما زاد على ثلاثة، واستعانوا بالدرس التاريخي المقارن الذي انتصر لرأي الكوفيين، إذ انتهى إلى أن الأصل في كلمات العربية وأخواتها الساميات مبني على ثلاثة أحرف، وفي هذا يقول المستشرق إرنست رينان: "نحن نعلم أن أصول جميع الأفعال في اللغات السامية في أوضاعها الحالية ثلاثية الأحرف، أما العدد القليل من الأصول الرباعية التي نجدها في العربية والعبرية والسريانية، فليست أصولًا حقيقية، إنها صيغٌ مشتقّةٌ أو مركّبة، تعودنا أن نعدها صيغًا أصلية غير مركبة"[٤]. وأوضح هنري فليش أن الرباعي قد يكون متطورًا عن أصل ثلاثي بتكرار الحرف الأول مثل طرطب من الطرب الدال على الاضطراب، أو بمخالفة تضعيف الصيغة الثانية (فَعّل) فالعنصر الأول من التضعيف يبدل راء أو لامًا أو نونًا. أو بتوسيع الأصل الثلاثي بزيادة في آخره كالراء واللام والسين[٥]. وطبق

---

(١) انظر العين ١/٤٩ والمنصف ١/٣٠ والممتع ٧٠.

(٢) انظر الصحاح ٥/١٨٤٩.

(٣) انظر ارتشاف الضرب ١/١٣٤.

(٤) نشوء الفعل الرباعي في اللغة العربية ٦٠.

(٥) انظر العربية الفصحى ٢٠٤ - ٢٠٦.

برجشتراسر نظرية المخالفة فأرجع فرقع إلى فَقّع وبلطح إلى بطّح[١]، وكذلك فعل رمضان عبد التواب، أرجع زحلف إلى زحّف، وزحلق إلى زلّق[٢]. ونظرية المخالفة لها جذورها في اللغة العربية، إذ يميل العرب للتخلص[٣]من أحد المضعفين بإبداله ياء في نحو تسريت وتظنيت من تسررت وتظننت. وإسماعيل عمايرة [٤]يرى أن الأصل ثلاثيٌّ مضعف، ثم تُخلص من الإدغام بإقحام حرف مكان أحد المتماثلين، واستعمل مصطلح الإقحام مُتحاشيًا مصطلح الإبدال، لأن الإبدال الصرفي له أحرفه وضوابطه التي لا تتحقق هنا.

الفصل الثاني: تأصيل أمثلة الأسماء الخماسية المجردة في ضوء الدلالة

التأصيل هنا يعني: رد كل خماسي إلى أصله الذي تولد منه، سواء أكان عربيًّا مشتقًّا أم منحوتًا أم مُعَرَّبًا. والهدف الذي يُراد تحقيقه في هذا الفصل إثبات أن اللغة العربية لغة اشتقاقيّة، تميل إلى الإيجاز. والاشتقاق فيها ينطلق من البناء الثلاثي، الذي هو أعدل الأبنية وأكثرها، فيُطَوّل وفق قواعد. ثم إن للتغيرات اللغوية كالإبدال والقلب المكاني أثرًا في تكثير الأمثلة الطويلة. وقد استقرى البحث في هذا الفصل

---

(١) التطور النحوي ٣٥.

(٢) انظر التطور اللغوي ٦٠ -٦١.

(٣) وتتخلص منه بالحذف مثل ظلت في ظللت، وللعربية طرائق أخرى للتخلص من توالي المتماثلات.

(٤) انظر معالم دراسة في الصرف ٥٧ -٦٦.

الأسماء التي حكم عليها الزبيدي بأنها خماسية الأصل. وبعد تحليليها تحليلًا لغويّا اتضح أنها تنقسم ثلاثة أقسام، القسم الأول وُجدت فيه زيادة صرفية، والقسم الثاني منحوت، والثالث مُعَرَّب. فجَعل لكل قسم مبحثًا، ورُتبت المواد حسب أبنية الخماسيّ المتفق عليها بين الصرفيين.

المبحث الأول: ما لحقته زيادة من أحرف الزيادة الصرفية

١ .زيادة حرف على الرباعي، أو حرفين على الثلاثي من أحرف (سألتمونيها) وعددها أربعة وأربعون:

أولا: فَعَلَّل: جَلَحْمَد[١]: شبهه الزبيدي بسفرجل، فهو خماسي مجرد عنده. ويراه الباحث (فَعَلْنَل) وهو صفة للرّجل الغلِيظ الضَّخْم، يتفق مع جَلَنْدَح في الدلالة والأحرف الأصلية. وجلندح من جلدح الرباعي، نونه زائدة، دلّ على ذلك القياس فهي ثالثة ساكنة، وأيد ذلك الاشتقاق، فالجلدح[٢] يدل على الصلابة وكبر السن والطول. وأحرفه موجودة في جلحمد، ولكن ترتيبها مختلف، فهو مقلوب من جلندح[٣]، وصاحَب القلبَ المكاني إبدالُ الميم بالنون[٤]، فهو في الأصل (فَعَنْلل) ولما

(١) انظر تاج العروس ٢/٣٢٤.

(٢) انظر تاج العروس ٢/١٣٢.

(٣) من صور القلب لجلندح الحلندجة الصلبة من الإبل انظر تاج العروس ٢/١٣٢(ج ل د ح).

(٤) انظر القلب والإبدال ٧ ـ ٢٢. والتغير التاريخي للأصوات لآمنة الزعبي ١٤٦. ١٤٨ وقد تكون النون أبدلت ميما عندما انتقلت من الموقع الذي تكثر زيادتها فيه. وجاء التعاقب بينهما إذا وقعتا في موقع الحرف الرابع الزائد مثل محلقن ومحلقم، وجعثن وجعثم، وحراسين وحراسيم.

قلب صار (فَعَلْنل) ويؤيد ذلك اتفاقهما في الدلالة والأحرف، وعدم وجود تصريفات للمقلوب[١].

جَنَعْدَل عدّه سيبويه خماسيًّا مجردًا[٢]،وتبعه الزبيدي[٣]. ويراه الباحث (فَنَعْلل) وهو صفة الرجُل الغَلِيظ القَوِيّ الشَّدِيد الصُّلْب، وهي صفات جسدية تدل على الشدة والصلابة والغلظة وتكون للإبل والرجال. مشتقّ من الجعد[٤]، رجل جعد: مجتمع شديد. والجَعْد يعني – إِذا ذهب به مذهب المدح – أَن يكون معصوب الجوارح شديد الأَسر والخلق غير مسترخ ولا مضطرب. ففيه الدلالة على الشدة والغلظة المحمودتين ويكون وصفًا للرجال وللإبل. فالنون زائدة ثانية يدل على زيادتها الاشتقاق، فالجَعْدَل والجَنَعْدَل بمعنى واحد، وسمع فيه جَنَعْدُل ـ بضم الدال ـ ككنَهْبُل، فعدم النظير دليل على زيادة النون. واللام زائدة طرفًا لاشتقاقه من الجعد.

حَبَرْكَل: خماسي عند الزبيدي[٥]، ويراه الباحث (فَعَلَّل) وهو صفة الغليظ الشفة، والقصير[٦]. ويجمع بين القصر وغلظ الشفة الدلالة على التجمع، و(حَبَرَكَى)

(١) لم يستعملوا جلحد. ولم يرد لجلحمد دلالات غير الغليظ الضخم، والجلندح أوسع منه دلالة وأكثر تصرفًا.

(٢) انظر الكتاب ٣٠١/٤.

(٣) انظر تاج العروس ٧ /٢٦٦ يُرْوَى أيضاً بضَمّ الجيم وكسرِ الدال. وانظر جمهرة اللغة ٣٧١/٣.

(٤) انظر تاج العروس ٣٢٠/٢، ٣٢١.

(٥)انظر تاج العروس ٣٧٢/٧.

(٦) انظر مقاييس اللغة ١٤٨/٢.

السَّحابُ المُتكاثِفُ و: الرَّمْلُ المُتَراكِمُ. والغَلِيظُ الرَّقَبَةِ. فالأصل (حبرك) الدال على التجمع والغلظ، ثم زيدت فيه اللام طرفًا.

خَبَرْنَج: خماسي مجرد[١]. فالخبرنجة الحسنة الخَلق، البضة الناعمة. والخبرنجة حسن الغذاء. ويراه الباحث من الخفرجة[٢] الدالة على حسن الغذاء، لتطابق دلالة الخبرنجة والخفرجة، ولتقارب مخرجي الفاء والباء[٣] مما يسهل الإبدال، أما النون فالاشتقاق من الخفرجة دليل زيادتها. ونلحظ كثرة التغيرات اللغوية في الصفات المأخوذة من الخفرجة، فقد استعملوا خَفَرْنَج[٤] ووزنه فَلَعْنَل، والأصل رباعي من الخرفجة[٥]، والخِرْفِيج: الغصن الغضّ الناعم. ومن ثمّ وصفوا مَنْ يتنعم برغد العيش وتظهر عليه آثاره بصفة تدل على النعومة والسمن فقالوا: خَرَنْفَج على فَعَنْلَل وخَرَفْنَج على فَعَلْنَل[٦] للناعم، والنون زائدة، ثم غيروا صورته بالقلب المكاني فقالوا: خفرنج.

دلَهْمَس خماسي مجرد عند الزبيدي[٧]. ويراه الباحث (فَعَهْمَل) وهو صفةُ الأسد، والجَرِيء الماضِي على اللَّيْلِ، والأَمْرُ غَيْرُ المُبَيَّنِ، والليلة الشَّدِيدةُ الظُّلْمَةِ، والرَّجُلُ

(١) عند ابن فارس انظر مقاييس اللغة ٢/ ٢٥٤، وابن سيده انظر المحكم ٣٤٧/٥، والزبيدي انظر تاج العروس ٢/ ٢٦.

(٢) انظر مقاييس اللغة ٣٢/٢.

(٣) انظر الكتاب ٤٣٣/٤، والتغير التاريخي للأصوات ١٤٢وفيه أمثلة لتعاقب الباء والفاء.

(٤) انظر تاج العروس ٣٣/٢.

(٥) انظر تاج العروس ٣٢/٢.

(٦) انظر ارتشاف الضرب ١٣١/١وتاج العروس ٢/ ٣٣.

(٧) انظر تاج العروس ١٥٣/٤.

الجَلْدُ الضَّخْم الشُّجَاعُ؛ لجرأته وقُوَّتِه. والجامع بين هذه الدلالات الجرأة على اقتحام المجهول كالليل والأمور المبهمة. أصله ثلاثي هو (دلس)[1] الدال على الظلمة والستر حقيقة ومجازًا، فالظلام دلس والخديعة تدليس. زيدت الميم ثالثة لإلحاقه بالرباعي فأصبح (دُلَمِس) للدلالة على معنى حقيقي أشد مبالغة من الدلس، وهو شدة الظلمة، أو معنى مجازي أشد مبالغة من الدلس وهو الداهية لخفاء ما يبطنه[2]. وذهب ابن فارس إلى أن الدلمس بمعنى الداهية منحوت من الدلس ومن الدمس[3]. ثم زيدت الهاء ثالثة لإلحاق الرباعي بالخماسي فقالوا: (دَلَهْمَس) لليلة الشديدة الظلمة والأمر غير المبين، وتوسعوا في الدلالة فأطلقوها على من يتصف بالجرأة والقدرة على اقتحام الأمور الصعبة. وجعله ابن فارس منحوتًا من الدلس والهمس[4] ولا أتفق معه في دعوى النحت لإمكان حمله على الزيادة.

زَمَعْلق خماسي مجرد عند الزبيدي[5]. ويراه الباحث (عَمَفْلَل) صفة تدل على السيئ الخُلق. نلحظ أن العرب استعملت صفة العَزِق[6] للدلالة على سوء الخلق،

(١) انظر تاج العروس ٤ /١٥٣، ١٥٤.
(٢) انظر شرح لامية الأفعال لابن الناظم ٥٠.
(٣) انظر مقاييس اللغة ٣٤٠/٢.
(٤) انظر مقاييس اللغة ٣٣٨/٣.
(٥) انظر تاج العروس ٣٧٣/٦.
(٦) انظر تاج العروس ١٢/٧.

وكذلك الزعْفَقَة[١]: سُوءُ الخُلُقِ. والجامع بينها العزق. وهذا يدل على أن الميم واللام زائدتان في زمعلق، وأنه مقلوب من العزق.

سَمَهْدَر خماسي مجرد عند الزبيدي[٢]. ويراه الباحث (فَمَهْعَل) وهو صفة الذي يَسْمَدِرُّ فيه البَصَرُ من استوائه. ومن البلادِ: الوَاسِعُ الأطرافِ بعيدُها. وزيادة الميم دليلها الاشتقاق، لقولهم: بلد سهدر، أي بعيد[٣]، وكذلك الهاء زائدة فيه؛ لاستعمالهم سدر في الدلالة على تحير البصر[٤]. فهو ثلاثي الأصل وفيه زيادتان من أحرف الزيادة.

شَمَرْدَل خماسي مجرد عند الخليل[٥] وسيبويه[٦] والزبيدي[٧].ويراه الباحث (فَعَلَّل) بزيادة اللام، وهو صفة الْفَتِيّ الْقَوِيّ الْجَلْد مِنَ الإِبِلِ وغيره. والشَّمَرْداةُ[٨]:

(١) انظر تاج العروس ٦/٣٧٠ والفاء فيه قد تكون ميما في الأصل انظر التغير الصوتي في اللهجات ١٤٠، ١٤١.

(٢) انظر تاج العروس ٣ /٢٨٠.

(٣) انظر تاج العروس ٣/٢٨٥ وفي مقاييس اللغة ٣ /١٥٨.

(٤) انظر تاج العروس ٣/٢٦١، ٢٦٢ أما سمهدر الدال على الوصف بالسمنة وكثرة اللحم فمن سمهد، فالسَّمْهَد والسَّمَهْدَد الجسيم من الإبل. انظر تاج العروس ٢/٣٨١ وفي مقاييس اللغة ٣/١٥٩: منحوت من سهد مهد. وسيأتي في المكرر.

(٥) انظر العين ١/٤٩.

(٦) انظر الكتاب ٤/٣٠١.

(٧) انظر تاج العروس ٧/٣٩٩ شَمَّرْذَل لُغَةٌ في الشَّمَرْدَلِ.

(٨) انظر تاج العروس ٢ /٣٩٠ والشمرذاة لغة في الشمرداة.

الناقَةُ السَّرِيعَةُ ويجمع بين الدلالتين الفتوة والقوة والسرعة. اللام زائدة طرفًا لسقوطها في التصريف[١].

شَمَرْطَل خماسي مجرد عند الزبيدي[٢]. يراه الباحث مشتقًا من ثلاثي وفيه زيادة الراء واللام، والدليل على ذلك أن فيه لغة أخرى لا نظير لها هي(شَمْرَطَل) وفي هذا دليل على أن اللام فيه زائدة، أمّا شَمْرط فالأصل فيه شَمّط، يدل على ذلك قولهم شُمْطُوط للطويل[٣] ، فك الإدغام وأقحم الراء تعويضًا عنه، ثم زاد اللام طرفًا. وابن جني يرى أن الأصل شَمْرَطُول كعَضْرَفُوط[٤]. أمّا (سَمَرْطَل) فالسين مبدلة بالشين[٥].

صَلَخْدَم خماسي مجرد[٦]. يراه الباحث (فَلَعْلَم) صفة الجمل الماضي الشديد الصُّلْب القَوِيّ، من الصخد[٧] الثلاثي، والدليل الاشتقاق، قالوا: صَخْرَةٌ صَيْخودٌ، إذا اتصفت بأنها شديدة مَلْسَاءُ صلْبَةٌ لا تحرَّكُ من مكانِهَا ولا يؤثر فيها الحديدُ، ومن ثم شبه الجمل الشديد والرجل القوي بالصخرة في الصلابة والشدة. ذكر الزبيدي[٨] آراء

---

(١) يحتمل أن يكون الأصل (شمر) الثلاثي وهو قول ابن فارس في مقاييس اللغة ٢٧٤/٣ ألحق بالخماسي بزيادة حرفين من جنس واحد (شمردد) ثم أبدل اللام بالدال الأخيرة.

(٢) انظر تاج العروس ٣٩٩/٧.

(٣) انظر تاج العروس ١٧١/٥.

(٤) انظر: الخصائص ٢٠٧/٣.

(٥) انظر القلب والإبدال ٤٠، ٤١.

(٦) عند الأزهري انظر تهذيب اللغة ٦٥٦/٧، والزبيدي انظر تاج العروس ٨/ ٣٦٨.

(٧) انظر تاج العروس ٢/ ٣٩٤ ومقاييس اللغة ٣٥٠/٣.

(٨) انظر تاج العروس ٨/ ٣٦٨.

اللغويين فيه فالجوهري[١] يذهب إلى زيادة الميم، والأزهري يذهب إلى أصالتها. زادوا اللام ثانية فقالوا: صَلْخَد[٢] للصلب القوي الشديد، ثم الميم طرفًا.

صَمَلْكَع خماسي مجرد عند الزبيدي[٣]. ويراه الباحث (فَمَلْعَل) صفة الذي في رأسِه حِدَّةٌ. من الصقع، أي الضرب، والصوقعة الرأس، فكأن رأسه تغير شكله من الصقع. فالأصل ثلاثي أبدلت الكاف بالقاف لتقارب المخرجين[٤] ثم زيدت الميم ثانية، واللام ثالثة لتطويل الصفة والمبالغة في معناها.

صَنَعْبَر خماسي مجرد عند الزبيدي[٥]. ويراه الباحث (فَنَعْلَل) اسم شجرة تشبه السدر، والصعبر والصنعبر يدلان على الشيء نفسه. وهذا يدل على زيادة النون، وأن الاسم ليس خماسيًّا مجردًا.

عَفَرْجَل خماسي مجرد عند الزبيدي[٦]. صفة السَّيِّئ الخُلُق ويراه الباحث ثلاثيَّ الأصل من العفج، فالعَفَنْجَجُ والعَفَنَّج بتشديد النون الأَخْرَقُ الجافي الذي لا يَتَّجِهُ لعَمَلٍ، أو الأَحمقُ أو الجافي الخَلْقِ[٧]، حذفت الفاء الثانية من عفّج وأقحم الراء مكانها

(١) انظر الصحاح للجوهري ٢/ ٤٩٨.

(٢) انظر تاج العروس ٤٠١/٢.

(٣) انظر تاج العروس ٤١٩/٥.

(٤) انظر الكتاب ٤٣٣/٤ والقلب والإبدال لابن السكيت ٣٧، ٣٨ وشرح المفصل ١٢٤/١٠.

(٥) الصِّنْعَبْر كجردحل السيئ الخلق والصنعبر كسفرجل نبات انظر تاج العروس ٣٤٢/٣.

(٦) انظر تاج العروس ٤٤٧/٤

(٧) انظر تاج العروس

ثم زاد اللام فقالوا: عفرجل(١). أما عفرجع فأصلها عفرجى بزيادة الألف المقصورة التي أبدلت عينا.

عَقَرْطَل خماسي مجرد عند الزبيدي (٢). يراه الباحث (فَعَلَّل) سمي به الأُنثى من الفِيَلةِ. لامه زائدة، لأن فيه لغتين الأولى كسفرجل والثانية عِقِرْطِل. وعلى الثانية تكون اللام الأخيرة زائدة، لعدم النظير. ومن ثم فالاسم رباعي في كلتا اللغتين (٣).

قَبَعْثَر خماسي مجرد(٤). ويراه الباحث(فَعَلَّل) بزيادة الحرف الأخير، وهو صفة للعَظِيم الخَلْقِ، قالوا: "قبعثى لعَظِيم القَدَمِ مِن الناس والضَّخْم الفَرَاسِنِ القَبِيحها من الجمالِ"(٥). فالأصل قبعث، والراء ليس أصلا. وقد لحظ بعض اللغويين(٦) زيادة أحرف غير المتفق عليها صرفيًّا، وهي زيادة مؤيدة بالاشتقاق. ومن ذلك زيادة الراء طرفا(٧) في سبطر من السبط، ودمثر من الدماثة. وعدّ ابن فارس الراء زائدة في عكبر من

---

(١) انظر جمهرة اللغة ٣٧١/٣

(٢) انظر تاج العروس ٣١/٨

(٣) انظر الكتاب ٣٢٤/٤ زيادة نون كَنَهْبُل، وانظر أيضا رأي ابن مالك في زيادة لام عقرطل المساعد لابن عقيل ٥٧/٤

(٤) انظر تاج العروس ٤٧/٣ وانظر العين ٤٩/١

(٥) تاج العروس ٦٣٩/١

(٦) انظر المنتخب ٧٠٠

(٧) تأتي الراء أيضا زائدة ثانية في مثل عرقوب من العقب وفي قرسطل للغبار لقولهم قسطال

العكب[١] ، وجعبر من الجعب [٢]، والعيسجور من العسج[٣] ، والقَمْطَرِير زيدت فيه الراء وكرّرت تأكيداً للمعنى، والأصل قَمَط ومنه قولهم: بعير قِمَطرٌ: مجتمع الخَلقِ[٤] ، والادعنكار من الدعك[٥]. والراء زائدة عند كراع في كشمر، وقعسر، وقمطر[٦]. فهذه نظائر زيادة الراء طرفا[٧]. وذهب كراع إلى أنها من أخوات العشرة[٨]، فهي مشبهة باللام، وكثر زيادتها طرفا مثل اللام.

قَلَهْبَس خماسي مجرد عند الزبيدي [٩] ويراه الباحث (فَلَعْلَس) صفة المُسِنُّ مِن حُمُرِ الوَحْشِ، والقَلَهْبَسَةُ: حَشَفةُ ذكَرِ الإِنْسَان. من (القَهْبُ) الذي يدل في الأصل على

---

(١) انظر مقاييس اللغة ١ / ٥١٠

(٢) انظر مقاييس اللغة ٤ / ٣٦٢

(٣) انظر مقاييس اللغة ٤ / ٣٦٣

(٤) انظر مقاييس اللغة ٤ / ١١٧

(٥) انظر مقاييس اللغة ٢ / ٣٤١

(٦) انظر: المنتخب ٧٠٣

(٧) ومن ذلك أيضا: والقَعْثَرَةُ: اقْتِلاعُكَ الشيءَ مِنْ أصْلِهِ من قَعَّثَهُ تَقْعيثاً: استَأْصَلَهُ، ونهسر من النهس لأكل اللحم، وبعكرَ من البعك، تعني القطع بالسيف. وحبوكر من الحبك وحُبُك الرمل: حروفه وأَسناده، واحدها حِباك، والحَبَوكَرُ: رملٌ يَضِلُّ فيه السالك. وشهبر شعر رأسه وشهب أي شاب. والجُحاشِرُ من الجحش على التشبيه به صفة للضَّخْم، وهم يزيدون للفرق قال ابن فارس:" وأمّا الجَحْوَشُ، وهو الصبيُّ قبل أن يشتدّ، فهذا من باب الجَحْش، وإنّما زيد في بنائه لئلا يسمَّى بالجَحْش، وإلاّ فالمعنى واحدٌ". وجخادر وجخادي للضخم، وجذمور من جذم، وجسمور من الجسم، وجعظر من جعظ، وجمعر وجعمر من جمع، وحيزبور وحيزبون، وسبعر وسبع على تشبيه الناقة بالسبع في نشاطها، وصقعر الماء وصقع، وضبغطرى وضبغطى، وغشمر وغشم، وغضبر وغضب

(٨) انظر المنتخب ٧٠٠

(٩) انظر تاج العروس ٤/٢٢٢. وانظر(قَهْبَلِس)

اللون الأَبْيَضُ عَلَتْهُ كُدْرَة، ثم توسع فيه ليدل على اللون مع الضخامة فقالوا: القَهْبُ: الجَبَل العَظِيمُ والمُسِنُّ من الناس. زيدت فيه اللام لإلحاقه بالرباعي فقالوا: القَلْهَبُ: القديم الضَّخْمُ مِنَ الرجال. ثم زيدت السين فقالوا: قلهبس.(١)

قَلَهْذَم خماسي مجرد عند الزبيدي(٢). ويراه الباحث (فَلَهْعَل) صفة البحر الكثير الماء والسريع الخفيف والقصير. تختلف الدلالة باختلاف الأصل، فدلالة البحر أو الماء الكثير من الأصل الثلاثي (القذم) من قولهم: بئر قِذَمّ وقُذام وقَذُوم: كثيرة الماء. واللام في القَلَيْذَم ـ البئر الغزيرة الكثيرة الماء ـ زائدة(٣). والهاء ثالثة زائدة لقولهم: قَلَيْذَم وقَلَهْذَم. وأما دلالة الرجلُ السريع الخفيفُ فمن القذم الدال على السرعة والنشاط، لقولهم: قِذَمّ للسريع من الرجال(٤). واللام والهاء زائدتان في قلهذم. أما دلالة قلهذم على القصير فأصله قلهزم، بالزاي، ثم أبدلت الزاي ذالا(٥).

قَلَهْزَم خماسي عند الزبيدي(٦). ويراه الباحث (فَلَهْعَل) صفة الرجل القصير، وامرأة قلهزمة قصيرة جدا، والقلهزم من الخيل ما صغر خلقه، والرجل الضيق الخلق

---

(١) وتحتمل التي يوصف بها المسن أن تكون من (قحب) أبدلت الهاء بالحاء.

(٢) انظر تاج العروس ٣٢/٩ وورد في لسان العرب قَلَحْذَم: صفة الجمل العظيم الكبير أو الخفيف السريع. وأرى أن أصله قلهذم إذا كان للخفيف السريع. بالهاء. أبدل الحاء بالهاء لتقارب المخرجين.

(٣) انظر مقاييس اللغة ١١٦/٥

(٤) انظر تاج العروس ٩ /٢٢

(٥) انظر القلب والإبدال ٥٨

(٦) انظر تاج العروس ٣٢/٩

الملحاح. ترجع دلالاته إلى (القَزَم[١]) الدال على الدناءة والقماءة. فيدل على قصر الجسم ودناءة الخلق وضيقه. الأصل الثلاثي هو (قزم) زيدت فيه اللام والهاء لإلحاقه بالخماسي.

قَلَهْمَس خماسي مجرد عند الزبيدي[٢].يراه الباحث (فَلَهْعَل) صفة القَصِيرُ المُجْتَمِعُ الخَلْقِ. وأصل السين زاي[٣]، فالقَهْمَز[٤]: القصيرُ، والهاء زائدة، ولا علاقة بين القمز الثلاثي وبين القلهمس والقهمز، إذ الأصل من القزم الدال على القصر، تقدمت الميم على الزاي، وزادوا الهاء فقالوا: قهمز، ثم زادوا اللام ثالثة، وأبدلوا الزاي سينا.

قَنَعْدَل خماسي مجرد عند الزبيدي[٥]. يراه الباحث (فَنَلْعَل) صفة الأحمق، مقلوب قِنْدَعْل، الأصل من القدع الثلاثي، بمعنى الكف والطرد والإبعاد، فالأحمق يؤذي من يجالسه بحمقه فيُطرد ويُكف، أما الكريم فتنفى عنه هذه الصفة، فيقولون:

---

(١) انظر تاج العروس ٢٥/٩

(٢) ٤انظر تاج العروس ٢٢٣/٩. ولا علاقة بينه وبين القمس أو القلمس.

(٣) إبدال الزاي سينا لتقاربهما في المخرج وقلب الزاي سينا لتقليل الجهد الحادث من الجهر بالزاي. انظر الكتاب ٤٣٣/٤ والقلب والإبدال ٤٣، ٤٤ وسر صناعة الإعراب ٢٠٧/١، ٢٠٩وظاهرة الإبدال اللغوي ٧٦ والتغير التاريخي للأصوات ٨٩

(٤) انظر تاج العروس ٧٢/٤

(٥) انظر تاج العروس ٨٩/٨

هو الكريم لا يقدع أنفه[١]. فيه قلب مكاني بتقديم لام الكلمة على عينها (تقديم العين على الدال)، وفيه النون واللام زائدتان. ويحتمل أن يكون من القذع بالذال[٢].

كَنَهْدَر خماسي مجرد عند الزبيدي[٣]. يراه الباحث (فَنَهْعَل) صفة ما يُنقَل عَلَيْهِ اللَّبَنُ والعِنَبُ ونحوما، ثلاثي الأصل من (الكدر) جاء في التاج " الكُدُرِّ كعُتُلٍّ والكُنْدُر والكُنادِر الحِمار العظيم"[٤] والنون في كندر وكنادر زائدة، دلّ على ذلك الاشتقاق، فليس كنهدر خماسيًّا مجردا، بل ثلاثي حول إلى رباعي بزيادة النون، ثم حول الرباعي إلى خماسي بزيادة الهاء. فالكنهدر ما يحمل عليه، والحامل قديما الدواب ومنها الحمير.

كَنَهْدَل خماسي مجرد عند الزبيدي[٥]. ويراه الباحث (فَنَهعْل) صفة الضخم الغليظ الصلب الشديد. من الثلاثي (كدن)[٦] فالكَوْدانة: الناقة الغليظة الشديدة. وامرأَة ذاتُ كِدُنة أَي ذات لحم. ورجل ذو كِدُنْة إِذا كان سمينـًا غليظـًا. فكنهدل ليس خماسيًّا مجردا، ولكنه ثلاثي الأصل من (الكدن) الذي يدل على السمن والغلظ، زادوا فيه الهاء للإلحاق بالرباعي وجعلوه وصفا للمرأة السمينة فالكَهْدَل: الجارية السمينة

(١) انظر تاج العروس ٤/٤٥٨

(٢) انظر قِنْذَعْل وقِنْدَعْل

(٣) انظر تاج العروس ٣/٥٣٠

(٤) انظر تاج العروس ٣/٥١٧

(٥) انظر تاج العروس ٨/١٠٥

(٦) انظر مقاييس اللغة ٥/ ١٦٦وتاج العروس ٩/٣١٩

الناعمة[١]، رباعي أصله بالنون الذي أبدل لاما[٢] في (كهدل) المزيدة بالهاء. ثم ألحقوا الرباعي بالخماسي عن طريق زيادة النون ثانية.

هَبَرْكَع خماسي مجرد عند الزبيدي[٣]. ويراه الباحث (هَفَعْلَل) صفة القصير. الهاء زائدة لأن الهبركع والبركع بمعنى واحد. والبُرُكُع[٤]: صفة الرَّجُل أو الجمل القَصِير، وبَرْكَعَة الرجلُ على ركبتيه سقوطه عليهما.

هَبَرْكَل خماسي مجرد عند الزبيدي[٥]. ويراه الباحث (فَعَلَّل) صفة الشاب الحسن الجسم، أو الغلام القوي. اللام زائدة لقولهم: شاب هَبْرَك: تام [٦]

هَمَرْجَل خماسي مجرد عند الزبيدي[٧]. ويراه الباحث (فَمَعْلَل) صفة كُلّ خَفيفٍ عَجِلٍ كالجَواد السَّريع، والناقة السَّريعَة. الأصل الثلاثي هو (الهرج) [٨]عَدْوُ الفرسِ

---

(١) انظر تاج العروس ١٠٧/٨

(٢) انظر الكتاب ٤٣٣/٤ والقلب والإبدال ٣ . ١٠والتغير التاريخي للأصوات ١٦٦ وما بعدها، النون واللام يتقاربان في المخرج، وكثر في العربية تعاقبهما.

(٣) انظر تاج العروس ٥٥٤/٥

(٤) انظر تاج العروس ٢٧٤/٥ وذهب عمايرة في معالم دراسة في الصرف ٥٦إلى أن (بركع) من ركع، ولا أتفق معه فدلالتها من البرك انظر دلالة البرك في مقاييس اللغة ٢٢٧/١ .وارتباط دلالة البركع بالسقوط على الركبتين شبيه ببروك الناقة، إذ تثني ركبتيها عن إناختها ثم تلصق صدرها بالأرض.

(٥) انظر تاج العروس ٨ /١٦٢

(٦) انظر تاج العروس ٧/ ١٩٣

(٧) انظر تاج العروس ١٧٤/٨ وانظر العين ٤٩/١

(٨) انظر مقاييس اللغة ٤٩/٦

بِسُرْعة. وأراه ألحق بالرباعي بزيادة اللام في آخره فالهُرْجُلُ البعيدُ الخَطْوِ، والهَراجِيلُ: الطِّوالُ مِن الناس، والضِّخامُ من الإِبِلِ. وبعد الخطو مرتبط بالطول، ويدل على السرعة في المشي. ثم ألحق بالخماسي فزيدت الميم ثانية. وجعله ابن فارس منحوتا من همر وهجل(١)،ولا أتفق معه لبعد معنى الهمر والهجل عن معنى الهمرجل.

ثانيا: فَعْلَلِل: جَحْمَرِش خماسي مجرد(٢). ويراه الباحث(فَعْمَلِل) وصف للعَجُوز الكَبِيرَة أو الغَلِيظَة أو السَّمِجَةُ الثَّقيلَة، والأَرْنبُ الضَّخْمَةُ، ومِن الأَفاعِي: الخَشْنَاءُ الغَلْيظَةُ. الجامع بين هذه الدلالات الغلظة والضخامة. والميم زائدة لقولهم: فَرَسٌ جَحْرَشٌ.. مَقْلُوبُ جَحْشَر(٣)..: أَيْ غَلِيظٌ مُجْتَمِعُ الخَلْقِ الحَادِرُ العَظِيمُ الجِسْمِ العَظيمُ المَفَاصِلِ وكَذلِكَ الجُحَاشِرُ "(٤)

خَنْدَلِس(٥)وحَنْدَلِس بالخاء والحاء،خماسي مجرد عند الزبيدي.يراه الباحث (فَنْعَلِس) وصف للناقَة الكَثِيرة اللَّحْمِ المُسْتَرْخِيَته، الضَّخمة العظيمة وأَضْخَم القَمْل.

---

(١) انظر مقاييس اللغة ٧٢/٦

(٢) انظرالكتاب٣٠٢/٤، والمنصف ٣٠/١ وتاج العروس ٢٨/٤.

(٣) أظن الجحرش هو الأصل والجحشر المقلوب والدليل الاشتقاق من الجحش (انظر تاج العروس ٢٨٦/٤) فهو ولد الحمار، والجفاء والغلظة، والجَحْوَش الغلام السمين، واجحنشش البطن إذا عظم وكبر، فكل دلالاته تدور حول معنى الضخامة وكبر الحجم مع غلظة.

(٤) تاج العروس ٢٨٦/٤ وانظر جحشر في تاج العروس ٨٨/٣

(٥) انظر تاج العروس ١٣٦/٤ وانظر حندلس ١٣٣/٤

النون والسين زائدان لأنه من الخدل[1] الثلاثي الدال على السمن والضخامة والامتلاء. والحاء في حندلس بدل من الخاء[2].والنون والسين زائدان[3]

عَنْجَرِد خماسي مجرد[4].يراه الباحث(فَنْعَلِل) وصف للمرأَة الخَبِيثَة السَيِّئة الخُلُقِ، من العجرد[5]. فالنون زائدة. ولم يستعمل عجرد وعنجرد إلا وصفين، فلم يرد منهما فعل. ونلحظ أن دلالات العجرد تأتي وصفا للعريان والشجر العاري من ورقة والجريء والسريع، والشديد الغليظ[6]. وهذه الدلالات تدل على التجرد حقيقة أو مجازا، فالعريان متجرد من ثيابه، والشجر متجرد من ورقه والجريء والسريع متجردان مما يثقلهما جسديّا أو معنويّا. وكذلك العنجرد المرأة السيئة الخلق متجردة من الحياء. والعين في عجرد مبدلة[7] بهمزة أفعل، والأصل أجرد، فالعرب توهموا أصالة العين فزادوا النون بعدها، وألحقوها بالخماسي.

---

(١) انظر تاج العروس ٣٠١/٧

(٢) انظر القلب والإبدال ٣٠ -٣٢ والتغير التاريخي للأصوات ٣٢ ـ ٣٨

(٣) قال ابن دريد بزيادة النون انظر جمهرة اللغة ٤٠١/٣

(٤) انظر تاج العروس ٢/ ٤١٥، ٤٣٤

(٥) انظر تاج العروس ٤١٥/٢

(٦) دلالة الغلظة مرتبطة بلفظ العجر، قالوا: العجاريّ للدواهي وسقوط الدال يشير إلى زيادتها في عجرد

(٧) انظر القلب والإبدال لابن السكيت ٢٢ ـ ٢٤وظاهرة الإبدال اللغوي للبواب ١٠٨، ونظيره عبهل أصله أبهل، انظر الصحاح ١٦٥٧/٥

قَهْبَلِس خماسي مجرد عند الزبيدي[1]. يراه الباحث (فَعْلَلِس) صفة، له عدة دلالات هي: الأَبْيَضُ الَّذي تَعْلُوه كُدْرَةٌ، والقَمْلَةُ الصَّغيرَةُ، والمَرْأَةُ العَظيمَةُ الضَّخْمَةُ العفيفة، وذَكَرُ الإِنْسان أَو العَظِيمُ الغَليظُ[2]. من القهب[3] الثلاثي الذي يدل على اللون وعلى الطول والضخامة، فصغار القمل لونها أبيض في كُدْرَة. والقَهْبُ الجَبَل العَظِيمُ وقيلَ: الطَّوِيل، والجَمَلُ العَظِيمُ المُسِنُّ. اللام والسين زائدتان.

قَنْفَرِش[4]**و**كَنْفَرِش بالقاف والكاف خماسي مجرد عند الزبيدي[5]. يراه الباحث (فَنْعَلِل) صفة العَجُوزِ الكَبِيرَةِ المُتَشَنِّجَةِ، والضَّخْمَةِ مِنَ الكَمَر. ويجمع بين الدلالات التجمع الذي يظهر في تجعد الوجه[6]. وتظهر العلاقة الدلالية وثيقة بين القفش الثلاثي والقنفرش، وبين الكفش الثلاثي والكنفرش. فالقِنْفِشة المتقبضة الجلد من العجائز، واللحية المُقنفشة هي الكثة الطويلة[7]. وكنفشة اللحية عظمها وتجمعها[8].والنون

(١) انظر تاج العروس ٤/٢٢٦

(٢) انظر السابق

(٣) انظر تاج العروس ١/٤٤١

(٤) انظر تاج العروس ٤/٣٤١و٤/٣٤٧

(٥) انظر الكتاب ٤/ ٤٣٣ والقلب والإبدال ٣٧ ـ ٣٨ وظاهرة الإبدال اللغوي ٩٣

(٦) انظر تاج العروس ٤/٣٤١و٤/٣٤٧

(٧) انظر تاج العروس ٤/٣٤١

(٨) انظر تاج العروس ٤/٣٤٧

زائدة لأن القَفْش يدل على الجمع[١]، والتَّقَفُش يدل على التجمع. فالأصل قَفّش الثلاثي، فك الإدغام وأقحم النون في قنفش وكنفش، ثم زاد الراء[٢].

ثالثا: فُعَلِّل: خُبَعْثِن[٣]وخُبَعْثِنَة خماسي مجرد. يراه الباحث (فُعَلِّن) صفة العظيم الشديد من الأسد، والرجل الضخم الشديد الخلق، وتيس خبعثن غليظ شديد. يجمع بينها الشدة والغلظة وعظمة الخَلق. والخبعثن في الأصل وصف للأسد الشديد، قالوا:" اخْبَعَثَّ في مشْيَتِه إذا مَشَى مِشْيَةَ الأَسَدِ "[٤].وذكر ابن القطاع الخُبَعْث[٥] صفة الأسد. وذهب ابن فارس إلى أنه من الخبث الثلاثي[٦].

قُذَعْمِل خماسي مجرد[٧]. يراه الباحث (فُعَلْمِل[٨]) صفة لكل شيء صغر حجمه، وهان شأنه. الميم واللام زائدتان، بهما طالت الكلمة وألحقت بالخماسي. فالرجل القصير قُذَعْمِل، والمرأة القصيرة الخسيسة قُذَعْمِلة، وما في السماء قُذَعْمِلة أي ليس

---

(١) انظر تاج العروس ٣٤١/٤

(٢) يسوّغ الراء هنا أنها أخت اللام تشاركها في صفتي الأسنانية والجهر انظر التغير التاريخي للأصوات ١٧٠، والتعاقب بينهما كثير في العربية انظر القلب والإبدال ٥٠ ـ٥٣.

(٣) انظر الكتاب ٣٠٢/٤، والمنصف ٣١/١، وتاج العروس ١٨٩/٩ كقذعمل وفيه لغة أخرى كسَفَرْجَل انظر أبنية الأسماء لابن القطاع ٢٩٥

(٤) الأفعال لابن القطاع ٣٣٤/١

(٥) انظر أبنية الأسماء لابن القطاع ٢٩٥

(٦) انظر مقاييس اللغة ٢٤٨/٣ وتحتمل العين أن تكون همزة والأصل اخبأثّ انظر معالم دراسة في الصرف ٧٩

(٧) انظر الكتاب ٣٠٢/٤، والمنصف ٣١/١وتاج العروس ٧٨/٨

(٨) خماسي مجرد عند سيبويه والصرفيين واللغويين انظر الكتاب ٣٠٢/٤، والمنصف ٣٠/١، وأبنية الأسماء ٣١٦، وشرح الشافية ٥١/١، وارتشاف الضرب ١٤٠/١

فيه قطعة سحاب. وقالوا: " ما عليه قِذاعٌ بالكسْرِ أَي شيءٌ"(١) ثم زيدت اللام فقالوا: قُذعُل اللئيم الخسيس الهين"(٢) لهوان شأنه واستصغار الناس له. ثم زادوا الميم قبل اللام للمبالغة فقالوا: قُذَعْمِل.

ذُرَعْمِط(٣) وضُرَعْمِط(٤)خماسي مجرد عند الزبيدي. يراه الباحث (فُلَعِّل) صفة اللَّبَن الخاثِر، والشَّهْوانُ من الرِّجالِ إِلَى كلِّ شيءٍ. يجمع بينهما سرعة البلع، "هو ذُمَطَةٌ سُرَطَةٌ كهُمَزَةٍ إِذا كانَ يَبْلَعُ كلَّ شيءٍ"(٥) يحتمل أن يكون الأصل ذُمّط، فُك الإدغام، وأُقحم حرف مخالف(٦)، هو العين، فصار ذُعْمطًا، ثم زيدت اللام ثانية في ذُلَعمط(٧)، ثم أبدلت اللام راء(٨).

(١) انظر تاج العروس ٤٦٠/٥، والقذع بالدال لغة في القزع بالزاي انظر تاج العروس ٤٦٦/٥.وانظر القلب والإبدال ٥٨

(٢) انظر تاج العروس ٧٧/٨

(٣)انظر تاج العروس ٥ /١٤٠

(٤) انظر تاج العروس ٥ /١٧٦الضاد نظير الدال المفخم، والظاء نظير الذال، ولكن الذال هنا تقابلها الضاد، وهذا يحتمل أنها أبدلت دالا ثم ضادا. وانظر التطور اللغوي ٣٨

(٥) تاج العروس ٥/ ١٤٠

(٦) انظر التطور اللغوي ٥٧

(٧) يؤيد ذلك أن الدلعماظ: الشره انظر تاج العروس ٢٥٣/٥

(٨) انظر الكتاب ٤٣٣/٤ والقلب والإبدال ٥٠ ـ ٥٣ والتغير التاريخي للأصوات ١٧٠

رابعا: فِعْلَلّ: حِنْتَفْر خماسي مجرد عند الزبيدي[١]. يراه الباحث(فِنْلَعْل) صفة للقصير. فيه قلب مكاني، والنون زائدة، سقطت من حُفَيْتِر[٢]: القصير.

حِنْزَقْر خماسي مجرد[٣]. يراه الباحث (فِنْعَلّ) صفة القصير الدميم من الناس، من الحُزُقّ[٤]: القَصِيرُ الذي يُقارِبُ الخَطو. النون زائدة، والراء مبدلة باللام وكلتاهما زائدتان، يدل على ذلك استعمالهم حَزَوْلَق للقصير المجتمع الخلق[٥]

صِنْبَعْر خماسي مجرد عند الزبيدي[٦] يراه الباحث(فِنْعَلّ) صفة الرجل السيئ الخلق، من الصعر[٧] الدال على ميل في الخِلقة، ثم تطور ليدل على انحراف الخُلق عن الطبع السليم فدل على التكبر، والصمعريّ[٨]: اللئيم، والصمعريّة: الحيات الخبيثة، زيدت النون ثانية[٩]، فأبدلت الميم بالباء، لئلا تدغم فيها.

---

(١) انظر تاج العروس ٣/ ١٦٠ استدركه الزبيدي. وسقطت الراء من الحَِفت والحَفَيْتَى والحَفَيْتَأ صفة الرجل القصير انظر تاج العروس ٥٣٨/١ ومقاييس اللغة ٨٤/٢.

(٢) انظر تاج العروس ١٥٣/٣

(٣) انظر الكتاب ٣٠٢/٤. والصحاح ٨٣٦/٢ وتاج العروس ٣/ ١٦٠، والحنزقرة عند ابن فارس في مقاييس اللغة ١٤٥/٢ رباعي: القصير، منحوت من الحزق والحقر، مع زيادة النون.

(٤) انظر تاج العروس ٣١٤/٦

(٥) انظر تاج العروس ٣١٥/٦

(٦) انظر تاج العروس ٣٤٢/٣

(٧) انظر مقاييس اللغة ٢٨٨/٣

(٨) انظر تاج العروس ٣٣٤/٣

(٩) انظر الصحاح ٧١٣/٢

صِنْقَعْر خماسي مجرد عند الزبيدي[١]. يراه الباحث (فِنْعَلّ) وصف للأقِط واالكتلة من الصَّمْغِ، ويجمع بين الإقط والصمغ البياضُ والتماسك على شكل كتل تعرض لأشعة الشمس، وقد استعملت العرب اصقَعَرّ الجراد إذا أصابته الشمس. فالوصف مأخوذ من صقع الشمس لها حتى تجف[٢].

صِنْقَعْلَة خماسي مجرد عند الزبيدي[٣]. يراه الباحث (فِنْعَلّ) والشَرْبَة الصِنْقَعْلَة: البارِدَةُ. من الصقع والصقيع وهو شدة البرد[٤] والنون واللام زائدتان.

قِرْدَحْمَة[٥]وقِرْذَحْمَة خماسي مجرد عند الزبيدي. يراه الباحث (فِلْعْلم) فيه قلب مكاني، دال على التفرق، "ذهب القوم بِقِنْدَحْرةٍ وقِنْذَحْرةٍ وقِدَّحْرة وقِذَّحْرةٍ إذا

(١) انظر تاج العروس ٣٤٠/٣

(٢) بعد الانتهاء من إعداد الإقط ينشر في الشمس ليجف.

(٣) انظر تاج العروس ٤٠٥/٧

(٤) انظر مقاييس اللغة ٢٩٨/٣"البرد المحرق للنبات"

(٥) تاج العروس ٢٤/٩

تفرقوا". فالميم زائدة لسقوطها في بعض التصريفات، والأصل قدحر أو قذحر[1]، ووزن قندحرة فِنْعَلّة. والدال والذال لغتان[2]

قِرْزَحْلة خماسي مجرد عند الزبيدي[3]. يراه الباحث (فِعْلَلّة) وصف لخشبة قصيرة، والمرأة القصيرة شبهت بهذه الخشبة، أو خرزة من خرز الصبيان والضرائر تلبسها المرأة فيرضى بها قيمها ولا يبتغي غيرها. والقُرْزُحة[4] من النساء الدميمة القصيرة وشُجَيْرَةٌ جَعْدَةٌ لها حَبٌّ أَسودُ فيشبه الخرز بالحب الأسود، وعلى كلتا الدلالتين اللام زائدة طرفا.

---

(١) أرى الأصل من القدح، فالنار إذا قدحت انتشر شرارها، وتفرق القوم مشبه به، ويدل على ذلك ثبات القاف والدال والحاء في كل الصور التي وردت عليها الألفاظ الدالة على التفرق، واتحاد دلالاتها على معنى التفرق فقد ورد "ذهبوا قِذَّحْرةً وقِذَّحْمةً بالراء والميم إذا ذهبوا في كل وجه" تاج العروس ٢٢/٩ و: ذهب القوم بقِنْدَحْبَة، وقِنْدَحْرَة، وقِدَّحْرَةَ: كل ذلك إذا تَفَرَّقوا." ونلحظ أن الأحرف التي لحقت الأصل طرفا ميم أو باء أو راء والباء والميم صوتان شفويان يتعاقبان وهذا التعاقب يعود إلى تقاربهما في المخرج أو إلى السياق الصوتي أو أخطاء السمع. انظر التغير التاريخي للأصوات ١٣٧. والراء والميم انظر التغير التاريخي ١٧٦ الراء والميم ليس بينهما تقارب ومع ذلك وجدت في العربية ألفاظ بالراء والميم والمعنى واحد انظر التغير التاريخي للأصوات ١٧٧

(٢) انظر التغير التاريخي للأصوات ١١٦

(٣) انظر تاج العروس ٧٨/٨

(٤) انظر تاج العروس ٢/ ٢٠٧

قِنْذَحْرة[١]بالدال والذال خماسي مجرد عند الزبيدي. يراه الباحث (فِنْعَلّ) صفة السيئ الخلق. من قدحر، والنون زائدة، فالقيدحور: السيئ الخلق. والاقذحرار سوء الخلق.

قِنْذَعْل[٢]وقِنْدَعْل، لغتان بالذال والدال، خماسي مجرد عند الزبيدي، يراه الباحث (فِنْعَلّ) صفة الأحمق، من القذع" رَماهُ بالفُحْشِ وسوءِ القول فيه"[٣]زيدت اللام، فقالوا:" القُذْعُل... اللئيم الخسيس الهين.. . المقذعلّ الذي يتعرض للقوم ليدخل في أمرهم وحديثهم ويتزحف إليهم ويرمي الكلمة بعد الكلمة "[٤] ثم زيدت النون لتدل على معنى أخصّ وهو معنى الحمق فقالوا: قنذعل. ثم أبدل قوم الذال بالدال[٥] فقالوا: قِنْدَعْل، ليدل على المعنى نفسه. ويحتمل قِنْدَعلا أن يكون من القدع[٦].

قِنْصَعْر خماسي مجرد عند الزبيدي. يراه الباحث (فِنْعَلّ) صفة الرَّجُل القَصِير العُنُقِ والظَّهْرِ المُكَتَّل، والنون زائدة. فهو يدل على القصر وصغر الحجم الحقيقي. من القصع الثلاثي[٧] الدال على القصر، فالقَصِع وصف للمردود الخلق القميء الذي لا

---

(١) انظر تاج العروس ٤٨٥/٣

(٢) تاج العروس ٨ /٨٩ وورد القَنَعْدَل، وأشار الزبيدي إلى أنه مقلوب القندعل تاج العروس ٨٩/٨

(٣) تاج العروس ٥ /٤٥٩

(٤) تاج العروس ٧٧/٨

(٥) انظر القلب والإبدال ٥٤. والذال صوت أسناني والأسنان تشترك في إنتاج الدال، فالمسوغ لتحول الذال إلى دال هو تقارب المخرجين، انظر التغير التاريخي للأصوات ١٠٩

(٦) انظر قَنَعْدَل

(٧) انظر تاج العروس ٤٧٠/٥

يشب ولا يزداد طوله. واستعمل القُصْعُل[١] بزيادة اللام لما صغر حجمه وقدره فدلّ على ولد العقرب والذئب وعلى اللئيم. واللام والراء يتعاقبان لأنهما يتقاربان مخرجا وصفة [٢]. ويحتمل أن يكون من القصر الثلاثي، والأصل قِنْصَأر، النون والهمزة زائدان، والهمزة أبدل عينا. **قنطعر** خماسي مجرد عند الزبيدي. يراه الباحث (فِنْعَلّ) "دَوَاءٌ مُقَوٍّ للمَعِدَةِ مُفَتِّحٌ للسُّدَد، وهو خَشَبٌ متَخَلْخِلُ الجِسْمِ يُشْبِه التُّرْمُسَ إِذا قُشِرَ هذه المادَّة"[٣]. يحتمل أن يكون من الخشب المتحلل الذي ينقطع عن جسم يشبه الترمس، فيكون من القطع والنون زائدة والراء تعاقب اللام التي تأتي زائدة، والدليل على الزيادة استعمالهم اقْطَعَرّ[٤] بمعنى انقطاع النفس.

٢: زيادة تكرير في الأصل، ثم تغيرت صورة الاسم بالإبدال اللغوي. وعددها ستة

ذهب ابن جني[٥] إلى أن المكررين إذا فصل بينهما بحرف أصلي فهما أصلان، مثل زبعبق وشمشليق وشفشليق. وأبان الرضي عن الخلاف في المسألة ورجح الأصالة، قال:" واعلم أنه لا يكون في الرباعي والخماسي الأصليين تضعيف، لثقلهما وثقل التضعيف، أما إذا كان أحد حروفهما تضعيفاً زائداً فإنه يُحْتَمَل لعروض الزيادة وإن صار العارض لازماً، فعلى هذا أحد المثلين في كلمة مع ثلاثة أصول وأربعة زائدٌ

(١) انظر تاج العروس ٨١/٨

(٢) انظر الكتاب ٤٣٣/٤ وظاهرة الإبدال اللغوي ٦٤

(٣) تاج العروس ٥٠٩/٣

(٤) انظر تاج العروس ٥٠١/٣

(٥) انظر الخصائص ٥٨/٢، ٥٩

إذا لم يكن بين المثلين حرف أصلي، كَقِنَّب وزُهْلُول فإن كان بينهما حرف أصلي فليس بزائد كَحَدْرد ودَرْدَبِيس وسَلْسَبيل، وقال بعضهم: هو زائد أيضـًا، فحدرد وسلسبيل عنده فَعْلَع وفَعْفَليل، والأولى الحكم بالأصالة، لعدم قيام دليل زيادة كما قام مع عدم الفصل بالأصلي"[١]. ويرى الباحث أن الاشتقاق هو أوثق الأدلة ، فإذا دل على زيادة حرف مكرر فهو زائد، سواء أكان الفاصل بين المكررين أصليًّا أم زائدًا.

خَبَرْبَج: خماسي عند الزبيدي[٢]، صفة للناعم البض من الأجسام. أو صفة الحَسَنَة الخَلْقِ الضَّخْمَة القَصبِ، وَقيل: هِيَ اللَّحِيمةُ الحَادِرَةُ الخَلْقِ فِي استواءٍ. ويراه الباحث(فَعَلْعَل) من خرفج [٣] الدال على حسن الغذاء، وأصله خفرفج، أبدلت الفاء في الموضعين باء لتقارب مخرجيهما [٤].

زبَعْبَق خماسي مجرد[٥]، صفة السَّيِّء الخُلُقِ. ويراه الباحث (فَعَلْعَل)[٦] من الزبع الثلاثي، فالتَّزَبُّع: "التَّغيُّر وسوءُ الخُلُق وقِلَّةُ الاستِقامَة كأنّه من الزَّوْبَعة: الرِّيحِ

---

(١) انظر شرح الشافية ١/٦٠، ٦١

(٢) انظر تاج العروس ٢/٢٦، ٢٧

(٣) انظر تاج العروس ٢/٣٢

(٤) انظر الكتاب ٤/٤٣٣، والتغير التاريخي للأصوات ١٤٢وفيه أمثلة لتعاقب الباء والفاء

(٥) انظر: الخصائص ٢/٥٨ وتاج العروس ٦/٣٦٧

(٦) انظر: جمهرة اللغة ٣/٤٠٤ وارتشاف الضرب ١/١٢٦

المَعروفة. قيل: تزَبَّعَ داوَمَ على الكلامِ المُؤذي ولم يَسْتَقِمْ[١]. ألحق الثلاثي بالخماسي بتكرير العين واللام (زبعبع) ثم أبدل اللام المكررة بالقاف[٢].

دَبَعْبك خماسي مجرد عند الزبيدي[٣] و(دبعبك) لغة فيه، رواها الفراء[٤]. يراه الباحث (فَعَلْعَل) صفة الفاحِش الذي لا يُبالِي بما قِيلَ له أَو فيهِ من الشَّرّ. فهو أصل مستقل عن زبعبك؛ لقولهم: رَجُلٌ بَلْعَكٌ: يُشْتَمُ ويُحَقَّرُ فلا يُنْكِرُ ذلك؛ لمَوْتِ نَفْسِه وشِدَّةِ طَمَعِه وقِلَّةِ حَمِيَّتِهِ[٥].فيكون من البعك[٦] الذي يدل على الضرب[٧]، فكأنه قد ضرب حتى مات إحساسه، والضرب هنا مجازيّ وليس حقيقيا يظهر في الإهانة والشتم والتحقير، فيجتمع فيه زيادة الدال، وليست من حروف (سألتمونيها) وتكرير الباء. ويحتمل أن يجتمع فيه معنى الدعك الدال على الضعف[٨]، ومعنى البعك الدال على الحمق[٩]. فيجتمع منهما (دعبك)الرباعي، ثم كرروا الباء لإلحاقه بالخماسيّ.

---

(١) انظر: تاج العروس ٣٦٧/٥

(٢) انظر التغير التاريخي للأصوات ٥٢ ومثل بابذقرّ وابذعرّ، والدفقة والدفعة من المطر ٥٣

(٣) انظر تاج العروس ١٢٦/٧

(٤) انظر تاج العروس ١٣٨/٧

(٥) انظر تاج العروس ١١٢/٧

(٦) انظر تاج العروس ١١١/٧

(٧) وهذا يؤدي إلى القول بزيادة الدال وتكرير الباء.

(٨) الدُّعك الضعيف انظر تاج العروس ١٢٩/٧

(٩) الباعك الأحمق انظر تاج العروس ١١١/٧

زَبَعْبَك خماسي مجرد عند الزبيدي[1]. يراه الباحث(**فَعَلْعَل**) صفة الفاحِش الذي لا يُبالِي بما قِيلَ لَه أَو فيهِ من الشَّرِّ. وهو في الأصل (زَبَعْبَع) من الثلاثي (الزبع) ثم ألحق بالخماسي بتكرير العين واللام، ثم أبدل المكرر الثاني، والكاف مبدلة بالقاف. والقاف والكاف متقاربتان في المخرج[2].

سَمَهْدَر خماسي مجرد عند الزبيدي[3]. يراه الباحث (فَعَلَّل) وأصله سمهدد، فيه زيادة تكرير في آخره. صفة للسَّمَين: غلامٌ سَمَهْدَرٌ: سَمِينٌ كثير اللَّحْم. والعرب تصف الضخم الجثة من الإبل بالسمهد والسمهدد. ولما أرادوا وصف الإنسان به أبدلوا المكرر الثاني راء[4].أما الأصل فرباعي منحوت من السهد والمهد[5].

سَمَرْمَل عند الزبيديخماسي مجرد، صفة للْغُول[6]. يراه الباحث (فَعَلْعَل) لورود سَمَرْمَرَة[7]، صفة للغول. وهذا دليل على أن الأصل بالراء ثم أبدلت اللام بها.

المبحث الثاني: النحت:

---

(١) انظر تاج العروس ٧/ ١٣٨

(٢) انظر الكتاب ٤/٤٣٣ والقلب والإبدال ٣٧،٣٨ ا وظاهرة الإبدال اللغوي ٩٣ والتغير التاريخي للأصوات ٦١ ـ٦٤ وفيه ذكر أمثلة عاقبت فيها الكاف القاف.

(٣) سبق ورود الكلمة نفسها ولكن بدلالة أخرى ومشتقة من سدر البصر.

(٤) كما سموا الصبي بالجحوش فزادوا لئلا يقولوا: جحش. انظر مقاييس اللغة ٤٢٧/١

(٥) انظر مقاييس اللغة ١٥٩/٣

(٦) انظر: تاج العروس ٣٨٢/٧

(٧) انظر: تاج العروس ٣ /٣٧٩

كان النحت معروفا عند اللغويين قبل ابن فارس، فقد ذكر الخليل[١] أن حيعلا منحوت من (حي على). وأشار سيبويه[٢] إلى أن قولهم: عبشميّ بحذف بعض أحرف عبد شمس ليس قياسيًّا. وذكر ابن الأنباري[٣] أن (حوقل) اختصار لا حول ولا قوة إلا بالله. فالألفاظ المنحوتة متتابعة، والنحت للاختصار، وسببه كثرة الاستعمال. ولا يشترط ابن فارس تعاقب الكلمتين، ولا كثرة الاستعمال، قال: "العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار"[٤].وقال: " اعلم أن للرباعي والخماسي مذهبا في القياس، يستنبطه النظر الدقيق. وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت. ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعا بحظ. والأصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهم: حيعل الرجل، إذا قال حي على. ومن الشيء الذي كأنه متفق عليه قولهم: عبشميّ ..."[٥]ويعرف نهاد الموسى النحت بأنه:" بناء كلمة جديدة من كلمتين أو أكثر أو من جملة، بحيث تكون الكلمتان أو الكلمات متباينتين في المعنى والصورة، وبحيث تكون الكلمة الجديدة آخذة منهما جميعـًا بحظ في اللّفظ، دالة عليهما جميعـًا في المعنى"[٦]

---

(١) انظر العين ١/٦٠
(٢) انظر الكتاب ٣/٣٧٦
(٣) انظر الزاهر ١/١١
(٤) الصاحبي لابن فارس ٢٦٣
(٥) مقاييس اللغة ١ / ٣٢٨ -٣٢٩
(٦) النحت في اللغة العربية نهاد الموسى، ص٦٧.

وقد تتبع البحث الخماسي المنحوت في المقاييس فوجد أربعة أسماء خماسية، منحوتة من ثلاثيين، كلها صفات، وهي: دَلَهْمَس[١] منحوتة من كلمتين من دالس وهمس، وصَهْصَلِق[٢]، منحوت صهل وصلق، وفَرَزْدَقَة[٣]، منحوت من فرز ودق، وهَمِرْجَل[٤]، منحوت من همر وهجل. ولحظ البحث أن لابن فارس طريقة في نحت الخماسي تتمثل في اتصال الجزأين المنحوتين في الوسط، فالمحذوف الحرف الثالث من الجزء الأول، أو الحرف الأول من الجزء الثاني وشرط الحذف كونه مكررا، متقدما أو متأخرا. ولا يخرج عن هذه القاعدة إلا إذا وُجد في أحد الجزأين حرف مضعف أو أحد أحرف العلة. وقد قام الباحث بتطبيق هذه الطريقة فوجدها مطردة. وذلك في واحد وعشرين اسما، هي:

أولا: المنحوت على فَعَلَّل حَبَرْتَكُ خماسي مجرد عند الزبيدي[٥]. يراه الباحث منحوتا على فَعَلَّل، صفة للصَّغِير الجِسْمِ، تكون من ثلاثيين، الأول (حبر) الدال على صغر الجسم[٦]، فالحَبَرْبَرُ: الجملُ الصَّغيرُ. والثاني (الحتك[٧]) فالحَوْتَكُ: الصغير الجسم اللئيم، والحتك مشية القصير. وأثبت ثلاثة أحرف من الجزء الأول، ومن

---

(١) انظر السابق ٢٨٣/٣

(٢) نفسه ٣٥١/٣

(٣) نفسه ٤/ ٥١٣

(٤) نفسه ٧٢/٦

(٥) انظر تاج العروس ١١٨/٧

(٦) انظر تاج العروس ١٢٠/٣

(٧) انظر تاج العروس ١١٨/٧

الجزء الثاني أَثبت الحرفين الثاني والثالث، واستغنى عن الحرف الأول فيه لسبقه في الجزء الأول (ح ب ر .. ت ك)

حَبَرْقَص خماسي مجرد عند الزبيدي[١]. يراه الباحث منحوتا على فَعَلَّل، صفة للجَمَل الصَّغِير، والرّجُل القَصِير الرَّدِيء، والحَبَرْقَصَةُ: المَرْأَةُ الصّغِيرَةُ الخَلْقِ، والحَبَرْقَصُ المُتَداخِلُ اللَّحْمِ القَمِيءُ، ونَاقَةٌ حَبَرْقَصَةٌ: كَرِيمَةٌ عَلَى أَهْلِهَا، والحَبَرْقَصُ: وَلَدُ الحُرْقُوصِ ـ دوَيْبَّةٌ كالبُرْغُوثِ ـ[٢]. تكوّن من ثلاثيين أولهما (حبر) الدال على صغر الخلقة، من قولهم: الحَبَرْبَرُ: الجملُ الصَّغيرُ. وثانيهما (رقص[٣]) من قول العرب: رَقَصَ البَعِيرُ رَقْصاً إِذا أَسْرَعَ في سَيْرِه. والناقة الحبرقصة الكريمة على أهلها، اجتمع فيها صغر السن وإرقاصهم لها. والحبرقص ولد الحرقوص اجتمع فيه صغر السن مع قدرته على إحداث ألم بالمقروص يجعله يتحرك بحركات تشبه الرقص. أثبت ثلاثة أحرف من الجزء الأول، ومن الجزء الثاني أَثبت الحرفين الثاني والثالث، واستغنى عن الحرف الأول فيه لسبقه في الجزء الأول (ح ب ر .. ق ص)

ونلحظ التشابه اللفظي والدلالي بين (حَبَرْقَص) و(حَبَرْقَس) و(حَبَرْقَش) فالحبرقس صفة للضَّئيل من الحُمْلانِ والبِكارَة، والصغيرُ الخَلْقِ في جميعِ الحَيوان. والحبرقش صفة للجَمَل الصَّغِير. وفيهما ما في حبرقص من الدلالة على صغر السن

---

(١) انظر تاج العروس ٤/٣٧٨

(٢) السابق

(٣) انظر تاج العروس ٤/٣٩٩

والسرعة، ويرجع تغير صورتهما إلى الإبدال، فالسين مبدلة بالصاد [١]لتقارب المخرجين. والشين مبدلة بالسين[٢].

حَفدْلَس خماسي مجرد عند الزبيدي[٣]. يراه الباحث منحوتا على فَعَلَّل، وصف للسَّوداء، والسوداء عند العرب خادمة أو أمة تجتمع فيها صفتان الخدمة من (الحفد[٤]) وصفة السواد من (الدلس[٥]) وهو الظلمة، ولدّت العرب منهما اسما خماسيا مركبا من ثلاثيين هما (حفد) و(دلس) أثبت ثلاثة أحرف من الأول، ومن الثاني أثبت الثاني والثالث، واستغنى عن الأول من الثاني لسبقه في الأول، (ح ف د ..ل س)

خَبَرْجَل خماسي مجرد عند الزبيدي[٦]. يراه الباحث منحوتا على فَعَلَّل، صفة، طائر الكُركِيّ، يُكْنَى أَبا العَيزار؛ طائر طويل العنق تراه أَبداً في الماء الضَّحْضاح يسمى السَّبَيْطَر[٧] فمن صفات الكركي أنه طائر مهاجر يمر في هجرته بجزيرة العرب ويلجأ إلى مناقع الماء الدائمة التي توصف بالخبراء، فوصفوه بخبرجل للإشارة إلى ملازمته الخبر وعظم حجمه، وهذا الطائر ليس من طيورهم،لذلك سموه أولا بخبريّ نسبة

---

(١) انظر القلب والإبدال ١٤٢والتغير التاريخي للأصوات ٨٣ ربما تخلصت الصاد من صفة التفخيم فتحولت إلى سين ثم شين.

(٢)انظر القلب والإبدال ٤٠ . ٤١. والتغير التاريخي للأصوات ٨٤.

(٣) انظر تاج العروس ١٣٠/٤

(٤) انظر تاج العروس ٣٧٣/٢

(٥) انظر تاج العروس ١٥٣/٤

(٦) انظر تاج العروس ٣٠٠/٧

(٧) انظر تاج العروس (ع ز ر) أبو العيزار ٣٩٥/٣

إلى الأرض الخبراء، ثم وصفوه بالعظمة والجلالة لعظم خلقته فقالوا: خبرجل، أي طائر خبريّ جليل. ثم جعلوه لفظا واحدا على فَعَلَّل فقالوا: خبرجل. ونلحظ أن الأحرف الثلاثة من الجزء الأول أثبتت والثاني مضعف فلم يكرر ثانية استغناء بأوله (خ ب ر ج ل).

خَدَرْنَقٌ خماسي مجرد عند الزبيدي[1] بالدال. يراه الباحث منحوتا على فَعَلَّل، صفة ذكر العَناكِب أو العظيم منها. ومن صفات العنكبوت أنها تحدث في الضحية أثرين هما: الخدر والعجز عن الحركة؛ لذلك أراه منحوتا من ثلاثيين (الخدر[2]) و(الرنق[3]) أما الخدر فلأن سمُّه يحدث خدرا في ضحيته يصيبها بالرنق فلا تتمكن من الحركة أو الطيران. وجاء بالذال (خذرنق[4]) وبالزاي (خزرنق[5]) أثبت ثلاثة أحرف من الأول، ومن الثاني أثبت الثاني والثالث، واستغنى عن الأول لسبقه في الأول. (خ د ر..ن ق)

(١) قال ابن فارس: أمَّا قولهم لذكَر العَناكب خَدَرْنَق فهذا من الكلام الذي لا يُعوَّل على مثله، ولا وجه للشُّغْل به. (المقاييس ٢/٢٥١) وفي المنتخب ١١: خَدَنَّق.

(٢) انظر تاج العروس ٣/١٧٠

(٣) انظر تاج العروس ٦/٣٦٢

(٤) انظر القلب والإبدال ٥٤

(٥) انظر القلب والإبدال ٥٨

سَفَرْجَل خماسي مجرد عند سيبويه وجمهور اللغويين والصرفيين(١). يراه الباحث منحوتا على فَعَلَّل، صفة في الأصل سمي بها، فاكهة شتوية قريبة من التفاح والكمثرى، لونه أصفر، وفيه استطالة، يزداد عرض الثمرة في الجزء الأسفل منها. وفي السفرجل شيئان بارزان هما: اللون والشكل، فاللون أصفر، والشكل يشبه السجل -وهو الدلو - وتقول العرب للضَّرْع الممتلئ: سَجْل(٢). ولعل العرب وَلَّدت سفرجلا منهما بعد أن لحظت أن الثمار صفر كالسجل. فسفرجل منحوت من ثلاثيين أولهما (صفر) الدال على اللون أبدلت الصاد بالسين(٣) وثانيهما (سجل) وهو الدلو، وكأنهم شبهوا الثمرة بالسجل الأصفر، ونحتوا لفظا واحدا على فَعلّل للتعبير عن هذه الثمرة. وأثبت ثلاثة أحرف من الأول، ومن الثاني أثبت الثاني والثالث، واستغنى عن الأول لتقدم ذكره (س ف ر..ج ل)

شَبَرْبَص خماسي مجرد عند الزبيدي(٤). يراه الباحث منحوتا على فَعَلَّل، صفة للجمل الصغير. من (الشبر) الدال على القصر، ويدل على ذلك أن (شبر) الثلاثي يدل على صغر الحجم و"من المَجَاز: هو قَصِيرُ الشَّبْرِ إذا كان مُتَقَارب الخَلْق"(٥) ومن

(١) انظر الكتاب ٣٠١/٤ والمنصف ٣٠/١، وأبنية الأسماء ٣١٦، وارتشاف الضرب ١٣٩/١، وتاج العروس ٣٦٧/٧

(٢) انظر تاج العروس ٧/ ٣٧٠

(٣) انظر القلب والإبدال ٤٢

(٤) انظر تاج العروس ٤٠٠/٤

(٥) انظر تاج العروس ٢٨٨/٣

(الشبص) الدال على تداخل الشيء في بعضه وتقارب أجزائه[١]. أثبتت أحرف الأول وحذف أول الثاني لتكرره (ش ب ر.. ب ص)

شَقَحْطَب خماسي مجرد عند الزبيدي[٢]. يراه الباحث منحوتا على فَعَلَّل، صفة الكَبْش الذي له قَرْنَانِ مُنْكَرَان أَوْ أَرْبَعَة، فقرنا الكبش تشبه شقي الحطب، فالأصل مركب إضافي (شقُّ حطب) وعلاقة الشبه واضحة بين قرني الكبش وشق الحطب. فهو منحوت من تركيب إضافي، كأنه شِقُّ حَطَب. وعومل معاملة الكلمة الواحدة فجمع على شقاحب وشقاحط، أثبت حرفين، وحذف الثالث لتكرره، ثم جاء بجميع أحرف الثاني (ش ق ..ح ط ب)

عَجَرْقَب خماسي مجرد عند الزبيدي[٣]. يراه الباحث منحوتا على فَعَلَّل، صفة للمريب الخبيث، الذي يكون شديد الحذر، مراقبا ما حوله، كثير الالتفات والنظر خلفه بثني عنقه، فالأصل عجر ورقب، لأن من معاني العَجْرُ: عَجَرَ عُنُقَه إِلى كذا وكذا إِذا كان على وَجْهٍ فأَرَادَ أَن يَرْجِعَ عنه. أثبتت الأحرف الثلاثة من الأول وحذف أو الثاني لتكرره (ع ج ر ..ق ب)

---

(١) انظر تاج العروس ٤/٤٠٠

(٢) انظر تاج العروس ١/٣٢٤

(٣) انظر تاج العروس ١/٣٦٩

عَذَمْهَر خماسي مجرد عند الزبيدي[١]. يراه الباحث منحوتا على فَعَلَّل، صفة للبلد الرَحْب الواسِع. من (العذا[٢]) طيب الهواء، والعَذاة: الأرض الطَّيِّبَة البعيدة من الماءِ والوَخَمِ، ومن البُهْر[٣]: ما اتَّسَعَ من الأَرض. فهو منحوت من (عذا) و(بهر) ثم صيغت الصفة على فَعَلَّل، وعوملت معاملة الكلمة الواحدة، وأثبت حرفان من الأول، وحذف الثالث لأنه حرف علة، ومن الثاني أثبت جميع أحرفه. فأصبح (عذبهر) ثم أبدلت الميم بالباء[٤] لتقارب المخرجين (ع ذ ...م ه ر)

كَبَرْتَل خماسي مجرد عند الزبيدي[٥]. يراه الباحث منحوتا على فَعَلَّل، صفة ذَكَر الخُنْفُساءِ، وَوَلَد الجُعَلِ، أو هو نَفْسُه. ومن صفات الخنفساء القصر والغلظ والشبه بكتلة، وهذه الدلالات يعبر عنها (الكتل[٦]) ومن صفاته بطء حركته وهذه الدلالة يعبر عنها (الكبل[٧]) وهي حركة المقيد. فهو منحوت من ثلاثيين هما (كبل) و(كتل) وأبدلوا الراء بلام (كبل) لتقاربهما في المخرج[٨]. وأثبت ثلاثة أحرف من الأول، ومن الثاني أثبت الثاني والثالث، واستغنى عن الأول لسبقه في الأول (ك ب ر..ت ل).

---

(١) انظر تاج العروس ٣/ ٣٩٠

(٢) انظر تاج العروس ٢٣٨/١٠

(٣) انظر تاج العروس ٦٢/٣

(٤) انظر القلب والإبدال ٧ . ٢٢

(٥) انظر تاج العروس ٩٣/٨

(٦) انظر تاج العروس ٩٤/٨

(٧) انظر تاج العروس ٩٣/٨

(٨) انظر القلب والإبدال ٥٠ .٥٣

ثانيا: فَعْلَلِل: سَعْسَلِق خماسي مجرد عند الزبيدي[١]. يراه الباحث منحوتا على فَعْلَلِل، صفة لأم السعالي، من السعل[٢]، فالسِّعْلاَةُ: الغُولُ أو سَاحِرة الجن أو أَخْبَثُ الْغِيلاَنِ. ومن السلق [٣]الذي توصف به الذئبة والمرأة الجَرِيئة لخُبْثِهما، ولعلهم وصفوا به السعلاة لأنها تشاركهما في صفة الخبث. أثبت الحرف الأول والثاني من الأول وحذف الثالث لتكرره وأثبتت أحرف الثاني الثلاثة (س ع ..س ل ق)

صَهْصَلِق خماسي مجرد عند سيبويه[٤]. يراه الباحث منحوتا على فَعْلَلِل، صفة للشديد من الأصوات، وللعَجوز الصّخّابَة الشّديدة الصّوت. فهو يجمع بين صوتين هما: الصهل[٥]، والصَلَق[٦]، وكلاهما صوت شديد. فهو منحوتٌ من كَلمتين: من صهل وصلق[٧]، أُثبت الحرفان الأول والثاني من الأول وحذف الثالث لتكرره ثم أثبتت الأحرف الثلاثة من الثاني (ص ه ..صلق)

ثالثا: فُعَلِّل: خُزَعْبِل خماسي مجرد عند الزبيدي[٨]. يراه الباحث منحوتا على فُعَلِّل، صفة الباطِلُ والعَجَبُ والأضحوكة، فالخزعبلات روايات وحكايات فيها

---

(١) انظر تاج العروس ٣٨١/٦

(٢) انظر تاج العروس ٣٧٥/٧

(٣) انظر تاج العروس ٣٨٢/٦

(٤) انظر الكتاب ٣٠٢/٤ والمنصف ٣١/١ وتاج العروس ٤١٣/٦

(٥) انظر تاج العروس ٤٠٩/٧

(٦) انظر تاج العروس ٦/ ٤١٤

(٧) انظر المقاييس ٣٥١/٣

(٨) انظر تاج العروس ٣٠٣/٧. وقد جاء على لغة أخرى(خَزَعْبَل)

أحداث ضخمة، وهي منقطعة، مخترعة لا سند لها. من الخزع[1] فالخُزَاعَة بالضَّمِّ: القِطْعَة تُقْتَطَعُ. والْعَبَل[2]: الضَّخْمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. والأعجوبة والأضحوكة حديث عجيب منقطع لا سند له. أثبتت أحرف الأول، وحذف أول الثاني لأنه مكرر (خ ز ع ..ب ل)

رابعا: فِعْلَلّ: إِرْدَخْل خماسي مجرد عند الزبيدي[3].يراه الباحث منحوتا على فِعْلَلّ، صفة تدل على العظمة والضخامة، فتكون جسدية للضخم السمين، وذهنية لمن يبرع في القيام بأمر عظيم ضخم، منحوت من الأرّ الدال على السوق والطرد[4]، وما في ذلك من شدة وقوة بدنية تتناسب مع ضخامة الجسم، ومن الدخل[5] الدال على القوة الذهنية باستنتاج ما بطن وغمض من الأمور. ورد "فِي حَدِيثِ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ قِيلَ لَهُ: مَنِ انْتَخَبَ هَذِهِ الْأَحَادِيث، قَالَ: انْتَخَبَهَا رَجُلٌ إِرْدَخْل. الإِرْدَخْل: الضَّخْمُ. يُرِيدُ أَنَّهُ فِي الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ بِالْحَدِيثِ ضَخْمٌ كَبِيرٌ"[6]. أثبت حرفان من الأول وحذف الثالث لأنه مضعف ثم أثبت أحرف الثاني (إر .. د خ ل)

(١) انظر تاج العروس ٣١٧/٥
(٢) انظر تاج العروس ٣/٨
(٣) انظر تاج العروس ٢٠٥/٧
(٤) انظر تاج العروس ١١/٣
(٥) انظر تاج العروس ٣٢٠/٧
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣٧/١

جِرْدَحْل[١]: على فِعْلَلّ، الوادي، والضخم من الإبل. والوادي فضاء منبسط واسع. والإبل الجريدة هي الخيار الشداد. ويراه الباحث منحوتا من صفتين الأولى الجرد[٢]، فالوادي قد يُجرد نباته في شدة الحرّ، والجحل يدل على عظم الشيء[٣]. أثبتوا الأحرف الثلاثة من الأول وحذفوا الأول من الثاني لأنه مكرر (ج ر د.. ح ل)

حِنْبَتْرُ خماسي مجرد[٤]. على فِعْلَلّ، الشدة، يراه الباحث منحوتا من الحنب ومنه تحنيب الخيل[٥]، والحتر من إحتار العقدة إذا أحكم عقدها[٦]. أثبتوا الأحرف الثلاثة من الأول وحذفوا الأول من الثاني لأنه مكرر (ج ن ب.. ت ر

غِرْزَحْلَة أو غرزحنة خماسي مجرد عند الزبيدي[٧].يراه الباحث منحوتا على فِعْلَلّ، صفة للعصا، من الغرز لأن العصا تغرز في الأرض ليتوكأ عليها[٨]، ومن الزحل[٩]

---

(١) انظر تاج العروس ٢٥٦/٧

(٢) انظر تاج العروس ٣١٧/٢

(٣) انظر مقاييس اللغة ٤٢٨/١

(٤) انظر الكتاب ٣٠٢/٤وتاج العروس ١٥٩/٣

(٥) انظر مقاييس اللغة ١٠٨/٢

(٦) انظر مقاييس اللغة ١٣٣/٢

(٧) انظر تاج العروس ٤٣/٨

(٨) انظر مقاييس اللغة ٤١٦/٤ "يدل على رز الشيء في الشيء"

(٩) انظر تاج العروس ٣٥٥/٧

أو الزحن الدال على الحركة ببطء[١] . أثبتوا أحرف الأول وحذفوا أول الثاني لأنه مكرر (غ ر ز .. ح ل)

قِرْصَعْنَة خماسي مجرد عند الزبيدي[٢]. يراه الباحث منحوتا على فِعْلَلّ، نبات شوكي[٣]، وهو أنواعٌ: منه نوعٌ طويلٌ سَبْطٌ، ونوعٌ أبيضُ كثيرُ الورقِ، حادُّ الشَّوْكِ، كأَنَّهُ حَرْشَفَةٌ طويلَةٌ. هذا الوصف مأخوذ من شوك هذه النبتة، وأبرز صفاته أنه يقرص من يلامسه، وأنه طويل الأطراف حادها. فالقرصعنة من القرص، والصعن[٤] الذي يدل على ما استدق وطال. أثبتوا أحرف الأول وحذفوا أول الثاني لأنه مكرر (ق ر ص.. ع ن)

قِرْطَعْبَةٌ وقُرُطْعُبَةٌ وقُرَطْعَبَةٌ خماسي مجرد[٥]. يراه الباحث منحوتا على فِعَلَلّ، يأتي في سياق النفي، ويدل على عدم وجود شيء. منحوت من القرط والقِرْطِيط: "الشَّيْء اليَسِير، فما جَادَ فُلانٌ بقِرْطِيطَةٍ: أَي بَشَيْءٍ يَسِيرٍ"[٦]. ومن الطعب "ما به من الطَّعْبِ شيءٌ أَي ما به شيء من اللَّذة والطِّيبِ"[٧] فكلا اللفظين استعملا مثل قرطعب في سياق

---

(١) انظر مقاييس اللغة ٤٩/٣

(٢) انظر تاج العروس ٣١٠/٩

(٣) يسمى شُوَيْكَةُ إبراهيمَ

(٤) انظر تاج العروس ٢٥٩/٩

(٥) انظر الكتاب ٣٠٢/٤ ويراه اسما، وأراه صفة للشيء اليسير الذي لا يكاد يذكر. وتاج العروس ١/ ٤٢٧

(٦) تاج العروس ٥/ ٢٠٣

(٧) تاج العروس ١/ ٣٥٥

النفي، ويدلان على عدم وجود شيء. أثبت الأحرف الثلاثة من الأول، وحذف الحرف الأول من الثاني لتكرره (ق ر ط..ع ب).

قِرْطَعْن خماسي مجرد عند الزبيدي(١). يراه الباحث على فِعْلَلّ، له دلالتان: ما عليه قرطعنة أي شيء، والأحمق. أما الأول فيحتمل أن يكون الأصل فيه (قرطعب) للتوافق في الدلالة واللفظ، ويكون مجيء النون في موضع الباء من أخطاء السمع أو على توهم التنوين. أما دلالة الأحمق فتحتمل أن تكون من القرطعب لاستهانة الناس به. أو تكون من قَرْدَع(٢) الدالة على المرأة البلهاء جُعلت صفة للرجل وزيدت النون للمبالغة(٣)، وأبدلت الدال طاء لتقارب المخرجين(٤).

المبحث الثالث: المُعَرَّب:

التعريب هو إلحاق الألفاظ المأخوذة من اللغات الأخرى بأبنية كلمات عربية معروفة(٥). قال الجوهري: " وتعريب الاسم الأعجميِّ: أن تتفوَّه به العربُ على مِنهاجها، تقول: عَرَّبته العربُ وأعربته أيضاً"(٦) وذهب سيبويه إلى أن العرب تلحق

---

(١) انظر تاج العروس ٣١٠/٩

(٢) انظر تاج العروس ٤٦٠/٥

(٣) العرب تزيد في آخر الاسم ألفا ونونا للتعبير عن المذكر مثل عُقرُبان لذكر العقارب، وأفعوان لذكر الأفاعي، وضِبْعان لذكر الضباع انظر المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١١٦/١ ـ ١١٨

(٤) القلب والإبدال ٤٧

(٥) آليات التعريب وصناعة المصطلحات الجديدة، غنيم، أحمد كمال ١٥

(٦) الصحاح ١٧٩/١

الأعجمي بأبنيتها قال:" لما أرادوا أن يعربوه ألحقوه ببناء كلامهم، كما يلحقون الحروف بالحروف العربية"(١) واشترط الجواليقي أن يكون المعرب مستعملا في عصور الاستشهاد(٢). ولَا يحكم عَلى الألفاظ المعربة أَنَّهَا مُشْتَقَّة(٣). وقد ورد منه على أبنية الخماسي المجرد المتفق عليها اثنا عشر اسما:

أولا: فَعَلَّل

بَنَفْسَجُ(٤): اسم جنس جمعي، الواحد منه بنفسجة، نبات بري، له زهر طيب الرائحة. معرب من الفارسية(٥)، أصله (بنفسه) في الفارسية الحديثة، وفي الفارسية القديمة (فنفشك)(٦) ومن طرق التعريب عند العرب زيادة الجيم في نهاية الكلمات المعربة، كما قالوا في موزة بمعني الخف موزج.

دَمَهْكَرُ (٧) أَي الآخِذُ بالنَّفَسِ، فارسيٌّ مُعَرَّبُ دَمَه كِير، فَدَم هو النَّفَس وكِير بمْعَنى الآخذ.

---

(١) انظر الكتاب ٣٠٣/٤-٣٠٤

(٢) انظر المعرب ٩١

(٣) انظر تاج العروس ٩/١

(٤) انظر تاج العروس ١٠/٢

(٥) انظر: المعرب للجواليقي ٢٠٤

(٦) انظر: المعرب للجواليقي ٢٠٤

(٧) انظر تاج العروس ٢١١/٣

زَبَرْجَدُ(١) جَوْهَرٌ معروف، وهو من أَنواع الزُّمُرّد. وقد قلبوه قلبا مكانيًّا فقالوا فيه: الزَّبَرْدَجُ(٢)

شَمَخْتَر(٣) اللئيمُ المنحوسُ، مُعرب شُوم اختر، أي منحوس الطالعِ، شُوم: النحسُ واخترْ: النجْمُ ويعنون به الطالعَ، وقد قلبوه قلبا مكانيًّا فقالوا: خَمَشْتَر.

فَرَزْدَق(٤) الرّغيفُ الذي يسْقُطُ في التّنّورِ أو هو فُتات الخُبْزِ "وقال الفَرّاءُ: يُقال للجَرْدَقِ(٥) العظيم الحُروف: فَرَزْدَق فارسيّتُه برَازْدَه" (٦) وقال ابن فارس: إنه عربيٌّ منْحوت(٧) . والأرجح قول من نقل أصله الفارسي.

نَبَهْرَج (٨) كالبَهْرَج، وهو الزَّيْف الرَّدِيءُ، وقيل: فِضَّةٌ رَدِيئةٌ. وهو مُعرَّب نَبَهْرَهْ(٩) .

ثانيا: فُعَلِّل

---

(١) انظر تاج العروس ٣٦٣/٢

(٢) ذكر ابن جني في الخصائص ٦٢/١ أن زبردجا مقلوب عن زبرجد. وذكر ابن دريد أنه عربي في جمهرة اللغة ٣٧٠/٣. وانظر: المعرب ٣٥٧ وتاج العروس ٥١/٢

(٣) انظر تاج العروس ٣١٦/٣

(٤) انظر تاج العروس ٤٣/٧

(٥) الجَرْدَقَةُ، بالفتح: الرَّغيفُ، مُعَرَّبُ: كَرْدَه تاج العروس ٣٠٥/٦

(٦) تاج العروس ٤٣/٧

(٧) انظر مقاييس اللغة ٥١٣/٤

(٨) انظر تاج العروس ١٠/٢

(٩) انظر المعرب ١٦١

بُرَهْمن: عالم السمنية، وعابدهم[١]. من براهم وبراهما وبراهمن إله الهندوس، والبرهمانية ديانة الهند القديمة[٢]، وبرخمنين من حكماء الهند[٣]. ولا علاقة له بالجذر العربي بره.

ثالثا: فَعْلَلِل: لم يرد عليه شيء.

رابعا: فِعْلَل

إِسْفَنْطُ[٤] المُطَيَّبُ من عَصيرِ العِنَبِ، أو ضرب من الأشربة، ذكر الجوهري أنه فارسي معرب[٥]، وقال الأصمعي الخمر بالرومية[٦]. وذهب ابن الأعرابي إلى أنها عربية. ورجح الزبيدي أنها رومية. فتكون كل أحرفها أصول. والإِصْفَنْطُ لُغَةٌ في الإِسْفَنْطِ[٧]. وذهب محقق المعرب أن أصلها يوناني[٨]

---

(١) انظر تاج العروس ٩/ ١٣٩

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستاني ٩٦/٣

(٣) انظر السابق ١٠٧/٣

(٤) انظر تاج العروس ١٧٤/٥

(٥) ينظر قول الجوهري في الصحاح ١١٣١/٣. وورد الإسفنط في المعرب ١١

(٦) انظر الصحاح ١١٣١/٣

(٧) انظر تاج العروس ١٧٤/٥

(٨) انظر حاشية المعرب ١١١

إِصْطَبْل[١] :موقف الدواب. أَعْجَمِي[٢] تَكَلَّمَتْ به العَرَبُ، أصله لاتيني[٣] . وجميع أحرفه أصول.

شِطْرَنْج [٤]: لُعبة تلعب على رقعة. اختلف في أصله فقيل عربي من الشطر أو التسطير، وهو فارسي معرب، كسرت شينه ليوافق أمثلة العرب فليس فيها فَعْلَلّ[٥] . وذكر محقق المعرب أنه بالفارسية الحديثة شترنك[٦] . فجميع أحرفه أصول.

هِنْزَمْن [٧]: الجماعة، أو مجلس الشرب، أو عيد من أعياد العجم. معرب هنجمن أو أنجمن. ويقال هنزمر وهيزمن. ولحظ البحث تعدد صور المعرّب الواحد، وتعرضه للقلب المكاني أو الإبدال اللغوي، فقلب مكانيًّا في مثل زَبَرْجَد، قالوا فيه:زَبَرْدَجُ . وشَمَخْتَر قالوا فيه: خَمَشْتَر. ووقع فيه إبدال بين الزاي والجيم مثل هنزمن وهنجمن، وبين الهاء والهمزة (هنجمن أو أنجمن)، وبين النون والياء في موضع الحرف الثاني، وبين الراء والنون في موضع الحرف الأخير. وكثرة التغيرات اللغوية

---

(١)انظر تاج العروس ٢٠٨/٧ وجمهرة اللغة ٣١١/٣

(٢) انظر المعرب ١١٢

(٣) انظر حاشية المعرب ١١٢

(٤) انظر تاج العروس ٦٤/٢ ـ ٦٥

(٥) انظر المعرب ٤١٤

(٦) المعرب ٤١٥

(٧) انظر تاج العروس ٣٦٨/٩ والمعرب مقدمة المحقق ٣٤

سببها عدم معرفة العربي لأصل الكلمة. قال أبو عمر الجرمي: وربما خلطت العرب في الأعجمي إذا نقلته إلى لغتها"[١].

الخاتمة:

عود على بدء، فهذا البحث يمثل المرحلة الأولى في تأصيل الخماسي المجرد في تاج العروس، وسيليه ـ إن شاء الله ـ بحثان، أولهما لمزيد الخماسي، وثانيهما للظواهر اللغوية فيه وفي مزيده. ومن أهم نتائج هذا البحث الآتي:

أولا: الكشف عن أن العربية لم تخالف طبيعتها التي تميل للإيجاز، وظهر من دراسة ثلاثة وثمانين اسما أن ما وصفه اللغويون بالخماسي المجرد ليس كله خماسيًّا مجردًا، ولكنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ثلاثي الأصل أو رباعيُّه، زيد عليه حرفان من أحرف الزيادة أو ما أشبهها. أو وقع فيه تكرير وزيادة. أو رباعي زيد فيه حرف واحد. وهو أكبر الأقسام وأكثرها مادة لغوية، وعدد الأسماء فيه أربعة وأربعون اسما.

القسم الثاني: منحوت جاء على أبنية الخماسي المجرد المتفق عليها، وهذا النحت يتفق مع ميل العربية للإيجاز، فقد بنت من لفظين لفظا واحدا على الأبنية التي اتفق أنها للخماسي المجرد، وعدد الأسماء واحد وعشرون اسما. وهذا النحت كان وفق قاعدة مطردة وليس عشوائيا، فالمحذوف هو الحرف الذي يكون حلقة الوصل

(١) المعرب ٩٨

بين اللفظين أي الثالث من الأول، أو الأول من الثاني إذا كانت جميع الأحرف صحيحة، أما إذا وجد حرف علة في أحد اللفظين فالحذف واجب له، لأن الخماسي ليس فيه حرف علة.

القسم الثالث: المعرب وهو أقل من القسمين السابقين، فعدد الأسماء فيه اثنا عشر اسما، وفيه يتبين ميل العربية للإيجاز بمعاملتها للأعجمي معاملة اللفظ الواحد، فأغلب الألفاظ الأعجمية المعربة التي جاءت على أبنية الخماسي ذات أصول مفردة طويلة أو مركبة من جزأين. وبذلك تكون العربية قد أرست دعائم استمرارها وتطورها، وأظهرت قدرتها على مواجهة كل المستجدات باستعمالها الاشتقاق والنحت والتعريب.

ثانيا: ظهر أن اللغويين ومنهم الزبيدي كان هدفهم جمع كل ما سمعوه، ونتج عن ذلك إثباتهم ما خالف ضوابط العربية مثل الكَشَعْثَج ـ بالشين والثَّاءِ المثلّثة بينهما عين مهملة ـ وكذا "الكَشَعْظَج ـ بالظَّاءِ بدل المثلّثة ـ لفظانِ " قال الزبيدي: "مُوَلَّدانِ"[1] ولكنه لم يَذكُرْ على أَي شيْءٍ أَطْلَقَها المُوَلَّدون. ونلحظ أنهما خاليان من أحرف الذلاقة، وهذا يدل على أنهما ليسا بعربيين.

(١) تاج العروس ٩١/٢

وأثبتوا ألفاظا دون دلالاتها مثل خَذَعْرَب[١] . وأثبت الزبيدي مجموعة كبيرة من أعلام الأماكن دون إشارة لأصولها مثل: بَلَقْطَر [٢] قريةٌ بالبُحَيْرةِ من أعمالِ مِصرَ، وزمخشر[٣] بلدة صغيرة بنواحي خوارزم، وعَفَرْقَس[٤] وقيل: بضمِّ القَافِ: اسمُ وادٍ، وقَفَرْجَل[٥] : عَلَمٌ. وأعلام الأماكن هذه موجودة ببلاد فتحها المسلمون، وليست من بلاد العرب، مما يؤيد احتمال كونها غير عربية الأصل.

ثالثا: كشف البحث عن أهمية الدلالة في بيان أصل كثير مما وصف بالخماسي المجرد، وأبرز التغيرات اللغوية مثل القلب المكاني والإبدال اللغوي، فمن القلب المكاني خمشتر وشمختر، ومما اجتمع فيه القلب والإبدال خرنفج وخرفنج وخفرنج وخبربج وخبرنج وقلهمس وقلهزم. أما الإبدال اللغوي فمثل حندلس بالحاء والخاء وقذعمل بالذال والدال. وقد يأتي اللفظ على بنائين متفق عليهما مثل خَزَعْبَل جاء مثل سفرجل وقُذَعْمل، ومثله خبعثن. وسيُفرد للتغيرات اللغوية في الخماسي المجرد ومزيده بحث منفرد.

رابعا: هجر الخماسي: أكثر الخماسي المذكور في المعجمات قد هُجر، ولا يستعمل منه اليوم إلا ألفاظ قليلة لا زالت مرتبطة بحياة الناس وبيئتهم، فالفرزدق صفة

(١) نقله ابن دريد وقال: "زَعَمُوا، ولا أَدْرِي ما صِحَّتُه" جمهرة اللغة ٣٧١/٣ وتاج العروس ٢٢٩/١

(٢) انظر تاج العروس ٦١/١

(٣) انظر تاج العروس ٣ /٢٤٢ وهو أعجمي جاء على أبنية العربية.

(٤) انظر تاج العروس ١٩٤/٤

(٥) انظر تاج العروس ٨٤/٨

الشاعر الأموي المشهور، والبنفسج والزبرجد والشطرنج والإصطبل معربات لا زالت مستعملة، وبقاؤها مرتبط باستمرار الحاجة إليها. إضافة إلى أن العلاقة بين طول الكلمة وشيوعها هي علاقة سالبة، فكلما ازداد طول الكلمة ازدادت احتمالات هجرها[١]

خامسا: اتضح أن العرب تستعمل أغلب ما جاء على خمسة من غير حرف علة صفة سواء أكان مشتقًّا أم منحوتا، أما المـُعَرَّب فقد جاء اسما وصفة.

يوصي البحث بالاهتمام بنظرية أخوات العشرة (المشبهة بحروف الزيادة) التي أطلقها المتقدمون، فقد ظهر للباحث أن الراء قريبة من اللام ويدل الاشتقاق على زيادتها كاللام. ويؤكد على أهمية إعادة ضبط القواعد الصرفية في أبواب الزيادة، مثل زيادة النون ثانية، واللام طرفا، والهاء ثالثة.

---

(١) انظر بحث العلاقة بين طول الكلمة وشيوعها في مجلة العلوم التربوية جامعة الملك سعود مجلده، العدد الأول، ١٩٨٣م ص١١٥

المراجع:

- أبنية الإلحاق في الصحاح القرني، مهدي علي ط١ الرياض مكتبة الرشد ٢٠٠١م.
- أبنية الأسماء والأفعال والمصادر لابن القطاع تحقيق عبد الدايم، أحمد ط١ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٩٩م
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان تحقيق محمد، عثمان رجب ط١ القاهرة مكتبة الخانجي ١٩٩٨م
- أسطورة حروف الزيادة العشرة المجموعة في قولهم: سألتمونيها) الصاعدي، عبد الرزاق مقال نشر في موقع مجمع اللغة العربية الافتراضي يوم الخميس ٢٨ أبريل ٢٠١٦
- أصل ما زاد على ثلاثة عند ابن فارس من خلال معجم مقاييس اللغة، السحيمي، سلمان ط١ مطبوعات جامعة أم القرى مكة المكرمة ١٤٢٦هـ
- الأصول في النحو لابن السراج تحقيق: الفتلي، عبد الحسين ط١ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٥ م
- أصول الجذور الرباعية في لسان العرب الخماش، سالم ط١ السعودية مطبوعات مركز كلية بحوث الآداب جامعة الملك عبد العزيز رقم (٢٨) ١٤٣١ه
- الأعلام، للزركلي، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م
- الأفعال لابن القطاع ط١ عالم الكتب بيروت ١٩٨٣
- آليات التعريب وصناعة المصطلحات الجديدة، غنيم، أحمد كمال، ط١ إصدارات مجمع اللغة العربية الفلسطيني المدرسي، غزة، ٢٠١٤م.

. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، لأبي البركات الأنباري، ط١، المكتبة العصرية، ٢٠٠٣م.

. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، محمد، د ط، المكتبة العصرية، بيروت،١٩٦٤م.

. البنية الخماسية بين التصور والتمثيل، نعجة، سهى فتحي، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد الخامس العدد الأول ٢٠٠٩م (ص١١ ـ ٤٠)

. تاج العروس للزبيدي ط١ مصر المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ.

. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك تحقيق: بركات، محمد كامل، ط د ت دار الكاتب العربي، بيروت ١٩٦٧م

. التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه عبد التواب، رمضان ط٣ مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٩٧م

. التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، عناية عبد التواب، رمضان، د.ط، مكتبة الخانجي، مصر١٩٨٢م

. تهذيب اللغة للأزهري محمد تحقيق البردوني، أحمد، عبد العليم الدار المصرية للتأليف والترجمة مصر د ت.

. جمهرة اللغة لابن دريد د. ط بيروت دار صادر د.ت

. حاشية الصبان على شرح الأشموني، للصبان، د ط، دار الفكر، بيروت، دت.

. الخصائص لابن جني تحقيق النجار، محمد علي د. ط القاهرة المكتبة العلمية د. ت.

- الخماسيّات اللغوية وآثارها في العربية سالم، مصطفى عبد الحفيظ ط١ المكتبة التجارية مكة المكرمة ١٩٩١م
- دراســة إحصــائية لجذور معجم الصــحاح باســتخدام الكومبيوتر،موســى، علي حلمي الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م
- دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكومبيوتر، موسى، علي حلمي، وشاهين عبد الصبور.

  ط١، جامعة الكويت، الكويت ١٩٧٣م
- الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري، أبي القاســم محمد، تحقيق: الضــامن، حاتم، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٩٢م
- زبدة الأقوال في شــرح لامية الأفعال لابن الناظم تحقيق ناصــر، حســين ط١ دار الكتب العربية ١٩٩٢
- سر صناعة الإعراب لابن جني تحقيق هنداوي، حسن ط١دمشق دار القلم ١٩٨٥م
- شـرح التصـريف للثمانيني تحقيق: البعيمي، إبراهيم سـليمان ط١ مكتبة الرشـد الرياض ١٩٩٩م
- شـرح الشـافية للرضـي تحقيق نور الحسـن، محمد والزفزاف، محمد ومحيي الدين عبد الحميد، محمد ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٢م
- شرح المفصل لابن يعيش ط١ عالم الكتب بيروت د. ت
- شـفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل للخفاجي تحقيق كشـاش، محمد ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٨م

. الصاحبي لابن فارس تحقيق الطباع، عمر ط١ مكتبة المعارف بيروت ١٩٩٣م

. الصـــحاح تاج اللغة وصـــحاح العربية للجوهري تحقيق عطار، أحمد عبد الغفور ط٤ بيروت دار العلم للملايين ١٩٨٧م

. ظاهرة الإبدال اللغوي للبواب، علي حسين ط١ الرياض دار العلوم ١٩٨٤م.

. ظاهرة القلب المكاني في العربية للحموز، عبد الفتاح ط١ دار عمار عمّان ١٩٨٦م.

. العربية الفصـــحى نحو بناء لغوي جديد فليش، هنري تعريب وتحقيق شـــاهين، عبد الصبور ط٢ مكتبة الشباب مصر ١٩٩٧م

. العلاقة بين طول الكلمة وشـــيوعها، الخولي، محمد علي، مجلة العلوم التربوية جامعة الملك سعود مجلد٥، العدد الأول، ١٩٨٣م (ص١١١ ـ ١٢٥)

. العين للخليل بن أحمد، تحقيق: المخزومي، مهدي والسامرائي، إبراهيم، د. ط، مكتبة الهلال، د ت.

. الفعل زمانه وأبنيته، السامرائي، إبراهيم ط٣ بيروت مؤسسة الرسالة ١٩٨٣م

. في علم الأصـوات المقارن التغير التاريخي للأصـوات في اللغة العربية واللغات السـامية الزعبي، آمنة، ط٢دار الكتاب الثقافي الأردن ٢٠٠٨م

. القلب والإبدال لابن السكيت نشره هفنز (مجموعة الكنز اللغوي) المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٣م

. كتاب سيبويه تحقيق هارون، عبد السلام ط٣ بيروت عالم الكتب ١٩٨٣م

. لسان العرب لابن منظور د.ط بيروت دار لسان العرب د. ت.

. اللغة العربية معناها ومبناها حسان، تمام ط د ت دار الثقافة المغرب ١٩٩٤م

- المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة لابن جني، تحقيق: هنداوي، حسن، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٨٧م
- محاضرات في علم اللغة الحديث، لأحمد مختار عمر، ط١ عالم الكتب، القاهرة،١٩٩٥م.
- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، تحقيق: هنداوي، عبد الحميد ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن لسباتينو موسكاتي وأدفارد أولندورف وأنطون شبيتلر وفلرام فون زودن ترجمة المخزومي، مهدي والمطلبي، عبد الجبار ط١ بيروت عالم الكتب ١٩٩٩ م
- المذكر والمؤنث لابن الأنباري تحقيق الجنابي، طارق ط٢ دار الرائد العربي بيروت ١٩٨٦م
- المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل تحقيق بركات، محمد كامل ط١ جدة دار المدني ١٩٨٤م
- معالم دراسة في الصرف، عمايرة، إسماعيل ط٢ عمان دار حنين ١٩٩٣م.
- المعرب من الكلام الأعجمي الجواليقي، موهوب بن أحمد تحقيق ف. عبد الرحيم ط١ دار القلم دمشق ١٩٩٠م
- المغني في تصريف الأفعال، عضيمة، محمد عبد الخالق ط٣ مصر دار الحديث ١٩٦٢م
- مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق هارون، عبد السلام ط٢ مصر مطبعة البابي الحلبي ١٩٧٢م

- المقتضب للمبرد، تحقيق: عضيمة، عبد الخالق، ط (د ت) عالم الكتب بيروت (د ت)
- الملل والنحل للشهرستاني د ط مؤسسة الحلبي د ت.
- الممتع الكبير لابن عصفور، ط١، مكتبة لبنان، لبنان،١٩٩٦م
- المنتخب من غريب كلام العرب، لكراع النمل، أبي الحسن الهنائي، تحقيق العمري محمد بن أحمد، ط١، مطبوعات مركز إحياء التراث بجامعة أم القرى، مكة المكرمة،١٩٨٩م
- المنصف لابن جني، تحقيق: مصطفى، إبراهيم. وأمين، عبد الله ط١ مطبعة البابي الحلبي مصر ١٩٥٤م
- منهج ابن فارس في تأصيل ما زاد على ثلاثة أحرف "دراسة نقدية في معجم مقاييس اللغة"، بحرة، سامر زهير، بحث منشور في مجلة دراسات في اللّغة العربية وآدابها فصلية، دولية، محكّمة، تصدرها جامعة سمنان الإيرانية، السنة الرابعة، العدد الرابع عشر، ٢٠١٣م (ص ٤١ ـ٧٤).
- نشوء الفعل الرباعي في اللغة العربية عرض تحليلي لآراء القدماء ودراسات المحدثين، هريدي، أحمد، القاهرة: مكتبة الزهراء، ١٩٨٨م
- النحت في اللغة العربية، الموسى، نهاد، ط١، دار العلوم، الرياض ١٤٠٥هـ
- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير تحقيق الراوي، محمد والطناحي، محمود ط١ المكتبة العلمية بيروت ١٩٧٩م.

نداء المعاني في القرآن الكريم

د. تهاني محمد الصفدي

جامعة الأمير سلطان

مستخلص البحث:

هذه الدراسةُ دُوِّن فيها نداء غير العاقلِ من المعاني (المصادرِ): وذلكَ كنداءِ الويلِ والعجبِ والحسرةِ وخلافِها ممَّا كثُرَ في لغةِ العربِ، ولم يرد في كتبِ النُّحاةِ إبرازٌ لهذا الصنفِ أو معالجةٍ، وكل ما عرضَ من شواهِدِهِ إنَّما كانَ ضمنِ إحدى قواعدِهِ المتعلِّقةِ بالإعرابِ أو حالِهِ عندَ الإضافةِ لياءِ المتكلِّمِ ولغاتِهِ دونَ المساسِ بصنفِهِ وصحَّةِ ندائِهِ وغرضِ ندائِهِ. وقد ذكرت شواهد التنزيلِ بالتحليلِ والإبانةِ؛ تكشيفًا للغُنيةِ التأويلِيةِ في مُدوَّنةِ النداء بمستوياتِ الدَّرسِ اللغويِّ المعهودَةِ.

الكلمات المفتاحية:

تعرف النداء، أنواعه، نداء العاقل، نداء غير العاقل، نداء المعاني والمصادر.

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، فاتحةُ كلِّ خير، وتمامُ كلِّ نعمة، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ النَّبيِّين وخاتمِ المرسلين، وعلى آلِهِ الطَّيِّبين الطَّاهرين، وعلى صحبِه الغُرِّ الميَامِين، ومَن تبعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

أمَّا بعدُ؛ فحقُّ النِّداءِ أن تعطفَ بِهِ الْمُخَاطبَ عَلَيْك فتُنبِّهَهُ ليُقبِلَ، ثمَّ تخبِرُهُ أَو تَأمرُهُ أو تنهاهُ أَو تسألُهُ، أَو غيرُ ذَلِك مِمَّا توقعه إِلَيْهِ، ولذا كانَ المنادى مُخْتَصًّا من غَيرِهِ حينَ قَوْلِكَ: يَا زيدُ ويَا قومُ.[1]

ولهُ أركانٌ ثلاثةٌ؛ أداةُ النِّداءِ[2] والمنادى والغرضُ الذي نُودِيَ من أجلِهِ، ولذا كانَ الأصلُ في المنادى أن يكونَ عاقلًا ليستجيبَ للدعوةِ أو يُحدِثَ أثرًا، وقد يأتي بخلافِهِ بأن يكونَ غيرَ عاقلٍ في حالاتٍ مُعيَّنةٍ لأغراضٍ مختلفةٍ.

وقد كانَ للنُّحاةِ حديثٌ عن أضربِ المنادى من حيثُ كانَ مفردًا أو مضافًا أو مضارعًا للمضافِ بطولِهِ؛ ممَّا يُفضي إلى معرفةِ إعرابِهِ نصبًا وبناءً، وعليهِ دارَ كلامُهُم[3]، غيرَ أنَّهُم لم يحفلوا كثيرًا بدراسةِ أنواعِهِ من حيثُ عقلَ أو لا؟ فاستجابَ

---

(١) ينظر: المقتضب ٣/ ٢٩٨، الأصول ١/ ٣٢٩.

(٢) واختلف النحاة في عدد أحرف النداء، فقد عدها سيبويه خمسة هي. (يا، أيا، هيا، أي، الهمزة) الكتاب ٢٢٩/٢.

(٣) ينظر: الأصول ١/ ٣٢٩، اللمع ١٠٦.

أو كفَّ؛ فكانَ لندائِهِ غرضٌ بديعٌ لا يقلُّ أهميَّةً عن إقبالِ العاقلِ، وفيما يأتي تقسيمُهُ وفقَ هذا:

أنواع المنادى (من حيثُ كانَ اسمًا عاقلًا أو غير عاقلٍ أم غيرَهُ):

المنادى إمَّا أن يكونَ اسمًا على الأصلِ أو حرفًا على خلافٍ فيهِ أو فعلًا، وبيانُ ذلك:

- المنادى الحرف: وردَ مجيئُهُ في ليت وربَّ وحبّذا، معَ خلافٍ في كونِ (يا) تنبيهًا أو نداءً محذوفَ المنادى على نحوِ الذي سيُذكرُ في الفعلِ بعدُ[1]؛ إذ لم يُفرِّق النَّحويُّونَ بين ورود الحرفِ والفعلِ بعدَ يا في التَّوجيهِ.
- المنادى الفعل: وقد جاءَت مباشرةُ حرفِ النِّداءِ الفعلَ كثيرًا في لغةِ العربِ، نحوَ قولِ اللهِ تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾[2]، وكانَ للنُّحاةِ تناولٌ لمثلِ هذا وتوجيهٌ بأنَّ حرفَ النِّداءِ تجرَّدَ للتنبيهِ، وأنَّهُ كقولِهِم (هَلُمَّ) في التنبيهِ على الأمرِ، ونُقِلَ عن أبي العباسِ ومن تبعَهُ كالعكبري في التبيان[3] أنَّهُ على حذفِ المنادى، ورُدَّ بثلاثةِ أسبابٍ؛ الأوَّلُ ما يؤدِّيهِ حذفُ الفعلِ الذي نابَ عنهُ حرفُ النِّداءِ معَ حذفِ المنادى من إجحافٍ في الأسلوبِ[4]، والثَّاني عدمُ اطِّرادِهِ إذ قيلَ ولا مخاطبَ ثمَّةَ،

---

(١) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد ٢/ ٤٨٦-٤٨٧.

(٢) سورة النمل آية ٢٥.

(٣) التبيان ١/٣٧٢.

(٤) انظر: الكتاب ٤/ ٢٢٤، إعراب القرآن ٢٨٩، الخصائص٢/ ١٩٨، البحر المحيط ٧/ ٦٩، شرح الكافية للرضي، ٢/ ٣٨١.

كما في قولِ مريمَ عليها السَّلامُ:﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ﴾[١]، والثَّالثُ لكونِ قبولِ ادِّعاءِ الحذفِ مرهونًا بظهورِه في مواطنَ أخرى، وقيَّدَ ابنُ مالكٍ جوازَ الحذفِ بوجودِ الأمرِ أو الدعاءِ.[٢]

- المنادى الاسم: وهو على ثلاثةِ أحوالٍ:
  - العاقلُ: وهو الأصلُ في النِّداءِ لتتحقَّقَ الغايةُ منهُ بتنبيهِ مخاطبٍ أو أكثرَ بما يُحقِّقُ الإجابةَ في شأنٍ معيَّنٍ، وهذا ما يُسمَّى نداءً حقيقيًّا.

ونداء العاقل في القرآن الكريم هو الغالب والأكثر، وقد توزع بين نداء العموم بأنماطه الستة؛ نداء الأنبياء والمرسلين بأسمائهم وصفاتهم، نداء المؤمنين، ونداء أولي الألباب، ونداء بني إسرائيل، ونداء أهل الكتاب، ونداء الكفار، وفي ضوء الخطاب الندائي بخصائصه نستحضر بلاغة القرآن في تحقيق مقاصده وأحكامه، التي يهدف إليها في النداء عمومًا تعليمًا وتوجيهًا وسلوكًا.

  - غيرُ العاقلِ (من الجمادِ والحيوانِ والأرض والسماء): وهو واردٌ بكثرةٍ في كلام العربِ شعرِهِ ونثرِهِ، والمشهورُ عند النحويين أن غير العاقل إذا فَعَل فِعْلَ العاقل جرى مجراه[٣]. فلذا يجوزُ نداءُ البحرِ؛ لاتِّصافِهِ بالجريِ الذي هو مِن فعلِ العاقلِ، وكذا النَّملُ لاتصافِهم بصفةِ مَن يسمعُ ويعقلُ. وقد يخلُصُ

---

(١) سورة مريم آية ٢٣

(٢) ينظر: شرح التسهيل ٣/ ٣٨٩- ٣٩٠.

(٣) ينظر: المقتضب ٢/ ٢٢٥، شرح التسهيل ١/ ٧٨.

للتَّنبيهِ فيما سوى ذلك كنداءِ الدَّارِ والصَّبا[١].

ونداءُ اللهِ تعالى للجمادِ -كما جاءَ في غيرِ موضعٍ في القرآنِ الكريمِ-إنَّما كانَ لانقيادِهِ ونزولِهِ عندَ مشيئتِهِ بما أحدث فيهِ من إدراكٍ وفهمٍ لمعاني الخطابِ على أرجحِ الأقوالِ[٢].

---

(١) الخصائص ٢/ ٢٨١.

(٢) ينظر: الكشاف ٢/ ٢١٧، البحر المحيط ٥/ ٢٢٨.

منهج البحث

اتضحت حاجتي إلى منهجين من تلك المناهج، هما:

المنهج الوصفي: استعنت به في دراسة شواهد نداء المعاني، بتقديم صورة واضحة عنه. وهو الأنسب لهذا النوع من البحوث من حيث وصف الشاهد، وبيان منهجيته.

المنهج الاستقرائي: بتتبع ورود الآيات الكريمة في القرآن الكريم.

ويظهر هنا المزج بين المنهجين (الوصفي والاستقرائي) في الدراسة، بوصف الشاهد، ثمّ دراسة ما أضافه لها والفروق بينها.

ولعلّ عملي المتواضع هذا يكون باكورة لأعمال مؤصلة تعنى بكشف النقاب عن جوانب دقيقة في أبواب النداء في العربية.

وجاء البحث في تمهيد تناولت فيه آراء العلماء في نداء المعاني في القرآن الكريم، ومبحثين:

المبحث الأول: نداء البشرى والأسف.

المبحث الثاني: نداء الويل والحسرة.

التمهيد:

النداء: هو طلبُ المتكَلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب «أنادي» المنقول من الخبر إلى الإنشاء، قال سيبويه:" اعلم أنّ النداء كلّ اسم مضاف فيه، فهو

نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره، والمفرد رفع وهو في موضع اسم منصوب"(١).

وعرَّفه صاحب الكلِّيَّات بقوله: "هُوَ إِحْضَار الْغَائِب، وتنبيه الْحَاضِر، وتوجيه المعرض، وتفريغ المشغول، وتهييج الفارغ"(٢).

وأكثرُ تناولِ النَّحويِّينَ لشواهِدِهِ كانَ عرضًا عندَ الحديثِ عن النَّكرةِ المقصودةِ وندائِها مُنوَّنةً وغيرَ مُنوَّنةٍ دونَ الخوضِ في غايتِهِ وضابطِهِ(٣).

أمّا غيرُ العاقلِ من المعاني (المصادرِ): وذلكَ كنداءِ الويلِ والعجبِ والحسرةِ وخلافِها ممَّا كثُرَ في لغةِ العربِ، فلم يرد في كتبِ النُّحاةِ إبرازٌ لهذا الصنفِ أو معالجةٍ، وكل ما عرضَ من شواهِدِهِ إنَّما كانَ ضمنَ إحدى قواعدِهِ المتعلِّقةِ بالإعرابِ أو حالِهِ عندَ الإضافةِ لياءِ المتكلِّمِ ولغاتِهِ دونَ المساسِ بصنفِهِ وصحَّةِ ندائِهِ وغرضِ ندائِهِ.

والحقُّ أنَّ كتبَ النَّحوِ -عندَ التَّناولِ-لم تفصلْ ذينِ الأخيرينِ، بل أجملت القولَ في نداءِ غيرِ العاقلِ، وسردتْ شواهدَهما من قرآنٍ أو نثرٍ أو شعرٍ على حدٍّ سواءٍ.

---

(١) الكتاب ٢:١٨٤، وانظر: المقتضب ٢/٢٢٥، والأصول ١/٣٢٩.

(٢) الكليات ٩٠٦.

(٣) انظر: الكتاب ٢/١٩٩- ٢٠٣.

وقد أشارَ الشيخُ عضيمة رحمه الله لشواهدِ نداءِ المعاني القرآنيَّةِ مجموعةً دونَ النَّصِ على التَّسميةِ التي تُميِّزها عن الجماداتِ، فقالَ: "جاء في نداء غير العاقل كثيرًا في القرآن على سبيل المجاز، أو على أن يخلق الله فيها ما به نفهم خطابه".[1]

وتحدّث كثيرٌ من البلاغيين عن نداء الجمادات، وما لا يعقل كالحيوان، وما لا يصحُّ نداؤه كالنفس وغير ذلك، وعدّوا ذلك من الانزياح، والسرُّ في هذا أنّ هذه الأشياء لا يصحُّ نداؤها؛ لأنّها لا تستجيب، فلما يناديها منشئ الكلام، لا بدَّ أن يكون وراء ندائه هدفٌ آخر غير إرادة الإقبال، ففي الآية الكريمة: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾[2] جاء النداء على حقيقته؛ لأن المُنادي هو الله ذو العظمة والجلال، فلا شيء من مخلوقاته يمتنع عن إجابته، فالجمادات والأحياء كلُّها مأمورة بأمره، ومسيرةٌ بمشيئته، لذا جاء النداء هنا على أروع ما يكون من الجمال والجلال والعظمة رُغم أنَّه على حقيقته، وسرُّ هذا الجمال، هو تصور هذه الأجرام العظيمة الراسية الصمَّاء وكأنها تسمع ما يقال، مما يبعث على الرهبة والاستكانة والخشوع، أمام هذا النداء الرباني العظيم، وهذا يقودنا إلى عظمة سبب النداء، وهو تسبيح الله ـ جل في علاه ـ إذ المراد من هذا النداء هو تحفيز مكامن التدبّر لدى الناس، وبعث مواطن التأمّل في خلق الله، وهو يخاطب الجبال والطير، والأرض والسماء، وكلَّ شيء في الوجود يسبّح.

---

(١) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن القسم الأول ج٣/٦٢٨.

(٢) سورة سبأ آية ١٠.

فأصل النداء أن يكون لمن يعقل، فإذا تفلَّت النداءُ من ربقة المألوف، إلى فضاء رحب لطيف المسالك، دقيق المرامي؛ كيما ينسج منه بردة الجمال، وتصاغ منه قلادة الإبداع، فينادى ما لا يعقل، على سبيل المجاز، كقولهم: يا عجباً ويا حسرة(١).

ونادوا الحسرة وإن كانت لا تجيب على طريق التعظيم، قال سيبويه: "وكأنّ الذي ينادي الحسرة أو السرور أو الويل يقول اقربي، أو احضري فهذا أوانك ... وهذا التعظيم على النفس والسامع هو المقصود أيضاً في نداء الجمادات: كقولك: يا دار، يا ربع، وفي نداء ما لا يعقل"(٢).

كذلك نداء الويل هو على معنى احضري فهذا أوانك، وهذا هو الباب في نداء الحسرة والعجب والويل وما جرى مجراهم من نداء هذه الأمور التي لا تعقل وهي معان(٣).

ونداء البشرى، فقالوا: يا بشرى، ففيها معنى النداء فيما لا يعقل؛ لتنبيه المخاطب وتوكيد القصة فإذا قلت يا عجبًا فكأنك قلت اعجبوا، فكأنه قال يا قوم أبشروا(٤).

وبعد، تتضح خصوصية النداء في لغة العرب، ومما يتميّز به من تعلّق الحرف بالاسم، فالنداء له أدواته الخاصة التي تميّزه، في بث كوامن النفس وإطلاقها مع امتداد

---

(١) البحر المحيط ٤: ٢٣٥.

(٢) الكتاب: ١/ ٣٢٠.

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ١٨٢.

(٤) البرهان ٣/ ٣٥٣.

الصوت؛ لتنبيه المخاطب لا كغيرها من الأدوات التي تنبه في اللغة، فهو لون من ألوان الخطاب، يأتي في الحاجة الملحة إلى لفت من يسمع وإيقاظه.

وسأسرد القول في نداء غير العاقل من المعاني، وذكر آراء العلماء فيه.

المبحث الأول: نداء البشرى والأسف

وردت كلمة (بشر) وصيغها في القرآن الكريم في أربعة وثمانين موضعـًا، وجاءت البشرى في الاستعمال القرآني بمعنى الإخبار بمعنى سارّ، ولم يأتِ نداء البشرى إلا في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ﴾ [يوسف آية ١٢].

قرأ الكوفيون (عاصم، وحمزة، والكسائي): ﴿يا بُشْرَى﴾، بإرسال الياء وترك الإضافة، وقرأ الجمهور﴿يا بشرايَ﴾ بياء مفتوحة بعد الألف، وأمال ألفَ فُعْلى حمزة والكسائي، وأمالها ورش بين بين على أصله، وعن أبي عمرو الوجهان، ولكن الأشهرَ عنه عدمُ الإمالة، وليس ذلك مِنْ أصله على ما قُرِّر في علم القراءات[1].

وروى ورش عن نافع ﴿يا بُشْراْيْ﴾ بسكون الياء، وهو جمعٌ بين ساكنين في الوصل.

وقرأ الجحدري وابن أبي إسحاق والحسن: ﴿يا بُشْرَيَّ﴾ بقلبِ الألفِ ياءً وإدغامها في ياء الإِضافة وهي لغة هُذَلِيَّة، وهي لغة للعرب مشهورة، سمعت أهلَ السروات يقولون في دعائهم: يا سيدي ومَوْلَيَّ".[2]

---

(١) ينظر: السبعة ٣٤٧، وإعراب النحاس ٣١٩/٢، والحجة ٣٥٧، وإعراب مكي ٤٢٥/١، والتيسير ١٢٨، والمحرر ٢٦٦/٩، والنشر ٢٩٣.

(٢) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات ٣٣٦/١.

في سياقِ قصَّةِ يوسفَ عليه السَّلامُ العامرةِ بالأحداثِ والمفاجآتِ يُبهَمُ أمرُ السَّيارةِ والقومِ والواردِ لملء الحدثِ بالمفاجأةِ والاستبشارِ حينَ أُدلِيَ الدَّلْوُ رجاءَ السَّقيِ فتشبثَ بِهِ الغلامُ؛ فصرخَ صاحبُهم مُبشِّرًا الرّكبَ بأوجزِ عبارةٍ مُفعَمةٍ بالفرحِ والحبورِ: يا بشرى هذا غلامٌ!

ولما أعقبَ حرفَ النِّداءِ ما لا يُجيبُ ولا يعقلُ اختلفَ مفسِّرو القرآنِ في توجيهِهِ ذلك: وَفِي تَفْسِيرِ النِّدَاءِ ثمَّةَ ثلاثةُ أوجهٍ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: أَنَّهَا كَلِمَةٌ تُقالُ عِنْدَ الْبِشَارَةِ كقَوْلِهِمْ: يَا عَجَبًا مِنْ كَذَا، ذكر الزَّجَّاجُ أنّ مَعْنَى النِّدَاءِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا تُجِيبُ ولا تعقِلُ تَنْبِيهُ الْمُخَاطَبِينَ وَتَوْكِيدُ الْقِصَّةِ، فَإِذَا قُلْتَ: يَا عَجَبَاهُ فَكَأَنَّكَ قُلْتَ اعْجَبُوا ويا أيها العجب هذا من حينك.

كذلك إذا قلت (يا بشرى) فكأنك قلت: يا أيّتها البشرى هذا من إبّانك وأوانِك أن تُنادَيْ ويُصاحَ بكِ. فهَذَا الْوَقْتُ وَقْتُكِ، وَلَوْ كُنْتِ مِمَّنْ يُخَاطَبُ لَخُوطِبْتِ الْآنَ وَلَأُمِرْتِ بِالْحُضُور[1].

وسبب البشارةِ: أنهم وجدوا غلاماً في غاية الحسن فقالوا: نَبيعهُ بثَمنٍ عظيم، ويصيرُ ذلك سبباً للغنى.

---

(١) انظر: البرهان ٣٥٣/٣، تفسير مقاتل بن سليمان ٣٢٥/٢، جامع البيان ٢/١٥، معاني القرآن وإعرابه ٢٠٨/٣، تفسير القرآن العظيم للرازي ٢١١٣/٧، تفسير الماتريدي ٢٢٠/٦، مشكل إعراب القرآن٣٨٠/١، غرائب التفسير ٥٣٠/١، مفاتيح الغيب ٤٣٣/١٨-٤٣٤، البحر المحيط ٢٥٢/٦.

القول الثَّاني: أنَّ المنادَى محذوفٌ، تقديرُهُ: يا قومُ بُشْرَاكُم هذا غلامٌ(١).

الْقَوْلُ الثالث: ذَكَرَهُ السُّدِّيُّ أَنَّ الَّذِي أخرجَ الدَّلْوَ نَادَى صَاحِبَهُ وَكَانَ اسْمَهُ بشرى، فَقَالَ: يَا بُشْرَى، كَمَا تَقُولُ: يَا زَيْدُ. وَعَنِ الْأَعْمَشِ أَنَّهُ قَالَ: دَعَا امْرَأَةً اسْمُهَا بُشْرَى(٢)، واستبعدَهُ قومٌ(٣).

وقد جمعَ الألوسيُّ بينَ هذهِ الأوجهِ كلِّها بقولِهِ: "يا بُشْرى هذا غُلامٌ نادى البشرى بشارةً لنفسِه أو لقومِه ورفقتِه، كأنَّه نزَّلها منزلةَ شخصٍ فناداه، فهو استعارةٌ مكنيَّةٌ وتخييليَّةٌ(٤)، أي يا بشرى تعالَي فهذا أوانُ حضورِك، وقيلَ: المنادى محذوفٌ كما في: يا ليت؛ أي: يا قومي انظروا واسمعوا بشراي، وقيلَ: إنَّ هذه الكلمةَ تستعملُ للتَّبشيرِ من غيرِ قصدٍ إلى النِّداءِ"(٥).

ويُقوِّي الوجهَ الأوَّلَ أمورٌ:

---

(١) انظر: غرائب التفسير ٥٣٠/١، روح المعاني ٣٩٤/٦.

(٢) روح المعاني ٣٩٤/٦.

(٣) تاريخ الطبري ٣٣٣/١- ٣٣٤، جامع البيان ١/١٥، ٢-٤، تفسير الرازي ٢١١٣/٧، تفسير الماتريدي ٢٢٠/٦، مشكل إعراب القرآن٣٨٠/١، غرائب التفسير ٥٣٠/١، مفاتيح الغيب ٤٣٣/١٨-٤٣٤، البحر المحيط ٢٥٢/٦، الدر ٤٥٩/٦، روح المعاني ٣٩٤/٦.

(٤) الاستعارة المكنية في مذهب جمهرة علماء البيان هي: لفظ المشبه به المستعار في النفس للمشبه، والمحذوف المدلول عليه بذكر شيء من لوازمه وخواصه. ينظر: الكليات :١٠٢. والاستعارة التمثيلية تطلق على ما كان وجه الشبه مركبًا محققًا أولًا، وهو مذهب الجمهور، أو ما كان وجهه مركبًّا غير محقق لا حسًّا ولا عقلًا، وهو مذهب السكاكي. ينظر: الكليات: ٢٩٥.

(٥) انظر: إعراب القرآن للنحاس ١٩٦/٢، البحر المحيط ٢٥٢/٦، روح المعاني ٣٩٤/٦.

- وجودُ سَبَبٍ وجيهٍ للبِشَارَةِ؛ ذاكَ أَنَّهُمْ وَجَدُوا غُلَامًا فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَقَالُوا: نَبِيعُهُ بِثَمَنٍ عَظِيمٍ وَيَصِيرُ ذَلِكَ سَبَبًا لِحُصُولِ الْغِنَى(١).
- دعمُ القراءةِ السَّبعيَّةِ الأخرى هذا المعنى؛ وهيَ قراءةُ (يَا بُشْرَايَ)(٢) على الإضافةِ إلى نفسِهِ؛ فكأَنَّهُ بشَّرَ نفسَهُ؛ أي البُشرى لي بهذا الغلامِ(٣). قال أبو حيان: "وقوله: يا بشراي هو على سبيل السرور والفرح بيوسف، هذا رأى أحسن ما خلق"(٤).
- أَنَّهُ لم يأتِ في القرآنِ التَّصريحُ بتسميةِ أحدٍ إلّا يسيرًا، وإنَّما يأتي بالكنايةِ كما في قولِهِ جلَّ وعزّ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧] وهوَ عقبةُ بنُ أبي معيطٍ، وبعده ﴿يا وَيْلَتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانـًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧] وهوَ أميَّةُ بنُ خلفٍ(٥).

وجاء في إعراب "يا بشرى" وجهان:

- قراءة الكوفيين بغير ياء الإضافة على فعلى أن بشرى نكرة هاهنا، فناداها كما تنادى النكرات، نحو قولك: يا رجلًا، ويا راكبـًا، إذا جعلت النداء شائعـًا فيكون موضعها نصبـًا مع التنوين.

---

(١) مفاتيح الغيب ١٨/٤٣٣-٤٣٤.

(٢) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر، الحجة لابن خالويه ١٩٤، الحجة للفارسي ٤/٤١٠.

(٣) تفسير الماتريدي ٦/٢٢٠.

(٤) البحر المحيط ٦/٢٥٢.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٩٦.

- ويمكن أن يكون بشرى منادى يعرف بالقصد، نحو يا رجلُ، يريد نادى المستقي رجلًا من أصحابه اسمه بشرى، فتكون بشرى في موضع رفع.

واسم الإشارة عائد إلى ذات يوسف عليه السّلام؛ خاطب الواردُ بقية السيّارة، ولم يكونوا يرون ذات يوسف عليه السّلام حين أصعده الوارد من الجبّ، إذ لو كانوا يرونه لما كانت فائدة لتعريفهم بأنه غلام إذ المشاهدة كافية عن الإعلام، فتعيّن أيضـًا أنهم لم يكونوا مشاهدين شبح يوسف عليه السّلام حين ظهر من الجب، فالظاهر أن اسم الإشارة في مثل هذا المقام لا يقصد به الدلالة على ذات معيّنة مرئية بل يقصد به إشعار السامع بأنه قد حصَل شيءٌ فرح به غير مترقب، كما يقول الصائد لرفاقه: هذا غزال وكما يقول الغائص: هذه صدفة أو لؤلؤة ويقول الحافر للبئر: هذا الماء قال النابغة يصف الصائد وكلابه وفرسه:

يقولُ راكبُها الجنيّ، مرتفقـًا هذا لكُنّ، ولحمُ الشاةِ محجورُ[1]

وكان الغائصون إذا وجدوا لؤلؤة يصيحون. قال النابغة:

أو درّةٍ صدفيّةٍ، غوّاصُها بهِجٌ، متى يَرها يُهلّ ويسجُدِ[2]

---

(١) من قصيدة مطلعها : ودع أمامة، والتوديع تعذيرُ وما وَداعك من قفّت به العير. ديوان النابغة الذبياني:٨٦

(٢) من قصيدة مطلعها: أمن آل ميّة رائح ومغتد عجلان ذا زاد وغير مزوَّد . ديوان النابغة الذبياني:٧١

والمعنى: وجدت في البئر غلامـًا، فهو لقطة، فيكون عبدًا لمن التقطه. وذلك سبب ابتهاجه بقوله: ﴿يا بشراي هذا غلام﴾[1].

نداء الأسف:

وقع نداء الأسف في آية واحدة من القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[يوسف: ٨٤].

قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: ﴿يَا أَسَفي﴾ بالإمالة، ورُوي عن أبي عمرٍو: الفتحُ والإمالةُ بينَ بينَ، ووقفَ رويسٌ راوي يعقوبَ بخلافٍ عنه: (يَا أَسَفَاهُ) بزيادةِ هاءٍ بعدَ الألف[2].

والأصل: يا أسفي فأبدل من الياء ألف لخفة الفتحة[3]؛ لأنّ الصوت معها أتمّ، والألف بدل من ياء المتكلم، قال الزجاج: "الأصل يا أسفي، إلا أنّ ياء الإضافة يجوز أن تبدل ألفـًا؛ لخفة الألف والفتحة".[4]

---

(١) مفاتيح الغيب ٨/٤٣٣-٤٣٤.

(٢) النشر في القراءات العشر ٢/٢٩٦، وفتح الرحمن في تفسير القرآن ٣/٤٥٢.

(٣) انظر: إعراب النحاس ٢/ ٣٤٢ تفسير القرطبي ٩/٢٤٨.

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ١٢٥.

وفي معنى الأسف قولان، أحدهما: أشدّ الحزن على ما فات، نقل عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: قوله: (وتولى عنهم وقال يا أسفَا على يوسف) يقول: يا حزني على يوسف[١].

قال الطبري: "يعني تعالى ذكره، بقوله (وقال يا أسفا على يوسف) يعني: يا حَزَنا عليه"[٢].

والآخر: بمعنى الجزع، ذكر عن مجاهد قال: (يا أسفا على يوسف) يا جَزَعاه حزنًا"[٣].

قال أبو جعفر النحاس:"﴿قَالَ يَا أَسَفا عَلَى يُوسُفَ﴾ (آية ٨٤) قال ابن عباس أي يا حزنا، وقال مجاهد أي يا جزعا".[٤]

وهي صورة مؤثرة للوالد المكلوم، المنفرد بهمّه، وبمصابه، لا تشاركه قلوب من حوله ولا تجاوبه، فينفرد في معزل، يذكر فجيعته في ولده يوسف، إذ لم ينسه، ولم تهون من مصيبته السنون، والذي تذكره به نكبته الجديدة في أخيه الأصغر فتغلبه على صبره الجميل.

وللعلماء في شدة الحزن ثلاثة أقوال:

---

(١) انظر: جامع البيان ١٦/ ٢١٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ١٦/ ٢١٥

(٤) معاني القرآن ٣/٤٥٢

منها أن يعقوب صلى الله عليه وسلم لما علم أن يوسف عليه السلام حيّ خاف على دينه فاشتدّ حزنه لذلك، وقيل: إنّ حزنه لأنّه سلمه إليهم وهو صبيّ فندم على ذلك، والثالث: أنّ الحزن ليس محظورًا، إنما المحظور الولولة...[1]

وفي توجيه العلماء لنداء الأسف في الآية الكريمة قولان:

الأول: أنّه أراد به الدعاء، وتقديره يا ربّ ارحم أسفي على يوسف[2]، فالمعنى على إضمار الدعاء؛ لأنّه أراد به الشكوى إلى الله تعالى، ولم يرد به الشكوى منه راغبًا إلى الله تعالى في كشف بلائه.

ذكر ابن الأنباري عن بعض اللغويين أنه قال: "نداء يعقوب بالأسف في اللفظ من المجاز يعني به غير المظهر في اللفظ وتلخيصه: يا إلهي ارحم أسفي، أو أنت رائي أسفي أو هذا أسفي فنادى الأسف في اللفظ والمنادى سواه في المعنى، ولا مأثم إذ لم ينطلق اللسان بكلام مؤثم؛ لأنّه لم يشك إلا إلى ربّه عزّ وجلّ فلما كان قوله "يا أسفا على يوسف" شكوى إلى ربّه كان غير ملوم في شكواه، وقيل إن يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاؤه وقويت محنته قال يا أسفا على يوسف أي أشكو إلى الله شدة أسفي على يوسف ولم يشكه إلى أحد من الخلق.[3]

(١) إعراب النحاس ٣٤٢/٢

(٢) تفسير الماوردي ٦٩/٣

(٣) تفسير الخازن ٣٠٨/٣.

الثاني: النداء على معنى تعال يا أسف؛ فإنّه من أوقاتك[١]، ونداؤه على سبيل المجاز، كأنه قال: تعال فهذا أوانك.

ونداء الأسف مجاز، نزّل الأسف منزلة من يعقل فيقول له: احضر فهذا أوان حضورك، وأضاف الأسف إلى ضمير نفسه؛ لأنّ هذا الأسف جزئي مختصّ به من بين جزئيات جنس الأسف.

ذكر هذا الرأي جملة من العلماء كالزجاج والزمخشري وأبي حيان والسمين الحلبي وغيرهم.[٢]

قال الزَّجَّاج – رحمه الله تعالى –: "هذا النِّدَاءُ ينبِّهُ الناس على ما سيحصل لهم من الحَسْرَةِ، والعربُ تعبر عن تعظيم أمثال هذه الأمور باللَّفظَةِ كقوله تبارك وتعالى: ﴿يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠] ﴿يا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطَتُ فِي جَنبِ اللهِ﴾[الزمر: ٥٦] ﴿يا وَيْلَتَا أَأَلِدُ﴾ [هود: ٧٢] و﴿يا أَسَفَا﴾[يوسف: ٨٤] والمعنى: يا أيها النَّاس تَنَبَّهُوا على ما وَقَعَ من الأسَفِ، فوقع النداءُ على غير المنادى في الحقيقة".

فمَعْنَى الْمُنَادَاةِ لِلْأَسَفِ طَلَبُ حُضُورِهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: تَعَالَ يَا أَسَفِي وَأَقْبِلْ إِلَيَّ.[٣]

وقد جاء في إعراب ﴿يا أَسَفَا﴾ أوجه:

---

(١) انظر: إعراب النحاس ٢/ ٣٤٢ تفسير القرطبي ٢٤٨/٩.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ١٢٥، الدر المصون ٥٤٥/٦.

(٣) فتح القدير ٥٧/٣.

- منادى مضاف منصوب بالفتحة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم، فالألف منقلبة عن ياء المتكلم، وإنَّما قلبت ألفـًا؛ لأنَّ الصَّوت معها أتم، ونداؤه كما سبق على سبيل المجازِ، كأنَّه قال: هذا أوانُك فاحضر كما سبق ذكره، ذكر هذا الوجه أبو حيّان والسمين الحلبي.(١)
- خرج مخرج النّدبة، قيل هذه ألف الندبة، وحذفت هاء السَّكت وصلًا، وإذا وقفت عندها قلت: يا أسفاه، فإذا اتصلت ذهبت الياء، كما قالوا: يا راكبا إمّا عرضت فبلّغن.(٢) قال أبو عبيدة: "(فيا راكبا) بغير تنوين؛ والمعنى: فيا راكباه، فحذف الهاء، كما حذفت من قوله عز وجل: (يا أسفا على يوسف)".(٣)

والمعوّل عليه الأول.

- وجوز في آخر المنادى المندوب ثلاثة أوجه(٤):
  - أن يختم بألف زائدة لتوكيد التفجع والتوجع، نحو:(واكبدا)
  - يختم بألف زائدة، وهاء السكت، نحو: (وا أسفاه).
  - أن يبقى على حاله دون تغيير.
  - وإذا كان المندوب مضافـًا لياء المتكلم جاز حذف الياء وإضافة ألف الندبة، وجاز قلب الياء ألفا.

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٦/٢٥٢، و الدرّ المصون ٦/٥٤٥.

(٢) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٣١٦، تفسير القرطبي ٩/٢٤٨، الدرّ المصون ٦/٥٤٥.

(٣) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٣، سفر السعادة ١/٣٥٩.

(٤) همع الهوامع ٢/٤٩.

وقد ارتبط النداء بالأسف كثيرًا في لغة العرب، ومنه قول كثيّر:

فيا أسفا للقلب كيف انصرافُه   وللنفس لما سليت فتسلّتِ(١)

وقول حسان بن ثابت يرثي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فيا أسفا ما وارت الأرض واستوت   عليه وما تحت السلام المنضّد(٢)

والأسف أشدّ الحزن والحسرة، وإنما تأسف على يوسف دون أخويه، والحادث إنما هو مصيبتهما؛ لأنّ مصيبته كانت قاعدة المصائب، والحزن القديم إذا صادفه حزن آخر كان ذلك أوجع للقلب وأعظم لهيجان الحزن الأوّل.

وإنما ذكر القرآن تحسّره على يوسف عليه السلام ولم يذكر تحسره على ابنيه الآخرين؛ لأنّ ذلك التحسّر هو الذي يتعلق بهذه القصة فلا يقتضي ذكرُه أن يعقوب عليه السلام لم يتحسّر قط إلّا على يوسف، مع أنّ الواو لا تفيد ترتيب الجمل المعطوفة بها.(٣)

ويُقوِّي الوجهَ الأوَّلَ أمورٌ:

- وجودُ سَبَبٍ وجيهٍ للأسف، وإنما عظم حزنهُ على مُفارقةِ يوسف عند هذه الواقعة لوجوه:

---

(١) ديوان كثير عزة في ديوانه ص١٠٣.

(٢) لم يرد في ديوانه ، وانظر: تفسير القرطبي ٢٤٨/٩، فتح القدير ٥٧/٣.

(٣) تفسير القرطبي ٢٤٨/٩.

الأول: أنَّ الحزن القديم الكامل إذا وقع عليه حزن آخر كان أوجع، قال متمّم بن نويرة[١]:

فَـقَـــالَ أَتَبْكِــي كُــلَّ قَبْــرٍ رأيتَهُ لِمَيْتٍ ثَوَى بَيْنَ اللِّوى والدَّكَادِكَ

فقُلْتُ لَهُ: إنَّ الأَسَى يَبْعَثُ الأَسَى فدَعْنِــي فَهــذَا كُلُّهُ قَبْــرُ مَــالِكِ

وذلك؛ لأنه كلما رأى قبرًا تجدَّد عليه حزنه على أخيه مالك، فلاموهُ؛ فأجاب: إنَّ الأسى يبعث الأسى.

الثاني: أنَّ بنيامين، ويوسف كانا من أمٍّ واحدة، وكانت المشابهة بينهما في الصِّفة متقاربة، فكان يعقوب عليه الصلاة والسلام يتسلّى برؤيته عن رؤية يوسف عليه السلام، فلما وقع ما وقع، زال ما يوجبُ السَّلوة، فعظم الألم.

الثالث: أنَّ المصيبة بيوسف كانت أصل مصائبه الَّتي عليها ترتب سائر المصائب، فكان الأسفُ عليه أسفًا على الكُلِّ.

---

(١) ديوان متمم بن نويرة: ٣٣٤، الأبيات وردت في حماسة أبي تمام ٣٣٤/١، وقد ذكر أبو عليّ القالي في الأمالي ١/٢ : "قدم متمم بن نويرة العراق، فأقبل لا يرى قبرا إلا بكى عليه، فقيل له: يموت أخوك بالملا، وتبكي أنت على قبر بالعراق ، فقال تلك الأبيات...

الرابع: أنَّ هذه المصائب كانت أسبابها جارية مجرى الأمور المعلومةِ، فلم يبحث عنها يوسف صلوات الله وسلامه عليه فهو عليه السلام كان يعلمُ كذبهم في السَّببِ الذي ذكروه، وأما السَّببُ الحقيقي، فلم يعلمه.

الخامس: أنه عليه الصلاة والسلام كان يعلم حياة هؤلاء، وأمَّا يوسف فما كان يُعلم أنَّه حيّ، أو ميت، فلهذه الأسباب عظم حزنه على مفارقته.

السادس: أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم يعط الأنبياء قبلهم ﴿إِنَّا لِلَّهِ وإنا إِلَيْهِ راجِعونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، ولو أعطيها الأنبياء لأعطيها يعقوب؛ إذ يقول:﴿يا أسفى على يوسف﴾[1].

وممّا خصّت به هذه الأمة الاسترجاع، وإنما تأسف على يوسف مع أن الحادثَ مصيبةٌ أخويه؛ لأن رُزْأَه كان قاعدةَ الأرزاءِ غضـاً عنده وإن تقادم عهده آخذًا بمجامع قلبه لا ينساه ولأنه كان واثقـاً بحياتهما عالمـاً بمكانهما طامعـاً في إيابهما، وأما يوسفُ فلم يكن في شأنه ما يحرك سلسلةَ رجائِه سوى رحمةِ الله وفضلِه.[2]

فنداء الأسف مخبوءٌ تحتَه دلائلُ نحويةٌ، يقودُ البحثَ إلى التغلغلِ في مكنونِه والنفاذِ إلى أبعادِه، لا كغيرِه من المفرداتِ المغمورةِ ذاتِ المضامينِ اللغويةِ في دَفَّتَي

(١) تفسير القرطبي ٢٤٨/٩، فتح القدير ٥٧/٣، الدر المصون ٥٤٥/٦.

(٢) تفسير القرطبي ٢٤٨/٩، فتح القدير ٥٧/٣.

الكتب للقراءةِ العجِلةِ، إذ تكمن فيه أغراضٌ ومقاصدُ ينتجُ عنه بناءٌ لغويٌّ ذو ثَراءٍ وصَقْلٍ بيانيٍّ.

المبحث الثاني: نداء الويل والحسرة

نداء الويل:

وقعَ نداءُ الويلِ في القرآنِ الكريمِ في آيات، يجمعها معنًى عامٌّ واحدٌ، وهي بألفاظٍ ثلاثةٍ: (يا ويلتى، يا ويلنا، يا ويلتنا)، وسردُها – مرتَّبةً وفقَ ورودُها في القرآنِ – كما يأتي:

﴿يا وَيْلَتى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هذَا الْغُرابِ﴾ [المائدة: ٣١].

﴿قَالَتْ يَاوَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾[هود: ٧٢].

﴿فتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف:٤٩].

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٤].

﴿يا وَيلَتى لَيتَني لَم أَتَّخِذ فُلانًا خَليلًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٣٠].

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ [القلم: ٣١].

﴿يَا وْيلنَا من بعثنا من مَرْقَدِنَا هَذَا﴾ [يس:٥٢].

الويلُ: كلمةُ عذابٍ تُقالُ عندَ الهلكةِ، وقيلَ: هو وادٍ في جهنمَ، وهذا غيرُ خارجٍ من مذاهبِ أهلِ اللغةِ؛ لأنَّ من وقعَ في ذلك فقد وقعَ في الهلكةِ(١)، وهي كلمةٌ جامعةٌ للشرِّ كلِّهِ.

وعن الأصمعيِّ: هي تقبيحٌ، ومنه قولُهُ تعالى: ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء: ١٨] ولذا تقولُ العربُ: له الويلُ؛ أي له القبحُ والشرُّ. وربما قالتها الْعَرَبُ تعجُّبًا واستنكارًا، كما في نحوِ: وَيْلُ أُمِّهِ رَجُلًا مَا أَرْجَلَهُ.(٢)

وقد ارتبطَ الويلُ بالنِّداءِ كثيرًا في لغةِ العربِ؛ إذ هيَ كلمةٌ تخفُّ على الألسنةِ عندَ الأمرِ العجيبِ، وكانَ لكلامِ اللهِ تعالى منه نصيبٌ كما في السَّردِ أعلاه، فنُودِي – وهو ممَّا لَا يَعْقِلُ – عَلَى خلافٍ في توجيهِهِ عند العلماء:

- أنَّهُ نداءٌ على سَبِيلِ الْمَجَازِ، وأصلُ هذا الدعاءِ بالويلِ ونحوِهِ في الشَّرِّ عندَ التَّفجُّعِ لشدَّةٍ أو مكروهٍ أو هلكةٍ، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ التَّعَجُّبُ والتَّعبيرُ عمَّا دهمَ النَّفسَ من الاستنكارِ دونَ إرادةِ الدُّعاءِ على النَّفسِ، كَأَنَّهُ قَالَ: انْظُرُوا لِهَذَا الْعَجَبِ وَتَنَبَّهُوا لِهَذِهِ الْهَلَكَةِ.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ١٦٨، حروف المعاني والصفات ١٧، لسان العرب (ويل).

(٢) انظر: جامع البيان ١٨/ ٣٨.

وَتَأْوِيلُهُ: هَذَا أوانك فاحضري، وذلك لغايةِ التّحسُّرِ والتّفجعِ[١]، فإذا قيلَ: يَا ويلتاه، فَإِنَّمَا يَعْنِي: يَا فَضيحتاه ويا هلكتاه.[٢]

وعليه فكلُّ ما وقعَ في لغةِ العربِ من نداءِ الويلِ إنَّما هو لتنبيهِ المخاطبينَ اجتهادًا في الإخبارِ عن عظيمٍ يُوقَعُ فيهِ، وبيانِ أنَّ الوقتَ الذي يُدعى له الويلُ هو وقتُهُ، ومعنى (يا ويلتى/ ويلنا/ ويلتنا) هلمِّي وأقبلي، فإِنَّهُ من إبَّانِك وقد لزمني الويلُ. وهو أبلغُ في التَّعبيرِ من الإخبارِ بالويلِ، حينَ يقولُ: الويلُ لي.[٣]

- أنَّ «وَيْ» كلمةٌ برأسِها. و«لنا» جارٌّ ومجرور، نُقِلَ عنِ الكوفيينَ. ورُدَّ بأنَّهُ لا معنى لهذا إلاَّ بتأويلٍ بعيدٍ؛ هو أَنْ يكونَ يا عجبُ لنا؛ لأنَّ وي تُفَسَّرُ بمعنى اعجب منا.[٤]

وقد جاء في إعرابها وجهانِ:[٥]

- منادى مضافٌ للضَّميرِ بعدَهُ حكمُهُ النَّصبُ.
- مصدرٌ منصوبٌ، والمنادى محذوفٌ كأَنَّهم قالوا: يا قومنا ويلنا.

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن١/١٩٦، البحر المحيط٤/٢٣٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري٢/ ٢٩٣، زاد المسير٢/٣٨٧، الجامع لأحكام القرآن٦/١٤٥، ٩/ ٦٩، ٣/ ١٤١، أنوار التنزيل ٣/٢٨٤، البحر المحيط ٦/١٨٣، البرهان ٢/٣٢٥.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ١٦٨، ٢/ ٢٤١، إعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٦٦، المحرر الوجيز ٢/ ١٨٢، التبيان في إعراب القرآن ١/٤٣٣، الدر المصون ٤/ ٢٤٥.

(٤) انظر: الدر المصون ٩/ ١٧٥.

(٥) انظر: التبيان في إعراب القرآن٤/ ٤٥٧.

والذي يبدو لي أنَّ كلَّ ما وردَ في القرآنِ الكريمِ أو غيرِهِ من شواهدِ العربيَّة من (يا ويلتى/ ويلنا/ ويلتنا) إنَّما هو نداءُ على الأصلِ لأمورٍ:

- يُحكَمُ على ظاهرِ لفظِهِ، ولا يُصرَفُ عنهُ إلا لقرينةٍ مانعةٍ أو سببٍ موجِبٍ.
- وجهُ ندائِه وهو لا يعقلُ محمولٌ على نظيرِهِ الواردِ كثيرًا في لغةِ العربِ، كنداءِ الجبلِ والبيتِ والشجرِ وسواها.
- استحضارُ الويلِ في النِّداءِ أبلغُ من نداءِ القومِ وغيرِهِ ممَّا يُقدَّرُ، فهو أشدُّ وقعًا على النَّفسِ حين تجسيدِهِ في صورةِ الذي يستجيبُ فيحضرُ.
- مراعاةُ السِّياقِ الذي وردَ فيهِ الويلُ، إذِ ارتبطَ بالتَّحسُّرِ والنَّدامةِ، ونداءُ الويلِ بهِ ألصقُ وبغايتِهِ أحقُّ.

نداء الحسرة

ورد نداء الحسرة في القرآن في ثلاث مواضع، موضع مضاف (ياحسرتنا)، وموضعان بغير الإضافة (ياحسرتا، ياحسرة) وسردها مرتبة وفق ورودها في القرآن الكريم كما يأتي:

- ﴿يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١].
- ﴿يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ [يس: ٣٠].
- ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

هذا التلوّن في نداء الحسرة مضافة وغير مضافة يظهر لنا مفارقات دلاليّة، فالحسر في أصله اللغوي: كشف الملبس عما عليه[١]، والحسرة: الغمّ على ما فات، والندم عليه، كأنّه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه، أو انحسرت قواه من فرط غمّ، أو أدركه إعياء من تدارك ما فرط منه، فهي الغاية من الندامة، إذا انتهت الندامة غايتها يقال: حسرة.[٢]

وهي فَعْلة من حسِر يحْسَر حَسْرًا، من باب فرح، ويقال: تحسّر تحسّرًا. قَالَ الزَّجَّاجُ: "الْحَسْرَةُ أَمْرٌ يَرْكَبُ الْإِنْسَانَ مِنْ كَثْرَةِ النَّدَمِ عَلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ حَتَّى يَبْقَى حَسِيرًا"[٣].

والعرب يعاملون اسم المرّة معاملة مطلق المصدر غير ملاحظين فيه معنى المرّة، ولكنّهم يلاحظون المصدر في ضمن فرد، كمدلول لام الحقيقة، ولذلك يحسن هذا الاعتبار في مقام النداء؛ لأنّ المصدر اسم للحاصل بالفعل بخلاف اسم المرّة فهو اسم لفرد من أفراد ال

وقد وجّه العلماء نداء ما لا يعقل في الآية الكريمة ﴿يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١] بما يأتي:

---

(١) مفردات الراغب ١١٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/٢١٤.

الأول: أن المنادى هو الحسرة نفسها، على معنى هَذَا أوانك فاحضري[١]، قال سيبويه: "هَذَا على وَجه النداء، كَأَنَّهُ يَقُول: أيتها الْحَسْرَة هَذَا أوانك وأيها العجب جَاءَ أوانك"[٢].

فهو في أصل الوضع نداء للحسرة بتنزيلها منزلة شخص يسمع ويُنادي ليحضُر[٣]؛ لأن الحَسْرَةَ لا يتأتى منها الإقْبَالُ، وإنَّما المعنى على المُبَالغَةِ في شِدَّةِ التَّحَسُّرِ، وكأنهم نادوا التحسُّر، وقالوا: إن كان لك وَقْتٌ، فهذا أوانُ حضورك.[٤]

الثاني: أنّ المراد بها تنبيه المخاطبين، وهو قول الزجاج[٥]، والقرطبي[٦]، وغيرهم... قال: "فإن قيل: ما معنى دعاء الحسرة، وهي لا تعقِلُ؟ فالجواب: أن العرب إذا اجتهدت في المبالغة في الإخبار عن عظيم ما تقع فيه، جعلته نداءً، فلفظه لفظ ما ينبّه، والمنبّه غيره، مثل قوله عزّ وجل ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ﴾ [الزمر: ٥٦]. فهو أبلغ من أن تقول: أنا حسر على العباد، وأبلغ من أن تقول الحسرة علينا في تفريطنا وقد علم أن الحسرة لا تدعى، فوقع التنبيه للمخاطبين، فتدخِلُ عليه «يا» للتنبيه، والمراد تنبيه الناس، لا تنبيه المنادى. ومثله قولهم: لا أرينّك ها هنا. لفظه

---

(١) التبيان للعكبري ١/٤٩٠.

(٢) الكتاب ١/٣٢٠.

(٣) التبيان في إعراب القرآن ١/٤٩٠.

(٤) التحرير والتنوير ٨/ ١٣٥.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٢/٢١٤.

(٦) ينظر: جامع القرطبي ١٥/٢٧١.

لفظ الناهي لنفسه، والمعنى للمنهي ومن هذا قولهم: يا خَيْلَ الله اركبي، يراد: يا فرسان خيل الله".[١]

والمتحسِّر في الآية الكريمة أهل النار، وأضافوا الحسرة إلى أنفسهم؛ ليكون تحسّرهم لأجل أنفسهم، فهم المتحسّرون والمتحسَّر عليهم، بخلاف قول القائل: يا حسرة، فإنّه في الغالب تحسّر لأجل غيره فهو يتحسّر لحال غيره؛ ولذلك تجيء معه (على) التي تدخل على الشيء المتحسّر من أجله داخلة على ما يدلّ على غير التحسّر، كقوله تعالى:﴿يا حسرة على العباد﴾ فأمّا مع (يا حسرتي، أو يا حسرتا) فإنّما تجيء (على) داخلة على الأمر الذي كان سبباً في التحسّر كما هنا على ما فرطنا فيها.[٢]

قال الطبري: "وُكس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم منازلهم من الجنة بمنازل من اشتروا منازله من أهل الجنة من النار، فإذا جاءتهم الساعة بغتةً قالوا إذا عاينوا ما باعوا وما اشتروا، وتبيَّنوا خسارة صفقة بَيْعهم التي سلفت منهم في الدنيا، تندُّمًا وتلهُّفًا على عظيم الغَبْن الذي غبنوه أنفسهم، وجليلِ الخسران الذي لا خسرانَ أجلَّ منه "يا حسرتنا على ما فرطنا فيها"، يقول: يا ندامتنا على ما ضيّعنا فيها..."[٣].

(١) معاني القرآن للزجاج ٢/٢١٤.

(٢) التحرير والتنوير ٨ / ١٣٥.

(٣) جامع البيان ٢١/٣١٢.

الآية الثانية: قوله تعالى:﴿يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ ﴾[يس: ٣٠]

- قَرَأَ أُبَيٌّ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، وَالضَّحَّاكُ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ: ﴿يَا حَسْرَةَ الْعِبَادِ﴾ عَلَى الْإِضَافَةِ(١).
- قَرَأَ أَبُو الزِّنَادِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ ذَكْوَانَ الْمَدَنِيُّ، وَابْنُ هُرْمُزَ، وَابْنُ جُنْدُبٍ: ﴿يا حَسْرَة عَلَى الْعِبادِ﴾ بِسُكُونِ الْهَاءِ فِي الْحَالَيْنِ حَمَلَ فِيهِ الْوَصْلَ عَلَى الْوَقْفِ، وَوَقَفُوا عَلَى الْهَاءِ مُبَالَغَةً فِي التَّحَسُّرِ، لِمَا فِي الْهَاءِ مِنَ التَّأَوُّهِ...(٢).

قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ: "يا حسرة على العباد بِغَيْرِ تَنْوِينٍ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، انْتَهَى، وَوَجْهُهُ أَنَّهُ اجْتَزَأَ بِالْفَتْحَةِ عَنِ الْأَلِفُ الَّتِي هِيَ بَدَلٌ مِنْ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ فِي النِّدَاءِ، كَمَا اجْتَزَأَ بِالْكَسْرَةِ عَنِ الْيَاءِ فيه، وقد قرئ: يَا حَسْرَتَا، بِالْأَلِفِ، أَيْ يَا حَسْرَتِي"(٣). قال النحاس: "... يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ من أصعب ما في القرآن من المسائل...لأنّ السؤال فيه أن يقال: ما الفائدة في نداء الحسرة؟"(٤).

واختلف في المنادى في هذه الآية الكريمة على قولين:

- القول الأوّل: أن النداء للحسرة، على معنى أنّ هذا وقتك فتعالي واحضري، وهو

---

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر ٣٥٤/٢

(٢) المحتسب ٣٠٨/٢

(٣) إعراب ثلاثين سورة من القرآن ٨٤

(٤) إعراب القرآن، نحاس ٢٦٤/٣.

قول الزجّاج وأبي بكر، وسيبويه[١]، ومعنى دُعَاءِ الحَسْرَةِ، وَهِيَ لاَ تعقل ولا تجيب؟ فالجواب عن ذلك أن العربَ إذا اجْتَهدتْ في الإخْبارِ عنْ عَظِيم تقع فيه جعلته نداءً، فلفظه لفظ ما ينبَّه، والمنبَّه غَيرُهُ. مثل قَوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾. وقوله: ﴿يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾، وقوله: (يَا ويلنَا من بعثنا من مَرْقَدِنَا هَذَا﴾ فهذا أبلغ من أن تقول: أنا حَسِرٌ عَلَى العباد، وأبلغ من أن تقول: الحسرة علينا في تفريطنا".[٢]

قال سيبويه: "إنَّكَ إذا قلت يا عجباه، فكأنك قلت احضُرْ وتعال يا عجبُ فإنه مِنْ أزمَانِكَ، وتأويل(يا حَسْرتَاهُ) انتَبهُوا على أننا قد خسرنا " وهذا مثله في الكلام في أنك أدْخَلْتَ عليه يا للتنبيه، وأنت تريد الناس قولك: لَا أرَيَنَّكَ هَهنَا، فلفظُك لفْظُ النَاهِي نفسه، ولكنه لمَا علم أن الإنسان لا يحتاج أن يلفظ بنهي نَفْسِه دَخل المخَاطَبُ في النَهيِ فصار المعنى: لا تكونَنَّ ههنا"[٣]. فاستهزاء الْعباد بالرُّسل صَار حَسْرةً عَلَيْهِم، فنُوديت تِلْكَ الحسرةُ تَنْبِيها للمُتحسِّرين، فالمَعْنى: يَا حسرةً على الْعباد، أَيْن أَنْت فَهَذَا أوانك، وَكَذَلِكَ مَا أشبهه.

---

(١) ينظر:معاني الزجاج ٢٤١/٢، الكتاب ٢٢٤/٤.

(٢) انظر: معاني الفراء ٤٢٢/٢، ومعاني الزجاج ٢٤١/٢، وإعراب النحاس ٢٦٤/٣.

(٣) الكتاب ٢٢٤/٤.

وإنما نَادَى الْحَسْرَة ليتحسّر بهَا من خَالف الرُّسُل وَكفر بهم وَالْمرَاد بندائها تحسر الْمُرْسل إليهم بهَا فمعناها تعالي يَا حسرة فَهَذَا أوانك وإبانك الَّذِي يجب أَن تحضري فِيهِ ليتحسّر بك من كفر بالرّسل".[1]

- القول الثاني: الْمُنَادَى مَحْذُوفٌ، وَانْتَصَبَ حَسْرَةً عَلَى الْمَصْدَرِ، أَيْ يَا هَؤُلَاءِ تَحَسَّرُوا حَسْرَةً.[2] و(يا) للتلهف والتأسف.
- القول الثالث: وضع النداء موضع التعجب: كقوله تعالى ﴿يَا حَسرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾، قال الفراء: "معناه فيا لها من حسرة".[3]

وجاء في إعرابها:

فـ(يَا حسرة) نِدَاء نكرة موصوفة، قال الفراء: "والعرب إذا نادت نكرة موصولة بشيء آثرت النصب، يقولون: يا رجلًا كريمًا أقبل، ويا راكبًا على البعير أقبل"، نصبه كنصب نداء النكرة. و(حَسْرَةً) نصب؛ لأنه نداء شبه بالمضاف فإنّ (على) متعلق به[4].

الآية الثالثة:

قوله جل وعزّ ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنْبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

---

(١) مشكل إعراب القرآن ٦٠٢/٢.

(٢) البحر المحيط ٤٨٢/٤.

(٣) ينظر: معاني الفراء ٤٢٢/٢.

(٤) ينظر: معاني الزجاج ٢٤١/٢، وإعراب النحاس ٢٦٤/٣.

قرأ الجمهور: يا حسرتا، بإبدال ياء المتكلّم ألفـًا. وعن ابن كثير "يا حَسْرَتاهْ" بهاءِ السكت وَقْفـًا، وأبو جعفر "يا حَسْرَتي" على الأصل. وعنه أيضـًا "يا حَسْرتاي" بالألفِ والياء[١].

الألف في قوله (يَا حَسْرَتَا) هي كناية المتكلم، وإنما أريد: يا حسرتي، لكن العرب تحوّل الياء في كناية اسم المتكلم في الاستغاثة ألفـًا، فتقول: يا ويلتا، ويا ندما، فيخرجون ذلك على لفظ الدعاء، وربما قيل: يا حسرة على العباد، كما قيل: يا لهف، ويا لهفا عليه.[٢]

ومنهم قال الأصل يا حسرتاه ثم أسقطوا الهاء تخفيفا ولهذا قرأ عاصم يا أسفاه على يوسف.

والأصل في (حسرتا): يا حسرتي، ثم أبدل من الياء ألف[٣]. والمعنى افعلوا هذا خوف أن تقول نفس وكراهة أن تقول نفس يا حسرتا والحسرة الندامة أي يلحق الإنسان ما يصير معه حسيرًا أي معيبًا وحرف النداء يدل على أنه شيء لازم أي يا حسرة هذا وقتك.

---

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر٢/ ٣٦٢، ومشكل إعراب القرآن ٦٣٢/٢.

(٢) جامع البيان ٣١٢/٢١.

(٣) انظر: النشر في القراءات العشر٢/ ٣٦٢، ومعاني الفراء ٤٢٢/٢، ومعاني الزجاج ٣٥٨/٤، وإعراب النحاس ٤/ ١٧.

والفائدة في نداء الحسرة أنّ حرف النداء يدلّ على تمكن القصة من صاحبها وملازمتها له. فذلك أبلغ في الخبر[١].

والمعنى: اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن تصيروا إلى حال الندامة غدًا.

ومعنى ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنْبِ ٱللَّهِ﴾ أي: على ما ضيّعته من العمل بما أمرني الله به، وقصرت فيه في الدنيا.

قال مجاهد والسدي: ﴿فِي جَنْبِ ٱللَّهِ﴾، أي: في أمر الله[٢].

وقال الضحاك: (في ذكر الله، قال: يعني القرآن والعمل به)[٣].

وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما جلس رجل مجلسًا ولا مشى ممشى ولا جلس اضطجع مضطجعًا لم يذكر الله فيه إلا كانت عليه ترة يوم القيامة"[٤]، أي: حسرة. وقال إبراهيم التيمي: من الحسرات يوم القيامة أن يرى الرجل ماله الذي آتاه الله عز وجل يوم القيامة في ميزان غيره قد ورثه وعمل فيه بالحق كان له أجره وعلى الآخر وِزْرُه. ومن الحسرات أن يرى الرجل عبده الذي خوله الله في الدنيا (أقرب منه)

---

(١) انظر: مشكل إعراب القرآن ٦٣٢/٢، والبيان في غريب إعراب القرآن ٣٢٥/٢، وإعراب النحاس ٤/ ١٧.

(٢) انظر: تفسير مجاهد ٥٥٩/٢، وجامع البيان ١٣/٢٤، والمحرر الوجيز ٩٧/١٤.

(٣) انظر: إعراب النحاس ١٧/٤، وجامع القرطبي ٢٧١/١٥.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٤٣٢/٢، و٤٤٦، و٤٥٣، و٤٨١، و٤٩٥، ٥٢٧. وقال الحاكم في مستدركه ٥٥٠/١: (صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه).

منزلة من الله جل ذكره، أو يرى رجلًا يعرفه في الدنيا أعمى قد أبصر يوم القيامة وعمي هو[١].

وظاهر القول إنه القول جهرة وهو شأن الذي ضاق صَبْره عن إخفاء ندامته في نفسه فيصرخ بما حدَّث به نفسه فتكون هذه الندامة المصرح بها زائدة على التي أسرّها، ويجوز أن يكون قولًا باطنـًا في النفس.

وحرف (يا) في قوله: (يا حسرتي) استعارة مكنية بتشبيه الحسرة بالعاقل الذي ينادي ليقبل، أي هذا وقتك فاحضري، والنداء من روادف المشبه به المحذوف، أي يا حسرتي احضري فأنا محتاج إليك، أي إلى التحسر، وشاع ذلك في كلامهم حتى صارت هذه الكلمة كالمثل لشدة التحسر.

و(ما) في (ما فَرَّطتُ) مصدرية، أي على تفريطي في جنب الله.

والتفريط: التضييع والتقصير، يقال: فَرَّطَه. والأكثر أن يقال: فرّط فيه. والجنب والجانب مترادفان، وهو ناحية الشيء ومكانه ومنه (والصاحبِ بالجنْب) [النساء: ٣٦] أي الصاحب المجاور.

والحرف (في) هنا يجوز أن يكون لتعدية الفعل(فَرَّطتُ) فلا يكون للفعل مفعول ويكون المفرّط فيه هو جنب الله، أيّ جهته ويكون الجنب مستعارًا للشأن والحقِّ، أي

(١) انظر: إعراب النحاس ٤/١٨، وجامع القرطبي ١٥/٢٧١.

شأن الله وصفاته ووصاياه تشبيهـًا لها بمكان السيد وحِماه إذا أُهمل حتى اعتُدي عليه أو أَقْفَرَ.

أو تكون الجملة (فَرَّطت في جَنب الله) تمثيلًا لحال النفس التي أُوقفت للحساب والعقاب بحال العبد الذي عهد إليه سيّده حراسةَ حماهُ ورعايةَ ماشيته فأهملها حتى رُعي الحِمى وهَلكت المواشي وأحضر للثقاف فيقول: يا حسرتا على ما فرطت في جنْب سيدي.

معناه أنه لو كانت الحسرة مما يصح نداؤه لكان هذا وقتها.

وعليه فكلُّ ما وردَ في القرآنِ الكريمِ أو غيرِهِ من شواهدِ العربيَّة من (يا حسرتنا / ياحسرة العباد/ وياحسرتا) إنَّما هو نداءٌ على الأصلِ لأمورٍ:

- يُحكَمُ على ظاهرِ لفظِهِ، ولا يُصرَفُ عنهُ إلا لقرينةٍ مانعةٍ أو سببٍ موجِبٍ.
- وجهُ ندائِه وهو لا يعقلُ محمولٌ على نظيرِهِ الواردِ كثيرًا في لغةِ العربِ، كنداءِ الجبلِ والبيتِ والشجرِ وسواها.
- استحضارُ الحسرة في النِّداءِ أبلغُ من نداءِ القومِ وغيرِهِ ممَّا يُقدَّرُ، فهو أشدُّ وقعًا على النَّفسِ حين تجسيدِهِ في صورةِ الذي يستجيبُ فيحضرُ، استعظامـًا لما سيصيبه.
- يقوي الدلالة على النداء قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان:١٣]، نادوا بالثبور يا ثبوراه! يا ثبوراه! هو نداء لكنه خرج عن معنى النداء الحقيقي؛ لاستعظام ما أوقعوا أنفسهم في أمر عظيم لا يستطيعون منه

مخرجـًا تركبهم منه الحسرة مركبًا عظيمـًا لا تفارقهم وينالهم من الغمّ والندم ما يملأ نفوسهم فليس في نفوسهم مكان لغير الكرب والندم وليس فيها موضع استرواح رائحة أمل ولا تنسم نسمة فرج فهم متحسرون نادمون منقطعون لا تفارقهم الحسرة والندم والغم أبد الآبدين. وعبّر بذلك تفظيعـًا لما يصيبهم وهو نظير قولنا عن شخص وقد عمل عملًا نعلم أنه سيلحقه منه خسران كبير: يا خسارته، يا ويله مما سيحصل. نقول ذلك استفظاعـًا لما يصيبه واستعظامـًا له.

نسأل الله السلامة والعافية.

الخاتمة.

عنيت الدراسة بنداء المعاني-بما فيه مِن مغايَرَةٍ وانزياحٍ- إذ لا يمثِّلُ اعتباطًا في شأنِ هذه اللغةِ، وإنما يكونُ لمعنًى يَحسُنُ فيه، أو تلميحًا لمعنًى مدَّخَرٍ يَتنبَّأُ به نافذُ البصيرةِ. ومما يؤيِّدُ هذا التقريرَ ويعزِّزُه قولُ النحاة في خروجِ النداء عن الأصلِ؛ إنّما هو لازدحامِ المعاني المتغايرةِ على ألفاظِه، فأرادوا أن يُفرِّقوا بين تلك المعاني، أو يكونُ إغرابًا وإثارةً وخروجًا عن المألوفِ.

وتوصلت إلى النتائج الآتية:

- النداء يعدّ موضوعـًا متميزًا، تباينت فيه أقوال العلماء وآراؤهم، وقد نظر النحاة إلى أنّ الأصلُ في النداء أن يكون من أقسام الطلب، الدالّ على الإقبال حقيقة أو مجازًا، وقد خصّ سيبويه النداء في مائة صفحة من كتابه.
- الأصل في المنادى أن يكونَ عاقلًا ليستجيبَ للدعوةِ أو يُحدِثَ أثرًا، وقد يأتي بخلافِهِ بأن يكونَ غيرَ عاقلٍ في حالاتٍ مُعيَّنةٍ لأغراضٍ مختلفةٍ.
- الأغراض البديعة في نداء المعاني لا تقلُّ أهميَّةً عن إقبالِ العاقلِ.
- لم يرد نداء النكرة غير المقصودة إلا في آيتين من كتاب الله جل جلاله، الأول يا بشرى، والثانية يا حسرة على العباد، وقد فصلت فيهما القول.
- لم يرد نداء البشرى إلا في آية واحدة من كتاب الله جل جلاله، ومعنى النداء في (يا بشرى) وما في معناها مما لا يجيب ولا يعقل تنبيه المخاطبين، وتوكيد القصة، فكأنّك قلت أبشروا يا أيتها البشرى هذا من أبانك، وقوله: يا بشراي هو على سبيل

السرور والفرح بيوسف، هذ رأى أحسن ما خلق.

ونداء البشرى مجاز؛ لأنّ البشرى لا تنادى، ولكنها شبّهت بالعاقل الغائب الذي احتيج إليه فينادى كأنه يقال له: هذا آن حضورك.

- لم يرد نداء الأسف إلا في آية واحدة من كتاب الله جل جلاله، وتولى عنهم وقال: يا أسفا على يوسف! وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم، في مشهد مؤثر للوالد المحزون.
- ونداء الأسف مجاز، حيث نزّل الأسف منزلة من يعقل فيقول له: احضر فهذا أوان حضورك، وأضاف الأسف إلى ضمير نفسه؛ لأن هذا الأسف جزئي مختص به من بين جزئيات جنس الأسف. وكان منذ خرج يوسف من عند يعقوب عليهما السلام إلى يوم رجع فترة زمنية لم يفارق الحزن قلبه ودموعه تجري على خديه ولم يزل يبكي حتى ذهب بصره وما على الأرض يومئذ والله أكرم على الله تعالى منه.
- وقع نداء الويل في سبع آيات من كتاب الله تعالى، وردت أول آية في أول قتيل قتل على وجه الأرض، ولما قتل تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به، فخاف السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى أروح، وعكفت عليه السباع، فبعث الله غرابين فاقتتلا، فقتل أحدهما الآخر، فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة فقال: يا ويلتي أعجزت...وروي أنه أول ميت مات على وجه الأرض. استقصر إدراكه وعقله في جهله ما يصنع بأخيه حتى يعلم، وهو ذو العقل المركب فيه الفكر والرؤية والتدبير من طائر لا يعقل. والنِّدَاء وإن كان أصلُه لِمَنْ يتأتَّى منه الإقْبَالُ

وهم العقلاءُ، إلا أنَّ العرب تتجوَّز فتُنَادِي ما لا يَعْقِلُ. وهذه كلمة تُسْتَعمل عند وُقُوعِ الدَّاهِيَة العظيمة ولفظُهَا لفظ النِّداء، كأن الوَيْل غير حَاضِر عِنْده، والمعنى يا وَيْلَتَى احضُري، فهذا أوانُ حُضُورك.

- هذا المشهد العظيم هو مشهد أوّل حضارة في البشر، وهي من قبيل طلب سَتر المشاهد المكروهة. وهو أيضـًا مشهد أوّلِ علمٍ اكتسبه البشر بالتّقليد وبالتَّجربة، وهو أيضـًا مشهد أوّل مظاهر تَلقّي البشر معارفه من عوالم أضعفَ منه كما تَشَبَّه النَّاس بالحيوان في الزينة، فلبسوا الجُلُود الحسنة الملوّنة وتكلّلوا بالريش المُلوّن وبالزهور والحجارة الكريمة، فكم في هذه الآية من عبرة للتَّاريخ والدّين والخُلُق.
- وقع نداء الحسرة في ثلاث آيات من كتاب الله تعالى على التفريط في جنب الله، وتضييع العمل بما أمر الله به.

وفي ختام هذا البحث أسـأل الله بأسـمائه الحسـنى وصـفاته العلى أن يجعل ما سُـطِّر فيه خالصًـا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان الحسـنات، وأن ينفع به إخواني من المسلمين، إنه قريب مجيب الدعوات.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

- **الأصول في النحو**، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي، المعروف بابن السراج (ت ٣١٦هـ) المحقق: عبد الحسين الفتلي مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.
- **إعراب القرآن**، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت ٣٣٨هـ) وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت الأولى، ١٤٢١ هـ.
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)المحقق: محمد المرعشلي دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.
- **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠هـ.
- **البرهان في علوم القرآن**، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م –دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
- **تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) دار التراث – بيروت الثانية – ١٣٨٧هـ.
- **تأويل مشكل القرآن**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) المحقق: إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- **التبيان في إعراب القرآن**، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت ٦١٦هـ) المحقق: علي محمد البجاوي عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- **التحرير والتنوير**، ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، محمد الطاهر بن محمد (د.ط)، تونس، الدار

التونسية للنشر.

- **تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت٧٤١هـ)، دار النشر: دار الفكر - بيروت / لبنان - ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- **تفسير القرآن** (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت ٦٦٠هـ) د عبد الله بن إبراهيم الوهبي دار ابن حزم - بيروت الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .
- **تفسير القرآن**، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ) ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم دار الوطن، الرياض - السعودية، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م .
- **تفسير القرآن العظيم**، لابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) أسعد محمد الطيب مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الثالثة - ١٤١٩هـ.
- **تفسير الماتريدي** (تأويلات أهل السنة) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ). مجدي باسلوم دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- **تفسير مقاتل بن سليمان**، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت ١٥٠هـ) المحقق: عبد الله محمود شحاته دار إحياء التراث - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٣هـ.
- **تفسير يحيى بن سلام**، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت ٢٠٠هـ) تحقيق: د هند شلبي دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ) محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي - بيروت الأولى، ٢٠٠١م.

- **التيسير في القراءات السبع،** الدّانِي (ت٤٤٤ه)، أبو عمرو عثمان بن سعيد، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م). تحقيق: أوتو تريزل، (ط٢)، بيروت، دار الكتاب العربي.
- **جامع البيان في تأويل القرآن،** محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ): أحمد محمد شاكر: مؤسسة الرسالة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- **الجامع لأحكام القرآن،** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١ هـ) المحقق: هشام سمير البخاري دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
- **الجامع لأحكام القرآن،** تفسير القرطبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية – القاهرة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- **الجمل في النحو،** أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ) د. فخر الدين قباوة الخامسة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- **الحجة في القراءات السبع** (ت٣٧٠هـ)، ابن خالويه- تحقيق: عبد العال مكرم، (ط٤)، بيروت، دار الشروق.
- **الحجة للقراء السبعة،** الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، أبو علي الحسن بن أحمد: (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣). تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي،(ط٢)، دمشق؛ وبيروت، دار المأمون للتراث.
- **الخصائص،** أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: الرابعة.
- **الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون،** أبو العباس شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط دار القلم، دمشق.
- **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**. محمد عبدالخالق عضمية (ت١٤٠٤هـ)، (د.ط)، القاهرة،

دار الحديث.

- **ديوان كثيّر عزّة،** تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت الطبعة الأولى-١٩٧١م
- **ديوان متمم بن نويرة،** مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، تأليف ابتسام الصفار. مطبعة الإرشاد. بغداد.ط ١٩٦٨
- **ديوان النابغة الذبياني،** شرح وتعليق حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي-الطبعة الأولى – بيروت ١٤١١هـ-١٩٩١م
- **زاد المسير في علم التفسير،** أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت (ط١) – ١٤٢٢هـ.
- **السبعة في القراءات،** ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ) أبو بكر أحمد بن موسى، تحقيق: شوقي ضيف، (١٤٠٠هـ). (ط٢)، القاهرة، دار المعارف.
- **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير،** شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي(ت٩٧٧هـ) مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة١٢٨٥هـ.
- **سفر السعادة وسفير الإفادة،** علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣ هـ) د. محمد الدالي دار صادر ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م .
- **شرح المفصل للزمخشري،** ابن يعيش أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن محمد بن أبي السرايا موفق الدين، (ت ٦٤٣هـ)، عالم الكتب -بيروت، ومكتبة المتنبي– القاهرة.
- **شرح تسهيل الفوائد،** ابن مالك (ت٦٧٢هـ)، محمد بن عبد الله. تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، (ط١) الجيزة، هجر للطابعة والنشر.
- **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها،** أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) محمد علي بيضون الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- **غرائب التفسير وعجائب التأويل** محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني،

ويعرف بتاج القراء (ت نحو ٥٠٥هـ) دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت.

- **فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ) دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الأولى - ١٤١٤ هـ.
- **الكتاب**، عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ) عبد السلام محمد هارون: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- **الكليات**، الكَفَوي (ت١٠٩٤هـ)، أبو البقاء أيوب (د.ت). تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، (د.ط)، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- **اللمع في العربية**، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ) المحقق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية - الكويت.
- **مجاز القرآن**، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت ٢٠٩هـ) محمد فواد سزگين مكتبة الخانجي - القاهرة ١٣٨١هـ البرهان في علوم القرآن ٣/ ٣٥٣.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، تحقيق:علي النجدي، عبدالحليم النجار، عبد الفتاح شلبي، دار سزكين للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م
- **المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.
- **المساعد على تسهيل الفوائد**، ابن عقيل، تحقيق محمد كامل بركات، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- **مشكل إعراب القرآن**، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ) د. حاتم صالح الضامن مؤسسة الرسالة - بيروت

الثانية، ١٤٠٥هـ.

- **معاني القرآن**، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت ٣٣٨هـ) محمد علي الصابوني جامعة أم القرى – مكة المكرمة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- **معاني القرآن**، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت٢٠٧هـ): أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر الأولى.
- **معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ)، عبد الجليل عبده شلبي: عالم الكتب – بيروت الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- **مفاتيح الغيب، التفسير الكبير**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت الثالثة – ١٤٢٠ هـ .
- **المقتضب**، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت ٢٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة. بيروت: عالم الكتب.
- **النشر في القراءات العشر**، ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) شمس الدين محمد بن محمد، تحقيق: علي الضبَّاع، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلمية.
- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السِّيوطي (ت٩١١هـ). تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (د.ط) القاهرة: المكتبة التوفيقية.

مذاهب العرب في التسمية*

د. فوزية بنت دقل سالم العتيبي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

إنَّ أسماءَ الأعلامِ بصِيَغها ودلالاتِها في أيِّ أمةٍ مِنَ الأممِ، هي مِرآةٌ ثقافيةٌ لها تعكِسُ ماضيَها وحاضرَها التاريخيَّ والاجتماعيَّ والنفسيَّ واللُّغَويَّ(١).

وقدْ عُنيتِ العربُ بالتسميةِ عنايةً فائقةً حتى سَمّتْ خيولَها وإبلها وكلابَها وبالغتْ في ذلكَ حتى سمّتْ جماداتِها بلْ تعدَّتْ الذواتِ إلى المعاني غيرِ المحسوسةِ فأجرتْها مَجْرى الأَعيانِ(٢).

وَبصِيَغِ الأعلامِ أرّخَ العربُ لِلأَنسابِ وَترجَموا بِها، وعُنوا بِدلالاتِها ولطائِفِها، واستقصوا كُناها وألقابَها، وأفردوا أبوابًا مستقلةً للأسماءِ الحسنةِ والقبيحةِ وذكروا ألقابَ الشُّعراءِ وتفسيرَها وما اتفقوا فيه وما اختلفوا، وذلكَ في كثيرٍ مِن مُصنَّفاتِهم، مثلِ: صُبحِ الأعشى للقَلْقَشَنْدي، والاشتقاقِ لابن دُرَيد، واشتقاقِ الأسماء للأصمعيِّ، والمُبهِجِ في تفسيرِ أسماءِ شعراءِ الحماسةِ لابنِ جِنِّي، والمؤتلِفِ والمختلِفِ للآمديِّ، وفتحِ البابِ في الكنى والألقابِ، لابن مَنْدَه العبديِّ، ونثرِ الدُّرِ

---

* نشر في مجلة عالم الكتب، المجلد الثامن والثلاثون العددان الأول والثاني، عام ١٤٣٧هـ/ يوليو-أكتوبر ٢٠١٦م.

(١) انظر: مقدمة كتاب أسماء الأعلام السامية، د عمر صابر عبدالجليل ص١٣.

(٢) انظر: المرصع ص٣٤.

للآبي، والمُستطرفِ للأَبشيهيِّ، وشرحِ نهجِ البلاغةِ لابنِ أبي حديدٍ، والمُزهرِ في علومِ اللُّغةِ للسِّيوطيِّ، والمُذاكرةِ في ألقابِ الشُّعراءِ للإربليِّ، وتهذيبِ الأسماءِ واللُّغاتِ للنَّوويِّ، والمُرصَّعِ لابنِ الأثيرِ، وثمارِ القلوبِ في المضافِ والمنسوبِ للنَّيسابوريِّ، والعُمدةِ لابنِ رشيقٍ، والقُرطِ على الكاملِ للوقشي والبطليوسي، والمُغربِ في حُلى المُغربِ لابنِ سعيدٍ المغربيِّ، والتَّذكرةِ الحَمدونيةِ لابنِ حمدونَ، ومعاجمِ اللغةِ ومعاجمِ الشعراءِ في الجاهليةِ وصدرِ الإسلامِ، وكتبِ الطبقاتِ، وكتبِ الأسماءِ والألقابِ والأنسابِ للصحابةِ ولغيرِهم، وكتبِ مصطلحِ الحديثِ وعلمِ الرِّجالِ وكتبِ التصحيفِ والتحريفِ وغيرِ ذلك.

غايةُ مرادِ هذا المقال جمعُ شواردِ مذاهبِ العربِ في التَّسميةِ قبلَ الإسلامِ وبعدَه وتنظيمُ بدائدِها منْ خلالِ ما تفرقَ في بعضِ كتبِ اللُّغةِ والنَّوادرِ.

فقد كانَ للعربِ مذاهبُ عديدةٌ في التَّسميةِ وطرائقُ مختلفةٌ في التَّعريفِ والتَّمييزِ حَرَصَتْ من خلالِها على إظهارِ العلاقةِ بينَ الاسمِ والمُسمَّى، فتنوَّعتْ هذه العلاقةُ وتعدَّدتْ[1] في صورٍ كثيرةٍ، يمكنُ إجمالُها في الآتي:

١-معظمُ الأعلامِ كانتْ منقولةً عمَّا يدورُ في خِزانةِ خيالِهم؛ مما يُخالِطونه ويُجاوِرونه؛ إما مِنَ الحيوانِ المفترسِ كأسدٍ ونَمِر وسِيد وضِرْغام؛ وإما مِنَ النباتِ؛

---

(١) انظر: الأعلام والعربية، بقلم: أ.د. رياض بن حسن الخوام، مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، ٢٠١٥م.

كحَنْظلة وطَلْحة وقَتَادة، وإما من الزواحفِ؛ كحَيَّة وحَنَش، وإما مِن أجزاء الأرض؛ كفِهْر وجَنْدل وجَرْوَل وحَزْن وحَزْم[١].

قال الشاعر:

وَحَلَلْتُ مِنْ مُضَرٍ بِأمنعِ ذَروةٍ مُنِعتْ بِحدِّ الشَّوكِ والأَحجارِ

يريد بالشوك: أخواله، وهم: قتادة وطلحة وعوسجة، وبالأحجار أعمامه، وهم: صفوان وفهر وجندل وصخر وجرول[٢].

٢-الغالبُ على العربِ تسميةُ أبنائِهم بمكروهِ الأَسماءِ؛ كحَنْظلةَ ومُرَّةَ وضِرارٍ وحَرْبٍ وما أشبَهَ ذلك، وتسميةُ عَبِيدِهم بمحبوبِ الأسماءِ؛ كمَرْزوقٍ ورَباحٍ وفَلاحٍ ونَجاحٍ ونحوِها، والعلةُ في ذلكَ كما قالَ أبو الدُّقَيشِ: "إنَّما نُسمِّي أبناءَنا لأعدائِنا، وعبيدَنا لأنفُسِنا"[٣].

٣-ما سمَّوه تفاؤلًا للانتصارِ على أعدائِهم؛ كغَلَّابٍ، وظالمٍ، ومُنازِلٍ، ومُقاتِلٍ، ونحوِ ذلك. وسَمَّوْا في مثلِ هذا البابِ: مُسهِرًا، ومُؤرِّقًا، وطارقًا.

---

(١) انظر: الاشتقاق لابن دريد ص ٨ وما بعدها، صبح الأعشى للقلقشندي ١/٣٦٤.

(٢) انظر: شرح نهج البلاغة ١٩/٣٠٠.

(٣) الاشتقاق ص٤، وانظر: فقه اللغة ص٣٦٣.

٤-ما تفاءَلوا به للأَبناءِ؛ كنائِلٍ، ووائلٍ، وسُلَيمٍ، وعامرٍ، وسَعِيدٍ، ومَسْعَدةَ، ومنه محمدٌ صلّى اللهُ عليه وسلّمَ؛ فقدْ قالَ عنه جدُّه عبدُالمطلبِ: "...أردتُ أن يُحْمَدَ في السمواتِ والأرضِ"(١).

٥-كانَ الرجلُ يخرجُ مِنْ منزلِه وامرأتُه تَمْخَضُ، فيُسمِّي ابنَه بأوَّلِ ما يَلقاه مِنْ ذلكَ؛ سواءٌ رآهُ أو سمِعَ إنسانًا يقولُه تفاؤلًا وتأويلًا، يقولُ الجاحظُ: "....فإنْ سمعَ إنسانـًا يقولُ: حجرًا، أو رأى حجرًا؛ سمَّى ابنَه به، وتفاءَلَ فيه الشدةَ والصلابةَ والبقاءَ والصبرَ، وأنَّه يَحطِم ما لقِيَ، وكذلكَ إن سمِعَ إنسانـًا يقولُ: ذئبـًا أو رأى ذئبـًا"(٢).

٦-كانتِ الأسامي الشُّنُعُ جديرةً بالأثَرةِ، وإيَّاها كانتْ تَنْتَحي العربُ لكونِها أنبَهَ وأنوَهَ وأبعَدَ عنِ النَّبْز(٣)وقدِ استشهدَ المفسرون على ذلكَ بأنَّ اسمَ (يحيى) عليه السلامُ لم يُسَمَّ به أحدٌ مِنْ قبلِه في قولِه تعالى "لَمْ نجعلْ له مِنْ قبلُ سَمِيًّا"(٤)، ومدَحَ الشاعرُ صنيعَهم؛ فقالَ:

شُنُعِ الأسامي مُسْبلي أُزُرٍ حُمْرٍ تَمَسُّ الأرضَ بالهُدُبِ(٥)

---

(١) شرح المفصل، لابن يعيش١/٤٦.

(٢) الحيوان للجاحظ ١/٣٢٤، وانظر: الاشتقاق ص٨، الصاحبي ٥٧

(٣) انظر: الاشتقاق ص٤، شرح نهج البلاغة ١٩/٢٠٣، الكشاف للزمخشري ٣/٧، تفسير البيضاوي ٤/٦، البحر ٨/٥.

(٤) مريم:٧.

(٥) بيت من الكامل من قصيدة لأبي نواس. انظر: ديوانه ٥/٩٠.

وقال رؤبةُ للنسَّابةِ البَكْريِّ، وقد سألَه عَنْ نَسَبِهِ: أَنا ابنُ العَجَّاجِ، فقالَ البكريُّ: قصَّرتَ وعرَّفتَ[١]، وقالَ أيضـًا:

قَدْ رفعَ العَجَّاجُ ذِكري فادعُني باسمِي إذا الأسماءُ طالتْ يكفِنِي[٢]

وقدْ قِيلَ للصَّلْتِ بنِ عَطاءٍ: كيفَ تقدَّمتَ عندَ البرامكةِ، وعندَهم مَنْ هوَ آدَبُ منكَ، فقالَ: كنتُ غريبَ الدارِ غريبَ الاسمِ...[٣].

٧-عُنِي العربُ بالتعريفِ والتميز؛ فكانَ للشَّخصِ الواحدِ اسمٌ وكنيةٌ ولقبٌ، ومِنْ مظاهرِ الاهتمامِ أَنَّهم جوَّزوا التَّسميةَ بأكثرَ مِن اسمٍ واحدٍ[٤]، مِنْ ذلكَ ما ذُكرَ عنْ أبي بكرٍ الصديق أن له اسمين: عبدَالله وعتيقا[٥]، ومنه أن عبدَاللهِ بنِ الصّمةِ أَخي دُريدِ بنِ الصِّمةِ كان له ثلاثةُ أسماءٍ وثلاثُ كُنًى؛ فكانَ اسمُه عبدَالله ومَعْبَدًا وخالدًا ويُكنى أبا فُرْعَان وأبا أَوْفَى وأبا ذُفافَة[٦].

(١) ذُكرت القصة في عدد من كتب التاريخ والأدب في معرض مدح قصر النسب. انظر مثلا: شرح نهج البلاغة ٢٠٣/١٩، الجليس الصالح ٥٥٥/١.

(٢) شرح نهج البلاغة ٢٠٣/١٩.

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري ٧/٣، تفسير البيضاوي ٦/٤، البحر ٥/٨.

(٤) انظر: تحفة المودود ٢٨/١٠.

(٥) انظر: الكنى والأسماء، للدولابي ١٤/١.

(٦) انظر: المزهر ٤١٨/٢.

ومِنْ طريفِ ذلكَ أَنَّ رجلًا سُئِلَ عَنْ كُنيتِهِ، فقالَ: أبو الحسنِ وأبو الغمرِ، فقيلَ: ألمْ تكفِ واحدةٌ؟! فقالَ: إنْ ضَاعتْ واحدةٌ بقيتِ الأُخرى"[1].

٨-إذا كانَ في القبيلةِ اسمانِ متوافِقانِ؛ كالحارثِ والحارثِ، وأحدُهما مِن وَلَدِ الآخَرِ أو بعدَه في الوجودِ، عبَّروا عنِ الوالدِ أو السابقِ منهما بالأكبرِ، وعن الولدِ أو المتأخِّرِ منهما بالأصغرِ، وربما وقع ذلك في الأخوَينِ إذا كان أحدُهما أكبرَ مِنَ الآخَرِ[2].

٩-اشتهر بعضُ العربِ بأسماءِ أمَّهاتِهم وانتسبوا إليهنَّ أكثر من آبائهم، ومنهم: بشيرُ بنُ الخَصَاصِيَةِ، وجُبَيرُ بنُ بُحَيْنَةَ، والحارثُ بنُ البرصاءِ، وشرحبيلُ بنُ حَسَنَةَ، وخفافُ بنُ ندبةَ وغيرُهم[3].

١٠-عُنيَ العربُ بالمشاكلةِ في أسماءِ الإخوةِ، فقدْ سَمَّى الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ أبناءَ فاطمةَ ابنتِه حسنـًا وحسينـًا ومُحَسِّنـًا، وقالَ: إنِّي سمَّيتُهم بأسماءِ ولدِ هارونَ شبرٍ وشُبيرٍ ومُشبرٍ"[4]، وكذلكَ قِيلَ عنْ أبي بكرٍ الصديقِ أنَّ اسمَه عتيقٌ، وهو أحدُ ثلاثةِ أبناءٍ: عَتيقٍ ومُعتّقٍ ومُعَيتِقٍ[5].

(١) محاضرات الأدباء٢/٣٦٩.

(٢) انظر: صبح الأعشى١/٣٦٤، قلائد الجمان١/٦.

(٣) انظر: نقعة الصديان ص١١١.

(٤) انظر: حصول المأمول ص١٥، أسد الغابة ١/٢٧٣.

(٥) انظر: الكنى والأسماء، للدولابي١/١٤، محاضرات الأدباء٢/٤٩١.

١١-كانَ من مذاهبِهم طلبُ التسميةِ ممنْ يوثقُ في دينِهِ أو علمِه أو أيِّ سببٍ آخرَ يدعوهم لذلكَ، فقدْ وُلِدَ لبنيطِ بنِ جابرٍ بنِ مالكٍ فجاءَ بهِ للرسولِ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ سَمِّه فسمَّاه عبدَالملكِ(١)، وجاءتْ زوجةُ مسرعِ بنِ ياسرٍ للرسولِ بمولودٍ لها، فقالتْ: قدْ وُلِدَ هذا المولودُ وأبوه في الخيلِ فَسَمِّه(٢).

وقدْ سمَّى الرسولُ صلى اللهُ عليه وسلمَ خلقـًا كثيرًا باسمِه، منهم محمدُ بنُ أبي بكرٍ ومحمدُ بنُ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ ومحمدُ بنُ طلحةَ بنُ عبيداللهِ ومحمدُ بنُ عمرِو بنِ حزمٍ ومحمدُ بنُ حاطبِ بنِ أبي بلتعةَ ومحمدُ بنُ حطابٍ أخي حاطبٍ(٣).

١٢-كانَ مِنْ مذاهبِهم السَّمِيُّ، يقولون: فلانٌ سَمِيُّ فلانٍ. إذا وَافقَ اسمُه اسمَه(٤)، متوسمينَ فيه أخلاقَ السَّميِّ وطباعِه، يُذكرُ أَنَّ عبدَالملكِ بنَ مروانَ سمَّى ابنـًا له الحجَّاجَ؛ لحبِهِ للحجَّاجِ بنِ يوسفَ، وقالَ فيهِ:

سمَّيته الحجَّاجَ بالحجَّاجِ   النَّاصحِ المكاشفِ المداجي(٥)

---

(١) انظر: حصول المأمول٩٧.

(٢) انظر: حصول المأمول١٠٢.

(٣) انظر: الأغاني١٨/١٣١، حصول المأمول١٠١.

(٤) اللسان١٤/٣٩٧ (سما).

(٥) انظر: شرح نهج البلاغة ١٩/٢٠٤.

وكانَ مما يثنون به على الممدوحِ أَنَّه سمَيُّ فلانٍ، فَيتسَمَّون بالأنبياءِ والعلماءِ والملوكِ والصالحين وأهلِ الفضلِ تفاؤلًا واستبشارًا، كتبَ أحدُهم إلى ولدِه وكانَ اسمُه إبراهيمُ: "للهِ درَّ النجلُ النبيلُ سمِيُّ نبيِّ اللهِ الخليلِ"(١).

وربما ترجموا لأحدِ الأعلامِ وكانَ مِنْ التَّعريفِ بهِ أنَّه سَمِيّ فلان؛ لفضله ولفضل جده: "... فارسُ الخيلِ وفارسُ الخيرِ طاهرُ الذيلِ عالي الطيرِ سَميّ جَدِّه ووارثُ جِدِّه"(٢).

-ويتبعُ ذلكَ أنَّهم قدْ يطلبون التسميةَ بأسمائِهم، مِنْ ذلكَ ما ذُكرَ أَنَّ عبدَاللهِ بنِ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ وُلدَ له مولودٌ ذَكَرٌ فبُشِّر بهِ وهو عندَ معاويةَ بنِ أبي سفيانَ، فقالَ له معاويةُ: سَمِّهِ بِاسمي ولكَ خمسمائةَ ألفِ درهمٍ، فسمَّاه معاويةَ، فدفعَها إليهِ وقالَ: اشترِ لِسَمِيِّي بها ضيعةً(٣).

ومرَّ عبدُ العزيزِ بنِ مروانَ بمصرَ فسمعَ امرأةً تصيحُ بِابنِها: يا عبدَالعزيزِ، فوقفَ وقالَ: مَنِ المُسمَّى باسمِنا؟ ادفعوا له خمسمائةَ دينارٍ؛ فما وُلدَ في أيامِه مولودٌ بمصرَ إلا سُمِّيَ عبدَ العزيزِ(٤).

---

(١) نفحة الريحانة٣/٨٩.

(٢) خريدة القصر١/٥٤٩.

(٣) انظر: شرح نهج البلاغة ١٩/٢٠٣.

(٤) انظر: التذكرة الحمدونية٢/١٩٧.

-وفي القصتين مذهبٌ آخرُ للعربِ وهو العطيةُ والمنحةُ التي يقدمُها المُسمَّى باسمِه لمَنْ تسمَّى باسمِه.

وقد يخالفُ المُسمِّي المُسمَّى باسمِه في خصالِه وفضائِله رغمَ أَنَّ الغرضَ الأساسَ مِنَ التَّسميةِ باسمِهِ طلبُ مشابهِ الخُلُق، يقولُ الشَّاعرُ:

وقدْ تلتقي الأَسماءُ في النَّاسِ والكُنَى كثيرًا ولكنْ لا تَلاقَى الخلائـقُ[1]

ومثلُه:

وكمْ مِنْ سَمِيٍّ ليسَ مثلَ سَمِيِّهِ وإنْ كانَ يُدعَى باسمِه فيجيبُ[2]

١٣-ربَّما سَمَّى الأبُ ابنَه باسمِه، فمِنْ ذلكَ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ، والحسنُ بنُ الحسنِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ، ومسلمُ بنُ مسلمِ بنِ عقيلِ بنِ أبي طالبٍ، وعبدُ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ، وعبدُ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ، وسعيدُ بنُ سعيدِ ابنِ العاصِ بنِ أُسيدٍ[3].

١٤-من مذاهبهم إقامة الأب مقام الابن، والابن مقام الأب، وقد وُجِّه على ذلك قول الشاعر:

---

(١) انظر: محاضرات الأدباء٢/٣٧٠.

(٢) محاضرات الأدباء٢/٣٧٠.

(٣) انظر: محاضرات الأدباء٢/٣٧٣.

وبيضاءَ من نشرِ ابنِ داودَ نشرةً تخيَّرتُها يومَ اللقاءِ الملابسا

ومعلوم أن المراد: نسج داود– عليه السلام– [١]

بعدَ دخولِ الإسلامِ تغيّرتْ كثيرٌ مِنْ عاداتِ العربِ في التَّسميةِ فدعَا الإسلامُ إلى تحسينِ الأسماءِ، روَى أبو الدَّرداءِ عَنْ النَّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلمَ أَنَّه قالَ: "إِنَّكم تُدعون يومَ القيامةِ بأسمائِكم وأسماءِ أبنائِكم؛ فأحسنوا أسماءَكم"[٢]، وفي هذا تنبيهٌ إلى تحسينِ الأفعالِ المناسبةِ للأسماءِ الحسنةِ– فللأسماءِ تأثيرٌ في المسمياتِ وللمسمياتِ تأثرٌ عن الأسماءِ كما سيأتي لاحقًا– لتكونَ الدعوةُ على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ بالاسمِ الحسنِ والفعلِ الحسنِ[٣].

وقد شدّدَ السلفُ رضوانُ اللهِ عليهم على اختيار الاسمِ الحسنِ؛ فهو سببٌ للفضلِ والرفعةِ، قالَ عمرُ بنُ الخطابِ– رضي اللهُ عنه– :" أحبُّكم إلينا أحسنُكم أسماءً، فإذا رأيناكم فأجملُكم منظرًا، فإذا اختبرناكم فأحسنُكم مخبرًا"[٤]. ويقولُ الزمخشريُّ: "قدْ قدَّمَ الخلفاءُ وغيرُهم مِنَ الملوكِ رجالًا بحُسنِ أسمائِهم، وأَقصَوا قومـًا لشَنَاعةِ أَسمائِهم، وتعلَّقَ المدحُ والذَّمُ بذلكَ في كثيرٍ منَ الأمورِ"[٥]، وقالتْ أمُّ برصوما الزامرِ

---

[١] انظر: شرح الحماسة للتبريزي١/٤٠٥، مرزوقي٢/٥٧٠، للأعلم١/٤٣٠.

(٢) شرح نهج البلاغة١٩/٢٠١، انظر الحديث في مسند أحمد: ٢١٦٩٣(٢٣/٣٦)، وقد ضعفه الألباني. انظر: سنن أبي داود– باب في تغيير الأسماء: ٤٩٤٨ (٢/٧٠٥).

(٣) انظر: حصول المأمول٦، زاد المعاد ٢/٣٦٦.

(٤) محاضرات الأدباء٢/٣٦٦.

(٥) شرح نهج البلاغة١٩/٢٠٢.

له لما سألهَا: أَمَا وجدتِ لي اسمـاً تُسَمِّيني به غيرَ هذا، قالتْ: لو علمتُ أَنَّك تُجالسُ الخلفاءَ والملوكَ سَمَّيتُك يزيدَ بنَ مزيدٍ"[١].

والاسمُ الحسنُ سببٌ للتآلفِ والتوادِّ بينَ النَّاسِ، قالَ عمرُ أيضًا- رضيَ اللهُ عنه- "إِنَّ مما يصفي لك ودَّ أخيك أَنْ تبدأَهُ بالسَّلامِ إذا لقيتَه وأَنْ تدعوه بِأحبِّ الأَسماءِ إليهِ وأَنْ تُوسِّع لهُ في المجلسِ"[٢].

بلْ بلغَ بهم الحرصُ على تحسينِ الاسمِ أَنَّهم اشترطوا أنْ يكونَ الرسولُ المرسلُ بالبريدِ حسنَ الاسمِ حسنَ الوجهِ[٣].

وقدْ صنّفَ الشرعُ الأسماءَ إلى مستحبٍّ ومحرمٍ ومكروهٍ كما أفادَ ابنُ القيِّمِ في كتابِه (تحفةُ المودودِ)؛ ومنْ فوائدِهِ في هذا البابِ ما يأتي:

١-مِن الأسماءِ ما هو مُستحبٌّ، ومنها ما هو مُحرَّمٌ، ومنها ما هو مكروهٌ؛ فأما المستحبُّ فهو ما وَرَد في الحديثِ: "تَسَمَّوْا بأسماءِ الأنبياءِ، وأحبُّ الأسماءِ إلى الله عبدُ الله وعبدُ الرحمنِ، وأصدَقُها حارثٌ وهمامٌ، وأقبحُها حَرْبٌ ومُرَّة"[٤].

---

(١) شرح نهج البلاغة١٩/٢٠٣.

(٢) بهجة المجالس ١/٦٦٣.

(٣) انظر: حصول المأمول ص٥

(٤) أخرجه أحمد ٤/٤٣٥، وأبو داود (رقم ٤٩٥٠)، والنسائي ٢/١١٩، وضعفه الألباني في: إرواء الغليل ٤/ ٤٠٨.

وأمَّا المحرَّمُ فقد اتفقوا على تحريمِ كلِّ اسمٍ مُعبَّدٍ لغيرِ اللهِ؛ كعبدِ العُزَّى وعبدِ هُبَل وما أشبَهَ ذلك، حاشا عبدَ المطلبِ[1]، ومن المحرَّمِ التسميةُ بـمَلِكِ الملوكِ، وسلطانِ السلاطينِ، وكذلك تَحرُم التسميةُ بسيِّدِ الناسِ وسيدِ الكُلِّ، كما يحرمُ سيِّدُ ولدِ آدمَ؛ فإنَّ هذا ليسَ لأحدٍ إلا لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وحدَه[2].

وأمَّا المكروهُ فقدْ جاءَ النهيُ عمَّا فيه تزكيةُ النفسِ بأنَّه مُبارَكٌ، ومُفلِحٌ، ومنها التسميةُ بأسماءِ الشياطينِ؛ كـخَنْزَبٍ، والوَلْهانِ، ومنها أسماءُ الفراعنةِ والجبابرةِ؛ كـفرعونَ، وقارونَ، ومنها أسماءُ الملائكةِ؛ كـجبرائيلَ وميكائيلَ، ومما يُمنعُ تسميةُ الإنسان به أسماءُ الربِّ تباركَ وتعالى، فلا يجوزُ التسميةُ بالأحَدِ ولابالصَّمَدِ، وممّا يُمنعُ منه التسميةُ بأسماءِ القرآنِ وسُوَرِه؛ مثلِ: طه ويس وحم، ومنها الأسماءُ التي لها معانٍ تكرهُها النفوسُ ولا تُلائِمُها؛ كـحَرْبٍ ومُرَّةٍ وحَيَّةٍ وأشباهِها.

٢-علَّلَ الشرعُ للنَّهيِ عنِ التَّسميةِ بما فيه تزكيةٌ ومدحٌ بأمورٍ، منها:

- "أنَّ هذه الأسماءَ لَمَّا كانتْ قد توجبُ تطيُّرًا تكرهُه النفوسُ، ويصُدُّها عما هي بصَدَده كما إذا قلتَ لرجلٍ: أعندك يَسارٌ أو رَباحٌ أو أفلحُ؟ قال: لا، تطيَّرتَ أنتَ وهوَ

---

(١) والعلة في ذلك ما وقع فيه من خلاف؛ لقول النبي- صلى الله عليه وسلم- يوم حنين: " أنا ابن عبدالمطلب"، لكن هذا لا يفيد جواز التعبيد به؛ لأنه حكاية نسب مضى، فهو من باب الإخبار لا من باب الإنشاء. انظر: معجم المناهي اللفظية١/٣٤٤.

(٢) انظر: تحفة المودود ١٠/٩.

مِنْ ذلكَ، وقدْ تقعُ الطِّيَرةُ لا سيَّما على المتطيِّرين، فقَلَّ مَنْ تطيَّرَ إلا ووقعتْ به طيرتُه"[١].

- تعليقُ ضدِّ الاسمِ عليه؛ بأَنْ يُسمَّى يَسارًا مَنْ هوَ مِنْ أعسَرِ الناسِ، ورَباحًا مَنْ هوَ مِنَ الخاسرين، فيكونَ قد وقعَ في الكذبِ عليه وعلى اللهِ.

- قد يُطالَبُ المسمَّى بمقتضَى اسمِه فلا يُوجدُ عندَه؛ فيُجعَلُ ذلك سببًا لذَمِّه وسبِّه، ولو تُركَ بغيرِ مدحٍ لم تحصُلْ له هذهِ المفسدةُ.

- ظَنُّ المسمَّى واعتقادُه في نفسِه أنَّه كذلك، فيقعَ في تزكيةِ نفسِه؛ وهو أمرٌ ذمَّه الشارعُ[٢].

٣-للأسماءِ تأثيرٌ في المسمَّياتِ، وللمسمَّياتِ تأثُّرٌ عنْ أسمائِها؛ يقولُ ابنُ القيم في ذلك: "ولَمَّا كانَ بينَ الأسماءِ والمسمَّياتِ مِنَ الارتباطِ والتناسُبِ والقرابةِ ما بينَ قوالِبِ الأشياءِ وحقائقِها، وما بينَ الأرواحِ والأجسامِ؛ عَبرَ العقلُ مِن كُلٍّ منهما إلى الآخَرِ"[٣].

وفي البيتين التاليين إجمالٌ للنفاذِ من المُسمَّى للاسمِ والعكسِ، قالَ الشَّاعرُ:

وقَلَّما أَبْصرتْ عيناكَ مِنْ رجلٍ   إلَّا ومعناهُ في اسمٍ منه أو لقبِ[٤]

(١) زاد المعاد ٢/ ٣١٢.

(٢) انظر: زاد المعاد ٣١٢/٢ وما بعدها.

(٣) زاد المعاد ٣٠٧/١.

(٤) انظر: محاضرات الأدباء٣٦٦/٢.

وقالَ الآخرُ:

يكادُ يُعدي بلؤمِه كلَّ مَنْ تسمَّى باسمِه[١]

أمَّا العبورُ مِنَ المُسمَّى للاسمِ ، فكمَا كانَ إياسُ بنُ معاويةَ وغيرُه يرى الشخصَ، فيقولُ: "ينبغي أنْ يكونَ اسمُه كيتَ وكيتَ"، فلا يكادُ يُخطئُ.

وأما ضِدُّه وهو العبورُ من الاسمِ إلى مُسمَّاه، فقدْ قالَ ابنُ جنِّي: ولقدْ مَرَّ بي دهرٌ وأنا أسمعُ الاسمَ لا أدري معناه، فآخذُ معناه مِن لفظِه، ثم أكشِّفه فإذا هوَ ذلكَ بعينِه أو قريبٌ منه.

قالَ ابنُ القيِّمِ: فذكرتُ ذلكَ لشيخِ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ- رحمَه اللهُ- فقالَ: وأنا يقَعُ لي ذلكَ كثيرًا. وكمَا عبرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِنِ اسمِ سُهَيلٍ إلى سهولةِ أمرِهم يومَ الحُدَيبيَةِ. وكما قالَ: "أسلَمُ سالَمَها اللهُ، وغِفارٌ غَفَرَ اللهُ لها، وعُصَيَّة عَصَتِ اللهَ"، فهذهِ أسماءُ قبائلَ وافقَتْ مُسمَّياتِها.

ومنه أيضـًا حديثُ سعيدِ بنِ المسيَّبِ عنْ أبيهِ عنْ جَدِّه قالَ: أتيتُ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقالَ: ما اسمُك؟ قلتَ: حَزْنٌ، فقالَ: أنتَ سَهْلٌ، قالَ: لا أُغيِّرُ اسمًا سمَّانيه أبي، قالَ ابنُ المُسيَّبِ: فما زالتْ تلكَ الحزونةُ فينَا بعدُ، والحزونةُ: الغِلْظةُ[٢].

---

(١) انظر: غرر الخصائص الواضحة١/٧٣.

(٢) انظر: زاد المعاد ١/٣٠٧ وما بعدها، والحديث في: فتح الباري١٧/٣٩١.

ومثلُه قولُ حنظلةَ النُّميريُّ لابنٍ له يقالُ له: مُرّة، وكان عاقًّا: إنَّك لمرٌّ يا مُرّةُ"[١].

ومثلُه قولُ الإسكندرِ لمّا رأى في عسكرٍ رجلًا ما زالُ منهزمـًا في الحربِ، فسألَه عنِ اسمِه، فقالَ: اسمي الإسكندرُ، فقالَ: يا هذا إمَّا أنْ تغيِّرَ اسمَكَ وإمَّا أنْ تُغيِّرَ فعلَكَ[٢].

والاسمُ الحسنُ كنيةً كانَ أو لقبـًا سببٌ للفألِ الحسنِ والتنبوءِ بكريمِ الخصالِ والأفعالِ، يقولُ الجاحظُ في رسالةٍ إلى أبي الفرجِ نجاحِ بنِ سلمةَ: "قدْ أظهرَ اللهُ في أسماءِ آبائِكم وكُناكم وكُنى أجدادِكم مِنْ برهانِ الفألِ الحسنِ ونفي طِيَرةِ السُّوءِ ما جمعَ لكم صنوفَ الأملِ، وصرفَ إليكم وجوهَ الطَّلَبِ، فأسماؤكم وكُناكم بينَ فرجٍ وسلامةٍ وفضلٍ، ووجوهُكم وأخلاقُكم وفوقَ أعراقِكم وأفعالِكم، فلمْ يضربُ التفاوتُ فيكم بنصيبٍ"[٣].

بلْ بلغَ تأثيرُ الاسمِ على صاحبِه أنَّه يتلطفُ بهِ للمخاطبين، "خرجَ الرَّشيدُ يومـًا فرأى سعيدَ بنَ سلمٍ فقالَ: مَنْ؟ قالَ: سعيدٌ أسعدَك اللهُ. فقالَ: ابنُ مَنْ؟ قالَ: ابنُ سلمٍ سلَّمَك اللهُ. قالَ: أبو مَنْ؟ قالَ: أبو عمرو عَمَركَ اللهُ. قالَ: باركَ اللهُ عليكَ، وأكرمَه"[٤].

---

(١) انظر: مقال الأعلام والعربية للخوام .

(٢) انظر: شرح نهج البلاغة ٢٠٥/١٩.

(٣) شرح نهج البلاغة ٢٠٢/١٩.

(٤) محاضرات الأدباء٣٦٦/٢.

ومِنْ ذلكَ ما ذُكرَ مِنْ أَنَّ سعيدَ بنِ مرَّةَ الكنديِّ دخلَ على معاويةَ، فقالَ له معاويةُ: أنتَ سعيدٌ؟ قالَ: أميرُ المؤمنين السعيدُ، وأنا ابنُ مرَّةَ!

ومنه ما ذُكرَ عن السّيدِ بنِ أنسٍ الأزديِّ أنَّ المأمونَ قالَ له: أنتَ السّيدُ؟ فقالَ: أنتَ السّيدُ يا أميرَ المؤمنين وأنا ابنُ أنسٍ[١].

وقدْ يكونُ وبالًا عليه ونقمةً، فقدْ كانَ البحتريُّ إذا ذُكرَ الخثعمِيُّ الشَّاعرُ، قالَ: ذاكَ الغثُّ العَمِيُّ[٢]، فيستقي مِنْ تركيبِ الاسمِ ذمًّا له وتبكيتًا.

ومِنْ ذلكَ قصَّةُ صاحبِ ربيعٍ المتشيِّعِ، فقدْ ارتفعَ عليه خصمان، أحدُهما عَلِيٌّ والآخرُ معاويةُ، فانحنى على معاويةَ فضربَه مائةَ سوطٍ مِنْ غيرِ أَنْ اتجهتْ عليهِ حُجَّةٌ، ففطِنَ مِنْ أينَ أُتِيَ، فقالَ: أَصلحَك اللهُ سلْ خَصمي عَنْ كُنيتِه، فإذا هوَ أبو عبدَالرحمنِ.... فبطحَه فضربَه مائةَ سوطٍ، وقالَ لصاحبِه: ما أخذتُه منِّي بالاسمِ استرجعتُه منكَ بالكُنيةِ[٣].

و"مرَّ صاعدٌ ببشارٍ، فقالَ: مَنْ هذا؟ قالوا: صاعدٌ، فقالَ: الصَّاعدُ اسمـًا السَّافلُ فِعلًا"[٤].وقيلَ في نَفْطَويهِ:

---

(١) انظر: شرح نهج البلاغة ١٩/ ٢٠٥، والسِّيد هو الذئب.

(٢) انظر: شرح نهج البلاغة ١٩/ ٢٠٥.

(٣) انظر: شرح نهج البلاغة١٩/ ٢٠٥.

(٤) محاضرات الأدباء٢/٣٦٧.

أحرقَه اللهُ بنصفِ اسمِه   وصيَّرَ الباقي نواحـًا عليه"[١]

وقالَ رجلٌ لرجلٍ كانَ يراه فيبغضُه: ما اسمُك؟ فقالَ: سعدٌ، قالَ: على الأعداءِ[٢].

وقالَ رجلٌ من قريشٍ لخالدِ بنِ صفوانَ: ما اسمُك، قال: خالدُ بنُ صفوانَ بنِ الأهتمِ، فقالَ الرجلُ: إنّ اسمَك لكذبٌ؛ ما خُلِّدَ أحدٌ، وإنّ أباك لصفوانُ، وهو حجرٌ، وإنّ جدَّك الأهتمُ، وإنّ الصحيحَ خيرٌ من الأهتمِ، قالَ خالدٌ: مِن أيِّ قريشٍ أنت، قالَ: من بني عبدِ الدارِ، قال: فمثلُك يشتمُ تميمًا في عزِّها وحسبِها؛ وقد هشمَك هاشمٌ وأمَّتك أميةُ وجمحتْ بك جامحٌ وخزمتك مخزومٌ وقصتَك قصيٌّ؛ فجعلتْك عبدَ دارِها موضعَ شنارِها، تفتحُ لهم الأبوابَ إذا دخلوا وتغلقُها إذا خرجوا[٣].

وقدْ تكونُ دلالةُ الاسمِ مدعاةً للطَّرافةِ والمداعبةِ، مِنْ ذلكَ "قالَ محمدُ بنُ صدقةَ المقرئُ ليموتَ بنِ المزرَّعِ، صدّقَ اللهُ فيك اسمَكَ، فقالَ: أحوجَكَ اللهُ إلى اسمِ أَبيكَ"[٤].

---

(١) محاضرات الأدباء٢/٣٦٨

(٢) انظر: كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري٣٣٤.

(٣) انظر: كتاب الصناعتين ٢٥٤.

(٤) شرح نهج البلاغة١٩/ ٢٠٤.

كانَ يموتُ بنُ المزرَّع يكرُه اسمَه، فيتشاءمُ منه ويتطيرُ بِهِ وكانَ لا يعودُ مريضـًا خشيةَ أَنْ يتطيرُ باسمِهِ وكانَ يقولُ: بُليتُ بالاسمِ الذي سمَّاني به أبي، فإني إذا عُدتُ مريضـًا فاستأذنتُ عليهِ فقيلَ: مَنْ هذا؟ قلتُ: ابنُ المزرَّعِ وأُسقطُ اسمِي[١].

٤-اللهُ سبحانَه بحكمتِهِ في قضائِهِ وقدَرِهِ يُلهِمُ النفوسَ أنْ تضعَ الأسماءَ على حسَبِ مُسمَّياتِها لتُناسِبَ حكمتُه تعالى بينَ اللفظِ ومعناه؛ كما تُناسِبُ بينَ الأسبابِ ومُسبَّباتِها؛ ولذلكَ قالوا: لكلِّ امرئٍ مِنِ اسمِه نصيبٌ، وبالجملةِ فالأخلاقُ والأعمالُ والأفعالُ القبيحةُ تَستدعي أسماءً تُناسِبُها، وأضدادُها تستدعي أسماءً تناسبُها، وكما أنَّ ذلك ثابتٌ في أسماءِ الأوصافِ، فهو كذلكَ في أسماءِ الأعلامِ، وما سُمِّيَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ محمَّدًا وأحمدَ إلا لكثرةِ خصالِ الحمدِ فيهِ، وهو أعظمُ الخلقِ حمدًا لربِه تعالى، وقدْ أمرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بتحسينِ الأسماءِ؛ فقدْ يَستحي صاحبُ الاسمِ الحسنِ مِنِ اسمِهِ، وقدْ يحملُه اسمُه على فعلِ ما يناسبُه وتركِ ما يُضادُّه، ولهذا ترى أكثرَ السَّفَل أسماؤهم تناسبُهم وأكثرَ العِلْيةِ أسماؤهم تناسبُهم[٢].

٥-ولهذا الارتباطِ ندَبَ الإسلامُ أن يَختارَ المسلمُ لولدِه وخادمِه مِنَ الأسماءِ الحسنةِ؛ فإنَّ الأسماءَ المكروهةَ قد تُوافِقُ القدَرَ؛ كما لو سَمَّى أحدٌ ابنَه بـ(خَسار)

---

(١) انظر: مقال الأعلام والعربية للخوام، شذرات الذهب ٢/٢٤٢.

(٢) انظر: تحفة المودود ١/٣٧.

فرُبما جَرَى قضاءُ الله بأن يَلحَقَ بذلك الرجلِ أو ابنِه خسارٌ، فيعتقدَ بعضُ الناسِ أنَّ ذلك بسببِ اسمِه، فيتشاءمون ويحترزون عن مجالستِه ومواصلتِه[1].

٦-ولهذا الارتباطِ كانَ السلفُ رِضوانُ الله عليهم يَستبشِرون بالاسمِ الحسنِ، ويتفاءلون به، ويكرهون الأسماءَ المنكَرة، ويأخذون المعانيَ مِنْ أسمائِها، قالَ الشَّاعرُ:

وسمَّيتُه يحيى ليحيا فلمْ يكنْ لردِّ قضاءِ اللهِ فيهِ سبيلُ[2]

ولمَّا نزلَ الحسينُ وأصحابُه بكَرْبَلاءَ سألَ عنِ اسمِها، فقيلَ: كَرْبَلاء، فَقالَ: كَرْبٌ وبَلاءٌ، ولَمَّا وقفتْ حليمةُ السَّعديَّةُ على عبدِ المطلبِ تسألُه رضاعَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لها: مَنْ أنتِ؟ قالتْ: امرأةٌ مِن بني سَعْدٍ، قالَ: فما اسمُك؟ قالتْ: حَلِيمةُ، فقالَ: بَخٍ بَخٍ؛ سَعْدٌ وحِلْمٌ، هاتان خَلَّتان فيهما غَناءُ الدهرِ.

وكانَ يَكرَهُ الأمكِنةَ المنكرةَ الأسماءِ، ويكرهُ العبورَ فيها، كما مَرَّ في بعض غَزَواتِه بينَ جبلينِ، فسألَ عنْ اسمَيْهِما، فقالوا: فاضِحٌ ومُخْزٍ، فعَدَلَ عنهما، ولم يَجُزْ بينَهما[3].

ومِنْ ذلكَ أَنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ أرادَ الاستعانةَ برجلٍ، فسألَه عنِ اسمِه واسمِ أبيهِ، فقالَ: سرَّاقٌ بنُ ظالمٍ، فقالَ: تسرقُ أنتَ ويظلمُ أبوك؟! فلمْ يستعنْ بهِ[4].

---

(١) انظر: مرقاة المفاتيح ٧/ ٢٩٠٠، شرح السنة للإمام البغوي ١٢/١٧٧، فيض القدير للمناوي ١/٣٠٦.

(٢) انظر: ديوان المعاني ١/٥٢٦.

(٣) انظر: تحفة المولود ١/٣٧.

(٤) انظر: شرح نهج البلاغة ١٩/ ٢٠٢.

٧- يُستحبُّ تغييرُ الاسمِ القبيحِ والمكروهِ إلى الأمثَلِ والأفضَلِ[1]؛ حتى لا ينتقلَ قبحُه إلى نفسِ صاحبِه، وقدْ غيّرَ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أسماءَ عددٍ غيرِ يسيرٍ منَ الصَّحابةِ، فذكرَ البيضاويُّ في مقدمةِ كتابِه (حصولِ المأمولِ بذكرِ مَن غيَّرَ أسماءَهم الرسولُ) بعضَ المؤلفين في هذا الموضوعِ الذين بسطوا له مؤلفاتٍ خاصةً أو أبوابًا، كما ذكرَ كلَّ مَنْ غَيَّرَ النَّبيُّ ﷺ أسماءَهم أو كُناهم أو سمَّاهم ابتداءً من الرِّجال والنِّساء والأقوامِ والقبائلِ والأماكنِ.

وقدْ ذكرَ الصَّاغانيُّ في نقعةِ الصَّديان اثنين وستين (٦٢) رجلًا غيَّرَ الرَّسولُ أسماءَهم بعد إسلامهم.

والمتأملُ لمنهجِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في تغييرِ الأسماءِ يجدْهُ يغيّرُها لتوافقَ دينَ الإسلامِ وتنبذَ ما عداهُ مِنْ ضلالِ الجاهليةِ، وذلكَ على النحوِ الآتي:

-يُغيِّرُ بتعبيدِ اسمِ مَنْ لم يُعبَّدْ؛ فيُسمِّي جبَّارًا عبَّد الجبَّارِ ويسمِّي قيُّومًا عبدَ القيُّومِ.

-ويُغيِّرُ المضافَ إليه المعبَّدَ في الجاهليةِ مِنَ الأصنامِ والأوثانِ إلى مضافٍ إليهِ معبَّدٍ في الإسلامِ وهو اللهُ وحدَه سبحانَه وتعالى؛ فغَيَّرَ عبدَ العُزَّى أبا راشدٍ الأزديِّ إلى عبدِاللهِ، وغَيَّرَ عبدَشمسِ بنِ صخرٍ الدَّوسيِّ إلى عبدِالرحمنِ، وغيَّر عبدَالكعبةِ بنِ

(١) انظر: حصول المأمول بذكر من غير أسماءهم الرسول صلى الله عليه وسلم١٢١، الشمائل الشريفة٣٤٦.

عبدِاللهِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ إلى عبدِالرَّحمنِ، وغَيَّرَ عبدَمنافٍ أبا سلمةَ إلى عبدِاللهِ، وغيَّرَ عبدَالحارثِ بنِ الحارثِ بنِ زيدٍ إلى عبدِاللهِ.

-وقدْ يُغَيِّرُ بِقلبِ الاسمِ المخالفِ إلى ضدِّه؛ فغَيَّرَ حراماً إلى حلالٍ، وحرباً إلى سلمٍ، وأسودَ إلى أبيضَ، وغافلًا إلى عاقلٍ، والعاصَ بنَ الأسودِ العدويِّ إلى مطيعٍ، ومهاناً إلى مكرَمٍ، وعاصيةَ بنتَ النُّعمانِ إلى مطيعةَ، وظالماً بنَ حفصٍ الهذليِّ إلى راشدٍ، وقدمَ المدينةَ واسمُها يَثرِبُ لا تُعرَفُ بغيرِ هذا الاسمِ فغيَّرَه إلى طَيْبةَ؛ حتى يزولَ ما في لفظِ يثربَ من التَّثريبِ بما في معنى طَيْبةَ من الطيبِ، وغيَّر اسمَ حَزْن جدِّ سعيدِ بنِ المسيَّبِ وجعلَه سَهْلًا فأبى، وقالَ: "السَّهْلُ يُوطأ ويُمتَهنُ"وأرضًا تُسمى عَفْرةَ سمَّاها خَضِرةَ، وشِعبَ الضلالةِ سمَّاه شعبَ الهدى، وبنو الزِّنْيةِ سمَّاهم بني الرِّشْدةِ، وسمَّى بني مُغْويةَ بني رِشْدةَ، وجاءَته امرأةٌ، فقالَ: ما اسمُك، فقالتْ: جَثَّامةُ المُزَنيَّةُ، فقالَ: بل أنتِ حُسَّانةُ.

-وقدْ يُغيِّرُ الاسمَ إلى مجانسٍ له مجانسةً ناقصةً وقريبٍ منه في حروفِه؛ فغَيَّرَ بُجيرَ بنِ عقربةَ الجهنيَّ إلى بشيرٍ، وميسماً إلى مسلمٍ، وزيدَ الخيلِ إلى زيدِ الخيرِ.

-وقدْ يُغيِّرُ الاسمَ لمناسبةٍ أو حادثةٍ فغَيَّرَ اسمَ ذكوانَ بنَ جندبٍ إلى ناجيةَ؛ لأنَّه نجا مِنْ قريشٍ، وغَيَّرَ اسمَ عبيدِ بنِ أوسٍ إلى مُقرنٍ؛ لأنَّه قرنَ بينَ أربعةٍ منَ الأسرى في حبلٍ واحدٍ.

-بلْ ربَّما غَيَّرَ اسمَ الرَّجلِ واسمِ أبيهِ؛ فغَيَّرَ شهابَ بنَ خرقةَ إلى مسلمِ بنِ عبدِاللهِ.

-وقدْ يُغَيِّرُ ما فيه تنزيهٌ وتزكيةٌ؛ فغيَّرَ برّةَ بنتَ الحارثِ إلى جويريةَ[١].

٨-رغَّبَ الإسلامُ في الكُنْيةِ، وندبَ إليها، وقدْ عُرفتْ في الجاهليةِ في قصةٍ مشهورةٍ ذكرتْها كتبُ الأدبِ والمعارفِ[٢].

وهي العدولُ عنِ الكلامِ الدونِ إلى ما يدلُّ على معناه في لفظٍ أبهى ومعنًى أجلَّ[٣].وهي مما اختصتْ به العربُ، وهي من مفاخرِها دونَ غيرِها مِنَ الأممِ ثمَّ تشبَّهَ غيرُها بها[٤]؛ لِمَا فيها مِنْ تكريمٍ وتوقيرٍ[٥]، وصيانة للاسم عن الابتذال [٦].

قالَ عمرُ بنُ الخطَّاب- رضيَ اللهُ عنه- : "أشيعوا الكُنَى؛ فإِنَّها مَنْبهةٌ"[٧]، وقيلَ: "كُنيةُ الرَّجلِ أحدُ شواهدِ عقلِه، واسمُه أحدُ شواهدِ عقلِ أبيه"[٨] "وأتى ضرارٌ المتكلمُ بمجوسيٍّ ليكلمَه فقالَ: أبو مَنْ أنتَ؟ قالَ: نحنُ أجلُّ مِنْ أنْ نُنسبَ إلى أبنائِنا إنّما نُنسبُ إلى آبائِنا، فوردَ على ضرارٍ ما لمْ يكنْ في حسابِه فأطرقَ ساعةً ثمَّ قالَ: أبناؤنا

---

(١) انظر: كتاب نقعة الصديان ص١٣٥.

(٢) انظر: المرصع ص٣٦.

(٣) انظر: التذكرة الحمدونية٣/٢٢.

(٤) انظر: مقال الأعلام والعربية للخوام، الصاحبي ٢٠١، المستطرف٢/٧٨ .

(٥) انظر: زاد المعاد ٢/٣١٤.

(٦) انظر: الصاحبي٢٠١.

(٧) محاضرات الأدباء٢/٣٦٦.

(٨) محاضرات الأدباء٢/٣٦٦.

أفعالُنا وآباؤنا أفعالُ غيرِنا[١]". وعنْ عائشةَ -رضي اللهُ عنها- أنَّها قالتْ: "يا رسولَ اللهِ، كلُّ صواحبي لهُنَّ كُنى، قالَ: فاكتني بابنِك عبدِاللهِ"[٢].

-ولأهميتِها رغَّبَ الشَّرعُ في تكنيةِ الأبناءِ في سِنٍّ مبكرةٍ؛ حتى يشعروا أنّهم بلغوا مبلغَ الكبارِ فيكونوا بقدرِ المرجوِّ منهم والمأمولِ؛ فقدْ كنَّى الرسولُ غلامـًا صغيرًا بقولِه: " يا أبا عُميرٍ ما فعلَ النُّغيرُ"[٣]، ونادى الصحابيةَ الجليلةَ أمةَ بنتَ خالدِ بنِ سعيدِ بنِ العاصِ لمّا كانت طفلةً صغيرةً بكنيتِها (أمِ خالدٍ)، فقالَ:" ائتوني بأمِّ خالدٍ، فأُتي بها تُحملُ "[٤].

وكُنِّيَ عبدَاللهِ بنِ الزبيرِ وهو صبيٌّ بـ(أبي بكرٍ) وهو جدُّه لأمِّه أسماءَ ثمَّ لمَّا وُلدَ له ولدٌ سمَّاه خبيبـًا وتكنَّى به فصارَ له كُنيتانِ[٥].

---

(١) محاضرات الأدباء٢/٣٦٩.

(٢) انظر: المأمول١١٢، نهاية الإرب٣/١٩٦.

(٣) انظر: صحيح البخاري، باب الانبساط إلى الناس-٥٧٧٨-(٥/٢٢٧).

(٤) انظر: صحيح البخاري في باب اللباس (٥٨٢٣): حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ سَعِيدِ بْنِ فُلاَنٍ هُوَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ العَاصِ، عَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ: أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ، فَقَالَ: «مَنْ تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُوَ هَذِهِ» فَسَكَتَ القَوْمُ، قَالَ: «ائْتُونِي بِأُمِّ خَالِدٍ» فَأُتِيَ بِهَا تُحْمَلُ، فَأَخَذَ الخَمِيصَةَ بِيَدِهِ فَأَلْبَسَهَا، وَقَالَ: «أَبْلِي وَأَخْلِقِي» وَكَانَ فِيهَا عَلَمٌ أَخْضَرُ أَوْ أَصْفَرُ، فَقَالَ: «يَا أُمَّ خَالِدٍ، هَذَا سَنَاهْ» وَسَنَاهْ بِالحَبَشِيَّةِ: حَسَنٌ.

(٥) المرصع٣٦.

-يجوزُ أن يَكتنيَ الرجلُ بولده، ويجوزُ أن يكتنيَ بغيرِ أولادِه؛ فمثلا لم يكنْ لأبي بكرٍ ابنٌ اسمُه بَكْرٌ، ولا لِعُمرَ ابنٌ اسمُه حَفْصٌ، فلا يَلزمُ مِن جوازِ الكنيةِ أنْ يكونَ لصاحبِها ولدٌ، ولا أن يُكنى باسمِ ذلكَ الولدِ(١).

-الأصلُ أن يُكتنى بالابنِ، ويجوزُ التكنيةُ بالبنتِ؛ لعدمِ ورودِ النَّهي عنْ ذلكَ، وقدْ كُنِّي عددٌ منَ الصَّحابةِ والسَّلفِ بأسماءِ بناتِهم، فالمسروقُ بنُ الأجدعِ يُكنَّى أبا عائشةَ(٢)، وقدْ ترجمَ ابنُ حجرٍ في الإصابةِ لطائفةٍ منَ الصَّحابةِ عُرِفوا بأسماءِ بناتِهم، منهم أبو أمامةَ وأبو رقيةَ وأبو أروى وأبو لبابةَ وغيرُهم.

-وقدْ تكونُ الكنيةُ هي الاسمُ، وقدْ أفردَ المصنِّفون في مصطلحِ الحديثِ كابنِ الصَّلاحِ في مقدمتِه باباً للذين سُمُّوا بالكُنى، فأسماؤهم كُناهُم، والذين عُرفوا بكُناهم ولم يوقفْ على أسمائِهم(٣).

-كانَ لملاحظةِ علاقةِ الاسمِ بأشهرِ مَنْ تَسمَّى بهِ صلةٌ في التكنيةِ، وصارتْ التَّكنيةُ علاقةَ لازمٍ بملزومٍ، يُقالُ أنَّ يحيى بنَ أكثمَ كانَ يناظرُ رجلًا في إبطالِ القياسِ، وكانَ الرَّجلُ يُكنِّيه بأبي زكريا، فقالَ يحيى: العجبُ أنَّكَ تُكنيني بالقياسِ وتناظرني بإبطالِه(٤).

---

(١) انظر: تحفة المودود١/١٣٤.

(٢) انظر: صبح الأعشى٥/٤٣٣، المرصع ٣٦.

(٣) انظر: علوم الحديث لابن الصلاح ص٣٢٢٩.

(٤) محاضرات الأدباء٢/٣٧١.

ودخلَ رجلٌ على أميرٍ يُدعى إسحاقُ، فقالَ لهُ: يا أبا يعقوبَ، فقالَ: أخطأتَ أنا أبو الحسين. فقالَ: أخطأَ الأميرُ؛ لأَنَّ كلَّ إسحاقَ يُكنَّى أبا يعقوبَ[١].

-ربَّما كانتِ الكنيةُ مخرجـًا للعربِ في تسميةِ الإناثِ باسمٍ لطيفٍ محبوبٍ وهُنَّ صغيراتٌ حتى إذا كَبُرنَ لجأتِ العربُ إلى التَّكنيةِ أَنَفًا مِنْ عدمِ المناسبةِ، يقولُ الجاحظُ: "وربَّما كانَ اسمُ الجاريةِ غُليمَ وصبيةَ وما أشبهَ ذلكَ فإذا صارتْ كهلةً جزلةً وعجوزًا شهلةً وحملتِ اللحمَ وتراكمَ عليها الشَّحمُ وصارَ بنوها رجالًا وبناتُها نساءً فما أقبحَ حينئذٍ أنْ يُقالَ لها: يا غُليمُ كيفَ أصبحتِ ويا صبيةُ كيفَ أمسيتِ؟ ولأمرٍ ما كنَّتِ العربُ البناتِ، فقالوا: فعلتْ أمُّ الفضلِ وقالتْ أمُّ عمرٍو وذهبتْ أمُّ حكيمٍ. نعمْ حتى دعاهم ذلكَ إلى التَّقدمِ في تلكَ الكُنَى"[٢].

-ربَّما أضافتِ العربُ الأبناءَ والبناتِ إلى آبائِهم وتركتْ أسماءَهم، مِنْ ذلكَ ابنُ عباسٍ وابنُ عمرَ لمّا كانا أشرفَ منْ أبويهما، وكذلكَ قالوا للحسينِ بنِ عليٍّ: يا ابنَ بنتِ رسولِ اللهِ، كرامةً له بأمِّه[٣].

-اتسعتِ العربُ في الكُنى حتى كنّتْ غيرَ العقلاءِ منَ الحيواناتِ والجماداتِ وأجرتْها مجراها بلْ حملتِ المعانيَ على العُقلاءِ مجازًا واتساعـًا فكنَّتها كما يُكَنَّى العاقلُ، وقدْ جمعَ النِّيسابوريُّ في كتابِه: (ثمارِ القلوبِ في المضافِ والمنسوبِ) عددًا

---

(١) انظر: محاضرات الأدباء٢/٣٧١.

(٢) البيان والتبيين١/١٤٦.

(٣) انظر: المرصع٣٧.

هائلًا منَ الكُنى في بابِ الأباءِ والأمَّهاتِ، مِنْ أمثلتِها: أبو أيوبَ: الجملُ، أبو الحارثِ: الأسدُ، أبو يقظانَ: الدِّيكُ، أمُّ عامرٍ: الضَّبعُ، ابنُ الليالي: القمرُ، ابنُ ذكاءٍ: الصُّبحُ، أمُّ الرأسِ: الهامةُ، ابنُ الغمدِ: السَّيف، بنتُ المنيةِ: الحمَّى، بناتُ الطريقِ: الصِّعابُ[1].

٩-نفَّرَ الإسلامُ من اللقبِ في قولِه تعالى: "ولاتنابزوا بالألقابِ"[2]، وقالَ الشاعرُ في مدحِ أحدِهم:

لا يُضمرُ الغدرَ للصَّديقِ ولا يخطو اسمَ ذي ودِّه إلى لقبِه

وقالَ الآخرُ:

أَكنِّيه حينَ أُنادِيه لأُكرمَه ولا أُلقِّبُه والسوءةُ اللقبُ[3]

-أما اللقبُ، فهو في الأغلبِ سَوْءةٌ، ومعَ ذلكَ قد يُجعلُ اللقبُ عَلَمًا مِنْ غيرِ نَبْزٍ؛ فيكونُ للتعريفِ بِهِ وتمييزِه وقدْ غلبَ عليه ورضيَ بهِ، فلا يكونُ حرامًا، ومنهُ تعريفُ بعضِ الأئمةِ المتقدمين بالأعْمشِ والأخْفشِ والأعْرجِ والجاحظِ ونحوِه؛ لأنه لا يُقصدُ بذلك نَبزٌ ولا تنقيصٌ بل محضُ تعريفٍ مع رضا المسمَّى به[4].

---

(١) وانظر أيضا: بلوغ الإرب٣/١٩٦، صبح الأعشى٥/٤٣٠.

(٢) الحجرات:١١ .

(٣) محاضرات الأدباء٢/٣٧١.

(٤) انظر: مقال الأعلام والعربية للخوام، تهذيب الأسماء واللغات ١/١٢، محاضرات الأدباء٢/٣٧١، صبح الأعشى ٥/٤٤٠، الصاحبي ٥٧، المصباح المنير (لقب).

-وقدْ يكونُ منَ الألقابِ ما يُكسبُ حمدًا ومدحـًا ويكونُ حقـًا وصدقـًا؛ فلا يكره، وذلكَ كما لُقِّبَ موسى بالكليمِ وإبراهيمُ بالخليلِ ومحمدٌ بالأمينِ وأبو بكرٍ بالصِّدِّيق وعمرُ بالفاروقِ وعثمانُ بذي النُّورين وخالدٌ بسيفِ اللهِ المسلولِ وعبدُاللهِ بنُ عباسٍ بالحبرِ والبحرِ[١].

بل قد عُني العربُ باللقبِ للمدحِ حتى غلبَ على صاحبِه وعُرفَ به وأضيفَ إليه، ومِنْ أشهرِ أولئكَ الطلحاتُ الستةُ، وهم: طلحةُ بنُ عبيدِاللهِ التَّيميُّ وهوَ طلحةُ الفيَّاضُ، وطلحةُ بنُ عمرَ بنِ عبيدِاللهِ بنِ معمرٍ التَّيميُّ وهو طلحةُ الجودِ، وطلحةُ بنُ عبدِاللهِ بنِ عوفٍ الزَّهريُ أخو عبدِالرحمنِ بنِ عوفٍ وهو طلحةُ النَّدى، وطلحةُ بنُ الحسنِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ وهو طلحةُ الخيرِ، وطلحةُ بنُ عبدِالرحمنِ بنِ أبي بكرٍ الصديقُ وهو طلحةُ الدَّراهمِ، وطلحةُ ابنُ عبدِاللهِ بنِ خلفٍ الخزاعيُّ وهو سادسُهم وهو المشهورُ بـ(طلحةِ الطَّلَحاتِ)[٢].

١٠-من مذاهبِهم وصلُ الابنِ بأبيِهِ بكلمةِ (ابن)؛ فالمتأملُ لكتبِ التَّراجمِ يجدُ أَنَّ العربَ لا تستغني عنِ استعمالِ كلمةِ (ابنِ) بينَ الأعلامِ أبدًا، وهو منهجُ جميعِ الأممِ لكن تركتْه النَّصارى حتى تفرِّقَ بينَ أبنائِها مِنْ أصلابِها وغيرِهم ثمَّ أسقطتْها

(١) انظر: التذكرة الحمدونية٨/٢٩٥، المزهر، للسيوطي ٢/٤١٨.

(٢) غرر الخصائص الواضحة ص١٣٦.

في الجميعِ ثم سَرَى هذا الاستعمالُ إلى المسلمين[١]، وهو أسلوبٌ مولدٌ دخيلٌ[٢]، ربما ينتجُ عنه الخلطُ بين الاسمِ المفردِ والمركبِ والمذكرِ والمؤنثِ[٣].

هذهِ بعضٌ مِنْ مذاهبِ العربِ في التَّسميةِ واهتمامِهم بالتَّعريفِ والتَّمييزِ ما زالَ أكثرها في عصرِنا الحاضرِ حَيٌّ مُقتفًى، وبعضُها قد طَواهُ النِّسيانُ فاستُغني عنه؛ فأحرِ بهذا البحثِ أَنْ يُذكِّرَ بها ويدفعَ إليها.

(١) انظر: الأسماء والألقاب والكنى في ميزان الشريعة، لإبراهيم بن عبدالله المزروعي (مقال على الشبكة العنكبوتية).

(٢) انظر: ثمر الثمام شرح غاية الحكام، للسنباوي ص٨٧.

(٣) انظر: فتاوى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، الفتوى رقم (١٩).

ثبت المصادر والمراجع

- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين ابن الأثير، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
- الأسماء والألقاب والكنى في ميزان الشريعة، إبراهيم بن عبدالله المزروعي (مقال على الشبكة العنكبوتية).
- أسماء الأعلام، دراسة لغوية مقارنة في البنية والدلالة، د. عمر صابر عبدالجليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٢م.
- الاشتقاق، لابن دريد، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، نشر: مكتبة الخانجي بمصر.
- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، ط: الثالثة، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٣م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ.
- الأعلام والعربية، بقلم: أ. د. رياض بن حسن الخوام، جامعة أم القرى، مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، ٢٠١٥م.
- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، عناية: عرفان العشا حسونة، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة.
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الألوسي، عني به: محمد بهجة الأثري، ط: الثانية، دار الكتاب المصري.
- بهجة المجالس وأنس الجالس وشحذ الذاهن والهاجس، لابن عبد البر، تحقيق: محمد مرسي

الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، ط: السابعة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- تحفة المودود بأحكام المولود، لابن قيم الجوزية، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، ط: الأولى، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.
- التذكرة الحمدونية، لابن حمدون، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٩٩٦م.
- تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ثمر الثمام شرح (غاية الإحكام في آداب الفهم والإفهام) للسنباوي المعروف بالأمير، تحقيق: عبدالله سليمان العتيق، ط الأولى، دار المنهاج للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، لأبي الفرج الجريري، تحقيق: إحسان عباس، ط: الأولى، عالم الكتب، بيروت، لبنان١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- حصول المأمول، لأبي يعلى البيضاوي، المكتبة الشاملة.
- الحيوان، لأبي عثمان الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط: الثانية، مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٥هـ.
- خريدة القصر وجريدة العصر، للعماد الأصبهاني، قسم شعراء الشام، تحقيق: شكري فيصل، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، المطبعة الهاشمية بدمشق، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.
- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ، تحقيق: إيفالد فاغنر، ط: الثانية، النشرات الإسلامية، بيروت١٤٢٣هـ-١٩٩٥م.
- ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري، شرحه: أحمد بسج، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- سنن أبي داود، إعداد: عزت الدباس، دار الحديث، حمص ١٩٦٩م.
- سنن النسائي، مصورة دار إحياء التراث العربي، بيروت، عن المكتبة التجارية، القاهرة ١٣٤٨هـ.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، ط: الثانية، دار المسيرة، بيروت ١٣٩٩هـ.
- شرح السنة، للبغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- شرح المفصل، لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة.
- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المدائني، تحقيق: محمد إبراهيم، ط: الأولى، دار الكتاب العربي، بغداد ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- الصاحبي، لأحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: السيد أحمد صقر، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٩٧٧م .
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي، دار الكتب المصرية، القاهرة،١٣٤٠هـ-١٩٢٢م.
- الصناعتين، الكتابة والشعر، تأليف أبي هلال العسكري، تعليق: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.
- علوم الحديث لابن الصلاح، تحقيق نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- غرر الخصائص الواضحة، للوطواط، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت.
- فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، ط: الأولى، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ١٣٥٦هـ.
- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، للقلقشندي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط: الثانية، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- الكشاف، للزمخشري ، طبعة طهران.
- الكتاب: الكنى والأسماء، لأبي بِشر الدولابي الرازي، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم - بيروت/ لبنان، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصبهاني، ط: الأولى، شركة الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- المرصع في الآباء والأمهات، لمجد الدين ابن الأثير، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط: الأولى، دار الجيل، بيروت، دار عمار، عمّان، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للهروي، تحقيق جمال العيتاني، دار الكتب العلمية، دار الفكر بيروت.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٩٨٦م.
- المستطرف من كل فن مستطرف، للأبشيهي، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، ط: الثانية، دار

الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م.

- مسند الإمام أحمد، ط: الثانية، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٨هـ.
- المفصل، للزمخشري، ط: الثانية، دارالجيل للنشر والتوزيع، بيروت.
- نفحة الريحانة ورشحة طلاء الريحانة، للمحبي، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الأولى، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
- نقعة الصديان فيمن في صحبتهم نظر من الصحابة وغير ذلك، للصاغاني، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

مسؤولية أقسام اللغة العربية تجاه المجتمع

أ.د محمد بن ناصر الشهري

جامعة الملك سعود

توطئة:

إن التغيرات التي يشهدها العالم كله تغيرات سريعة جدًّا، حيث يشهد العالم كله تحولات كبيرة في مختلف مناحي الحياة، كمًا وكيفًا، قدرًا وعددًا، مظهرًا وجوهرًا، حيث أسهم تيار العولمة في إزالة كثير من الحواجز الجغرافية والسياسية والاقتصادية، بل الفكرية والثقافية والسلوكية بين معظم شعوب الأرض، كما أسهم الانفتاح الإعلامي الكبير -على وجه الخصوص- في تسهيل الاتصال بين شعوب الكرة الأرضية، وصار الحصول على المعلومات المطلوبة في غاية السهولة، وفي المقابل لم يعد من الممكن إخفاء المعلومة، أو الحجر عليها، بل صارت أغلب المعلومات متاحة عبر وسائل التواصل الرقمية الحديثة.

وانطلاقا من هذا كله صار النفوذ في مختلف جوانب الحياة إنما هو للأقوى تأثيرًا، والأكبر إنجازًا، والأسرع مبادرة، والأقوى شخصية ومواقف، ولذلك فإن أنجع ما يواجه به هذا المد الجارف: قوة التربية والتكوين الذاتي، وذلك في استقلال الشخصية، ونضج التفكير، ووضوح المنهج، ورسم الأهداف بدقة.

وقد بدت صور التأثير في شتى جوانب الحياة الإنسانية، ومن أبرز الجوانب التي تأثرت تأثيرًا سلبًا أو إيجابًا: الجوانب اللغوية، حيث عملت العولمة –بصفة خاصة– على إضعاف كثير من اللغات، ومزاحمتها بلغات أخرى، وهذا ما جعل اللغات الأصلية لكثير من الأمم تتراجع مكانتها لدى كثير من أبنائها وجدانيًّا، وفكريًّا، وعمليًّا.

فإذا ما جئنا للجانب اللغوي بصفة خاصة، فإنّنا نجد أن التأثير فيه كان كبيرًا على كثير من اللغات، ومنها اللغة العربية، حيث إن زمام حركة العولمة حاليًّا إنما هو بأيدي الدول الكبرى ذات التأثير الكبير اقتصاديًّا وسياسيًّا وعسكريًّا وإعلاميًّا، ...إلخ. وتلك الدول تسوّق نتاجها باللغات التي تتحدث بها، وليست العربية في الوقت الراهن منها؛ ولذلك كان نصيب العربية من التأثر السلبي كبيرًا جدًّا، ويتضح ذلك من الصور الآتية:

١ – طغيان اللغات الأجنبية –وبخاصة الإنجليزية– وذلك عبر وسائل الإعلام، وبخاصة في الشبكة العنكبية، والقنوات الفضائية، ووسائل التواصل الاجتماعي، والمنتجات الاقتصادية، والتعليم والتدريب، وغير ذلك.

٢ – انتشار شركات القطاع الخاص المحلية، فضلا عن الشركات الإقليمية، أو العالمية العابرة للقارات، وهذه الشركات تعتمد لغات الدول القوية، وخاصة اللغات: الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والروسية، والإسبانية، وغيرها، فهذه الشركات تعمل –بطبيعة الحال– على ترسيخ اللغات التي تتعامل بها، وفي المقابل يتولد عن هذا إضعاف اللغات الأخرى، ومنها اللغة العربية، وهذا ما جعل الأمر يؤول

إلى انصراف كثير من أبناء العربية عن لغتهم معنويًّا وعمليًّا، والإقبال على تعلم لغات أخرى، على أن ذلك من باب الحاجة التي لا بد منها، وهذا ما أدى إلى إضعاف العربية معنويًّا في نفوس كثير من أبناء الجيل الحاضر، وعمليًّا بحصول الضعف في الواقع العملي لهم تحدثًا، وكتابة، وتحصيلًا، وفهمًا، واستيعابًا، وغير ذلك من المظاهر.

٣ – الترويج الإعلامي –من بعض أبناء العربية عمومًا– القائم على الترغيب في تعلم لغات أخرى غير العربية وإتقانها، واعتبار ذلك من وسائل الحصول على الأعمال والوظائف الممتازة، وأنه من وسائل الرقي والتحضر، ومكملات التميز للشخصية ومواكبة العصر والتقدم، في مقابل التهوين والتقليل من شأن اللغة العربية.

٤ – انتشار العبارات والألفاظ غير العربية، إما كتابة بالحروف العربية وإما بالحروف غير العربية، كثيرًا في وسائل الإعلام، وبخاصة في الأعمال الدعائية، وفي اللوحات التجارية للمحلات التجارية، في الأسواق، وفي الشوارع، وفي وسائل الدعاية والنشر عامة، وغير ذلك، حتى تحولت صورة كثير من الأسواق والشوارع والمؤسسات إلى الصورة الأجنبية بدل العربية، فيشعر المرتاد لتلك الأسواق وغيرها بأنه في بلد غير عربي، لأنه لا يكاد يرى في أماكن كثيرة كلمة عربية لفظًا ومعنى، بل إنه لا يكاد يجد كلمة أجنبية رسمت حروفها بالعربية، وهذا ما سيؤثر تأثيرًا سلبيًّا بالغًا على المجتمع عامة، وعلى الأجيال الناشئة بشكل خاص، التي ترى تلك المشاهد منذ سني أعمارهم المبكرة، وبناء على ذلك تألفها، وتصبح جزءًا من تكوينها الثقافي

والمعرفي واللغوي، وهذا ما ينذر بخطر شديد يهدد لغتهم الأصلية، اللغة العربية، إذا لم يتم تدارك الأمر على وجه السرعة.

إلى غير ذلك من صور التأثير السلبيّ المؤسفة على اللغة العربية وأبنائها.

ومن هذا المنطلق جاءت فكرة هذه الدراسة لتلقي الضوء على هذه الإشكالية الكبرى، في محاولة لتشخيص الحالة ووصف جوانبها المختلفة، وتلمس الأسباب التي أوصلت حال اللغة العربية وأهلها إلى ما وصلوا إليه، ثم طرح بعض الأفكار والرؤى التي يُرجى أن تسهم في معالجة هذا الحال الصعب الذي تمر به اللغة العربية في زمننا الصعب هذا.

والله ولي التوفيق.

الفصل الأول: الجهود النظرية

إن اللغة العربية بحاجة ماسة إلى جهود كبيرة للنهوض بها، وجعلها مواكبة للعصر وفق التحولات الكبيرة التي تعم العالم بأسره، والعالم العربي والإسلامي على وجه الخصوص، ودول الجزيرة العربية بشكل أخص، حتى تتبوأ العربية مكانتها اللائقة بها، وهذه الجهود يمكن أن تسير في اتجاهين متوازيين:

أولهما: الجهود النظرية، والجهود التطبيقية (العملية).

وآخِرهما: الجهود الإبداعية.

وسوف يكون بدء الحديث عن النوع الأول وهو الجهود النظرية، حيث سيكون الكلام في هذا الاتجاه متمثلا في الجوانب الآتية:

أولًا- العمل على توعية المجتمع بأهمية اللغة العربية، وبيان مكانتها العظيمة:

إن الإجراء الأول الذي يتحتم القيام به لتحقيق النجاح لأي مشروع هو القيام بالتوعية الكافية لذلك المشروع، التوعية التي توجد القناعات بأهميته حتى يلقى التأييد الرسمي والشعبي؛ وذلك لأن تجلية حقائق الأشياء، وبيان طبيعتها، وما لها من أهمية، وما تحمله من فوائد، ومدى ما لها من عمق وأبعاد، وبعث قيمتها في النفوس، وجعلها ماثلة حاضرة للعيان، إلى غير هذا من صور التوعية والتجلية لحقائق الأشياء، كل ذلك يكون من أبرز وأقوى دعائم النجاح لذلك الأمر، ومن أنجع وسائل تحقيق الأهداف المرسومة له. وبناء على هذا كله فإن مرحلة التوعية مرحلة أولية -وممتدة أيضًا- لا بد منها، إذ إنها تعتبر عاملًا حاسمًا في نجاح أي أمر أو إخفاقه.

ومن ذلك -على وجه لا يحتمل التأجيل ولا التسويف- ضرورة توعية المجتمع العربي بأهمية اللغة العربية توعية كافية، وتجلية أبعاد عظم شأنها، وسمو شرفها، والكشف عن مقومات تفردها بالأهمية القصوى من بين سائر لغات البشر، وبسط الحديث عن خصائصها وقدراتها، وبيان جوانب الروعة والحسن والدقة والعمق في تكوينها، وعقد صور من المقارنة بينها وبين بعض اللغات المشهورة الأخرى، لبيان أوجه التميز والتفضيل فيها، إلى غير ذلك من عناصر تكوينها الفريد،

والأسباب الداعية إلى ضرورة العناية بها، وجوانب تميزها عن سائر لغات البشر أجمعين.

ومن أبرز مجالات التوعية التي يمكن استثمارها لخدمة اللغة العربية:

القنوات الإعلامية بشكل عامّ، والقنوات الفضائية بشكل أخصّ، والصحافية، والتعليمية، والدعائية، ...إلخ. فضلًا عن الإعلام الجديد، وسائلِ التواصل الاجتماعي المتعددة ونحوها؛ وذلك لما للإعلام من أثر كبير على المتلقين، سواء أسلبيًّا كان ذلك التأثير أم إيجابيًّا "فوسائل الإعلام تؤثر فينا، إما تأثيرات سلبية وإما إيجابية، سواء أشعرنا بذلك أم لم نشعر، فلا أحد محصن من تأثير وسائل الإعلام، حتى الشخص الذي لا يتعرض لوسائل الإعلام فإنه يتأثر بدرجة ما، من خلال زملائه وأقرانه، والوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه"[1].

واستثمار وسائل الإعلام المتنوعة في دعم العربية، والرفع من شأنها يمكن أن يتحقق وفق بعض الإجراءات، ومنها:

١ - العمل على المطالبة بإتاحة مساحة كافية في وسائل الإعلام الحكومية والخاصة، وذلك لنشر الوعي بأهمية اللغة العربية بصورة مستمرة.

٢- استثمار وسائل التواصل الرقمية الجديدة، أو ما يسمى بالإعلام الجديد؛ لدعم جهود التوعية بعظم شأن اللغة العربية.

---

(١) التربية الإعلامية: كيف نتعامل معها؟ فهد الشميمري، ص ٤٣.

٣-إبرام عقود شراكة بين أقسام اللغة العربية في الجامعات والمؤسسات الإعلامية المختلفة لتقديم برامج إعلامية تتعلق باللغة العربية، وذلك وفق أسلوب جذاب حديث رَاقٍ مساير لفكر العصر الحاضر وثقافته وذوقه؛ وذلك للحديث عن اللغة العربية من حيث:

أ-بيان مميزاتها وخصائصها.

ب-بيان جوانب جمالياتها.

ج-بيان علاقتها بالإعجاز العلمي في العصر الحديث.

د-سبل تحبيبها لأبنائها.

ه-طرح مشكلاتها، والصعوبات التي تعتريها، والمخاطر التي تحيط بها.

٤ - عمل الدعاية الإعلامية الكافية للفت الأنظار إلى أهمية شأن اللغة العربية، وذلك بوسائل الإعلام المختلفة، من نحو:

أ - تصميم المنشورات التعريفية والتثقيفية وغيرها رقمية وورقية، وذلك بالأساليب الملائمة لأفراد المجتمع من حيث: ثقافاتهم، وأذواقهم، واهتماماتهم (طلاب علم، ورجال أعمال، ومثقفين، ومواطنين عاديين، رجالًا ونساء، صغارًا وكبارًا).

ب - عمل الملصقات الدعائية المناسبة، لوضعها في الأماكن الملائمة.

ج – عمل بطاقات صغيرة إلكترونية، أو ورقية (بطاقة الجيب) المتضمنة مادة يحتاج إليها الإنسان عادة، كالتقويم السنوي، أو الأذكار الشرعية، أو أرقام هواتف مختلفة، أو الدليل لشيء معين، أو غير ذلك، ويصاحب ذلك وضع عبارات جذابة تدعو إلى حب العربية، واستعمالها، ونصرتها، ومحبتها، إلى غير ذلك.

د – عمل بطاقات صغيرة إلكترونية، أو ورقية (بطاقة الجيب) تتضمن تعريفا بفضل العربية، وبيانا ببعض الاستعمالات الخاطئة، أو غير الفصيحة، من ألفاظ وتراكيب، كما تبين البديل العربي للفظ الأجنبي، من نحو: ... مول، ... سنتر، ... ماركت، ... إلخ.

ثانيا– استثمار مكانة المسجد:

إن مكانة المسجد في حياة المسلم عظيمة، فهو المأوى الروحي لكل مسلم، وهو المكان المقدس الذي يلجؤون إليه للنهل من الرحمة والسكينة والمغفرة، فهو يمدهم بالطاقات الإيمانية، والسمو الروحي، والصفاء الوجداني، والنبل الخلقي، وإن "الكاتب مهما تحدث عن مكانة المسجد، ومهما أورد من النصوص في ذلك، فإن وظائف المسجد أكثر إظهارًا لمكانته في الإسلام، فعلى سمائه ترتفع الدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح، وفي صحنه يؤخذ الإيمان، ومن على منبره يعلم الإيمان والعمل الصالح..."(١)، و"في المسجد تتعلم الأجيال... وفي المسجد يتعلم الناس

(١) دور المسجد في التربية، د عبد الله أحمد قادري، ص ٦٩.

صغارًا وكبارًا، يتعلمون العلم، ويتفقهون في أمور دينهم ... حيث يهيئُ المسجد لرواده مجال الانطلاق في المجتمع، والتعرف على الناس، والتآخي معهم، ومناصرتهم ما داموا على الحق"(١).

وأما إمام المسجد فإن له وظيفة عظيمة، بل إنها في غاية الأهمية، ومسؤوليته كبيرة، وهذه المسؤولية تختلف باختلاف أحوال الأئمة، سواء أإمامًا عالمًا كان أم إمامًا وخطيبًا لجامع أم إمامًا للفروض الخمسة فقط(٢)، وعلى هذا فإنه يمكن استثمار دور إمام المسجد في مسارين متوازيين:

المسار الأول:

تأهيل الأئمة والخطباء تأهيلًا جيدًا من جميع النواحي(٣)، ومنها الناحية اللغوية بمختلف جوانبها: قراءة، وتحدثًا، وكتابة، وفهمًا، واستيعابًا، وإنشاء، إلخ. حتى يتمكنوا من القيام بواجبهم على أفضل صورة ممكنة، لأن اللغة هي القالب الذي يعبر

---

(١) المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي، د علي عبد الحليم محمود، ص ٢٢ – ٢٤.

(٢) انظر: مسؤولية إمام المسجد، د. علي بن حسن الألمعي ص ٣٢-٥٠.

(٣) وقد تحقق في هذا المجال بعض الجهود الجيدة، ومنها على سبيل المثال:

- إنشاء المعهد العالي للأئمة والخطباء، بجامعة طيبة، وذلك بالأمر السامي في ١٤٢٥/٨/٧هـ.
- إقامة حوالي خمسين دورة مهارية خلال الأشهر الأخيرة من عام ١٤٣٠، وبداية ١٤٣١هـ للخطباء بالمملكة العربية السعودية، استهدفت تقوية لغتهم في الخطابة، إلا أن هناك دعوات واسعة تدعو لضرورة تأهيل الخطباء بشكل أكبر. صحيفة الشرق الأوسط، الأربعاء ١٤٣١/٣/١١هـ ، العدد ١١٤١١.

الإمام به عما يريد إيصاله للناس، فلا بد أن تكون لغته راقية سليمة مؤثرة، حتى يحقق أكبر قدر ممكن من إفادة مرتادي المسجد.

وكذلك فإنه ينبغي إشعار الأئمة بواجبهم الكبير الأساسيّ تجاه لغتهم، لغة القرآن الكريم، التي قلّ من يتحدث عنها من أئمة المساجد، وهؤلاء القليل أيضًا منهم من يريد الحديث عن لغته العربية، والعناية بها، ولكنه لا يعرف السبيل إلى ذلك، ومن هنا نقول إنه بإمكان أقسام اللغة العربية في الجامعات أن تزود أولئك بالطرق المناسبة للقيام بتلك المهمة الجليلة، يزودهم الأساتذة الذين يفيدونهم في مجال خدمة اللغة العربية، وذلك بعقد شراكة بين الأقسام العلمية في الجامعات ووزارة الشؤون الإسلامية، وبهذا تكون تلك الأقسام قد أسهمت بشيء من واجبها في خدمة اللغة العربية، وخدمة المجتمع بشكل عام.

والمسار الآخِر:

توجيه عناية الخطباء خاصة، والأئمة عامة إلى الاهتمام بشأن اللغة العربية، فيخصصون لها مساحة كافية في خطب الجمعة بين حين وآخر، كما يطلب منهم أن يخصصوا لها أيضًا مجالًا في أحاديثهم الأخرى عقب الصلوات أو قبلها، أو في أي وقت آخر.

كما أنه بإمكانهم التنسيق مع أساتذة اللغة العربية في أقسام اللغة العربية -بعد الحصول على الموافقات اللازمة- لإقامة دروس ومحاضرات في المساجد، أو إقامة

دورات تتعلق باللغة العربية تعليمًا وتوضيحًا وتحبيبًا وغير ذلك مما يعلي من شأن اللغة العربية، ويمكّن لها، ويشحذ الهمم لاستعمالها وإحيائها في الواقع العملي.

وقد أشار العلامة عبد الله بن حميد – رحمه الله – إلى الفرق بين تعليم المدارس وتعليم المساجد –وهو ممن تخرجوا في المساجد–من أوجه ثلاثة، وسأختار منها الوجه الأول، وهو:

أن التعليم في المسجد يكتنفه جو عبادي يشعر المعلم فيه والمتعلم والسامع أنهم في بيت من بيوت الله، فيكونون أقرب إلى الإخلاص، والتجرد ... لا يرجون من وراء ذلك مغنمًا ولا جاهًا ولا منصبًا، لذلك تجد غزارة العلم وحفظه وإتقانه عند كثير من علماء المسجد في أوقات قصيرة، بخلاف طلاب المدارس، فإنهم في الغالب لا يصلون إلى مرتبة علماء المساجد في ذلك، والواقع التاريخي يشهد بذلك، فهل خرجت المدارس والمعاهد والجامعات كالأئمة والمحدثين والفقهاء والنحويين ومن شابههم؟[1].

وبناء على هذا فإنه يمكن استثمار وظيفة المسجد، وكذلك أئمة المساجد في خدمة اللغة العربية، واستعمالها، والنهوض بها، والذب عنها، ونشرها، وإحياء مكانتها في النفوس والوجدان، حتى تحيا حياة طبيعية في الواقع العملي، والاستعمال

---

(١) انظر: مجلة "رسالة المسجد" التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي، العدد السادس، السنة السادسة، ١٤٠٣هـ، ص ١٥.

الحيوي، وبإمكان أقسام اللغة العربية في الجامعات أن تسهم إسهامًا فاعلًا ومميزًا في هذه الأنشطة، وذلك بالقيام بعقد شراكة مع وزارة الشؤون الإسلامية للقيام بهذه المهمة الشريفة، حيث يمكن أن يسهم أساتذة الأقسام العلمية في تقديم أنشطة متعددة من خلال المساجد لخدمة اللغة العربية، وإفادة مرتادي المساجد من المصلين، ومن طلاب العلم، ومن غيرهم، حتى تعود للسجد رسالته العظمى في خدمة اللغة العربية، تعليمًا، ونشرًا، وتمكينًا، ...إلخ.

الفصل الثاني: الجهود التطبيقية

إن الفصل بين الجهود النظرية والتطبيقية ربما لا يكون دقيقًا أو ممكنًا في حالات كثيرة، ولكنه فُرق بينهما في هذا البحث رغبة في تجلية أبعاد هذا الموضوع، وإيضاح ما خفي من بعض جوانبه، وإبراز عناصره وأجزائه ومكوناته، حتى يمكن الوصول إلى فهم أعمق له وأشمل، وإيضاح أدق لطبيعة الموضوع، ذي الأهمية الكبيرة في الوقت الراهن.

ومن الجهود التطبيقية العملية التي يمكن لأقسام اللغة العربية أن تقوم بها:

١ – التواصل مع الهيئات والشخصيات ذات النفوذ والقرار:

إن التواصل مع الهيئات والشخصيات ذات المكانة والقرار التنفيذي -التي يمكنها إصدار قرارات تنفيذية- عامل جوهري لدعم اللغة العربية؛ إذ إنه ينبغي السعي لاستصدار قرارات تنفيذية لدعم اللغة العربية، وتفعيل العناية بها، وإعطائها القدر

الذي تستحقه من الاهتمام واستعمالها فعلًا وواقعًا، وذلك لأن القرار الإداري عامل حاسم في إمكان تطبيق استعمال اللغة العربية، وهناك نماذج متعددة تبين أهمية القرار الإداري أو السياسي في دعم اللغة العربية، وظهور الأثر واضحًا جليًا في الاستعمال العام والخاص للغة العربية، ومن هذه النماذج:

أ – صدور الأوامر الملكية السامية بتغيير أسماء بعض الوزارات – وهذا تغيير أمر لغوي – وقد تحقق مضمون هذه الأوامر السامية، حيث تحول الناس من استعمال الأسماء السابقة إلى الأسماء الجديدة، وذلك بفعل قوة القرار السياسي، ولو أن قضية تغيير تلك الأسماء كانت عن طريق آخر، كالتوعية الإعلامية، والثقافية، والجهود الفردية والأهلية، ونحو ذلك، لما تحقق الأمر بالتغيير اللغوي لتلك الأسماء، ومن تلك الوزارات والإدارات – على سبيل المثال-:

تغيير اسم وزارة المعارف إلى: وزارة التربية والتعليم، ثم إلى وزارة التعليم، وتغيير اسم مجلس القضاء الأعلى إلى: المجلس الأعلى للقضاء، وتغيير اسم وزارة الإعلام على: وزارة الثقافة والإعلام، ثم الفصل بينهما، وتغيير اسم وزارة الزراعة والمياه والمجاري، إلى: وزارة الزراعة والمياه والصرف الصحي، ثم إلى غيرها، وهكذا.

ب-جهود سمو الأمير خالد الفيصل في منطقة عسير-عندما كان أميرًا لها – حيث إنه أمر بأن يكون من مسوغات ترقيات مراتب موظفي الإمارة والدوائر الحكومية الحصول على دورات في اللغة العربية، وقد تحقق ذلك حيث أقيمت دورة

للموظفين بالتنسيق بين الإمارة وكلية اللغة العربية بأبها – آنذاك – لإقامة دورة في المهارات اللغوية، وقد أقيمت الدورة، وقد شارك فيها الباحث لمدة أسبوعين في الفترة من ٢٥/ ٤ إلى ٦/ ٥/ ١٤٢٨هـ.

ج – جهود سموه في منطقة مكة المكرمة، حيث أصدر أمره الكريم في ذي القعدة من عام ١٤٣١هـ بتحويل أسماء اللوحات التجارية والدعائية والتعريفية ونحوها إلى أسماء عربية، وذلك خلال ستة أشهر من صدور الأمر[١].

وغير هذا كثير وكثير.

ولذلك فإنه بإمكان أقسام اللغة العربية في الجامعات أن تعمل على التواصل مع الشخصيات والمؤسسات والهيئات ذات النفوذ للحصول على كل ما يدعم اللغة العربية، ويعلي من شأنها، ويرفع من مستوى أبنائها اللغوي: تحدثًا، وكتابة، وقراءة، وفهمًا، وإنشاء، وغير ذلك.

فمن الجهات الحكومية -بصفة خاصة- التي يمكن التواصل معها لخدمة اللغة العربية:

- وزارة التجارة.
- وزارة الشؤون البلدية والقروية والإسكان.

وذلك للتنسيق معها فيما يتعلق بأمرين مهمين:

---

(١) انظر: صحيفة عكاظ، الأحد ٢/١١/١٤٣١ هـ، العدد ٣٤٠٢.

أحدها: حث هاتين الوزارتين على ضرورة ألّا يصدر الجديد من أسماء الشركات والمؤسسات والمحلات التجارية ونحوها إلّا باللغة العربية تمامًا، وإن لزم الأمر بأن يصرح لاسم غير عربي فليكن بالحروف العربية إضافة لكتابة اسمه بغير العربية، وليكن الخط العربي أكبر حجمًا في اللوحات التجارية -وغيرها- من الاسم المكتوب بغير العربية، وذلك لأن الشركات والمؤسسات والمحلات التجارية والمطاعم والمقاهي -بصفة خاصة- وغيرها كثير من المناشط الثقافية والفنية وغيرها قد أصبحت أسماء كثير منها غير عربية، وكثير منها يكتب بحروف غير عربية، وهذه اللوحات ونحوها أصبحت تملأ الشوارع والأسواق وكثيرًا من المرفق العامة، وتطغى على غيرها، وهذا بلا شك له الأثر السيّئ البالغ على المجتمع عامة، وعلى الجيل الناشئ خاصة، لأن هذا الجيل سيألف هذه المشاهد التي يراها منذ نعومة أظفاره، وستصبح جزءًا من تكوينه اللغوي والثقافي، وتبعًا لذلك ستتأثر لغته الأصلية – العربية – تأثرًا سلبيًّا بالغًا، يصعب علاجه في المدارس وغيرها من وسائل التعليم والتثقيف.

والآخر: التنسيق مع هاتين الوزارتين ونحوهما لأجل توظيف مختصين باللغة العربية، وذلك للقيام بتلك المهام، والقيام بالإجابة عن أي تساؤلات أو استفسارات لغوية في تلك القطاعات، وهذا الأمر من ناحية أخرى سيتيح أيضًا فرص عمل كثيرة لطلاب أقسام اللغة العربية المتخرجين فيها، وهذا ما يجعل الأمر عائدًا

بالنفع على اللغة العربية ذاتها، وعلى القائمين على أمرها، من أقسام اللغة العربية، ومن طلابها المتخرجين فيها، وعلى الوطن بشكل عام.

ومن الجهات التي يمكن التنسيق معها أيضًا لخدمة اللغة العربية:

- أقسام اللغة العربية نفسها في الجامعات المختلفة، حيث يمكن التنسيق بين هذه الأقسام لإنشاء شراكة علمية بينها، ومن ثم يمكن ترتيب جداول الأعمال المناسبة لدعم اللغة العربية، ورسم الخطط الفاعلة لجعل العربية لغة مواكبة لمتغيرات العصر الحاضر، ومن أبرز ما يمكن أن يعد من أوجه التعاون الإيجابية تبادل زيارات الأساتذة بين الأقسام المختلفة، لتبادل الخبرات والمهارات والمعارف المختلفة.
- مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية؛ وذلك لأجل القيام بالتعريب ونحوه في هذا المجال.
- المجامع اللغوية، وفي مقدمتها ومجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية بالمملكة العربية السعودية.
- كراسي الأبحاث.
- الجمعيات العلمية اللغوية.

٢-إقامة جسور من التواصل مع رجال الأعمال:

إن إقامة جسور من التواصل مع رجال الأعمال خاصة، المحبين للغة العربية، والمناصرين لها، للحصول على الدعم المالي والمعنوي، لتمويل مشاريع نصرة اللغة

العربية، أمر في غاية الأهمية؛ وذلك لأن المال عنصر مهم جدًّا في نجاح أي مشروع، فالدعم المالي لدعم خطط النهوض باللغة العربية يسهم في تحقيق أهداف تلك الخطط بشكل حاسم، إضافة إلى الدعم المعنوي بالجاه، والنفوذ المعنوي عبر المجالات المختلفة لا يقل أهمية عن الدعم المادي، فهاتان الركيزتان من أبرز ما يجب أن يحرص على الحصول عليه العاملون لخدمة اللغة العربية، وإلا فإنّ أي جهد يبذل من دون تحقيق هذين العاملين الرئيسيّين سيظل جهدًا محدود النتائج، وهذا ما يبطئ وتيرة مواكبة اللغة العربية لمجريات العصر الحاضر.

٣ - ربط بعض الأبحاث العلمية في أقسام اللغة العربية بواقع المجتمع:

من العوامل الجوهرية التي تسهم في دعم اللغة العربية، وتؤثر تأثيرًا كبيرًا جدًّا في تعزيز مكانة اللغة العربية، وتعلي من شأنها، ربط بعض مسارات الأبحاث في أقسام اللغة العربية بواقع المجتمع، حيث ينبغي توجيه الأنظار لتلمس الجوانب التي يمكن جعلها مجالًا للدراسة والبحث، وهذه الجوانب بطبيعة الحال كثيرة جدا، سواء من حيث تناول قضايا تمس ذات اللغة مباشرة، أم من حيث تناول قضايا المنهج حول كيفية الارتقاء بالمستوى اللغوي لأبناء العربية وغيرهم، وكيفية تفعيل استعمال اللغة بوصفها لغة أصلية للعرب والمسلمين، مع التركيز على توضيح أنه لا يوجد تعارض بين إتقانها وتعلم بعض أبناء العربية لغةً أو لغات أخرى، بشرط ألّا تكون تلك اللغة أو اللغات مزاحمة للغة العربية الأم أو منافسة لها، وإنما يبين لأبناء العربية أن تعلم لغة غير العربية إنما هو من باب الحاجة، لا من باب الاستبدال، وإقصاء اللغة الأم.

٤ – الزيارات الميدانية:

ومما ينبغي لأقسام اللغة العربية العناية به –وفق الآليات المعهودة– الزيارات الميدانية للجهات والقطاعات المختلفة، التي تتسم بسمة التأثير على قطاع معين من أفراد المجتمع، وذلك لأجل شرح قضية اللغة العربية، والتعريف بها، وبيان مكانة اللغة العربية، وعلو شأنها، وتحبيبها لأبنائها، وبيان واجبهم تجاه لغتهم، من ناحية دينية، ووطنية، وحيوية، ومصيرية، وبيان الطرق والوسائل التي يمكن أن يسهم بها كل واحد من أبناء العربية في نصرة لغته، ورسم المنهج الملائم الذي يمكن لكل فرد–أو للراغبين على الأقل–أن يسلكه لكي يحسن من مستواه هو، أو المجال الذي يمكن يسهم من خلاله في دعم لغته اللغة العربية.

٥ – إقامة الدورات التدريبية:

لا ريب أن من أهم الوسائل التطبيقية التي تعمل على رفع المستوى اللغوي لأبناء العربية، وتعمل على جعلها مواكبة لمستوى التحديات التي تحيط بالعربية، وتؤدي إلى تقوية الجانب اللغوي من نواحيه المختلفة: إقامة الدورات التدريبية لأفراد المجتمع باختلاف شرائحهم، وهذه الدورات على قسمين:

القسم الأول:

قسم يُعنى بتعليم قواعد اللغة العربية، وتقوية هذا الجانب لدى الراغبين في ذلك، ويشمل هذه التعليم تعليم القواعد بأنواعها المختلفة: نحوية، وصرفية، ولغوية،

وإملائية، وجمالية، وغيرها، وذلك بالطرق المسهلة الميسرة، التي تناسب ذوق العصر الحاضر، وتتوافق مع وسائل التعلم الحديثة.

القسم الآخِر:

وهذا القسم يُعنى بجانب مهم جدًا من جوانب اللغة (اللغات) البشرية عامة، واللغة العربية خاصة، وهو جانب الارتقاء بالأسلوب التواصلي بشكل عام، حتى يتمكن الإنسان من تحقيق النجاح العام في حياته، وذلك أن من أهم جوانب النجاح أو الإخفاق في حياة الإنسان النجاح أو الإخفاق في الجانب اللغوي، فإن الإنسان عندما يرتقي أسلوبه التواصلي لمستويات جيدة من قوة التأثير في الآخرين، فإنه سيتمكن من تحصيل الأمور الحسنة التي يطمح إلى تحقيقها بسهولة، إذ إنه يتمكن من اكتساب صداقات كثيرة تفيده في مجرى حياته بشكل عام، كما أنه يتمكن من التعامل مع الآخرين – أيًّا كانوا – بأسلوب مهذب وراق ومؤثر، وهذا ما يحقق له مصالح كثيرة جدًا لا يمكن تحصيلها بالأسلوب الفطري المعتاد، وفي المقابل فإن صاحب هذا الأسلوب المثالي يتمكن من تفادي سلبيات كثيرة، عادة ما يقع فيها من لا يهتم بالارتقاء بالجانب اللغوي التواصلي بالصورة الكافية، وهذه السلبيات تؤثر على مسيرته العامة والخاصة في مجمل حياته، مع أنه بالإمكان تفادي كثير منها بالعناية بالارتقاء بالمستوى اللغوي بدرجة كافية[1].

---

(١) ينظر: سلطان اللغة، أ.د. محمد بن ناصر الشهري.

٦ – إقامة المسابقات الكبيرة:

إن من الأمور المسلم بها أن إقامة المسابقات الجماهيرية الكبيرة، الواسعة الانتشار، عبر وسائل الإعلام العامة، كالقنوات الفضائية، ووسائل التواصل الاجتماعي وغيرها يسهم بشكل فاعل في توجيه عناية المتلقين للبث الإعلامي إلى العناية باللغة العربية بشكل واسع، حيث إن هذه المسابقات إذا أحسن توظيفها أثمر ذلك ثمارًا ممتازة في العناية باللغة العربية: تعلمًا وقراءة، واطلاعًا، وفهمًا، وتحدثًا، وكتابة، وغير ذلك من صور العناية بالعربية، وهذه المسابقات يمكن أن تعطي النتائج المرجوة منها إذا توافر فيها أمور أساسية، ومنها:

أ – أن تصاغ وفق آلية تحقق الاستفادة الفعلية للمتسابق ذاته، بحيث يمكن تلافي وقوع التزوير –قدر الإمكان– بقيام أفراد أو مؤسسات ما بالإجابة عن المطلوب من المسابقة.

ب – أن يرصد لها جوائز قيمة، بأعداد كبيرة – بالآلاف – حتى تتاح الفرصة لأكبر عدد ممكن من المشاركة، وحتى تعطي الجمهور شعورًا بوجود فرص كثيرة، مما يزيد الإقبال على هذه المسابقات.

وهذا الأمران لا يمكن تحققهما بالصورة المرجوة إلا إن تضافر وجود الأمور المشار إليها آنفًا، وهي وجود الدعم المالي من خلال التواصل مع رجال

الأعمال، ووجود التنسيق والتعاون بين أقسام اللغة العربية في الجامعات من خلال رابطة معينة، حتى يمكن تبادل الخبرات في وضع تصور مناسب لهذه المسابقات، وكذلك وجود ترتيب معين لأجل تقويم هذه المسابقات، حيث يقدم للمشاركين في التقييم الدعم المالي والمعنوي مقابل مشاركتهم في إنجاح هذه المسابقات.

الفصل الثالث: الجهود الإبداعية

إن الحديث هنا عن الجهود الإبداعية كالحديث عن الجهود التطبيقية، وذلك من حيث إن التفريق بين هذا الفصل (الجهود الإبداعية) وما قبله من الصعوبة بمكان، وذلك لأن الجوانب النظرية والتطبيقية والإبداعية لا يمكن الحكم عليها بأنها يمكن أن تكون منفصلة مطلقًا، ولكنها قد يقترن بعضها مع بعض، وقد ينفصل بعضها عن بعض، وبناء على ذلك إنما أفرد هذا الفصل بحديث مستقل للتنويه بأهمية السعي إلى الإبداع بشكل مستمر، ولأن الأعمال الإبداعية ينبغي أن تفرد بحديث مستقل، وأن يشاد بها، وأن توجه إليها الهمم والعزائم، إذ تلك الجهود لها الأثر البالغ في نجاح العمل لنصرة اللغة العربية بشكل عام.

ومن الجهود الإبداعية التي يمكن لأقسام اللغة العربية احتضانها ورعايتها:

١ – إنشاء مراكز للأفكار الإبداعية:

إذ بإمكان هذه الأقسام إنشاء مراكز لإيجاد الأفكار الإبداعية، وتخصص هذه المراكز لاستقبال هذه الأفكار وجمعها، والعناية بها، والتشجيع على ابتكارها، ومن

ثم العمل على رعاية أصحاب تلك الأفكار، ودعمهم حسب الاستطاعة ماديًّا، وأما الدعم المعنوي فإنه متاح لهذه الأقسام، وبإمكان هذه الأقسام تقديم صور متعددة من الدعم المعنوي، هذا إن أخذ في الحسبان أن كثيرًا من هؤلاء المبدعين والمتعاونين بأفكارهم الإبداعية لا يريدون سوى الدعم المعنوي، والاحتفاء المناسب بهم وبأفكارهم التي يبدعونها، في المجالات المناسبة للاحتفاء بهم.

وعلى أية حال فإن أبرز ما يمكن أن تؤديه هذه المراكز يمكن إجماله فيما يأتي:

- احتضان المبدعين.
- تقديم الدعم المعنوي والمادي للمبدعين.
- تشخيص المشكلات، وابتكار الحلول.
- إيجاد البدائل لغير العربي.

٢ – إنشاء مراكز للإتقان اللغوي:

يظن كثير من الناس أن قضية إتقان اللغة ليس أمرًا ضروريًّا، وأن هذا لا يعني إلا المتخصصين أو الهاوين لدراسة اللغة وتعلمها، وأنه يمكنهم أن يسيروا في حياتهم بشكل طبعي جدًا دون الحاجة إلى الارتقاء بمستواهم اللغوي، سواء على مستوى اللغة الفصحى، أم على مستوى اللغة اليومية الدارجة، وهذا الظن بلا شك خطأ بالغ، فلقد لاحظ العلماء والأدباء العرب منذ القدم أهمية العناية باللغة، ووضعوا قواعد،

وإرشادات كثيرة تزخر بها كتب التراث [1] ترشد المتكلم إلى ما يجب عليه أن يراعيه حتى يكون كلامه على الصورة المثلى، التي تحقق له الغاية مما يريد، وتبعده عما يخشاه، مما يعلمه ومما لا يعلمه.

ثم جاءت بعد ذلك الدراسات الحديثة [2] لتؤكد هذا المفهوم لأهمية اللغة، وكونها من أبرز العوامل التي تحقق النجاح للإنسان في مجمل حياته، وتبتعد به عن مسالك التعثر والاضطراب، والاصطدام بالآخرين، وفي نهاية المطاف تكون من أبرز أسباب النجاح للأفراد والمؤسسات، بل والمجتمعات والدول.

وانطلاقًا من هذا كله فإن أقسام اللغة العربية مطالبة بالعمل على إنشاء هذه المراكز، وذلك بالتنسيق مع الجهات أو الأفراد الذين يمكن أن يدعموا إنشاء هذه المراكز، ووضع الأنظمة التي تحكمها، والدراسات التي تحتاجها، وإيجاد الطاقم الإداري الناجح الذي يمكنه أن يسير بهذه المراكز إلى المستويات المطلوبة، وتبعًا لذلك يصبح تقديم هذه البرامج من أبرز الوسائل التي ترتقي بالمستوى اللغوي لمرتادي هذه المراكز، وهذا ما سيوصل إلى ارتقاء مستوى الأداء للأفراد والمؤسسات، وهو ما سيشعر به كل منظم لهذه المراكز بشكل عاجل، وما سيدركه

---

(١) من ذلك -مثلا- البيان والتبيين للجاحظ ١/٧٥ - ٧٧، وأسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني ص ٢ -٦، ومقدمة ابن خلدون ص ٥٤٥ وما بعدها.

(٢) من ذلك -مثلًا- كتاب: اللغة في المجتمع، تأليف م. م. لويس، ترجمة د تمام حسان، ومراجعة د إبراهيم أنيس، وسلطان اللغة، أ.د محمد بن ناصر الشهري.

المجتمع على المدى القريب والبعيد، وهذا كله مما يعمل على إرساء القناعات مع مضي الزمن بأهمية شأن اللغة عامة، وأهمية شأن اللغة العربية بشكل أخص، وبهذا تكون أقسام اللغة العربية في الجامعات قد أسهمت إسهامًا فاعلًا في خدمة اللغة العربية، ونصرتها، وتمكينها، ببرامج عملية إبداعية، مبنية على أسس منهجية راسخة، ذات ثمار يانعة يدركها أبناء العربية بشكل معنوي، وصورة واقعية عملية مهنية محسوسة النتائج الحسنة، ملموسة الثمار الفعلية.

٣ – إعداد اللغويين المعاصرين:

والمقصود بهذا إعداد العلماء أو طلاب العلم –وفق آلية معينة– الذين ينذرون حياتهم لخدمة اللغة العربية، على غرار أسلافهم العظماء الذين نذروا أنفسهم، وحياتهم، وجهدهم، وأوقاتهم، وأموالهم، وراحتهم، بل ضحّوا بزهرة شبابهم وزينة الحياة الدنيا، وذلك في سبيل خدمة هذه اللغة الشريفة، جمعًا، ودراسة، وتقعيدًا، وتأليفًا، ومناظرة، ودفاعًا ونصرة، إلخ. ابتغاء للأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى، وحبًا لهذه اللغة الشريفة، وإيمانًا بكونها مكونًا أساسًا للأمة العربية والإسلامية، وقناعة بضرورة البذل والتضحية من الغايات العظيمة، وإدراكًا لأهمية التفرغ للأمر، لأجل إنجازه على أفضل وجه ممكن، فكان ما أرادوا، وما قصدوا، حيث وجد الأئمة الأعلام في النحو واللغة، الذين نذروا أنفسهم لهذا الأمر الجلل، فجاؤوا من ذلك بما لم يعلم له نظير لدى أمة من الأمم، سواء من حيث كثرة الأئمة الأعلام عبر العصور، أم من حيث كثرة المؤلفات التي لم يعرف لها مثيل في قديم أو حديث.

ولكن الأمر الذي يحسن لفت الأنظار إليه أن المقصود هنا من إعداد اللغويين المعاصرين إعداد نوع معين من هؤلاء المتخصصين الذين يقومون بالعمل الميداني، أفرادًا أو مجموعات، باذلين جهدهم، مستفرغين طاقتهم، في خدمة اللغة العربية خدمة عملية، وتشمل هذه الخدمة مجالات متعددة، ومنها:

أ – التواصل المباشر مع الجهات التي تعد مسؤولة عن بعض الجوانب اللغوية نحو: وزارة التجارة، ووزارة الثقافة، والإعلام، ووزارة الشؤون البلدية، لأن هذه الجهات تمنح تصاريح بأسماء لشركات ومؤسسات ونحوها، وهذه الأسماء قد تكون كلمات مفردة، أو مركبات إضافية، أو موصوف وصفته، أو مركبات جملية، أو نحو ذلك، وهذه الأسماء قد غلب على أكثرها التغريب اللغوي، فأصبحت ألفاظًا غير عربية، أو إذا كانت مركبًا إضافيًا فإحدى الكلمتين غير عربية نحو: الواحة بلازا – مثلًا – أو كلتاهما غير عربية، إما لفظًا ومعنى وكتابة، وإما لفظًا ومعنى بحروف عربية، ونحو هذه الصور، ثم تكون هذه الأسماء هي الظاهرة أمام العيان في اللوحات التجارية المرفوعة على المحلات التجارية، والشركات والمؤسسات، مما يؤدي إلى إلف الناس لهذه العجمة والتغريب، وبخاصة الأجيال الصغيرة الناشئة، فيصبحون ناشئين عليها، آلفين لها، متعودين عليها، غير منكرين لها، ثم يصعب تصحيحها، وتحويلهم عنها، وهنا تقع الكارثة اللغوية، وهي تحول اللسان شيئًا فشيئًا إلى العجمة والتغريب، وضعف العربية شيئًا فشيئًا في النفوس، وفي الذوق اللغوي، وفي الواقع

الفعلي، وهذا ما لا يريده كل غيور على اللغة الشريفة المصطفاة، اصطفاها الله سبحانه وتعالى.

ب - التواصل المباشر بوسائل التواصل المختلفة، أو الزيارات الميدانية لبعض الشركات والمصانع التي يوجد بمنتجاتها كلمات أو مركبات أو عبارات غير صحيحة لغويًّا، من نحو: (١ ريال، ٢ ريال، خالي من...، اشتري واحدة والثانية...إلخ.) إلى غير ذلك من الأخطاء التي تُرسخ بهذه المنتجات الاستهلاكية، وبخاصة إذا عرضت هذه الأخطاء في الدعاية الإعلامية صورةً على النشرات الثابتة وغير الثابتة، والملصقات، أو ما هو أشد صورة وصوتًا، وذلك عبر البث التلفزيوني الأرضي أو الفضائي، أو صوتًا عبر البث الإذاعي، وهو لا يقل تأثيرًا سلبيًا عن البث التلفزيوني، أو بوسائل التواصل الاجتماعي التي صار أثرها يفوق ما ذكر قبلها من وسائل الإعلام.

ج- بذل الجهود الميدانية العملية الهادفة إلى إصلاح أخطاء لغوية في مجال معين: في دائرة حكومية، مؤسسة، أو هيئة، أو مصلحة، أو ناحية، أو منطقة، أو قطاع ما، أو تعريب تلك القطاعات، أو غير ذلك من الجهود التي يمكن أن تسهم في إصلاح خلل، أو تعريب عجمة، أو ترتقي بوضع لغوي ما إلى درجات أعلى وأفضل وأحسن.

وبناء على ذلك لابد من إعداد أولئك اللغويين المبرزين لخدمة اللغة العربية، والتواصل المستمر مع تلك الجهات لشرح القضية، وتوضيح الحقيقة، وإشعار المسئولين بواجبهم الديني والوطني، والتاريخي، والعالمي، حتى يحصلوا على

الدعم الممكن من تلك الجهات، لأجل تصحيح الخطأ، والابتعاد عن العجمة، وإعادة الصدارة للغة العربية، وتمكين استعمالها، وتوجيه أبناء العربية إلى ذلك.

ولا شك أن من أبرز الجوانب – التي يمكن توظيفها نظريًا وميدانيًّا–التي تحث أبناء عصرنا على احترام اللغة العربية، وإدراك فضل استعمالها، وعدم مزاحمتها بغيرها من اللغات، جانب الدين، الدين الذي هو رأس مال المسلم، وكذلك كلام العلماء الشرعيين الراسخين في العلم، لأنه يلقى قبولًا حسنًا لدى عامة المسلمين، ولا يكاد يشذ عن ذلك إلا القليل.

فمن ذلك: الكلام النفيس لفضيلة الإمام العلامة محمد بن عثيمين – رحمه الله – حين سُئل هذا السؤال: فضيلة الشيخ، نجد أن بعض الناس ربما يتخاطب مع غيره من الشباب وغيرهم باللغة الإنجليزية، أو ببعض مفرداتها. وهل يفرق [في] هذا بين من كان في مجال عمل كما أننا نحن مثلًا في المستشفى نتخاطب غالبًا ولو كان الأمر لا يحتاج للكلام، ولكننا تعودنا ذلك بمقتضى مخالطتنا لهم، فهل في هذا بأس؟ وإذا تكلم الإنسان بكلمة من غير العربية فهل يأثم بذلك؟

فقال فضيلته: "الكلام باللغة غير العربية _ أحيانًا – لا بأس به، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لامرأة صغيرة – طفلة صغيرة جارية – قدمت من الحبشة فرآها–

وعليها ثوب جميل – فقال: "هذا سَنَا، هذا سَنَا" [1] يعني: هذا حسَن، كلمها باللغة الحبشية لأنها جاءت قريبًا من الحبشة.

فخطاب من لا يعرف العربية أحيانًا باللغة التي يفهمها هو لا بأس به، ما فيه إشكال، لكن كوننا نحن يأتينا هؤلاء القوم لا يعلمون اللغة العربية، ثم نتعجّم نحن قبل أن يتعربوا هم، يعني الآن مثلًا تجد بعض الناس إذا خاطب إنسانًا غير عربي إذا قال – بدل ما يقول: ما أعرف – يقول: ما في معلوم. لماذا؟ لماذا يقول: ما في معلوم؟ لأجل أن يعرف هو اللغة الصحيحة، ويقول بدل ما في معلوم: لا أعرف، لكن مع الأسف الآن نخشى على أنفسنا أن نكون أعاجم"[2].

الخـــاتمـــة

وهكذا تبين في هذه المقالة أن أقسام اللغة العربية مطالبة ببذل جهود كبيرة ومحددة تجاه المجتمع، وذلك لكي يبدأ النهوض بالواقع اللغوي للغة العربية، ولأجل الارتقاء بالمستوى اللغوي لأبناء العربية؛ لأن المخاطر التي تهدد العربية وأهلها كثيرة وكثيرة، فهذه الأقسام بمقدورها بذل جهود مدروسة، وخطط يرتب لها بعناية، فإنه لا بد من بذل الجهود الكبيرة المتواصلة، والخطط المدروسة المحكمة، في عالم لا تستقيم أموره إلا بذلك البذل والإتقان، والتضحية والعمل الدؤوب، حتى يتحقق ما نطمح إليه من سيادة اللغة العربية، ودفع المخاطر التي تهددها، لكي تبقى

---

(١) أخرجه البخاري، رقم (٥٨٢٣، ٥٨٤٥) كتاب اللباس.

(٢) فتاوى للمدرسين والطلاب، للشيخين عبد العزيز بن باز، ومحمد بن عثيمين ص ٣١ –٣٢.

حية غضة طرية، تعبر عن كتاب الله سبحانه وتعالى، وتنطق بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتزين اللسان العربي بروائع البيان، وتصل أواصر الترابط بين أقطار العالم العربي والإسلامي، في وحدة متناغمة، لسانها اللغة العربية الشريفة اللطيفة بإذن الله سبحانه وتعالى.

المصادر والمراجع

أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني، نشر المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، نشر مؤسسة الريان، بيروت.

-**البيان والتبيين**، للجاحظ، تحقيق/ عبد السلام هارون، مكتبة الرياض الحديثة (بدون طبعة وتاريخ).

-**التربية الإعلامية: كيف نتعامل معها**، تأليف/ فهد بن عبد الرحمن الشميمري، ط ١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م (بدون دار نشر).

-**دور المسجد في التربية**، تأليف/ د عبد الله أحمد قادري، نشر دار المجتمع، جدة، ١٤٠٧هـ.

-**سلطان اللغة**، أ.د محمد بن ناصر الشهري، مدار الوطن للنشر، ط١، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.

-**صحيح البخاري**، تحقيق/ د مصطفى البغا، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥ م.

-**صحيفة الشرق الأوسط**، الأربعاء ١١/ ٣/ ١٤٣١ هـ العدد ١١٤١١.

-**صحيفة عكاظ**، الأحد ٢/ ١١/ ١٤٣١ هـ، العدد ٣٤٠٢.

-**فتاوى المدرسين والطلاب**، للشيخين عبد العزيز بن باز، ومحمد بن عثيمين، إعداد دار ابن خزيمة، ط ١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧ م.

-**اللغة في المجتمع**، تأليف م. م. لويس، ترجمة د تمام حسان، ومراجعة د إبراهيم أنيس، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩ م.

-**مجلة "رسالة المسجد"** التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي، العدد السادس، السنة السادسة، ١٤٠٣هـ.

-**مسؤولية إمام المسجد**، تأليف/ د علي بن حسن الألمعي، ط ١، نشر مؤسسة أبها الحديثة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

-**المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي**، تأليف/ د علي عبد الحليم محمود.

-**المقدمة**، لابن خلدون، دار القلم، بيروت، ط ١١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢ م.

التحولات التركيبية مع (لَمّا) في السياق

دراسة نحوية

د. هدى بنت سليمان بن سعد السراء
الأستاذ المشارك في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

الملخص

توزعت معاني (لَمّا) بين الحرفية والاسمية فجاءت نافية، وشرطيّة، وظرفيّة، واستثنائيّة، من حيث معناها، وجاءت عاملة جازمة، ومهملة غير عاملة من حيث وظيفتها، واختلف في شكلها بين التركيب والبساطة طلبًا لتشاكل المعنى مع السياق والتركيب، لذا كان الهدف من هذه الدراسة الوقوف مع التحولات التركيبية التي صاحبت (لَمَّا) في مقامات الكلام المختلفة التي دعت إليها السياقات التي وقعت فيها مؤدية معاني من النفي، والاستثناء، والظرفية تبعًا للتراكيب التي وردت فيها، لبيان ما يحدثه السياق والمعنى المراد منها من تحولات في التركيب والدلالة.

وقد رصدت الدراسة عددًا من الشواهد التي تمثل وجهًا من وجوه المعاني التي خرجت إليها (لَمَّا) في نماذج ممثلة من القرآن الكريم، وبعض الشواهد، والأمثلة العربية، وتحليلها للوصول إلى التحليل العلمي الذي يحقق هدف هذه الدراسة، بالكشف عما اتفق النحاة عليه من أوجه في دلالات (لما) التي خرجت إليها في التراكيب، والوقوف مع ما اختلفوا فيه منها لبيان العلة والسبب وتوضيح الراجح منها اعتمادا على قرينة السياق والمعنى المقصود في الشواهد والأمثلة.

المقدمة

الحمد لله بجميل محامده حمدًا يوافي النعم، ويكافئ المزيد، أحمده ربي، وأستعينه، وأستغفره، وأصلي وأسلم على خير من نطق بالضاد نبينا محمد عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلامًا دائمين إلى يوم المعاد؛ أما بعد:

فإن قواعد النحو العربي ترسم الصورة المثالية للجملة العربية في بنيتها اللغوية العميقة، ليبني المتكلم العربي عباراته في شكلها الواقعي المسموع، أو المكتوب، أو المقروء متوخيًا تلك الصورة الافتراضية مؤلفًا بين علاقاتها لتتحقق البنية اللغوية السطحية التي قد لا تتطابق مع العميقة كل التطابق طلبًا لتميز في أداء معنى يقصده المتكلم، فتكون تلك المخالفة بالتقديم والتأخير حينا، وبالحذف حينا آخر، وبالمغايرة في شكل التراكيب في صور متعددة لتظهر تلك البنى الرائدة في التحول متضمنة ثراء دلاليًا يتجاوز حدود الصورة المثالية النمطية.

إن تلك التحولات التركيبية في سياقات الكلام المتنوعة تولد المعاني المختلفة، وتظهر الحروف والأدوات في هذه السياقات ذات أثر في إبراز قيمة القول الدلالية؛ فالمعنى الذي أراده المتكلم متأثرًا بالسياق هو الذي منح القاعدة النحوية مساحة من التلون والتغير اتكاء على هذه الأداة[١].

---

(١) ينظر: التحولات التركيبية المصاحبة لـ(ما):٩٣

وفي موروثنا العربي لفتات سياقية، ومعان فريدة استعملت فيها أدوات بعينها هي مساحة خصبة لرصد تلك البنى، وتحديد النظام الذي يحكم حركتها الداخلية، ويكشف عن فاعليتها في إنتاج المعنى،(١) ومن تلك الأدوات التي ظهرت في بنى العربية متنقلة في معناها ووظيفتها (لَمَّا)؛ فهي أداة تختلف في سياقات البنية التركيبية، وما يلزم تضامه معها لتخرج في الدلالة المرادة حسب ما يقتضيه واقع الحال، ومقام الكلام، وقصد المتكلم.

والسياق من أهم القرائن في تخليص الخطاب، ورفعه من التعدد والاحتمال إلى القطع واليقين، وهو الذي يساعد على تحديد وظائف البنيات اللغوية، إذ يصرف السياقُ الأداة من الحرفية إلى الاسمية، ثم يلزمها في التركيب صورة أخرى تتضام فيها مع الاسم حينًا، ومع الفعل حينًا آخر ليكون التركيب هو المؤدي للمعنى رغم وحدة الأداة المستعملة في الكلام(٢).

وقد قصدت في هذه الدراسة الوقوف مع التحولات التركيبية مع (لَمَّا) في مقامات الكلام المختلفة التي دعت إليها السياقات التي وقعت فيها مؤدية معاني تختلف في سياق عن سياق آخر، وبيان ما يحدثه المعنى المراد منها من تحولات في التركيب والدلالة؛ إذ لم أقف على دراسة سابقة حول التحولات التركيبية في السياقات اللغوية مع (لما) -فيما وقفت عليه- سوى دراسة أنواع (لَمَّا) ومعانيها في القرآن الكريم في

(١) ينظر: أثر السياق في النظام النحوي: ٥٣-٥٦

(٢) ينظر: التوجيه السياقي للدلالة الاحتمالية في الخطاب القرآني: ١١١

ضوء تفسير الكشاف للزمخشري لنزار عطا الله أحمد صالح حيث كان معتمد عرضه لأنواعها من وجهة نظر الزمخشري.

وقد اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي القائم على رصد ما يمثل وجها من وجوه المعاني التي خرجت إليها (لَمَّا) في نماذج ممثلة من القرآن الكريم، وبعض الشواهد والأمثلة العربية، وتحليلها، معتمدة على المصادر الأصيلة من كتب النحو في معاني الحروف، وكتب إعراب القرآن الكريم، والدراسات الحديثة التي تناولت موضوع السياق والأدوات النحوية؛ التي تمهد في معلوماتها للوصول إلى التحليل العلمي الذي يحقق هدف هذه الدراسة.

وقد استعرضت الموضوع في مقدمة ومبحثين؛ تضمنت المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره، والهدف منه، ومنهج البحث فيه وخطته، أما المبحث الأول فهو بعنوان؛ السياق والتركيب والأداة متضمنًا ثلاثة مطالب، يليه المبحث الثاني بعنوان؛ التحولات التركيبية مع (لما)، وفيه أربعة مطالب، تتلوه النتائج والتوصية، ثم ثبت المصادر والمراجع سائلة الله تعالى فيه القبول والإخلاص.

المبحث الأول: السياق والتركيب والأداة:

المطلب الأول: السياق:

"السياق هو أحد المباحث التي اهتم بها الدارسون في القديم والحديث، فهو أحد القرائن الكبرى التي تكشف عن أغراض ومقاصد المتكلم"[١]، ويأتي السياق في معناه اللغوي مرتبطًا بوضوح مع المعنى الاصطلاحي؛ إذ يقول ابن فارس: "السين والواو والقاف أصل يدل على حدو الشيء"[٢] والحدو، والسوق يتضمن معنى توجيه الشيء ليتتابع؛ فيقال: ساق الإبل، وغيرها يسوقها سوقًا وسياقًا، ... وقد انساقت، وتساوقت الإبل تساوقًا إذا تتابعت"[٣].

والسياق في الاصطلاح: هو المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة سواء كلمة كانت، أم جملة في إطار من العناصر اللغوية، وغير اللغوية التي تحيط بهذا الخطاب فتوضح معناه، وتوجهه، وفي هذا الإطار فإن الكلمات لا يكتمل معناها إلا بالكلمة التي قبلها والتي بعدها، متأثرة بالبيئة غير اللغوية المحيطة[٤]، وتوضح ذلك مقولة دي سوسير: "والكلمة إذا وقعت في سياق مّا لا تكتسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق لها ولما هو لاحق بها أو لكليهما معًا"[٥].

وعلى هذا التعريف يمكن تقسيم السياق إلى نوعين؛ هما:

(١) التوجيه السياقي للدلالة الاحتمالية في الخطاب القرآني: ١١٠

(٢) مقاييس اللغة: ١١٧/٣

(٣) لسان العرب ١٠/ ١٦٦(سوق)

(٤) ينظر قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي: ٣٣، السياق في فكر سيبويه:٤

(٥) التوجيه السياقي ١١٤

١-السياق اللغوي أو سياق النص، ويتمثل في الأصوات، والكلمات، والجمل كما تتتابع في حدث كلامي معين، أو نص لغوي، وتتفاعل فيه العناصر الصرفية، والنحوية، التركيبية، والدلالية، والمعجمية لإنتاج الدلالات التي تضمنها التركيب[١].

٢-السياق غير اللغوي ويسمى سياق الحال، أو سياق المقام، وهو البيئة المحيطة بالكلام من "عناصر غير لغوية ذات دخل كبير في تحديد المعنى، ويمثله العالم الخارجي عن اللغة بما له من صلة بالحدث اللغوي والنص، ويتمثل في الظروف الاجتماعية والنفسية والثقافية للمتكلم والمشتركين في الكلام أيضا."[٢]، وقد يكون هذا السياق لحظيًا عابرًا، وقد يكون ذا ديمومة مثل ما يتعلق بالعقائد، أو بالعرف والعادات الاجتماعية والتقاليد[٣].

المطلب الثاني: التركيب:

أما التركيب: فمعناه في اللغة الجمع، وعرفًا هو مرادف التأليف[٤]وفي المعاجم يقال: ركَّبَ الشيء بمعنى وضع بعضه على بعض[٥]، و"المركب: ... مجموع الأشياء

---

(١) ينظر: السياق في فكر سيبويه: ٤، السياق وتوجيه دلالة النص: ٢٤

(٢) قرينة السياق: ٣٤، وينظر السياق في فكر سيبويه: ٤، السياق وتوجيه دلالة النص: ٢٤

(٣) ينظر: قرينة السياق: ٣٤، المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٢٩

(٤) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون: ٢/ ١٨٤

(٥) ينظر: المحكم ٧/ ١٥، لسان العرب ١/ ٤٣٢ (ركب)

المتعددة"(١)، والمركب إما أن يكون تامًّا، ويسمى كلامًا، وهو ما يفيد(٢)، وعليه يكون التركيب النحوي: هو تلك المفردات المؤتلفة، والمنتظمة "في رصف الجملة بكل عناصرها ابتداء من الحرف وضبطه ومرورًا بالكلمة وهيئتها، وانتهاء بأخذها الموقع المناسب في تركيب الجملة"(٣) ولا يتحقق الكشف عمّا بين أفراد التركيب والدلالة، إلا بالسياق، وعلى إثره يكون ضبط التركيب بالحذف والزيادة والتعيين. فالعلاقة بين السياق والتركيب علاقة تلازم وتبادل(٤) ، لذا أشار بعض الباحثين إلى أن أي سلسلة لغوية لا يمكن أن تُحلَّل دون النظر إلى السياق وتفصيلاته في التحليل(٥)؛ إذ "السياق والعناصر الخارجة عن الإطار التركيبي للغة يساعدان على تحديد وظائف البنيات اللغوية"(٦) فيحدد السياق معنى الأداة المناسبة في تركيب مّا ويستبعد أداة أخرى، وإن وجدت المشابهة في الوظيفة أو المعنى، ويعمل كلمة ويهمل أخرى، وله دوره في تحديد دلالة الكلمة وموقعها الإعرابي مرتبطًا بقصد المتكلم، فـ(أو) التي تأتي لمعانٍ عدة منها التقسيم والتخيير والإباحة والإبهام والشك لا يمكن تحديد المعنى المراد

(١) كشاف اصطلاحات الفنون: ١٨٤/٢

(٢) ينظر: السابق ٢/ ١٨٦

(٣) السياق في فكر سيبويه وعلاقته بالمكون التركيبي: ١٣

(٤) ينظر: السابق نفسه، التحولات التركيبية: ٩٤

(٥) ينظر: دور السياق في نظرية النحو العربي: ٢٠٨٠

(٦) المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير: ١٣٠

منها في سياق مّا بلفظةٍ (أو) مجردة من قرائن الحال بل يحدد معناها رجوعًا إلى السياق[١]؛ إذ هو الذي يمنحها معنى واحدًا من بين كل معانيها المتعددة.

ويشير الباحثون إلى أن الأوائل من العلماء لم يغب عن أذهانهم أهمية السياق وأثره في المعنى والتركيب؛ ففي الدراسات الحديثة ما يظهر وعي سيبويه بأهمية السياق بأنواعه المختلفة اللغوي والديني والاجتماعي، ويظهر ذلك جليًّا في تقسيماته في تحليل التراكيب، أو في حكمه عليها بالحسن أو القبح.[٢] إذ "قد يكون التركيب صحيحًا على المستوى النحوي الوظيفي؛ لكنه مرفوض من حيث الدلالة والعرف الاجتماعي"[٣]، وما "نجده حسنا، وفصيحا في سياق تواصلي معين يكون مرفوضًا ومحالا في سياق آخر"[٤].

المطلب الثالث: الأداة:

والأداة في اللغة هي الآلة ؛ قال ابن منظور: "إداوة الشيء وأدواته آلته، ولكل ذي حرفة أداة، وهي آلته التي تقيم حرفته"[٥]، فهذا النص المعجمي يشير إلى أن الأداة هي آلة كل حرفة، والكلمات هي حرفة الكتابة فالأدوات تساوي الكلمات[٦]، وفي

(١) ينظر الخلاف النحوي في الأدوات: ٢٩٦.

(٢) ينظر السياق في فكر سيبويه وعلاقته بالمكون التركيبي: ٦- ١٢.

(٣) السياق في فكر سيبويه: ٢١.

(٤) السابق نفسه

(٥) لسان العرب: ١٤/ ٢٥.

(٦) ينظر: الخلاف النحوي في الأدوات:٨.

الاصطلاح عند التهانوي تضيق مساحة دلالة الأداة إلى أنها الحرف المقابل للاسم والفعل، ويقول السيوطي: "وأعني بالأدوات الحروف وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف"(١)، فالكلمات بجميع أقسامها عند السيوطي تساوي الأدوات عند ترددها بين النوعين، وفي هذا التعريف عموم يشير إلى أن الأداة هي تلك الكلمة التي لم يحكم عليها بنوع واحد في قسم من هذه الأقسام، بل ترددت بين أنواع الكلم في استعمالاتها اللغوية في سياقاتها المختلفة، لذا فإن مصطلح الأداة لم يحظ بالحد الجامع المانع لهذا التعدد الوظيفي لبعض مباني الكلمات، ولعدم وضوح المصطلح عند الأوائل إلى أن بدا يتبين شيئًا فشيئًا(٢) فهو يستعمل دالًّا على بعض الكلمات التي حظيت بحظ من الحرفية وحظ من الاسمية، فيتشارك الحرف مع الاسم معناه، ويؤدي وظيفته في البنى التركيبية المختلفة، وهذا يدل على تعدد في المعنى الوظيفي للمبنى الواحد متفقًا مع تلك العلاقات السياقية التي تربط أجزاء الكلام بعضه ببعض، وهذا الاحتمال والتعدد من الظواهر النحوية البينة التي بدت ظاهرة، حتى حاول بعض العلماء طرح حد يضبط هذا التردد، فرأى المالقي أن: "ما حَلَّ من الألفاظ المشكلة في الحرفية والاسمية محل الاسم حُكم عليه بالاسمية إلا إن قام دليل على حرفيته"(٣) ومع أن المالقي كان يجد بعض الأدوات تتردد فوضع هذا المعيار لضبط ترددها لم يقل باسمية (لَمَّا) وعدها حرفًا، متابعًا في ذلك سيبويه.

(١) الإتقان في علوم القرآن: ٢/ ١٦٦.

(٢) ينظر: الخلاف النحوي في الأدوات: ٨- ٢٠.

(٣) رصف المباني للمالقي: ٢٥٣.

وتقرر الدراسات الحديثة أن الأداة وسيلة تعبير عن العلاقات الداخلية بين أجزاء الجملة، وهي بهذا تقترب من معنى الأداة لدى الأوائل الذين تنبهوا إلى وجود ذلك التردد في بعض الكلمات، وكانوا على دراية بهذه الإشكالية التي تحكمها القرائن السياقية معتمدة على المعنى، فتتداخل أدوار الكلمات ووظائفها ليظهر مصطلح الأداة الذي يشمل حروف المعاني وترددها بين الحرفية وأقسام الكلمة الأخرى [١].

المبحث الثاني: التحولات التركيبية مع (لمَّا):

لما كان التحول التركيبي يتضمن تحولًا دلاليًّا يعرف بمعرفة ترتيب مفردات السياق وتفاعلها بصيغها وحركة إعراب ما هو معرب منها ليظهر معنى الأداة التي تعطي السياق معناه وتأخذ معناها منه باعتبارها جزءًا من التركيب[٢] كان من المتعين الوقوف مع (لمَّا) في الكلام العربي من الشواهد لتحديد تلك التحولات التي كانت فيها تبعًا لسياقها الذي وردت فيه ، فقد توزعت معانيها بين الحرفية والاسمية فجاءت نافية، وشرطية، وظرفية، واستثنائية من حيث معناها، وجاءت عاملة جازمة، ومهملة غير عاملة من حيث وظيفتها، واختلف في شكلها بين التركيب والبساطة طلبًا لتشاكل المعنى مع السياق والتركيب[٣].

---

(١) ينظر: الخلاف النحوي في الأدوات: ٢٠.

(٢) ينظر: التحولات التركيبية: ٩٤.

(٣) ينظر: الأزهية في علم الحروف: ١٩٧- ١٩٩، جواهر الأدب ٤٢٣-٤٢٥، الجنى الداني ٥٩٢- ٥٩٧، مغني اللبيب: ١/ ٣٠٧- ٣١٢.

المطلب الأول: لمَّا الحرفية:

وهي حرف رباعي مجمع على حرفيته عندما تقع جازمة للفعل المضارع، نافية تقلب المضارع إلى معنى المضي، مشابهة في هذا العمل (لم) الجازمة، إلا أنها تفترق عنها باستمرار النفي مع توقع حدوثه، وهي كثيرة في كتاب الله تعالى، ومثاله قوله عز وجل: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [١٤-سورة الحجرات] ففي هذا السياق الحواري يبين الله تعالى للأعراب أن الإيمان ليس مجرد التزام بالأعمال والأقوال المشروعة، ولكنه أعمق من هذا، ففي بداية التصديق بالله ورسوله تبقى مدة زمنية حتى يتمكن الإيمان، وقد جاء استعمال (لمَّا) في هذا السياق دلالة على توقع دخول الإيمان في قلوبهم، "فيكون المعنى ولما يدخل بعد ويتوقع دخوله"[(١)]، وتتميز (لمَّا) بأنها آكد في قلب المضارع إلى الماضي من (لم)، فيكون المعنى: ما دخل الإيمان القلوب بعد، مفيدة بطول مدة استمرار النفي إلى حين الإخبار[(٢)] إذ يستمر النفي بها لازدياد معناها بزيادة في مبناها بالميم والألف (ما) عن (لم)[(٣)]، وجاءت (لَمَّا) في تراكيب عملها جازمة مع ميزة في الاستعمال بجواز حذف مجزومها؛ لوضوح معناه في تلك السياقات، وقد ثبت حذفه في كلام العرب، قال الشاعر:

---

(١) الفريد: ٤/ ٣٤٢.

(٢) ينظر: الكناش ٢٢.

(٣) ينظر: الكناش: ٢٢.

فجئت قبورهم بدأً ولمَّا فناديت القبور فلم يجبنه[(١)]

فالمعنى الذي قصده الشاعر عند وقوفه على القبور مخاطبًا مَنْ فيها، أنه لم يكن سيدًا بعد لمّا كانوا أحياء، ولكنه في اللحظة التي ناداهم فيها كان قد وصل إلى السيادة، فالفعل المجزوم بـ(لمّا)، وتقديره: ولمّا أكن سيدًا، محذوف لوضوح معناه من السياق.

وتأتي (لمّا) حرفية دون خلاف على حرفيتها بمعنى (إلّا) دالة على الاستثناء، وهي قليلة الدور في كلام العرب؛ فقد حكى اللغويون[(٢)]: ومثلوا: فلم أر من القوم لَمَّا زيدًا، بمعنى: إلا زيدًا، وقال أبو حيان: "وكون (لَمَّا) بمعنى (إلا) نقله الخليل وسيبويه والكسائي، وكون العرب خصصت مجيئها ببعض التراكيب لا يقدح، ولا يلزم اطرادها في باب الاستثناء، فكم من شيء خص بتركيب دون ما أشبهه"[(٣)] وجاءت قراءة ابن مسعود[(٤)] لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ١٦٤﴾ [١٦٤-سورة الصافات] بإبدال (إلا) بـ(لَمَّا)؛ فقرأ ﴿وإنْ مِنَّا لَمَّا له مقام معلوم﴾ فهذا نص على أن (لَمَّا) بمعنى (إلا)، ويشترط لاستقامة تقديرها بـ(إلا) أن تكون في سياق قسم، أو نفي دون قسم، وتليها الأسماء والأفعال، ويكون الماضي مستقبل المعنى؛ فمن مجيئها للقسم قول عمر بن

---

(١) لم ينسب إلى قائل في مغني اللبيب ٣٠٩.

(٢) ينظر: رصف المباني ٣٥٣، الجنى الداني ٥٩٤.

(٣) البحر المحيط: ٥/ ٢٦٨.

(٤) ينظر: رصف المباني ٣٥٣.

الخطاب لأبي موسى الأشعري عندما لحن كاتب له: "عزمت عليك لَمَّا ضربت كاتبك سوطًا"(١)، وقوله: "عزمت عليك هو من قسم الملوك كانوا يعظمون عزائم الأمر"(٢) ونشدتك الله لما فعلت كذا، وفي القسم عند الطلب قوة دلالة ترتقي عن مجرد النفي الذي يقترن بالخبر، والمستحلف عليه بعد القسم مُصَدَّر بـ(إلا) أو (لمَّا) بمعنى الاستثناء(٣)، ولم تُذْكَر (لمَّا) في أدوات الاستثناء التي تقوم مقام (إلا)، ولكنها اكتسبت هذا المعنى من السياق في هذه التراكيب، وهذا من الدلالات الضمنية التي ينتجها السياق.

ومن مجيئها بعد النفي الخالي من القسم ما ورد في كتاب الله تعالى في قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بتخفيف (إنْ) نافية، ورفع (كلٌ)، وتشديد (لمَّا)(٤) في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ [٣٢-سورة يس]، وفي قراءة عاصم وحمزة(٥) على الوجه السابق في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٣٥-سورة الزخرف]، وكذلك قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة(٦) في قوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ [٤-سورة الطارق]، فهذه الآيات على القراءة الواردة فيها تمثل المستوى الصوتي من مستويات السياق الذي له

(١) شرح الكافية: ٣/ ١٦٤٥، شرح المفصل ٢/ ٩٤.

(٢) شرح المفصل ٩٤/٢.

(٣) ينظر: شرح الكافية الشافية ٢/ ٨٦٩.

(٤) ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة: ٥٩٧.

(٥) ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة: ٦٤٩.

(٦) ينظر: السابق: ٧٥٨.

فاعلية في الكشف عن المعنى المراد، وتحديد نوع الأداة، وذلك بضميمة مكون التركيب اللغوي؛ فلتحديد نوع (لَمَّا) لا بدّ من النظر إلى الأداة (إن) التي تحتمل أن تكون للنفي، أو تكون المخففة من الثقيلة المراد بها التوكيد، ولتوجيه التركيب الوجهة الصحيحة نحوًا ومعنًى ينظر إلى ما يحتمله اللفظ من اعتبارات بضميمة المعنى المراد، وإعراب الكلمات في هذا السياق القرآني ، فيقوي هنا اعتبار (إن) في هذا السياق نافية بمعنى (ما) وليست هي النافية الجازمة بمعنى (لم)؛ إذ يختل السياق بتقدير الفعل بعدها، كما في قول المالقي: "وأما قوله تعالى: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٣٢﴾ [٣٢-سورة يس]، فلا يصح تقدير (يكون) لـ(لَمَّا) لبقائها بلا خبر، ويختل السياق، وإنما يصح تقدير (لَمَّا) بمعنى (إلا)"[1]، ولا يقوى هنا اعتبار (إن) مخففة من الثقيلة لعدم وجود ما يقويها في التركيب مثل وجود لام في الخبر، وعليه جاء تخريج هذه الآيات القرآنية على أن(لمَّا) وقعت فيها بمعنى (إلا)؛ وذلك على قراءة من شَدَّدَ الميم في جميعها، وخَفَّفَ إِنْ، وتقدير (إِنْ) مخففة من الثقيلة يخرجها من باب الاستثنائية إلى باب الجازمة التي حذف الفعل بعدها، وقراءة (لمَّا) مخففة تخرج عن الباب الذي نتحدث عنه، ويظهر لنا من نصّ المالقي اعتماده على السياق لدعم ما يقرره في بيان نوع (لَمَّا) في جيع مستوياته.

---

(١) رصف المباني ٣٥٢.

وما سبق يثبت أهمية السياق بعناصره المختلفة في رفع الاحتمالات الممكنة[١]، والإبقاء على معنى واحد للأداة ينسجم مع المراد، فتحديد نوع الأداة في هذه السياقات القرآنية مرتبط بصحة المعنى الذي أشار إليه المفسرون بالإضافة إلى مكونات التركيب؛ فأداة الجزم مع إفادة معنى النفي واستمراره وتوقع الحدوث لا تكون إلا بضميمة الفعل المضارع تاليا لـ(لمَّا)، فإذا تحول التركيب إلى سياق نفي بأداة من أدواته تحول المعنى الدلالي لـ(لمَّا) وأصبحت أداة غير عاملة تفيد الاستثناء كـ(إلا)، ولذا كان الاحتكام إلى السياق منبئًا عن معنى الأداة وتحولها في التركيب من نوع إلى نوع[٢]، فهذه الدلالة تأتي ضمنية تجنى من موقعها في السياق بتفاعل عناصر التركيب السابقة واللاحقة أو كليهما معًا.

المطلب الثاني: لمّا الاسمية:

وهذا النوع يمنحه السياق لـ(لمَّا) في جو تركيب معين إذا دلت على مجرد الوقت كما في قول الراجز:[٣]

إني لأرجو محرزًا أن ينفعا   إيّاي لما صرت شيخًا قلعا

(١) ينظر:التوجيه السياقي ١١٧.

(٢) ينظر: السياق في فكر سيبويه وعلاقته بالمكون التركيبي: ص ١٨.

(٣) البيت مذكور دون نسبة في شرح التسهيل لابن مالك: ٤/ ١٠٢ ٤شرح الكافية الشافية ٣/ ١٦٤٤، لسان العرب ٢٩١/٨ (قلع).

فـ(لما) في هذا السياق أفادت الظرفية الزمانية فأشبهت (حين)، وهذا هو الأقل فيها، وقد جاءت في كتاب الله تعالى مقرونة بالفاء حينا؛ كما في: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧﴾ [١٧-سورة البقرة]، ومقرونة بالواو حينًا آخر؛ في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾ [٢٥٠-سورة البقرة]، وتأتي بدونهما: ومنها قوله تعالى: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥﴾ [٥-سورة ق]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾[٢٤-سورة السجدة]، أي حينما صبروا أفادت الظرفية ولم تفد الشرط.

أما الشرطية فهي أكثر، ومن خصائصها حال كونها شرطية أن تكون في تركيب يتضمن فعلين ماضيين، هما فعل الشرط وجوابه، ويشترط في هذين الفعلين أن يكونا خالصي المضي؛ أي ماضيين لفظًا ومعنًى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ﴾ [١٥٤-سورة الأعراف]؛ فـ(سكت) فعل الشرط و(أخذ) جوابه وكلاهما ماضيان، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٥﴾[٥٥-سورة الزخرف]، (آسفونا) فعل الشرط و(انتقمنا) جوابه وكلاهما فعل ماض، وهي على كلا الرأيين تلزم الدخول على الفعل الماضي لفظًا ومعنًى، وقد يأتي جواب (لمَّا) غير ماض فيأتي جملة اسمية مع (إذا) المفاجأة؛ كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ١٢﴾ [١٢-سورة الأنبياء]، وقد يأتي

مقرونا بالفاء[1] كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [٣٢-سورة لقمان]، وهذا النوع وهي الظرفية الشرطية قد وقع فيها الخلاف بين النحاة وافترقوا فيه إلى فريقين:

فريق يرى أن (لَمَّا) حرف لم تخرج عن حرفيتها وإن تغير معناها؛ فهي حرف دال على وجوب شيء لوجوب غيره، وهذا مذهب سيبويه[2] ومن تبعه مثل ابن مالك[3] وابن خروف وابن هشام[4] والمرادي[5].

وفريق يرى أنها ظرف بمعنى (حين)، أو (إذ)، وفيها معنى الشرط، وأن العامل فيها جوابها، وهذا مذهب أبي علي الفارسي[6] وتبعه الهروي[7]، وأبو البقاء[8]، ؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [١٧-سورة البقرة]، (لَمَّا) في الآية ظرف زمان، وكذا في كل موضع وقع بعدها الماضي، وقال الهمداني عند قوله تعالى﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ "(لَمَّا) هنا اسم

(١) ينظر: شرح التسهيل ٤/ ١٠١- ١٠٢.

(٢) ينظر: الكتاب ٤/ ٢٣٤.

(٣) ينظر شرح التسهيل لابن مالك: ١٠٢/٤، شرح الكافية الشافية: ٣/ ١٦٤٤.

(٤) ينظر مغني اللبيب ٣٠٩.

(٥) ينظر: الجنى الداني: ٥٩٤- ٥٦٩.

(٦) ينظر: الإيضاح العضدي ٣٢٨.

(٧) ينظر: الأزهية: ١٩٩.

(٨) ينظر: التبيان ٣٣/١.

للوقت بمعنى (حين) ويليها الفعل الماضي، فإذا وليها الفعل الماضي اقتضت جوابا، وجوابها عاملها تقول: لَمَّا جئتَ جئتُ"[١].

ونقل المالقي أن الأكثرين في هذا النوع على أن (لَمَّا) حرفية لا اسمية؛ وعلل بأن الحرفية في (لَمَّا) ظاهرة لبنائها، ولم يعتد بالمعنى الذي أفادته (لَمَّا) في سياقات الشرط من الدلالة على معنى الحين، فرأى أن دلالتها على الظرفية مثل (حين) لا يُسَوِّغ لتقديرها بالاسم لما في تقديرها بالاسم من تكلف[٢]، إذ ليس فيها شيء من علامات الأسماء[٣].

واحتج من تابع سيبويه بالسياق ومعنى الكلمة في هذا المقام في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [٥٩سورة الكهف]، فذهب إلى أن معنى (لَمَّا) في هذا السياق هو السبب لا الحين؛ إذ المعنى المراد أنهم هلكوا بسبب ظلمهم، لا أنهم أهلكوا حين ظلمهم؛ لأن الهلاك متأخر عنه، فمقام الحال هنا كان حجة لهم، بالإضافة إلى المعنى الذي دلت عليه (لَمَّا) في سياق الشرط، حيث قرنها سيبويه بـ(لو) في دلالتها الشرطية؛ إذ (لما) تدل على الوجوب للوجوب بينما

(١) الفريد ٢٣١/١.

(٢) ينظر: رصف المباني: ٣٥٤، البحر المحيط: ٢٦٧/٥.

(٣) ينظر الجنى الداني ٥٩٤- ٥٩٥.

تدل نظيرتها (لو) على امتناع لامتناع، [١]، فجعلوه دليلا على بقاء (لمَّا) على حرفيتها، وقد صحح ابن مالك هذا الاحتجاج والتحليل النحوي للسياق موافقا قول سيبويه[٢].

ثم رَدَّ هذا الفريق على أبي علي ومن تبعه ممن قالوا بظرفية (لمَّا)، وأن جوابها عاملها، بأنها أجيبت ب(ما) النافية و(إذا) الفجائية، في قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾ [٤٢-سورة فاطر]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [٦٥-سورة العنكبوت]، و(ما) النافية و(إذا) الفجائية لا يعمل ما بعدهما فيما قبلهما فانتفى أن تكون ظرفًا[٣]، وأنه يلزم على القول بأن عاملها جوابها أن يجوز أن يقال: لما قمت أمس أحسنت إليك اليوم، والواقع في اليوم لا يكون في الأمس.[٤]

والتحقيق في هذا يكون بالنظر في سياق الآيات لتبين فاعليته في توجيه هذه الدلالة الاحتمالية التي ظهرت في الخلاف في توجيه نوع (لَمَّا) بين الفريقين، والنظر في سوابق الكلمة ولواحقها، للكشف عما بينها من علاقات داخلية في هذا الخطاب القرآني ليرشدنا ويوجهنا إلى المعنى المقصود.

والوقوف مع سياقات الآيات التي تضمنت (لمَّا) فيها معنى الشرط -وهي كثيرة في كتاب الله تعالى- قد أشربت معنى الحين، وهذا مما يناسب القص القرآني، فالله تعالى وتبارك في هذه الآيات يحكي أحداثًا تضمنت الشرط، ولكنها وقعت في حينٍ

---

(١) ينظر: رصف المباني للمالقي ٣٥١-٣٥٥، الجنى الداني ٥٩٥.

(٢) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك: ١٠٢/٤، شرح الكافية الشافية ٣/ ١٦٤٤.

(٣) ينظر الجنى الداني ٥٩٥.

(٤) ينظر الجنى الداني ٥٩٥، مغني اللبيب ٣٠٩.

مضى دلت عليه (لمَّا)، كما أن (إذ) دلت على قصص القرآن التي مضت ولم تتضمن شرطًا، وهذا في نظري يقوّي رأي أبي عليّ بالقول باسمية (لمَّا) في جميع مواضعها التي تضمنت فيها معنى الوقت سواء كان مجردًا من الشرطية، أو دالًا على الشرطية كذلك، فمعنى الحين ظاهر في شواهد (لَمَّا) إذا وليها الفعل الماضي، خاصة في المواضع التي جاءت فيها لبيان مجرد الوقت دون جواب وجزاء، وهذا في قول ابن مالك[1]، ويضاف إلى ذلك أن الحمل على المعنى، وإعطاء بعض الألفاظ أحكام بعضها الآخر إذا تضمنت معناه هو من سنن العربية[2].

المطلب الثالث: السياق المشْكل مع لمّا:

ومما أشكل توجيهه إعرابيًّا من مواضع (لمَّا) ما وقع في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾ [١١١-سورة هود]، حيث تعددت توجيهات النحاة[3] لهذه الكلمة لتعذر استقامة معنى الكلام مع ما ظهر من إعراب للكلمات قبلها وبعدها، وهذا مرده إلى عدم ظهور الحركة على (لمَّا) لكونها مبنية، وذلك في القراءة التي وردت فيها (لمَّا) مشددة، وهي قراءة عاصم وحمزة وابن عامر؛ لأن قراءة (لمَّا) مخففة تخرجنا عن حدود البحث.

---

(١) ينظر: شرح الكافية الشافية ٣/ ١٦٤٤.

(٢) ينظر: مغني اللبيب: ٨٠٤.

(٣) ينظر مشكل إعراب القرآن لمكي القيسي: ١/ ٣٧٤-٣٧٦، الفريد٢/ ٦٧١- ٦٧٢، رصف المباني ٣٥٢-٣٥٣، البحر المحيط ٥/ ٢٦٦.

فلمّا لم يستقمِ المعنى والإعراب بتقدير (لمَّا) على معنى من معانيها السابقة على قراءة تشديد (لمَّا) ونصب (كلًّا) فلم يصح تقديرها بمعنى (إلّا) ولا بمعنى (الحين) ولا بمعنى (لم)؛ جاءت التأويلات على وجوه عدة: مرة بإخراج (لمَّا) من هذا الباب بتقديرها مركبة من (لَمِنْ وما) والتقدير: وإن كلا لمِنْ خلق أو لمن بشر والله ليوفينهم ربك جزاء ما صدر منهم، و(مِنْ) هنا حرف، فجرى فيها قلب لأجل الإدغام وحذف، فصارت (ما) هي الخبر وهي نكرة بمعنى (مَنْ).

وجاء التأويل على وجه آخر بتركيبها من (لمَنْ وما) و(مَنْ) هنا اسم، والتقدير: وإن كلًّا لخلقٌ أو لبشرٌ والله ليوفينهم أعمالهم، وقد ضعف أبو حيان هذين التخريجين، وقال: "هذان الوجهان ضعيفان جدًّا؛ لم يعهد حذف نون (مِنْ) ولا حذف نون (مَنْ) إلا في الشعر إذا لقيت لام التعريف أو شبهها"[1].

وجاء التقدير على وجه آخر اعتمادًا على المعنى المعجمي باعتبار (لمَّا) مصدرًا، والتقدير: وإنَّ كلًّا ملمومين بمعنى مجموعين أو وإن كلًّا جميعًا؛ إذ قيل: بأن (لمَّا) مصدر من لمَّ يُلَمُّ لمًّا إذا جُمِعَ، وأجري الوصل مجرى الوقف بحذف التنوين، وهذا الوجه – كما ذكر القيسي- فيه بُعْدٌ؛ لأن إجراء الوصل مجرى الوقف لا يكون إلا في الشعر[2]، وقال أبو حيان: "ولا يعرف بناء فَعْلَى من الْلَّم"[3].

---

(١) البحر المحيط ٥/ ٢٦٧.

(٢) ينظر: مشكل إعراب القرآن لمكي القيسي ١/ ٣٧٥.

(٣) البحر المحيط ٢٦٧/٥.

وقيل: إن (لَمَّا) في الآية بمعنى (إلّا)، وهذا التأويل لا يستقيم مع تشديد (إِنَّ)، ونصب (كُلًّا)؛ لأن (لَمَّا) لم تسبق بنفي، ولا طلب، والنفي والطلب هو السياق الذي تقع فيه (إلا)، فلما لم يكن امتنع وقوعها استثنائية. وأجاز ابن الحاجب "أن تكون (إن) نافية، ويكون (كلًّا) منصوبـًا بفعل مضمر تقديره: وإنْ أرى كلًّا، أو وإن أعلم ونحوه، و(لمّا) بمعنى (إلّا) كقوله: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمّا عَلَيْها حافِظٌ﴾. ومن ههنا كانت أقل إشكالًا من قراءة ابن عامر لقبولها هذا الوجه الذي هو غير مستبعد ذلك الاستبعاد، وإن كان في نصب الاسم الواقع بعد حرف النفي استبعاد.[1]

أما قراءة أُبَيٍّ[2] بتخفيف (إنْ) ورفع (كل) وتشديد (لمَّا) فيستقيم معها تقدير معنى (إلا)؛ إذ المعنى: وما كلٌّ إلا والله ليوفينهم، وعلى هذا جاء تقدير أبي حيان على أن (كل) مبتدأ، والخبر هو الجملة القسمية بعده، وجوابها الجملة التي بعد (لَمَّا)، ولا التفات إلى قول من أنكر[3] مجيء (لَمَّا) بمعنى (إلا)[4] ،وهذه القراءة هي التي يستقيم عليها دخول (لَمَّا) في أنواع الأداة التي يدور الحديث عنها[5].

---

(١) أمالي ابن الحاجب، ١/ ١٦٧.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٥/٢٦٦

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/ ٢٩

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٥/٢٦٨

(٥) ينظر: البحر المحيط ٥/٢٦٦، الفريد ٢/ ٦٧١- ٦٧٢

وقد جاء في توجيهات (لمَّا) في هذه الآية أنها هي الجازمة، وأضمروا بعدها فعلًا فيكون من باب ما حذف بعده الفعل للعلم به، قال أبو حيان: وهو سائغ فصيح ... وإن كانت النفوس تستبعده من جهة أن مثله لم يقع في القرآن"(١).

ونلحظ فيما سبق أن السياق اللغوي في القراءة القرآنية أدى إلى تعدد التوجيهات النحوية لتحديد نوع الأداة في هذا المكون التركيبي، إلا أنّ معظمها قد خالفت الأصول اللغوية، ولم يستقم منها إلا وجه واحد هو تقدير حذف الفعل لتكون بمعنى (إلا) أو تكون هي النافية الجازمة، وهذا الرأي الأخير استبعده أبو حيان لعدم انسجامه مع روح النصوص القرآنية.

المطلب الرابع: زيادة (أنْ) بعد (لمّا):

تزاد (أن) في بعض السياقات التي ترد فيها (لَمَّا) شرطية(٢)، وذلك في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ﴾ [٩٦-سورة يوسف]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ﴾ [١٩-سورة القصص]، وقوله تعالى ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ﴾ [٣٣-سورة العنكبوت].

أما بقية مواضع (لَمَّا) في السياق القرآني فجاءت فيها دون زيادة (أَنْ)، وقد أشار النحاة إلى تضمن السياق زيادة معنى أوجبتها زيادة (أنْ) في السياق؛ إذ كل زيادة فيه لها مزيد

---

(١) البحر المحيط ٥/ ٢٦٨

(٢) ينظر: جواهر الأدب ١٩٦- ١٩٧.

فائدة معنوية أو لفظية، فذهب الأكثرون إلى أنَّ (أنْ) في هذه المواضع زائدة للتوكيد شأنها في ذلك شأن باقي الزوائد، فهي تمنح المعنى تقوية وتأكيدًا، وذكر بعض النحاة معنى آخر يزاد مع التوكيد؛ وهو التسبيب والتعقيب، إذ دخلت (أنْ) في سورة العنكبوت في قصة لوط عليه السلام، ولم تدخل في قصة إبراهيم عليه السلام في السورة نفسها في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [٣١-سورة العنكبوت] تنبيهًا وتأكيدًا على أن الإساءة كانت تعقب المجيء فهي مؤكدة في قصة لوط للاتصال واللزوم، أما في قصة إبراهيم فجاء الجواب: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ﴾ فكانت البشرى فاصلة بين المجي والإخبار بإهلاك قوم لوط، وقد ظهر لبس في نقل تتمة الآية في قصة إبراهيم عليه السلام بمثيلتها في سورة هود(١) نتج عنه عدم انسياق في المعنى المراد من زيادة (أن) عند بعض النحاة، وقد أوضحه ابن هشام في كتابه(٢)، وقال الزمخشري: "(أن) صلة أكدت وجود الفعلين مترتبًا أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان كأنه قيل: لما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم"(٣) وإجماع النحويين على "أن الزائد يؤكد

---

(١) الآية ٦٩

(٢) ينظر مغني اللبيب: ٤٣- ٤٤.

(٣) الكشاف: ٣/١٩٠.

به معنى ما جيء به لتوكيده و(لَمَّا) تفيد وقوع الفعل الثاني عقب الأول وترتبه عليه فالحرف الزائد يؤكد ذلك"(١).

وذكر ابن قيم الجوزية أن زيادة (أَنْ) هنا جاءت "صيانة للمعنى العارض في (لَمَّا) وهو الظرفية، فأوضح أن في (لَمَّا) معنى "ربط فعل بفعل على جهة التسبيب أو التعقيب، فإذا كان التسبيب حسن إدخال (أن) بعدها زائدة إشعارًا بمعنى المفعول من أجله" (٢).

وأوضح الزركشي في كتابه البرهان تعليل القول بزيادة (أن) بعد (لما) الشرطية؛ فقال: "وأما (أَنْ) المفتوحة فتزاد بعد (لَمَّا) الظرفية، ... وإنما حكموا بزيادتها؛ لأن (لَمَّا) ظرف زمان، ومعناها وجود الشيء لوجود غيره، وظروف الزمان غير المتمكنة لا تضاف إلى المفرد، و(أَنْ) المفتوحة تجعل الفعل بعدها في تأويل المفرد، فلم تبق (لَمَّا) مضافة إلى الجمل؛ فلذلك حكموا بزيادتها"(٣) فمعتمد الحكم على (أن) بالزيادة في هذا التركيب مع (لَمَّا) هو عدم صحة إضافتها إلى الجمل في الأصول النحوية، بالإضافة إلى ما تمنحه هذه الزيادة من إشعار بتحقق وقوع الشرط وتوكيده، وأنه سبب في وقوع الجواب مع التعقيب.

النتائج:

---

(١) مغني اللبيب: ٤٤.

(٢) بدائع الفوائد: ١/ ٩٣.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٧٦/٣.

وبعد دراسة التحولات التركيبية التي وقعت (لمّا) فيها وسياقاتها نخلص إلى أهم النتائج، وهي:

- لما أداة نحوية تعدد معناها الوظيفي تبعا للسياقات التي وردت فيها وتنقلت معانيها بين الحرفية والاسمية.
- للسياق أثره في رفع الاحتمالات الممكنة في تراكيب الكلام مع (لمّا) بالكشف عن معناها وتحديد نوعها.
- تقدير معنى الظرفية عند وقوعها متضمنة معنى الشرط يناسب القص القرآني للحوادث الماضية.
- زيادة (أن) مع (لمّا) في السياق القرآني جاءت في ثلاثة مواضع في كتاب الله تعالى لا غير.
- أفادت (أن) الزائدة في السياق مع (لمّا) معنى التسبيب والتعقيب إضافة إلى معنى التوكيد الذي تضيفه الحروف الزائدة في الكلام.

التوصية:

في السياقات القرآنية مما يتعلق بظواهر العربية وتحليل مفرداتها وأدواتها مساحة خصبة لدراسات جادة تثري المكتبة العربية.

ثبت المصادر والمراجع:

الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، تعليق: مصطفى شيخ مصطفى. ط١، دمشق، سوريا: طبعة مؤسسة الرسالة. (٢٠٠٨م).

أثر السياق في النظام النحوي للشهري، نوح بن يحيى. ط١ . مكة المكرمة: دار طيبة الخضراء للنشر والتوزيع. (١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م).

أثر قصد المتكلم في تحول التركيب دراسة نحوية دلالية لوهران، عمرو خاطر. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية. كلية الآداب، جامعة طيبة، المملكة العربية السعودية. (١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م).

الأزهية في علم الحروف للهروي، علي بن محمد، تحقيق: عبد المعين الملوحي. الطبعة ٢، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق. (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

الأصول في النحو لابن السراج، محمد بن سهل، تحقيق: عبد الحسين الفتلي. ط١ ، بيروت: مؤسسة الرسالة،(١٩٨٥م).

الإيضاح العضدي للفارسي، الحسن بن أحمد، تحقيق: حسن شاذلي فرهود. ط١، الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر. (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (د.ط) بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي. (د. ت).

البرهان في علوم القرآن للزركشي، محمد بن عبد الله، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط٢، بيروت لبنان: دار المعرفة. (د. ت).

التبيان في إعراب القرآن للعكبري، عبد الله بن الحسين، تحقيق: علي محمد البجاوي. ط٢، بيروت، لبنان، مطبعة دار الجيل. (١٩٨٧م).

التحولات التركيبية المصاحبة لـ(ما) الكافة المهيئة دراسة في الوظيفة التركيبية للأداة لحمادة، فؤاد رمضان محمد. مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية. (٢٠٢٠م). العدد (٥٣)، حزيران. الصفحات (٩٢- ١٠٤).

تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. ط٢، بيروت: طبعة دار الفكر للطباعة والنشر. (١٩٨٣م).

التوجيه السياقي للدلالة الاحتمالية في الخطاب القرآني لبا ريان، عبد القادر. جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية،(٢٠١٩م). المجلد الثاني العدد ١٥. الصفحات (١١٠-١٢٧)

الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، الحسن بن قاسم.، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل. ط١، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية. (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

جواهر الأدب في معرفة كلام العرب (معجم للحروف العربية) للإربلي، علاء الدين بن علي، تحقيق: إميل بديع يعقوب. ط١، بيروت، لبنان: دار النفائس. (١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).

حجة القراءات لابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: سعيد الأفغاني. ط٤، بيروت: مؤسسة الرسالة. (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

الخلاف النحوي في الأدوات لبلحاف، عامر فائل محمد. ، رسالة بحث دكتوراه، إشراف: حنا جميل حداد، جامعة اليرموك، إربد، الأردن. (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، أحمد بن يوسف، تحقيق: أحمد محمد الخراط. ط١، دمشق، سوريا: طبعة دار القلم. (١٩٨٦م).

دور السياق في نظرية النحو العربي قراءة جديدة للعموش، خلود إبراهيم. بحث مقدم لمؤتمر مناهج التجديد في العلوم الإسلامية والعربية، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة المنيا، مصر، كلية دار العلوم، (٢٠٠٥م). المجلد ٣. الصفحات (٢-٦٣)

رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي، أحمد عبد النور، تحقيق: أحمد محمد الخراط. الطبعة٣. دمشق: دار القلم. (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)

السياق في فكر سيبويه وعلاقته بالمكون التركيبي لحسن، عرفة عبد المقصود عامر. شبكة الألوكة.

السياق وتوجيه دلالة النص مقدمة في نظرية البلاغة النبوية لبلبع، عيد. ط١. مصر: دار الكتب المصرية. (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

شرح التسهيل لابن مالك، محمد بن عبد الله، تحقيق: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون. ط١، مصر: مطبعة هجر للطباعة والنشر. (١٩٩٠م).

شرح الكافية الشافية لابن مالك، محمد بن عبد الله، تحقيق: عبد المنعم هريدي. ط١، طبعة دار المأمون للتراث. (١٩٨٢م).

شرح المفصل لابن يعيش، يعيش بن علي، القاهرة، مصر: طبعة مكتبة المتنبي. (د. ت).

الفريد في إعراب القرآن المجيد للهمداني، حسين بن أبي العز، تحقيق: محمد حسن النمر. ط١، الدوحة، قطر: طبعة دار الثقافة. (١٩٩١م).

قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيبويه لسلام، إيهاب عبد الحميد عبد الصادق. (٢٠١٦م) ، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس. شبكة الألوكة.

كتاب أمالي ابن الحاجب، لأبي عمرو عثمان بن الحاجب، تحقيق: فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار- عمّان، ودار الجيل- بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.ج١.

كتاب سيبويه لسيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. ط٣، طبعة عالم الكتب. (١٩٨٣م).

كتاب الكناش في فني النحو والصرف لأبي الفداء، إسماعيل بن الأفضل، تحقيق: رياض بن حسن الخوام. ط١، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر. (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، محمد علي بن علي، تحقيق: أحمد حسن بسج. ط١، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية. (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، محمود بن عمر... (د.ط) بيروت، لبنان: طبعة دار المعرفة. (د. ت).

لسان العرب لابن منظور، محمد بن مكرم. لبنان: دار صادر. (د. ت).

مشكل إعراب القرآن للقيسي، مكي بن أبي طالب، تحقيق: حاتم صالح الضامن. الطبعة٢، بيروت: مؤسسة الرسالة. (١٤٠٥هـ).

معاني القرآن للفراء، يحي بن زياد. ط٣، بيروت: عالم الكتب. (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، عبد الله بن يوسف، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. (د.ط)، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر. (١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م).

مقاييس اللغة لابن فارس، أحمد بن زكريا، دراسة وتحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر. (١٩٧٩م).

المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور للطاهر، شارف، رسالة ماجستير تخصص: الدراسات اللغوية النظرية إشراف: أحمد شامية. كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر. (٢٠٠٥/٢٠٠٦م).

المصطلحات العلمية بين الواقع والمأمول

د.نجوى بنت محمد الكحلوت

مقدمة

تُشكل قضية المصطلح معضلة للعلوم في كافة الاتجاهات ماثلة في فوضى المصطلحات وتنوع مظاهر هذه الفوضى، مع صعوبات في إيجاد الحلول الجذرية التي تجعل المصطلح شائعـاً متفقـاً عليه محددَ الدلالة في الفرع العلمي الذي يعالجه؛ لذا كان هذا البحث بعنوان (المصطلح العلمي بين الواقع والمأمول).

وهو يحاول تحديد أسباب الفوضى الاصطلاحية عامة، والاصطلاحية اللسانية خاصة، مع وضع تصور للخروج من هذه الفوضى.

وتعود أهمية البحث إلى: قوة ارتباط الدرس اللساني بعلم المصطلح، فعلم المصطلح هو العلم الذي يُسهل التواصل بين مختلف اللغات وعلومها التي تتقدم عجلتها تقدمـاً حيثيـاً تدفعه التكنولوجيا، وهو محط اهتمام العلماء قديمـاً وحديثـاً.

وهو علم قائم بذاته لا غنى لأي علم من العلوم عنه؛ فهو بمثابة المحرك أو الدليل الذي يتعارف به الناس.

وتهدف الباحثة من خلال هذا البحث إلى:

-الكشف عن أسباب الفوضى في المصطلح العلمي في العربية ومظاهرها.

-تقديم مقترحات وحلول لعلاج هذه القضية.

ويسعى البحث الحالي إلى الإجابة عن التساؤلين التاليين:

-كيف تظهر فوضى المصطلح وأين وبأي شكل؟

-ما السبيل لمعالجتها؟

ويعالج البحث مشكلة: الفوضى الاصطلاحية (فوضى المصطلحات العلمية).

وقد استفادت الباحثة من دراسات سابقة فيما يتعلق بهذه القضية، والتي تعكس حقيقة وجودها، ومنها:

قام الطيب عطاوي (١٩٩٦م) بكتابة مقال بعنوان (إشكالية تطبيق المصطلح اللساني في الدراسات اللغوية العربية) في مجلة عود الند، عدد ١٠٥، ذكر فيه عطاوي مفهوم علم المصطلح، ومدى أهميته وعراقة وجوده في العربية منذ القدم، ثم تطرق إلى عوائق تطبيق المصطلح اللساني في الدراسات اللغوية العربية، مناشدًا إزالة هذه العوائق ووضع حلولًا لها.

وقدم حسين نجاة بحثًا بعنوان (إشكالية المصطلح اللساني وأزمة الدّقة المصطلحية في المعاجم العربية) جامعة حسيبة بن بوعلي (الجزائر)، سلط فيه نجاة الضوء على أهمية المصطلح باعتباره مفتاح العلوم، رابطًا له باللسانيات كواحدة من تلك العلوم باعتبارها نافذة مفتوحة على العالم الغربي، وركز فيه على قضية الفوضى التي يتخبط فيها المصطلح اللساني في ظل التعددية المصطلحية الذي يكتنف هذا

الحقل العلمي، وإلى أهم المشكلات التي يواجهها المترجمون أثناء نقلهم للمصطلح اللساني الأجنبي إلى العربية.

بالإضافة إلى دراسة واضح بن عبد العزيز (٢٠١٤) في الملتقى الوطني حول المصطلح والمصطلحية جامعة مولود معمري- تيزي وزو- الجزائر، ذكر فيها أسباب تعدد المصطلحات في العربية، وطرق اشتقاقها وتوليدها وحلولًا لبعض مشاكل تعدد المصطلحات والفوضى الناجمة عن تلك التعددية.

قدمت كريمة معلوف (٢٠١٤) ورقة عمل بعنوان (إشكالية المصطلح في لغات التخصص، المصطلحات القانونية أنموذجاً) جامعة بجاية، سلطت فيها الضوء على إشكالية المصطلح في لغات التخصص وبالتحديد المصطلحات القانونية لما لها من أهمية بالغة في حياة الناس انطلاقاً من كون الدراسة المصطلحية موضوعاً جوهرياً في حقل الدراسة اللسانية.

وسوف تقوم الباحثة باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، إذ يعتبر هذا المنهج مناسباً لموضوع البحث الحالي ويعتبر هذا الأسلوب في البحث العلمي (المنهج الوصفي) مظلة واسعة ومرنة يقوم على أساس تحديد خصائص الظاهرة ووصف طبيعتها ونوعية العلاقة بين متغيراتها وأسبابها واتجاهاتها.

ويشمل البحث تمهيدًا ومبحثين تُجلّي فيهما الأهداف المرسومة لدراسة هذا البحث، فخاتمة، كالآتي:

تمهيد: وبه تعريف علم المصطلح، فبيان أهمية الدرس اللساني وعلاقته بالمصطلح، فمفهوم الفوضى في هذا العلم الذي منه تنطلق رحلة البحث.

المبحث الأول: فوضى المصطلح أسباب ومظاهر.

يكشف هذا المبحث عن جملة من أسباب الفوضى في المصطلح العلمي، بالوقوف على مظاهر هذ القضية، ثم يسوق أمثلة على هذه الفوضى لبيان مكمنها.

المبحث الثاني: اقتراحات وحلول

يقدم هذا المبحث حلولًا ومقترحات لعلاج هذه القضية الهامة في مجال العلوم الحديثة، على عدة أصعدة مختلفة.

بالإضافة إلى خاتمة تعطي نظرة مركزة وموجزة عن البحث فنتائج الدراسة، فـثبت المراجع.

تمهيد

حديثنا عن علم المصطلح يأخذنا إلى تعريف العلم أولًا، فالعلم هو: الفن المحدد في جانب من جوانب المعرفة، ويكسب هذا التركيب الإضافي (علم المصطلح) جدلية مفادها: أعلم قائم بذاته المصطلح أم هو فرع من فروع اللسانيات، أو علم اللغة بوجه عام؟

"المصطلح عند أهل الاختصاص: رمز لغوي يتألف من الشكل الخارجي والتصور (المفهوم) وهو معنى من المعاني يتميز عن المعاني الأخرى داخل نظام من

التصورات أو المفاهيم، إنه بأوجز عبارة: كلمة تعبر عن مفهوم خاص في مجال محدد"(١).

وعلى هذا فإنَّ المصطلحات "تسميات لغوية لتلك المفاهيم، ووحدات رمزية تُعبر عن المفهوم كما هو الحال في علم الإشارات أو الرياضيات أو الفيزياء أو الكيمياء... وغيرها من العلوم التي تبني مصطلحاتها على الرموز"(٢).

ونرى أنّ كافة التعريفات التي حاولت حدّ المصطلح تنطلق من الفكر الرمز كما في النقول السابقة، فالمصطلح رمز دال على مفهوم، وقد حاول الدكتور **حجازي** في كتابه الرائد في علم المصطلح جمع اختلاف الجهات التي حدت المصطلح؛ فقال: "يتفق الرأي بين المتخصصين في علم المصطلح على أن أفضل تعريف أوروبي للمصطلح هو التعريف التالي: الكلمة الاصطلاحية أو العبارة الاصطلاحية: مفهوم مفرد أو عبارة مركبة استقر معناها، أو بالأحرى استخدامها، وحُدد في وضوح، هو تعبير خاص ضيق في دلالته المتخصصة، وواضح إلى أقصى درجة ممكنة، وله ما يقابله في اللغات"(٣).

---

(١) محمد حسن: المصطلحات اللغوية. بحث منشور في الكتاب التكريمي، (تمام حسان، رائدا لغويا) ص ٢٩٥.

(٢) خليفة الميساوي: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم. منشورات ضفاف، الرباط، ط١: ٢٠١٣، ص ١٥، ١٦.

(٣) محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح. مكتبة غريب، القاهرة، ص١١.

إنَّ هذا التعريف الأوروبي الذي ارتضاه الدكتور **حجازي** يشمل عدة جوانب إن توفرت بدقة لدى الباحثين فهي كفيلة وحدها بالقضاء على فوضى الاستعمال الاصطلاحي؛ فيجب أن يتوفر في المصطلح: دقة الدلالة وضيقها، المقابل المترجم في اللغات، استقرار دلالة المصطلح على مفهوم محدد.

والنظرة السائدة في علوم اللغة قائمة على تقسيم علم المصطلح إلى قسمين رئيسين: علم مصطلح عام، وعلم مصطلح خاص، يدرس علم المصطلح العام "طبيعة المفاهيم، وخصائص المفاهيم، ووصف المفاهيم وطبيعة المصطلحات، ومكونات المصطلحات وعلاقاتها الممكنة واختصارات المصطلحات، أمَّا علم المصطلح الخاص فيتضمن تلك القواعد الخاصة في لغة مفردة مثل اللغة العربية أو اللغة الفرنسية، وهذا التمييز بين علم المصطلح العام، أو النظرية العامة لعلم المصطلح من جانب، وعلم المصطلح الخاص من الجانب الآخر يوازي التمييز بين علم اللغة العام، أو نظرية اللغة من جانب، وعلم اللغة الخاص بلغة واحدة من جانب آخر"[1].

اللسانيات وعلم المصطلح:

---

(١) محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح. ص١٩، ٢٠.

ترتب على التقسيم السابق- علم المصطلح العام، وعلم المصطلح الخاص- تساؤل مفاده، هل علم المصطلح علم مستقل عن علوم اللسانيات؟ أم هل هو فرع من فروع اللسانيات شأنه شأن الفروع الأخرى؟

ترى الباحثة أنَّه من تتبع بعض مراجع المصطلح واللسانيات يمكن القول بأنَّ المزاج العام يتجه إلى استقلالية علم المصطلح، والقول بعلاقة جامعة بين المصطلح واللسانيات، وقبل إلقاء نظرة موجزة عن هذه العلاقة يود البحث أولًا إلقاء مثل هذه النظرة حول اللسانيات وأهميتها في العلوم المختلفة.

اللسانيات: هي العلم الذي يدرس اللغات الطبيعية الإنسانية في ذاتها ولذاتها، مكتوبة ومنطوقة كانت أم منطوقة فقط، مع إعطاء الأسبقية لهذه الأخيرة؛ لأنها مادة خام تساعد أكثر على التحقق من مدى فاعلية البحث ، ويهدف هذا العلم أساسا إلى وصف وتفسير أبنية هذه اللغات واستخراج القواعد العامة المشتركة بينها، والقواعد الخاصة التي تضبط العلاقات بين العناصر المؤلفة لكل لغة على حدة"(١).

فأهمية اللسانيات نابع من هدفها؛ حيث دراسة اللغات الإنسانية دراسة وصفية في المقام الأول لاستخراج القواعد العامة والخاصة في اللغات أو بينها بصفة مقارنة.

---

(١) عبد العزيز حليلي: اللسانيات العامة واللسانيات العربية، تعاريف وأصوات. منشورات دراسات – سال، المغرب، ط١

١٩٩١م، ص١١.

وهناك جانب آخر لأهمية اللسانيات، حيث وُكِلَ بها "مِقْوَدُ الحركة التأسيسية في المعرفة الإنسانية لا من حيث تأصيل المناهج، وتنظير طرق إخصابها فحسب، ولكن أيضا من حيث إنها تعكف على دراسة اللسان؛ فتتخذ اللغة مادة لها وموضوعا، ولا يتميز الإنسان بشيء تميزَهُ بالكلام، وهذه الخصوصية المطلقة هي التي أضفت على اللسانيات- من جهة أخرى- صبغة الجاذبية والإشعاع في نفس الوقت"(١).

أمَّا عن **علاقة اللسانيات بالمصطلح** أو بعلم المصطلح؛ فهي قائمة على المصطلح بشكل ما؛ حيث إنَّ مفهوم الاصطلاح "يتسع ليشمل المنظومة اللسانية إلى كل ما له دلالة من خط أو إشارة...إلخ، وغيرها من الأنظمة العلاميّة العامة، وتشترك جميعها مع الظاهرة اللغوية في أنها تستند إلى توافر يقوم مقام التسمية الاصطلاحية الناشئة عن الأشياء وحقائق الوجود"(٢).

كما تعاني اللسانيات ما تعانيه العلوم المختلفة في المشكلات الاصطلاحية؛ فهي تحاول مواكبة التطور الحداثي السريع مع ابتداع المصطلحات التي تواكب هذا التطور؛ كي يصح الإيفاد من ثمراتها.

---

(١) عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية. الدار العربية للكتاب، ط٢ ١٩٨٦م، ص٩.

(٢) عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية. الدار العربية للكتاب، ط٢ ١٩٨٦م ص١١٨.

ولأنَّ علمنا "في هذا البحث يختص بالمصطلح الإنساني؛ فإنَّ من الطريف والمفيد في آن معـًا أن نذكر اختلاف الدارسين عندنا حول المصطلح الرئيس الدال على هذا العلم (اللسانيات) فقد بلغت المصطلحات العربية المترجمة لمصطلح : (linguistique) ثلاثة وعشرين مصطلحا"[1].

على هذا فإننا نرى أنَّ العلاقة الشائعة بين علم المصطلح وعلم اللسانيات علاقة احتواء لا استقلال بالمعنى التام، في مخالفة للمزاج العام الذي يشيع فيه الميل إلى فصلهما عن بعضهما؛ فاللسانيات تحاول تحديد مفهوم الاصطلاح ووضع أسسه الدقيقة ومقابلاته اللغوية في المترجمات إلى اللغات المختلفة.

مفهوم الفوضى الاصطلاحية:

الفوضى الاصطلاحية **تعني التضارب والاختلاف** حول ماهية المصطلحات على عكس ما كان مأمولا في الواقع اللغوي اللساني.

فإذا "ما تجاوزنا ما ينبغي أن يكون إلى ما هو كائن بالفعل؛ وجدنا فوضى تضرب بأوتادها في حلقهم (الباحثين) فإذا ما رجعت إلى مؤلف من مؤلفاتهم أو مسرد مصطلحي من مساردهم أو معجم مصطلحي من معاجمهم وجدتَ غير عيب من عيوب الاصطلاح ماثلة أمامك، فالمصطلح الواحد له غير مفهوم واحد لغير ضرورة،

---

(١) أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات. دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨م، ص٣٤، ٣٥.

والمفهوم الواحد له عدة مصطلحات لغير حاجة، وفي بعض مصطلحاتهم غموض أو لبس أو مخالفة لطبيعة اللغة العربية وذوق العربي في اللفظ"[1].

فمفهوم الفوضى الاصطلاحية يمكن استنباطه من بعض مظاهره، فمنها التضارب في المصطلح حول المفهوم الواحد أو العكس، ومنه التعميم وعدم الدقة في المقابل المعرب؛ فالذي يعكسه "المشهد الثقافي العربي الراهن ليقر عموما بوجود فوضى مصطلحية تنم عن غياب مثل هذا الوعي، وعن حالة من الهذيان بحمى المناهج النقدية الغربية؛ تسببت فيها ما فاضت به ترسانة هذه المناهج من شبكات نظرية متخصصة على الساحة العربية"[2].

ففوضى المصطلح تعني -في رأي البحث- مخالفة الضوابط الاصطلاحية، والأهداف المرجوة منه. وفيما يلي يعرض البحث لأهم أسباب هذه الفوضى، وأهم مظاهرها.

المبحث الأول: فوضى المصطلح أسبابٌ ومظاهر

---

(١) محمد حسن عبد العزيز: المصطلحات اللغوية. ص٢٨٩.

(٢) حسن دحو: كاريزما المصطلح النقدي العربي، تأملات في الوعي النقدي، وصياغة المفهوم. مجلة المخبر الجزائرية، العدد٧، ٢٠١١م،

ص ٢٠٧.

يقدم هذا المبحث محاولة لحصر أهم أسباب الفوضى الاصطلاحية وتوصيفها، وقد جمعت في ثمان نقاط وهي: تنوع الروافد الثقافية، مشكلات الترجمة، التطبيق الآلي، التفسير النسبي للمصطلح، التماس الجديد في القديم، الترخص في الاستعمال، تشتت جهود الاصطلاح، اضطراب الدلالة الاصطلاحية، وقد ضمنتها بعض الاستنتاجات.

ثم محاولة رصد أهم مظاهرها الاستعمالية والتي تتجلى في: تعدد المصطلحات لمفهوم واحد، تعدد المفاهيم لمصطلح واحد، تغريب المصطلح، ومن ثَمّ أمثلة على فوضى المصطلحات، وتفصيلها على النحو التالي:

أولًا: أسباب الفوضى المصطلحية.

بعض هذه الأسباب يرجع إلى أخطاء المعرّبين والمترجمين أنفسهم، وبعضها يرجع إلى الاختلاف الثقافي في البيئة المنقول منها المصطلح إلى البيئة المنقول إليها، وهو ما يمكن تحليله في الأسباب المحددة التالية:

أ- تنوع الروافد الثقافية:

تتنوع الروافد الثقافية التي ينشأ فيها المصطلح والتي ينتقل إليها، ما يترتب عند عدم فهمه بدقة إلى اضطراب في نقل المصطلح، أضف إلى هذا التنوع الثقافي في الروافد تنوعـًا آخر ماثل في تنوع المداخل اللساني كمظهر من مظاهر التنوع الثقافي، كما أنَّ هذه "المداخل المعاصرة تضرب بجذورها في أرض غير عربية مدعية من جانب واحد عالمية الثقافة وشيوع المعرفة، ومولعة بالتنظير دون التطبيق؛ ومن ثم

تظل هذه المداخل أصداءً لواقع ثقافي مختلف، وتظل أيضا غامضة الأبعاد، غير يسيرة التطبيق في واقعنا العربي، ولذلك تظل هذه النظريات المستوردة معزولة عن التطبيق، مقصورة على الجانب المعرفي، وتكون أشبه بالجسم الغريب المزروع في جسم يحتاج إليه، ومع ذلك يلفظه"[١].

فاختلاف هذه المداخل اختلافًا يصل إلى حدِّ التضارب أحيانا لا بد أن ينتج عنه اختلاف وفوضى في النقل المعرفي، ولا شك أنَّ النقل المصطلحي من أهم عوامل النقل المعرفي لمختلف أنواع العلوم والفنون.

مما يتعلق بهذا التنوع انتقال العلوم اللسانية إلى الاحتكاك بالعلوم الحديثة؛ فعلم اللغة العام بكافة فروعه "لم يعد مقبولا منه أن يكتفي بدراسة اللغات الطبيعية وحدها؛ بل إنه مطالب بأن يدرس اللغات الصناعية المقترحة أو يشارك في وصفها؛ ومن ثم فهو مطالب بابتداع منظومات مصطلحية مجردة مطاوعة للتقنية الحديثة في مجال الترجمة الآلية وغيرها، إنه بكل بساطة علم من علوم المستقبل"[٢].

من هذا التنوع في الروافد الثقافية **احتكاك علم المصطلح بكافة العلوم الإنسانية** ما يعطي ترهلا في استخدام المصطلحات، ما يترتب عليه فوضى الاصطلاح؛ فقد "أصحبت المقاربات اللسانية الحديثة ضربـًا من المفاتيح تخوض

---

(١) محمد حماسة: الإبداع الموازي، التحليل النصي للشعر. دار غريب، القاهرة، ص ٩.

(٢) محمد حسن عبد العزيز: المصطلحات اللغوية. ص ٢٩٢.

في شتى مجالات الإبداع اللغوي وارتباطها بحياة الإنسان من علم نفس وعلم اجتماع وفلسفة ونظرية الأدب والنقد وتحليل الخطاب وتحليل الكلام والترجمة والطب...إلخ، فأدى هذا التداخل إلى صعوبة الإلمام بمصطلحات هذه العلوم، ودقة مفاهيمها، وانقسامها إلى مجالات في الدراسة مختلفة، أدت إلى تخصصات لسانية متفرعة، ولكنها مكتملة، وهو ما يطرح إشكالا أمام نهضة اللسان العربي وتطوره"(١).

مما له اتصال بالتنوع الثقافي وأثره في فوضى المصطلح – في رأي الباحثة – عدم مراعاة الخصوصية اللغوية أو الثقافية بصفة عامة؛ فإذا " كان من الثابت أنَّ ثمة من المصطلحات ما هو من قبيل المشترك اللساني، كما هو الشأن في العلوم المادية بشقيها النظري والتطبيقي، وأنه بالإمكان تخليصها من كل خصوصية ثقافية؛ فإنَّ قسما آخر منها لا ينفك يرفل في خصوصيته الثقافية، ولعل هذا ألصق بطبيعة العلوم الإنسانية"(٢).

ب- مشكلات الترجمة الاصطلاحية:

لعل مشكلات الترجمة الاصطلاحية من أهم أسباب الفوضى في علم المصطلح، وذلك من خلال عدة جوانب، ومنها النزعة الفردية في الترجمة

---

(١) خليفة الميساوي: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم. ص ٢٦.

(٢) لحسن دحو: كاريزما المصطلح النقدي. ص ٢١٤.

الاصطلاحية؛ إذ يخضع نقل المصطلح إلى ثقافة كل مترجم على حدة، فيأتي المصطلح المنقول إليه مشوهـًا ومتعدداً، وينشأ ضرورة عن هذا التعدد هذه الفوضى.

و"هذه الحال من الفوضى تعكس فوضى فكرية ومنهجية حتما أو تنذر بها على أحسن الفروض، ولعل هذا ما يلجأ أصحاب الحاجات إلى المصطلح الأجنبي وحده حيث يسعفهم بما يبتغون، أو إلى المصطلح الأجنبي بجوار المصطلح العربي توخيا للدقة والوضوح وأمانا من اللبس والغموض"[١].

فنسبية الترجمة الاصطلاحية تطرح "مشكل الترجمة وقضاياها المتصلة بالمفاهيم الأصلية والمفاهيم المنقولة، والمعاد إنتاجها في اللسان الهدف إذ كثير من الترجمات تضلل القارئ وتوهمه بالمفهوم الصحيح، ولكنها تمثل ضربا من المغالطة والعدول عن المعنى الأصلي الصحيح وهو ما أدى إلى نشر الأخطاء المعرفية في اللسان العربي، وضخه بمفاهيم ومصطلحات خاطئةِ التصورِ غير مدركة للصواب، مما زاد الأمور تعقيدا واضطرابا فتجد التنوع المصطلحي لمفهوم واحد، والمصطلح الواحد لمفاهيم متغيرة ومتطورة، لم يستطع الباحث اللساني العربي الإمساك بها باعتبار أنَّ النظريات اللسانية نفسها متسارعة التطور، ومتبدلة المصطلحات، ومبتكرة التصورات"[٢].

---

(١) محمد حسن عبد العزيز: المصطلحات اللغوية. ص٢٨٩.

(٢) المفهوم، خليفة الميساوي: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم. ص ٢٧، ٢٨.

فكما يذكر قدور: "طبيعي في هذا الصدد أن نجد معظم الدارسين يفضل ما استعمله هو أو ما ابتدعه دون أن يولي قضية الدلالة أو الشيوع أدنى اهتمام"(١).

وأرى أنه إذا كانت النزعة الفردية من أسباب الفوضى الاصطلاحية في الترجمة، فمن باب أولى القول بأنَّ الضعف الذي يعتري المترجم نفسه من أقوى أسباب الفوضى الاصطلاحية.

فمن "الاضطراب في دلالة المصطلح اللساني ما يعتري بعض الواضعين من ضعف في أثناء ترجمة المصطلح الأجنبي؛ فيلجأ إلى التعبير عن المصطلح بجملة أو أكثر بدل أن يضع له كلمة واحدة أو تركيبا إضافيا أو وصفيا أو نحو ذلك، والنتيجة التي يفضي إليها هذا المسلك هي الإبقاء على وجود الاصطلاح الأجنبي أساسا له، وترسخيه بدل الاستغناء عنه باللفظ العربي أو المعرّب"(٢).

نموذج على فوضى الاصطلاح بتعدد الترجمة:

إنَّ تعدد الترجمات لمفهوم واحد، أو تعدد المصطلحات لمفهوم واحد من أسباب الفوضى التي تنشأ من الخلل في جهد الترجمة.

---

(١) أحمد قدور: مبادئ اللسانيات. ص ٥١.

(٢) أحمد قدور: مبادئ اللسانيات. ص ٥٤، ٥٥.

"نضرب مثلا على الأشكال المتعددة للمصطلح الواحد من المصطلحات العامة التي هي عناوين للعلوم اللسانية وفروعها، وهي الأولى بالاتفاق، والمصطلح المقصود في مثلنا هو مصطلح (semiology) الذي عُرِّب جزئيا؛ فقيل: (ساميولوجيا)، (سيميولوجيا)، (سيميولوجية)، و(السيما)، وترجم بكلمة عربية قديمة هي (السيمياء) ووضع له مصطلح على طريقة المصدر الصناعي فقيل (العلامية)؛ كما ترجم بتراكيب إضافية ووصفية، فقيل: (علم الأدلة)، و(علم الدلائل)، و(علم العلامة)...إلخ، و(علم دلالة الأمراض)، والترجمة الأخيرة خاطئة؛ لأنَّها لم تستند إلى فهم صحيح لدلالة المصطلح في لغته الأصلية"[1].

هكذا تكون مشكلات الترجمة سبباً من أسباب الفوضى الاصطلاحية تارة بالمشكلات التي تنشأ من خلال إلى الاختلاف الثقافي، وتارة بالمشكلات التي تعتري المترجمين أنفسهم.

ج- التطبيق الآلي:

قد يكون التطبيق الآلي للمفهوم الاصطلاحي وجهاً لعدم مراعاة خصوصية الثقافة اللغوية خاصة، لكن بعبارة أدق يمكن القول: إنَّ التطبيق الآلي لمفهوم المصطلح إنَّما ينشأ نتيجة حتمية لعدم فهم دلالة المصطلح في بيئته الأصلية، فينشأ الخلل بين دلالة المصطلح في البيئة المنقول منها والمنقول إليها، وفي حال إرادة

---

(١) المرجع السابق: ص٥٢.

وضع مصطلح بديل لإصلاح هذا الخلل ينشأ التعدد الاصطلاحي لمفهوم واحد في بيئته الأصلية وهو ما يؤدي- ضرورة- إلى فوضى المصطلح، فالتطبيق الآلي "إسقاط الآراء الحديثة أو بعضها بطريقة متعسفة لا يضفي على شيء منها قيمة يفتقدها؛ فهذه الآراء والنظريات تطورت في لغتها، وسياقها الحضاري، ومناخها الفكري والثقافي الذي يختلف عن المناخ الذي نشأ فيه النحو العربي(مثلا) ونما"[1].

فاللغات الإنسانية مختلفة، واختلافها "لا نهاية له، وتلك مسألة مركزية؛ فكل لغة لها طبيعتها الخاصة، ومن ثم لها وصفها الخاص، وقد يترتب على ذلك ما يؤكده بعض الباحثين من أنه لا توجد نظرية واحدة عن اللغة بصفة عامة"[2].

ومن الأسباب التي أدت إلى فوضى المصطلح من خلال التطبيق الآلي أنَّ "النقاد الذين يتناولون موضوع قراءة النص الآن أكثرهم تراجمة، يعنون بنقل التجارب والنظريات أكثر من عنايتهم بالبحث في النصوص الأدبية العربية نفسها، أو طرق قراءتها؛ على اعتبار أنَّ نظريات القراءة هذه من النظريات الحديثة التي لم يعرفها الناس في العالم كلّه إلا على أيدي النقاد الغربيين في العصر الحديث"[3].

---

(١) محمد حماسة: النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي. دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٢٥.

(٢) عبده الراجحي: النظريات اللغوية المعاصرة، وموقفها من العربية. بحث منشور ضمن الكتاب التذكاري، ص ٢٣٩.

(٣) عبد الرحيم الكردي: قراءة النص، مقدمة تاريخية. مكتبة الآداب، القاهرة، ط١: ٢٠٠٨م، ص ٧.

د- التفسير النسبي للمصطلح:

أعني به التفسير النسبي للمصطلح في بيئته الأصلية من قبل المعربين، ثم التفسير النسبي لمفهوم المصطلح المقابل له في العربية، بل يمكن القول بأنَّ التفسير النسبي الاصطلاحي "هو الميدان الاختباري الأول الذي يتجلى فيه الاختلاف بين المناهج النقدية على نحو واضح ومباشر؛ ففي إطار التنظير يكون النقاد منهمكين في صياغة رؤاهم مجرد وفي فضاء من التصورات التي قد توصلهم إلى تخيل نص تتجسد فيه شروطهم ومطالبهم"[١].

خذ مثلا على ذلك الترجمات المتعددة للمصطلح اللساني النصي (cohesion) وهو يدور في بيئاته الأصلية لاسيما الانجليزية حول (مفاهيم الربط)، غير أنَّ التفسير النسبي له من قبل التراجمة جعل بعضهم يسلكه ضمن مفاهيم الربط السطحي في ظاهر النص؛ فكانت مصطلحات: (السبك، الربط، التماسك، الترابط، الاتساق) وسلكه بعضهم في إطار التماسك المعنوي؛ فكانت مصطلحات: (الحبك والانسجام) مع نسبية هذه المصطلحات التراثية المأخوذة من البيئة البلاغية.

فلا يُعفى اللغويون المحدثون "من مسئوليتهم فيما يعانيه البحث اللغوي من اضطراب، وما يشيع فيه من فوضى مصطلحية، فاللغوي إذا ألف أو ترجم وضع نفسه –بوعي أو بغير وعي– في موضع الرائد دون أن يلقي بالًا إلى الذين سبقوا في هذا

(١) حاتم الصكر: ترويض النص . الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص٢٧.

المجال، وارتادوا تلك الأرض، وإن فعل –ونادرا ما يفعل– ترك ما اجتمعوا عليه، ورفض ما اشتركوا فيه، واشترع لنفسه طريقا خاصا"[١].

وهذا المنزع الفردي يؤدي إلى اختلاف في المصطلحات وما ترتبط به من مفاهيم، وهو من باب أولى من أجدر الأسباب التي تؤدي إلى فوضى المصطلح في البيئة اللغوية العربية.

هـ- التماس الجديد في القديم:

يجهد بعض الباحثين أنفسهم في محاولة عقد المقاربة اللسانية من خلال التماس مظاهر القديم وتوافقها مع الجديد، وعقد هذه الصلة –رغما عن طبيعة اللغات– يؤدي إلى الفوضى في الاستعمال الاصطلاحي؛ لأنَّه أمر متروك لثقافة الباحث وهواه في المقام الأول والأخير.

وعلى الرغم من كون هذا المسلك مما لا يفيد العلم في شيء؛ إذ لا فائدة من قولنا إن (سيبويه) سبق البنيوية في كذا أو إن (عبد القاهر) سبق التحويلية في كذا، على الرغم من هذا كله؛ يورث الأمر الإضرار عن غير عمد بالتراث ومصطلحاته؛ لأنَّ به محاولة لليّ أعناق المفاهيم في العربية لتقبل حدود المصطلح الحديث أو الجديد.

---

(١) محمد حسن عبد العزيز: المصطلحات اللغوية. ص ٢٩٣.

فـــ "اللسانيات باعتبارها علمـًا يدرس الظاهرة اللغوية من جميع جوانبها دراسة علمية؛ لم ينشأ إلا حديثـًا، فإنَّ بعض الدارسين يحاول أن يبحث لها عن جذور تاريخية وتأصيلية في التراث اللغوي العربي مما يجعلها تدخل في متاهة البحث التاريخي الذي لا ينفع كثيرا في المقاربات اللسانية الحديثة التي تعول على معالجة الظاهرة ووصفها معالجة آنية"[١].

مثال ذلك المسلك ما أجهد فيه الباحثون أنفسهم في مجال المصطلحات النقدية الأدبية، فحينما عرض الباحثون لمصطلح (التناص) في الدراسات الأدبية، مع الترجمة الدقيقة تعني بين المتناصات، وهو مصطلح غربي يعني بأشكال التأثير والتأثر بين النصوص الأدبية، حينما وجدوا أنفسهم أمام مقابلات تراثية متنوعة حاولوا بكل وسيلة تطويع المفاهيم الاصطلاحية التراثية لمفهوم (التناص).

ووجدوا أنفسهم أمام كم هائل من الأبواب البلاغية والنقدية ومصطلحاتها، وكل باب يعبر عن جهة دقيقة في أبواب الأدب العربي، ومنها مصطلحات: (السرقات الشعرية، الإحالات، التضمين)، ولم يكن بينها مصطلح يتطابق تطابقا تامـًا مع المفهوم الغربي من (التناص).

و- الترخص في الاستعمال الاصطلاحي:

---

(١) خليفة الميساوي: المصطلح اللساني. وتأسيس المفهوم، ص ٢٦.

وهو سبب من الأسباب التي ترجع إلى جهد الباحثين من واضعي المصطلحات

أو معرّبيها، حيث تجد بعضهم يترخص أو يتساهل في استخدام المصطلح في غير ما وضع له بشكل دقيق؛ فينشأ الترهل الاصطلاحي؛ فتكون الفوضى الاصطلاحية.

الترخص هو "استعمال المصطلحات اللسانية استعمالا مترخصاً لا يلتزم المفاهيم المتفق عليها عند أهل الاختصاص، ولاسيما ذلك الاستعمال الجاري على أيدي بعض الكتّاب ممن تعلقوا باللسانيات لركوب قطار النقد أو الأسلوبية أو غير ذلك من مدارس واتجاهات أدبية"[1].

أضف إلى ذلك مسألة النسبية والفردية في هذا الترخص؛ فهو من وسائل الفوضى التي يشهدها الباحثون اللغويون العرب، وهذه المسألة هي التي نجح نظراؤهم الغربيون في تلافيها عبر مناهج محكمة ودقيقة.

يقول **حجازي**: "وقد أدى التعاون العلمي بين أصحاب التخصص الواحد من أبناء الدول الأوروبية المختلفة ذاتِ اللغات المتعددة إلى اهتمام بوضع المعايير الدولية للمصطلحات من أجل جعلها موحدة في اللغات الأوروبية قدر الإمكان،

(١) أحمد محمد قدّور: مبادئ اللسانيات، ص ٤٧.

وكانت المؤتمرات العلمية المختلفة مجالًا لبحث هذا الموضوع، ومنها: مؤتمر(علماء النبات ١٨٦٧م) ومؤتمر (علماء الحيوان ١٨٨٩م)"[١].

وبما أنَّ ذلك كان ممكنـًا في اللغات الأوروبية المختلفة؛ فمن باب أولى إمكان تحقيقه في اللغة الواحدة، أعني العربية، وهو مما بدأت به بعض المجامع اللغوية العربية وبعض الهيئات والمؤسسات التي تعنى بقضية المصطلح وأثرها في تقدم العلوم والفنون.

ز- تشتت جهود العمل المصطلحي:

ينشأ عن النزعة الفردية لدي المؤلفين والمترجمين تشتت في العمل الاصطلاحي، ما يسبب فوضى الاصطلاح؛ لأنَّ المناهج تختلف، والمعايير الاصطلاحية تتنوع على الرغم من وحدة اللغة والهدف المرجو من علم المصطلح في علوم العربية اللسانية.

وقد "اجتمعت الأمة العربية على أن تكون الفصحى لغتها القومية التي تعبر بها عن وحدتها الثقافية، وعن فكرها المعاصر... ولكي يتوافر لدينا هذه اللغة العلمية ينبغي إعداد مقابلات عربية للمصطلحات العلمية والتقنية باللغات الأجنبية، والتخلص من تعددية الألفاظ الدالة على مدلول واحد"[٢].

---

(١) محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح. ص ١٦.

(٢) محمد حسن عبد العزيز: المصطلحات اللغوية. ص ٢٩٠.

فهذا التعدد- كما يلي تفصيله- من مظاهر الفردية وتشتت جهود العمل المصطلحي، ولو توحدت الجهود الاصطلاحية بين المجامع اللغوية والمعربين لاختلف واقع المصطلح العلمي بشكل جذري، وهو ما نجح فيه الأوروبيين على اختلاف لغاتهم.

ويرى البحث أنَّ من أسباب هذا التشتت في العمل الاصطلاحي أن: الدارسين لم يفرقوا بين طبائع المفاهيم الاصطلاحية حسب مستويات اللغوية؛ إذ" يخلط أغلبهم بين (اللسانيات وعلم اللغة وفقه اللغة والتراث النحوي والبلاغي)، وهي مجالات في حقيقة الأمر مختلفة المناهج والتصور والموقف من الظاهرة اللغوية؛ مما أدى إلى اضطرابات منهجية زادت من صعوبة البحث والدراسة، وضبط المفاهيم والمصطلحات الخاصة بكل مجال، فكثيرًا ما يخلط الدارس بين هذه المستويات ويظن نفسه أنه عارف بخصائصها، وهو غفل عنها"[(١)].

هكذا يكون غياب التنسيق بين المجامع اللغوية والمعربين والمؤلفين سببا في تشتت الجهود المبذولة في علم المصطلح.

ح- اضطراب الدلالة الاصطلاحية:

غالب ما سبق من الأسباب التي أدت إلى فوضى الاصطلاح راجع إلى جهد الباحثين أنفسهم كالنزعة الفردية، وعدم مراعاة الخصوصية اللغوية أو الثقافية

---

(١) خليفة الميساوي: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم.، ص٢٦، ٢٧.

عامة إلى غير ذلك، وهذا السبب راجع إلى عدم فهم طبيعة الدلالة الاصطلاحية بشكل دقيق؛ لأنَّها دلالة كثيرًا ما تكون مترهلة أو مضطربة.

فدلالة المصطلح "أخطر من دلالة لفظه مع ما يفعله اللفظ من بلبلة فالدلالة هي الغاية القصوى التي يطلبها الباحث؛ لذلك ينبغي أن تكون محددة ومضبوطة ضبطـًا نابعـًا من المجال الذي ترد فيه، وأول ما يجب الالتفات إليه هاهنا هو الوعي بالفرق بين الدلالة اللغوية العامة من جهة، والدلالة اللغوية الخاصة من جهة أخرى؛ حتى لا يكون خلط أو التباس"[1].

فاضطراب الدلالة ينشأ عن مستويين في الخلط:

- مستوى الخلط بين الدلالة اللغوية الخاصة والعامة، ومن أمثلتها "ما دأب عليه مترجمو المصطلحات من الاستمداد الواسع من المعاجم اللغوية العامة التي تعنى بالرصيد المشترك ودون أن يتجشموا عناء مراجعة المعاجم المصطلحية الأجنبية أو يبحثوا في المصطلحات العربية المستمدة من التراث أو المتداولة في الاستعمال الراهن"[2].

---

(١) أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات. ص ٥٣، ٥٤.

(٢) أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات . ص ٥٤.

- مستوى الخلط بين الدلالة اللغوية من جهة، والدلالة الاصطلاحية من جهة أخرى، ومرد ذلك إلى محاولات متعسفة في عقد وجوه مقاربة بين الدلالتين على الرغم من تنافرهما، وعدم التقائهما، ومثال ذلك ما اشتهر في الدرس اللساني النصي (الإحالة) وهو مرجعية الألفاظ اللغوية من ضمائر وغيرها، فالمعنى اللغوي لهذا المصطلح يعني وقوع المستحيل في مخالفة تامة للمعنى الاصطلاحي.

ثانيا: مظاهر فوضى المصطلح.

بعد بيان أهم أسباب فوضى المصطلح في اللسانيات العربية، نحاول إيراد بعض المظاهر التي تجسد هذه الفوضى تدعيماً لهذه الأسباب من جهة، واستزادة من الأمثلة المضروبة على هذه الفوضى في ثنايا الجزئيات السالفة الذكر، وهو ما يمكن القول به على النحو الآتي:

أ- تعدد المصطلحات لمفهوم واحد:

هذا التعدد ينشأ ضرورة عن أحد أمرين: إما نسبية التلقي الاصطلاحي من قبل الواضعين
أو المعربين، أو عدم فهم المصطلح في بيئته الأصلية فهماً دلالياً دقيقاً، فتكون النتيجة وجود مقابلات لغوية كثيرة لمفهوم اصطلاحي واحد؛ فتكون فوضى الاصطلاح في أوضح مظاهرها.

فكما ذكر **الميساوي**: "الجهل بتكوين المفهوم المصطلحي في لسان نشأته وكذلك عدم التمكن من معرفة الملابسات السياقية والمعرفية والعلمية التي نشأ فيها المصطلح الأصلي؛ تجعل المترجم غافلا عنها عند عملية الترجمة.... فالمترجم الذي لا يتمكن من ضبط شروط نشأة المصطلح في لسان نشأته الأصلي لا يستطيع أن يضبط ترجمته في اللسان الهدف، ويبدو أن الترجمات العربية المتصلة بالميادين العلمية ومنها اللسانيات لم تتمكن من ضبط هذه الشروط مما جعل ترجمة المصطلح اللساني ترجمة مضطربة ومتناقضة أحيانا من مترجم إلى آخر ومن قطر عربي إلى آخر"(١).

وهذا الاضطراب أو ذاك التناقض في صورته الأولى ماثل في تعدد المصطلح أو تعدد في لفظ المصطلح الدال على المفهوم الاصطلاحي الواحد، وغالبا ما يكون هذا في المعرَّب.

يقول **حجازي** في هذه المسألة: "استخدام كلمتين مختلفتين أو عدة كلمات لمفهوم واحدة يعد هدرًا للرصيد المعجمي، وقد دارت أكثر الاختلافات حول هذه النقطة، سمي ذلك التخصص: علم اللغة، علم اللغات، الألسنية، واللسانيات، وسمي البحث الصوتي: علم الصوت، صوتيات"(٢).

---

(١) خليفة الميساوي: المصطلح اللساني، وتأسيس المفهوم. ص ٩٧.

(٢) محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح. ص ٢٢٨.

وقد تكون الأسباب المفضية إلى ذلك "تعدد مصادر المصطلح واختلافها بسبب طبيعتها اللغوية والثقافية على النقيض من العلوم التي لا يظهر فيها شيء من هوية الثقافة أو اللغة الغالبة بسبب طبيعتها المعرفية القائمة على الرموز والاصطلاحات الرياضية والنظرية"(١).

و"أوضح مثال على ذلك أنَّ أول إشارة بالعربية إلى ثنائية (سوسير) اللغة والكلام؛ وردت في كتاب علم اللغة الذي أخرجه (علي عبد الواحد وافي) عام ١٩٤١م، وتناقل الباحثون من بعده هذين المصطلحين، وغلب استعمالهما حتى اليوم، بيد أنَّ بعض المترجمين أو المؤلفين يزعزعون هذا المستقر، ويثيرون الفوضى لغير سبب علمي واضح ؛ فيستبدلون بالمصطلح الأول (اللغة) المصطلح (اللسان) ومن ثمَّ يجعلون اللسانية أو الألسنية أو اللسنية عَلَمًا للعلم الذي يدرسها، بل إنَّ منهم من لا يكتفي بهذا؛ فيستخدم مصطلح (كلام) الذي سبق الاتفاق عليه ويستخدم مصطلحا آخر هو حديث"(٢).

وقد سبق الحديث على أن من أمثلة ذلك المصطلح النصي في الدرس النصي العربي؛ فقد استعملوا مصطلحات مختلفة تدل على التماسك والترابط، كالسبك والحبك...إلى غير ذلك.

---

(١) أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات. ص ٤٧.

(٢) محمد حسن عبد العزيز: المصطلحات اللغوية. ص ٢٩٣.

ب- تعدد المفاهيم لمصطلح واحد:

يمثل هذا الجزء عكساً للجزء السابق؛ فالأول كان تعدد المصطلحات على المفهوم الواحد، وهنا تعدد المفاهيم لمصطلح واحد، وبعبارة أدق: قصور التعبير الاصطلاحي عن إدراك القيم الخلافية بين مراتب هذه المفاهيم ودرجاتها.

ومن أمثلة ذلك "عندما نستخدم كلمة (الإدغام) تارة بالمعنى القديم، وهو إحداث تغير صوتي يؤدي إلى التضعيف، وتارة بالمحتوى الدلالي لمصطلح (Assimilation) ويعني إحداث تغيير يؤدي إلى تشابه أو تماثل بين صورتين"[١].

فقد استعمل المصطلح الوحد (الإدغام) في الدلالة على مفهومين مختلفين، هما: التضعيف الصوتي، والتماثل الصوتي، وقد يكون مرجع ذلك التعدد المفهومي وجود المشابهة الصوتية في كلا المفهومين الاصطلاحيين، فهو "استخدام الكلمة العربية الواحدة لمفهومين مختلفين أو أكثر من مفهومين، ومعنى هذا أن المفهومين المختلفين ينبغي أن نعبر عنهما بمصطلحين متميزين، ولا يجوز أن نستخدم كلمة عربية لهما"[٢].

وفي هذا الصدد يقول **حجازي** "لم يعد من المفيد النظر الجزئي في المصطلح المفرد بهدف إيجاد المقابل العربي له؛ فإذا كانت الكلمة الواحدة قد تختار

(١) محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح. ص ٢٢٨.

(٢) محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح. ص ٢٢٩.

عند النظر في مصطلح ما، ثم تختار مرة أخرى عند بحث مصطلح آخر؛ وبذلك تكون لمفهومين مختلفين أو أكثر؛ ولهذا فمن الضروري الإفادة من الفكرة الأساسية في علم المصطلح العام، والتي تقول بضرورة حصر مصطلحات التخصص الدقيق الواحد، ووضع مصطلح لها على النحو الذي يحقق التخالف المنشود ووضوح العلاقات الدلالية المختلفة بين المصطلحات المنتمية إلى مجال واحد، أو إلى مستوى واحد من مستويات التحليل"[1].

ج- تغريب المصطلح:

من مظاهر الفوضى الاصطلاحية في الاستعمال اللساني العربي تغريب المصطلح، وأعنى به أنه حينما يعجز الناقل أو المعرّب عن فهم الخلفية السياقية والمعرفية للمصطلح في بيئته الأصلية فإن يلجأ إلى نقل المصطلح بتعريبه تعريباً جزئياً؛ فينتج لدينا مصطلح أجنبي بحروف عربية، ناهيك عن أنَّ أهم جانب من جوانب الفوضى من خلال التغريب؛ إنَّما هو وضع مصطلح ذو مفهوم محدد على مادة تطبيقية غريبة عنه.

---

(١) محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح. ص٢٣٤.

وفيه يقول دحو: "إذا كان من الثابت أنَّ المصطلح لغة واصفة ذات جوهر يعكس حمولة مفهومية ومعرفية وثقافية وانتماء إلى ثقافة ما؛ فإنَّ تغريبه يجعل منه لغماً عنقودياً موقوتاً لا تنمحي ندوبه بسهولة"[1].

قد ترجع بعض أسباب الظاهرة إلى جهود المعربين أنفسهم كما سبق الحديث عن ذلك في مصطلح (سيميولوجية)، وقد ترجع إلى غموض أيضا في الخلفية السياقية للمصطلح في بيئته الأصلية؛ فينتقل هذا الغموض إلى البيئة الهدف من هذا الطريق.

على كل؛ يبدو أنَّ مهمة الفكر العربي "ظلت حبيسةَ محاولات استيعاب المفاهيم الغربية، ونقلها إلى العربية في صورة مفردات جلها معرب تعريبا صوتيا، وهو تصور لا يجانب الصواب لكنّه يحول أزمة المسألة الحضارية عند العرب إلى أزمة في المصطلح"[2].

ثالثاً: أمثلة على فوضى المصطلحات.

---

(١) لحسن دحو: كاريزما المصطلح النقدي. ص ٢٠٨.

(٢) لحسن دحو: كاريزما المصطلح النقدي. ص ٢١٣.

قبل أن ننتقل إلى المبحث الثاني حيث مقترحات وحلول، نضرب بعض لأمثلة على هذه الفوضى الاصطلاحية لتكون ختاما لهذا المبحث المختص بأسباب هذه الفوضى ومظاهرها.

لاريب أنَّ هذه الفوضى تقل على مستوى المصطلح التراثي، كما تقع على مستوى المصطلح الحداثي المعرّب أو الدخيل على العربية.

مثال المستوى الأول في المصطلح التراثي مصطلحي (المفرد والحرف)، فالمصطلح الأول في النحو العربي "يستخدم في باب من أبوابه للإشارة إلى الواحد، أي ما يقابل المثنى والجمع، وفي باب آخر للإشارة إلى ما ليس بجملة ولا بشبه جملة، وفي باب آخر للإشارة إلى ما ليس مضافا ولا شبيها بالمضاف وخذ أيضا مصطلح (الحرف) يستخدم أحيانا؛ ليدل على الكلمة؛ وأحيانا ليدل على قسم معين من أقسام الكلام، ويستخدم كذلك ليدل على وحدة من وحدات النظام الصوتي أو الإملائي في العربية"[1].

ومن أمثلة الفوضى الاصطلاحية في شقها الحداثي أو المعرَّب، مصطلح الربط (cohesion) حيث يمثل "هذا المصطلح كلَّ الأدوات والوسائل التي بها يَبني الخطاب تسلسه ويشدُّ مفاصله، فهو يجمع كل العلاقات الرابطة التي تكون

---

(١) محمد حسن عبد العزيز: المصطلحات اللغوية. ص ٢٩٧.

الخطاب أو النص؛ ولذلك اعتبرت دراسة الربط من مجالات تحليل الخطاب، وقد اعتنت به كذلك اللسانيات النصية"[١].

وعلى الرغم من وضوح المصطلح مفهومـًا واستعمالًا إلا أنه لم ينتقل إلى العربية استعمالًا سلسًا واضحـًا كما في بيئته الأصلية، ففي الاستعمال اللساني العربي حاول الباحثون فلسفته مما أفضى به إلى الغموض الاصطلاحي؛ إذ استعمله بعضهم في الوسائل اللفظية للترابط، وهو الأغلب، واستعمله بعضهم الآخر في الحديث حول الوسائل المعنوية؛ فكانت الفوضى.

المبحث الثاني: اقتراحات وحلول

يعرض البحث في جزئه الثاني لبعض المقترحات التي قد تساهم بشكل ما في حل هذه الفوضى الاصطلاحية، وما ترتب عليها من فوضى ثقافية عامة.

وقد تبدو الحلول سهلة من خلال القول بأنَّ حل مشكلة فوضى الاصطلاح ماثل في تلافي أسبابها، والعمل على ما يناقض تلك الأسباب، إلا أن المسألة أكثر تعقيدًا وتشابكـًا من هذه الفرضية البسيطة، وهو ما يمكن تناوله على النحو الآتي:

أ- التخلص من التبعية الاصطلاحية:

---

(١) خليفة الميساوي: المصطلح النصي وتأسيس المفهوم. ص ١٠٥.

سبق القول بأنَّ أهم أسباب فوضى الاصطلاح - في رأي البحث - ترجع إلى مشكلات الترجمة والنقل الاصطلاحي أو تعريبه من بيئاته الأصلية إلى البيئة العربية، ومن ضمن مسوغات هذا الرأي عدم الدقة في وعي المفهوم السياقي لمصطلح علمي ما في بيئته الأساسية، ومع ذلك يحاول بعض التراجمة جهدهم لحشد هذا المصطلح في بيئة عربي مختلفة وواقع نصي متباين أشدَّ التباين، وهو ما عبر عنه البحث بمسألة التطبيق الآلي للمصطلح الغربي.

وفيه يقول عبد العزيز: "ليست مشكلة المصطلح اللغوي ببعيدة عن المشكلات اللغوية التي يواجهها العرب اليوم؛ فلا زال العرب -على الرغم من نهضتهم الحديثة- مستهلكين للمعرفة ولمنجزاتها التي ينتجها الغرب ويسوقها لهم بحساب، وليس ثمة أمل قريب في أن يتخلصوا من تلك التبعية وأن يكون لهم دورٌ معرفي مشارك"[1].

ومن شواهد هذه التبعية الاصطلاحية المطلقة دون مبرر أنَّ "معجم المصطلحات اللغوية معجم ثنائي اللغة يعتمد في مداخله على الإنجليزية أو الفرنسية غالبا، ومن ثم فإن ما يتضمنه من مصطلحات تعبر غالباً عن مصطلحات مستحدثة في

(١) محمد حسن عبد العزيز: المصطلحات اللغوية. ص ٢٨٧، ٢٨٨.

مجاله، وقلما يضم مصطلحات تعبر عن تصورات عربية، إذ يتجه إلى الترجمة من الخارج أكثر مما يتجه إلى التوليد من الداخل"(١).

لا يعني هذا الاقتراح بحال من الأحوال التخلي عن روافد المعرفة الإنسانية بقدر ما يعني من ضرورة اشتقاق مصطلحات لسانية وغير لسانية تنبع من طبيعة اللغة العربية وخصائصها؛ تجنباً للتطبيق الآلي للمصطلح الغربي، وهو ما يتيح إمكانية توحيد الجهود المبذولة في الاصطلاح الاستعمالي العربي؛ لوحدة الطبيعة والخصائصية في اللغة العربية الفصحى.

ومن" ثم فإنَّ تعريب العلم المعاصر ضرورة حتمها هذا الموقف (موقف الجائع معلوماتياً) كما يقول أحد علماء الحاسوب العرب، وسوف تؤدي الترجمة – ولفترة طويلة- أعظم دور في نقل المعرفة، وسوف تستمر هذه الحاجة إلى أن تتغير الظروف التي دفعت إليها "(٢).

كل ما هو واجب علينا أن نحاول اشتقاق مصطلح يناسب خصائص العربية إذن، وإلا فكل جهد في نقل المصطلح لن تظهر بوادر نجاحه لحقيقة مباشرة وهي الخلاف الثقافي، ومن ثم تظهر "المشكلات المصطلحية عندما نجد المصطلح المقترح لا يؤدي وظيفته في التواصل بين العلماء في داخل التخصص، إنَّها ليست

---

(١) محمد حسن عبد العزيز: المصطلحات اللغوية، ص٢٨٨.

(٢) محمد حسن عبد العزيز: المصطلحات اللغوية . ص٢٨٨.

مشكلة نابعة من الصحة اللغوية داخل المصطلح؛ فما أسهل أن يثبت كثير من اللغويين صحة مصطلحاتهم الفردية، لكنها ضرورة الوضوح والدقة والتواصل العلمي بين أهل التخصص"[١].

ب- الاستفادة من إمكانات التراث:

لا يعني التخلص من التبيعة الاصطلاحية المطلقة سوى الاستفادة من إمكانات التراث الهائلة من جهة أخرى، كما يعني التخلص من التطبيق الآلي للمصطلح اللساني الأجنبي عن العربية، لأنَّها مصطلحات ستشتق من التراث اللغوي العربي، وهذا يعني مناسبتها لخصائص العربية وطبيعتها، كما يعني التخلص من بعض العيوب السالفة الذكر في ثنايا البحث، "عدم الإفادة من التراث العربي في علوم اللغة من حيث التنظير والمصطلح، وذلك

عند محاولة إيجاد المقابل العربي لمصطلحات أوروبية، يتضح هذا الأمر عند النظر في الترجمات المختلفة للحالة الإعرابية (مثلا) ليس من الدقيق أن يترجم مصطلح (nominatic) بأنّه حالة الفاعلية؛ فالصواب حالة الرفع"[٢].

مع الأخذ في الاعتبار " أنَّ استخدام المصطلح التراثي لمفهوم جديد مختلف عنه في التراث؛ فيحدث لبس عند ورود المصطلح، ويجعل القارئ يتردد في

---

(١) محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح. ص٢٢٨.

(٢) محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح. ص٢٢٩.

فهم المصطلح بين الدلالة القديمة والدلالة الجديدة، وقد يؤدي هذا اللبس إلى سوء الفهم"[1].

وهنا أجد أننا أمام خطين متوازيين في هذا المقترح لحل مشكلة الفوضى الاصطلاحية:

- الاستفادة من التراث الاصطلاحي بكل شكل ممكن.
- مراعاة المناسبة بين دلالة المصطلح القديم ولفظه التراثي من جهة، ومراعاة ما يدل عليه من جهة أخرى عند التطبيق؛ تجنبا للتطبيق الآلي على النصوص، وفرارًا من التطبيق النسبي في فهم المصطلح اللغوي العربي من الاستعمال اللساني العربي.

فعدم مراعاة هذين الشرطين تؤدي إلى غير المقصود من المصطلح من الاتصال العلمي بين أهل التخصص الواحد، ويحدث اللبس والغموض المؤدية إلى حدوث الفوضى الاصطلاحية.

فقد ثبت "أنَّ المصطلحات التراثية تشكل رصيدًا مشتركًا لابد من الإفادة منه على نحو واضح في إيجاد المصطلحات اللغوية الحديثة"[2].

---

(١) محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح ص٢٢٨.

(٢) محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح. ص٢٣٣.

ويرى البحث أنَّ الإفادة من المصطلحات التراثية فوق أنها تخلص من التبعية الاصطلاحية التي لا تناسب طبيعة العربية وخصائصها- كما سبق القول- فإنها تعفينا من أن يكون المصطلح اللساني خاصة رهينة للمصطلح الأجنبي؛ فقد "باتت ولادة المصطلح العربي رهينة بوجود المصطلح الغربي، وأمسى تداوله وقفًا على درجة تمكن المتلقي العربي من المصطلح الغربي ومفهومه، وهذا- في واقع الأمر- يفضي إلى طرح سؤال جوهري: هل ولادة المصطلح العربي مردها إلى إثارة حاجات أم إشباع حاجات؟"(١).

كما نرى أنّ المصطلح الغربي قد بلغ من توحيده وتطوره مبلغا يثير فيه الحاجات، أمَّا المصطلح اللغوي العربي فلا زال يعاني من نقص شديد في حاجات مناطة به، وفوق هذا النقص فهناك فوضى اصطلاحية لا تخدم الاستعمال العربي اللساني في قليل أو كثير.

وليس الأمر صعبا؛ فقد "استطاعت العربية في زمن النهوض الحضاري في العصر العباسي أن تفيد من إمكانياتها الذاتية في الاشتقاق والتطور الدلالي وتقبل الدخيل؛ لتصير لغة للعلم بعد أن كانت لغة للأدب لاسيما الشعر، ولابد من الإقرار بجدوى هذه الوسائل في عصرنا، إذ تولد عن طريقها آلاف المصطلحات في كل المجالات العلمية والثقافية، لكنَّ غنى هذه الوسائل ومرونتها واستنادها إلى مدلول

---

(١) حسن دحو: كاريزما المصطلح النقدي. ص٢١٣.

لفظي ودلالي غير محدودين أدى إلى ظهور مصطلحات مترادفة؛ إذ لجأ كل واضع إلى وسيلة من هذه الوسائل"[١].

ج- توحيد المصطلح:

رأينا فيما سبق أنَّ التخلص من التبعية الاصطلاحية سيقودنا حتما إلى الاستفادة من الإمكانات التراثية الهائلة، وهو وإن كان يخلصنا من إشكالية التطبيق الآلي؛ فإنَّه يوقعنا في محذور آخر، وهو أنَّ الإمكانات التراث هائلة في اللفظ والمفهوم، وهو أمر يجعل نسبية الباحثين تتحكم في اختيارات المصطلحات؛ فينتج عنه فوضى اصطلاحية أيضا، والمخرج من ذلك كلّه توحيد المصطلح بعد تدوينه وحصره.

ولكي يتوحد المصطلح؛ فلا بد من توحيد شيء آخر سابق على هذه الخطوة، وهو توحيد المعاير أو المناهج الوضعية الاصطلاحية؛ فليس "الاصطلاح مجرد اتفاق بين أهل الصنعة على مدلول خاص فحسب؛ بل إنه اتفاق دائم على معايير، إنَّ أيّ محاولة للتصنيف في أقسام ينبغي أن تقوم على وجوه شبه أو اختلاف في كل ما يدخل القسم المفترض من مفردات، وتميزه عما عداه؛ ولهذا لجأ أهل الصنعة إلى التعريف، لكي يحددوا به المعرف بحيث يكون جامعـًا مانعـًا"[٢].

---

(١) أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات. ص٤٩.

(٢)محمد حسن عبد العزيز: المصطلحات اللغوية. ص ٢٩٥.

ليس التوحيد الاصطلاحي -فيما أرى- قائما على الشق العربي فقط، بل إنّه ينسحب على الشق المعرب أو المترجم، يقول الدكتور حجازي في هذا الصدد "ضرورة التوحيد المعياري لترجمة المصطلحات المركبة في علوم اللغة جزء من الاتجاه الدولي إلى التوحيد المعياري لترجمة السوابق واللواحق في المصطلحات العلمية بصفة عامة يتطلب التوحيد المعياري أيضا تدوين المصطلحات المقترضة بطريقة موحدة لا تعكس بالضرورة نطق كل المناطق العربية"(١).

لا شك أنَّ **توحيد المصطلح** أو بعبارة أدق اتخاذ خطوات عملية في هذا المجال على أسس منهجية وعلمية يقتضى بالضرورة المنطقية مسألة أخرى، وهي تدوين المصطلحات بعد حصرها حصرًا دقيقًا شاملًا.

فلن "يتقدم البحث العلمي في اللغة بهذا الرصيد المحدود من المصطلحات الحديثة؛ ولذلك فمن المفيد أن تقتحم هذه المشكلة بخطة موحدة لاستكمال الرصيد الحالي من المصطلحات... ويكون التنفيذ على أساس توزيع واضح لمجالات علم اللغة، والمجالات المتصلة به"(٢).

وهذا التقدم العلمي مرهون بالتقدم الاصطلاحي، والتقدم الاصطلاحي مرهون بتوحيده بعد حصره وتدوينه، فمن "المفيد أن يستمر العمل التسجيلي لتدوين

(١) محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح. ص ٢٣٠.

(٢) محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح. ص ٢٣٤.

المصطلحات اللغوية المستخدمة في الكتب والدوريات المتخصصة والدوريات العامة، ومنها أيضا تلك المصطلحات التي أصبحت جزءًا من اللغة العامة، وهذا العمل مختلف عن وضع معجمات معيارية، وإن كان عمل هذه المعجمات لا يتيسر قبل القيام بالعمل التسجيلي"[1].

ومن الوسائل المعينة على تحقيق هذا التوحيد الاصطلاحي توحيد الوسائل الاصطلاحية

أو تقنينها على الأقل، إذ "يمكن أن تُتلافَى آثار هذه الوسائل المتعددة ، لا بل أن يحسن استغلالها لو أن الجهات الجماعية أخذت دورها في الاختيار والتوحيد والنشر، ولو أنَّ أصحاب هذا الشأن تخلو عن منازعهم الفردية، ولزموا أكثر صور المصطلح شيوعـًا واستعمالًا لكن شيئًا من ذلك لم يحدث على نطاق واسع؛ بل حدث ما هو أدهى حين لم يرتض بعض المعنيين كل الصور المترادفة للمصطلح الواحد، وراح يبدع صورا جديدة"[2].

فعلى سبيل التوحيد الاصطلاحي عقبات كثيرة، وخطوات هامة من حصر المصطلحات المستعملة بالفعل ثم تصنيفها وتدوين هذا التصنيف، ولن يتأتى هذا إلا بعد توحيد الوسائل.

(١) محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح. ص ٢٣٥.

(٢) أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات. ص ٥٠.

د- التركيز المفهومي للمصطلح:

سبق في الحديث عن أسباب الفوضى في المصطلح الحديث عن عدم فهم المصطلح من ناحية دلالته في بيئته الأصلية، أو في بيئته الهدف من قبل الناقلين، أو عدم العناية من قبلهم بما يترتب عليه من مفهوم جديد في السياق الاستعمالي الجديد.

وكي نتخلص من هذا السبب فلابد من التركيز المفهومي للمصطلح؛ وهي خطة مهمة على صعيد التوحيد الاستعمالي له، وهذا التركيز المفهومي مرتب على ما سبق الحديث عنه من ضرورة توحيد معايير الاصطلاح ووسائله؛ فلا شك " أنَّ وحدة المبادئ العامة للاصطلاح هي أدنى مستلزمات وحدة الفكر العربي؛ لأنَّ هذه الوحدة لن تؤتي ثمارها إلا إذا التزم بها العلماء، وصناع المعجمات، ومن ثم يشيع استعمال المصطلحات الموحدة بحيث تؤدي دورها في وحدة الفكر العربي"[1].

من آثار هذا التركيز المفهومي للمصطلح أنك لن تجد ظاهرة التعدد المصطلحي للمفهوم ومن آثار هذا التركيز المفهومي للمصطلح أنك لن تجد ظاهرة التعدد المصطلحي للمفهوم الواحد،
أو على العكس من ذلك لن تجد ظاهرة التعدد المفهومي للمصطلح الواحد؛ لأنَّ "المصطلح اللغوي – كغيره من المصطلحات- ينبغي أن يشير إلى مفهوم محدد،

---

(١) محمد حسن عبد العزيز: المصطلحات اللغوية. ص٢٩١.

يميزه عن أي مفهوم آخر، ولن يتم ذلك إلا بتثبيت العلاقة بينه وبين مفهومه، ولا شكّ أن هذا أدعى إلى الدقة وأدعى إلى الوضوح وأدنى إلى أمن اللبس"(١).

يقول الميساوي: "إنَّ المفاهيم باعتبارها وحدات مجردة وأبنية فكرية يدركها الإنسان بالعقل، ويجريها باللسان في حقول معرفية لغرض من أغراض التواصل ليست سوى مقاربة علمية لربط المصطلحات بالمفاهيم ومن هذا المنطلق تعمل المفاهيم على إيجاد طريقة تناسبية؛ لتصنيف المعارف وتسخيرها لخدمة العلم بواسطة المصطلحات"(٢).

(١) محمد حسن عبد العزيز: المصطلحات اللغوية . ص٢٩٧.

(٢) خليفة الميساوي: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم. ص٥٧.

خاتمة

خلصنا في بحثنا إلى نتائج عديدة في توصيف أسباب فوضى المصطلح وبيان مكمنها وبعض أشكالها، وإيراد اقتراحات لحل هذه المشكلة الماثلة في بعض المصطلحات واستعمالها.

ونجمل أهم نتائج الدراسة وأبرزها، وهي كالآتي:

- اختلفت وجهات نظر الباحثين حول مدى استقلالية علم المصطلح عن علم اللغة؛ فقال فريق بانفصاله، وقال آخر بتبعيته، وهو مرتب على خلاف آخر حول أصالة بعض علوم اللغة بعضها عن بعض، والراجح أنَّ علم المصطلح فرع من علم اللغة؛ لأنه منضبط بضوابطه وأصوله ومناهجه.
- تعددت أسباب هذه الفوضى الاصطلاحية، بعضها راجعٌ إلى طبيعة اللغات، المنقول منها والمنقول إليها، وبعضها راجعٌ إلى جهود المترجمين، فمن القسم الأول: اختلاف السياق الثقافي، ومشكلات الترجمة باختلاف طبائع اللغات، وعدم استيعاب السياق المفهومي للمصطلح في بيئته الأصلية، وإدراك الاختلاف المفهومي للسان الهدف.
- ومما هو راجع إلى القسم الثاني، النزعة الفردية في الترجمة، وغيرها من مشكلات الترجمة، ومنها التفسير النسبي للمصطلحات، ثم التطبيق الآلي على اللسان الهدف بغير دقة أو ضوابط، ومنها كذلك تشتت الجهد

المصطلحي اللساني خاصة على مستوى المجامع والهيئات المعنية والأفراد.

- تكمن الحلول في مواجهة هذه الأسباب السابقة ومحاولة التخلص منها أو الحد منها، وذلك من خلال عدة وسائل، منها: التخلص من التبعية الاصطلاحية للغرب تخلصا من التطبيق المصطلحي الآلي، والاستفادة من إمكانات التراث توصلًا لمصطلحات تناسب خصائص العربية، وتوحيد المصطلح المترجم أو الأصلي بعد حصره وتدوينه وتصنيفه، ومنه التركيز المفهومي على المصطلح الأصلي أو الوافد.

وختاماً، فإننا مهما سعينا في شرح وإيضاح وبرهنة ما أزمعناه في هذا البحث فإنها تبقى نظرة شخصية مبنية على رؤى معينة تخدم هدفاً معيناً لدراسة فرضية لا نملك إلا أن نضعها في صفوف الاستنتاجات والآراء حول دراسة الموضوع، وأن ساحته لاتزال خصبة لكثير من البحوث والدراسات التي بوسعها الوصول إلى المأمول في المصطلحات العلمية.

ثبت المراجع

أولًا: الكتب

- استيتيه، سمير شريف. **اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج**. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط٢، ٢٠٠٨م.
- حجازي، محمود فهمي. **الأسس اللغوية لعلم المصطلح**. مكتبة غريب، القاهرة، د.ط، ١٩٩٣م.
- حليلي، عبد العزيز. **اللسانيات العامة واللسانيات العربية. تعاريف وأصوات**. منشورات دراسات، سال، المغرب، ط١ ، ١٩٩١م.
- حماسة، محمد. **الإبداع الموازي. التحليل النصي للشعر**. دار غريب، القاهرة.
- حماسة، محمد. **النحو والدلالة. مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي**. دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- الصكر، حاتم. **ترويض النص**. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.
- القاسمي، علي. **مقدمة في علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية**. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
- قدور، أحمد. **اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي**. دار الفكر، دمشق، ٢٠٠١م.
- الكردي، عبد الرحيم. **قراءة النص، مقدمة تاريخية**. مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.
- المسدي، عبد السلام. **التفكير اللساني في الحضارة العربية**. الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٩٨٦م.

- الميساوي، خليفة. **المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم**. منشورات ضفاف، الرباط، ط١، ٢٠١٣م.
- اليعبودي، خالد. **المصطلحية: واقع العمل المصطلحي بالعالم العربي**. دار ما بعد الحداثة، فاس، ط١، ٢٠٠٤م.

ثانيـًا: الدوريات

- إبرير، بشير. **علم المصطلح وأثره في بناء الخطاب اللساني العربي الحديث**. مجلة نصف سنوية محكمة تعني بقضايا اللسانيات واللغة العربية والتراث، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، جامعة عنابة، مارس ٢٠١١.
- حسن، محمد. **المصطلحات اللغوية**. بحث منشور في الكتاب التكريمي تمام حسان، رائدًا لغويـًا.
- دحو، حسن. **كاريزما المصطلح النقدي العربي. تأملات في الوعي النقدي، وصياغة المفهوم،** مجلة المخبر الجزائرية، العدد ٧، ٢٠١١م.
- الراجحي، عبده. **النظريات اللغوية المعاصرة. وموقفها من العربية**، بحث منشور ضمن الكتاب التذكاري، تمام حسان رائدًا لغويـًا.

وسمية عبدالمحسن محمد المنصور

ولــدت في الكويت في 1950/2/19م، وفيها تعلمت حتى ابتعثت للدراســة في القاهرة فأخذت درجة الليســانس في الآداب والفلســفة/كلية الآداب جامعــة القاهرة-1969م. ثم عادت لتعمــل في التدريس في الكويت حتى تعينــت معيــدة في جامعــة الكويت ثم ابتعثــت مرة أخرى إلــى القاهرة فانتظمــت في كليــة البنات في جامعة عين شــمس، وفيهــا نالت درجة الماجســتير فــي النحو والصرف/كليــة البنات جامعة عين شــمس-1977م القاهرة. عن بحث: (صيغ الجموع في القرآن الكريم). ثم انتقلت إلى جامعة القاهرة لتزامل زوجها إبراهيم الشمســان، وفيهــا نالت درجة الدكتوراه في النحــو والصرف/كلية الآداب جامعة القاهرة 8- 4-1981م القاهرة. عن بحث (أبنيــة المصدر في الشــعر الجاهلي). عادت إلى الكويت فعملت مدرســة للنحو والصرف فعميــدة لكلية البنات في جامعة الكويت 1981م -1987م، ثم انتقلت إلى الرياض مع زوجها وتعينت في جامعة الملك سعود فكانت أســتاذًا مساعدًا ثم أستاذًا مشاركًا ثم أستاذًا، شاركت في عدد من الندوات والمؤتمرات العربية وكتبت عددًا من البحوث، وكان لها مشاركات إعلامية مختلفــة على مســتوى الصحافة والإذاعــة المســموعة والمرئية. رزقت بأربعــة أبنــاء: أوس وديمــة وبــدر وبــدور، ولها مســاهمات في النشــاط الاجتماعــي والخيري، ونالت محبة الكبير والصغير. وتوفيت رحمها الله في الكويت في 14 شوال 1444هـ/ 04 مايو 2023م.